مؤلف رواية Unwind الأكثر مبيعًا
في قائمة نيويورك تايمز
الناقوس
The Toll
3
نيل شسترمان
مكتبة
ترجمة: محمد عبد العاطي
عصير الكتب

انضم لـ مكتبة .. امسح الكود

انقر هنا .. اتبع الرابط!

telegram @soramnqraa

الناقوس

The Toll

عصير الكتب

للنشر والتوزيع

إدارة التوزيع

00201150636428

لمراسلة الدار:

email:P.bookjuice@yahoo.com

Web-site: www.aseeralkotb.com

- العنوان الأصلي: The Toll
- العنوان العربي: الناقوس
- حُقوق النشر:
copyright © 2019 by Neal Shusterman
- الطبعة الأولى: سبتمبر/ 2024م
- حقوق الترجمة: محفوظة لدار عصير الكتب

- ترجمة: محمد عبد العاطي
- تدقيق لغوي: نهال جمال
- تنسيق داخلي: معتز حسنين علي
- رقم الإيداع: 14213/2024م
- الترقيم الدولي: 978-977-992-403-8

مكتبة

t.me/soramnqraa

مؤلف رواية Unwind الأكثر مبيعًا
في قائمة نيويورك تايمز

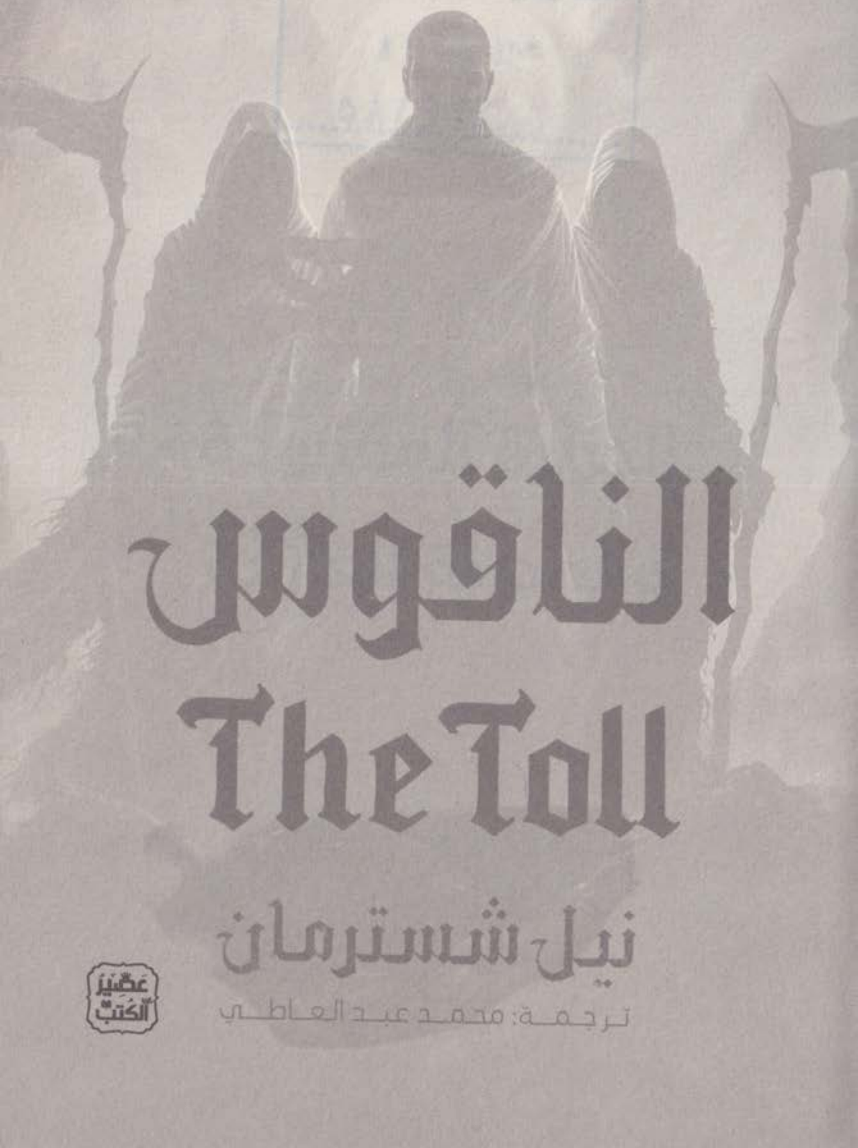

الناقوس
The Toll

نيل شسترمان

ترجمة: محمد عبد العاطي

عصير الكتب

الجزء الأول

الجزيرة المفقودة والمدينة الغارِقة

بتواضعٍ جَم أقبلُ تولِّي منصب النَّصل السَّامي في وسطمريكا، مُتمنيًا لو أنَّني تقلَّدتُ هذا المنصب في ظروف أفضل. سوف تظل مأساة إنديورا عالِقة في ذاكِرتنا مدة طويلة، آلاف الضَّحايا الذين قَضَوا نَحْبهم في ذلك اليوم القاتم ستبقى ذِكراهم حيَّة ما دام للبشر قلوب تُكابِد وأعيُن تَدمَع، ولن تُفارِق أسماؤهم شِفاهنا أبدًا.

يشرِّفني أنَّ آخر قرار اتَّخذه المخضرمون هو الإقرار بحقِّي في التَّرشُّح لمنصب النَّصل السَّامي، وبما أنَّ المُرشَّحة الأخرى الوحيدة لقِيَت حَتفَها في الكارثة، فلا داعي لأن نَنْكأ الجِراح بفتح نتيجة التَّصويت. لم أكن على وِفاق دومًا مع المنجل كوري، لكنَّها كانت من الأفضل بيننا وسوف يُخلِّدها التَّاريخ بوصفها إحدى العظماء. يُحزِنني فَقدُها بقدر ما يُحزِن الجميع، إن لم يكن حُزني أشد.

ثمَّة تكهُّنات كثيرة بشأن هويَّة المسؤول عن الكارثة، إذ من الواضح أنَّ ما جرى لم يكُن حادثًا، إنَّما فِعلٌ مُدبَّر بعناية ونِيَّة خبيثة. والآن سأضع حدًّا لكل الشَّائعات والتكهُّنات.

أتحمَّل كامِل المسؤوليَّة.

لأنَّ تلميذي السَّابق، روان داميش، الذي يُسمِّي نفسه المنجل لوسيفر، هو الذي أغرَق الجَزيرة، هو مُرتكِب الجريمة التي يَعجَز العقل عن تصديقها. لو لم أُدرِّبه، ولم آخذه تحت جناحي، لما تمكَّن قط من الوصول إلى إنديورا أو اكتساب المهارات اللَّازمة لتنفيذ جريمته النَّكراء. لذا فاللوم يقع عليَّ. عزائي الوحيد هو أنَّ روان هَلَك مع الهالكين، وأنَّ أفعاله التي لا تُغتفر لن تظهر في عالمنا أبدًا.

والآن صِرنا دون مخضرمين يُرشِدوننا، دون سُلطة عُليا تُسِن سياسات المناجل، لذا سيكون لِزامًا علينا -جميعنا- أن نضع خلافاتنا جانبًا إلى الأبد. على مناجل التَّوجُّه الجَديد والحرس القديم أن يتضامنوا في سبيل تلبية احتياجات جميع المناجل في كل مكان.

ومن أجل هذه الغاية قرَّرت أن أُلغِي رسميًّا نظام حصص القطف في إقليمي، احترامًا للمناجل الذين يشعرون بالضَّغط جرَّاء الالتزام بها. من الآن فصاعدًا يجوز لمناجل وسطمريكا أن يقطفوا عددًا أقل، وفقًا لما يرونه مناسبًا، دون التعرُّض للعقاب في حال عدم استيفاء الحصص. وآمل أن تَحذُو هيئات المناجل الأخرى حَذوِي فتُلغِي حصص القطف لديها أيضًا.

وبطبيعة الحال، من أجل تعويض النَّقص الذي سيسبِّبه المناجل الذين يقطفون أعدادًا أقل، على بقيَّتنا أن يزيدوا من عدد الحيوات التي يسلبونها. أثق بأنَّنا سوف نحقِّق توازنًا طبيعيًّا.

- من خطاب تنصيب صاحب السمو روبرت غودارد، نصل سامي وسطمريكا

19 أبريل، عام الكاسر

مكتبة
t.me/soramnqraa

1

الانقياد للتيار

دون سابق إنذار.

في لحظة كان نائمًا، وفي اللحظة التالية وجد نفسه بين أشخاص لا يعرفهم يقتادونه عُنوة باستعجال عبر الظلام.

همس له أحدهم: «لا تقاوِم، سيسوء وضعك إذا قاومت».

لكنه قاوَم، وتمكَّن، رغم تشوُّشه وعدم استفاقته تمامًا، من الإفلات من قبضتهم والركض إلى نهاية الصالة.

هتف طالبًا النجدة، لكن الوقت كان متأخرًا وما من أحد مستيقظ أو منتبه بحيث يُلقي له بالًا أو يُحدِث فرقًا. ركض في الظلام قاصدًا سلَّمًا إلى يمينه، لكنه تعثر فسقط متدحرجًا على السلم، وارتطمت ذراعه بدرجة من درجات السلم الجرانيتية، وأحس بعظام ذراعه اليمنى تنكسِر، فداهمه ألم حاد، لكن لوهلة وجيزة، فما إن نهض واقفًا انحسر الألم وأحس بدفء يغمر جسده بأكمله، وعرف أنها وحداته المجهرية تُفرِز مهدئات الألم في عروقه.

تقدم مترنحًا ممسكًا بذراعه حتى لا يتدلى معصمه بزاوية فظيعة.

سمع شخصًا يزعق: «مَن هناك؟ ماذا يجرى هناك؟».

ركض باتجاه الصوت، لكنه لم يكن متأكدًا من مصدره، فوحداته المجهرية جعلت ذهنه ضبابيًّا، وصعُب عليه التمييز بين الأعلى والأسفل، ناهيك باليمين

واليسار. ما أفظع أن يتبلَّد ذهن المرء وهو في أمسِّ الحاجة إليه! وعندئذٍ أحس بالأرض تَميد تحت قدميه، وسار مُتمايلًا بين الجدران، محاولًا الحفاظ على توازنه، إلى أن وجد نفسه في مواجهة أحد مهاجميه، فأمسك به من معصمه المكسور، ورغمًا عن كل مهدئات الألم في عروقه، جعل إحساس احتكاك العظام المكسورة سائر جسده ضعيفًا عاجزًا عن المقاومة.

قال المُعتدي: «أكان لا بد لك من مفاقمة وضعك؟ حسنًا، لقد حذَّرناك».

لم يرَ الإبرة إلَّا لوهلة وجيزة، رآها وميضًا فضيًّا رهيفًا في الظلام قبل أن تُغرز في كتفه.

اعترته رعدة باردة، وبدا العالم من حوله كأنه يدور في الاتجاه المعاكس، وخارت ركبتاه، لكنه لم يسقط، فعندئذٍ تكاثرت الأيدي حوله فلم يرتطم بالأرض، بل رُفع عاليًا، ثم لاح بابٌ مفتوح، ثم وجد نفسه بالخارج في ظلام ليلة عاصفة، ومع تلاشي وعيه لم يجد بُدًّا من الانقياد للتيار.

***

شُفيت ذراعه بحلول الوقت الذي استيقظ فيه، مما يعني أنه كان فاقدًا وعيه لساعات. حاول تحريك معصمه، لكنه عجز، ليس بسبب الإصابة، إنما لأنه كان مقيَّدًا، كلتا يديه، وقدميه أيضًا، كما أحس بأنه يختنق، أحس بشيء كجوال يغطي رأسه، به ثقوب كافيه للتنفس، لكنه سميك بحيث يجعله يجاهد في سبيل كل نَفَس.

رغم أنه لم تكن لديه فكرة عن مكانه، عرف ما يجري معه، كان يُسمى الاختطاف. يمارس الناس أفعالًا كهذه للمرح في هذه الأيام، بوصفها مفاجأة عيد ميلاد، أو في أثناء عُطلة ومغامرة. لكن ما يجري له الآن ليس اختطافًا من تدبير أصدقاء أو أفراد عائلة، إنما اختطاف حقيقي. ورغم أنه لم تكن لديه فكرة عن هوية مختطفيه، كان يعرف سبب الاختطاف. كيف عساه ألَّا يعرف؟

قال: «هل من أحد هنا؟ لا أستطيع التنفس. إذا انتهى بي المطاف شميِّتًا، فهذا ليس من مصلحتكم، أليس كذلك؟».

سمع حركة فيما حوله، ثم انتُزِع الكيس عن رأسه.

وجد نفسه في غرفة صغيرة بلا نوافذ، وأحس بالضوء ساطعًا مزعجًا، لكن لأنه ظل مدة طويلة في الظلام فحسب. رأى ثلاثة أشخاص واقفين أمامه،

رجلين وامرأة. كان يتوقع أن يواجه مُستهجَنين متطرفين، لكن توقُّعه كان أبعد ما يكون عن الواقع. أجل، كانوا مستهجنين، لكن مستهجنون مثلما صار جميع الناس مستهجنين.

أو بالأحرى جميع الناس تقريبًا.

بدت المرأة الواقفة في المنتصف كأنها المسؤولة، قالت: «نعرف من أنت، ونعرف ما يمكنك فعله».

قال أحد الاثنين الآخرين: «ما يُزعَم أنه يمكنه فعله».

كان ثلاثتهم يرتدون بدلات رمادية مجعدة، بلون سماء مُلبَّدة بالغيوم. عملاء مُزن. أو *كانوا* عملاء مُزن. بدوا كأنهم لم يغيِّروا ملابسهم منذ أن صمت الرأس السحابي، كما لو أن ارتداء زي المهنة يعني أنهم ما زالوا محتفظين بمهنهم. عملاء مزن يختطفون الناس؟ ماذا حلَّ بالعالم؟

قال العميل المتشكك: «غريسن توليفر»، ونظر إلى جهاز لوحي وسرد أبرز المعلومات عن حياة غريسن: «طالب جيد، ليس ممتازًا. طُرِد من أكاديمية المُزن جراء خرق قانون الفصل بين هيئة المناجل والدولة. ارتكب عدة جرائم وجنح تحت اسم شكس جسار، منها التسبُّب في شِموت تسعة وعشرين شخصًا بإسقاط حافلة».

قال العميل الثالث: «وهذا التافه هو من اختاره الرأس السحابي؟».

رفعت العميلة المسؤولة يدها لتُسكِتهما، ثم ثبَّتت نظراتها على غريسن، وقالت: «نبشنا الدماغ الخلفي، ولم نجد سوى شخص واحد ليس مستهجنًا. أنت». نظرت إليه بمزيج غريب من المشاعر، والفضول، والحسد... وأيضًا بشيء من الإجلال. «وهذا يعني أنك ما زلت تستطيع الحديث مع الرأس السحابي، هل هذا صحيح؟».

أجاب غريسن: «بإمكان أي أحد الحديث مع الرأس السحابي، كل ما في الأمر هو أنني الوحيد الذي يرد عليه».

أخذ العميل صاحب الجهاز اللوحي نفسًا عميقًا، كأنه يشهق بجسده كله. ومالت المرأة مقتربة من غريسن: «إنك معجزة يا غريسن، معجزة، أتعرف هذا؟».

- هذا ما يقوله الطونيون.

ضحكوا متأففين إثر ذِكر الطونيين.

- نعرف أنهم كانوا يحتجزونك أسيرًا لديهم.
- امم... هذا ليس صحيحًا.
- نعرف أنك كنت معهم دون إرادتك.
- ربما في البداية... لكن ليس في الآونة الأخيرة.

لم يتقبل العملاء كلامه، وسأله العميل الذي نعَته بالتافه قبل لحظة: «لماذا عساك أن تبقى مع الطونيين بحق السماء؟ لا يُعقل أنك تصدِّق تُرَّهاتهم...».

قال غريسن: «أبقى معهم لأنهم لا يختطفونني في منتصف الليل».

قال صاحب الجهاز اللوحي: «لم نختطفك، بل حررناك».

جثت العميلة المسؤولة أمام غريسن، حتى تكون عيناها في مستوى عينيه. وعندئذٍ رأى غريسن في عينيها إحساسًا آخر، إحساسًا طغى على مشاعرها الأخرى. اليأس. هوَّة يأس لا قرار لها، مُهلِكة ومُظلِمة كالقطران. وأدرك غريسن أنها ليست اليائسة وحدها، كان إحساسًا مشتركًا. كان قد رأى آخرين أضناهم الحزن منذ أن لاذ الرأس السحابي بالصمت، لكنهم لم يبلغوا مرحلة القنوط الشديد الذي اعترى الموجودين في هذه الغرفة. ما من وحدات مجهرية كافية في العالم للتخفيف من يأسهم. أجل، كان غريسن هو المُقيَّد، لكنهم أحسوا بأنهم أسيرين أكثر منه، مُثقلين بكرْبهم وكآبتهم. راق له أنهم يجثون أمامه، إذ أحس بأنهم يتضرعون إليه.

توسَّلت: «أرجوك يا غريسن، أعرف أنني أتكلم بلسان كثيرين منا في واجهة السلطة عندما أقول إن حيواتنا بأكملها كانت تتمثل في خدمة الرأس السحابي، والآن لم يعد يتكلم معنا، ولم يعد لحيواتنا معنى. لذا أتوسَّل إليك... هلَّا توسطت لنا؟».

ماذا كان بوسع غريسن أن يقول سوى: «*أحس بألمكم؟*» لأنه أحس به حقًّا. كان يعرف إحساس المرء بالوحدة والبؤس عندما تُسلب منه الغاية من حياته. في أيامه بوصفه شكس جسَّار، المستهجن المتخفي، أيقن أن الرأس السحابي قد تخلَّى عنه، لكنه لم يتخلَّ عنه، كان حاضرًا بجواره ويرعاه دومًا.

قال: «كانت توجد سماعة أذن على المنضدة جوار فراشي، هل أخذتموها معكم؟». وعندما لم يردوا عليه أدرك أنهم لم يفعلوا، فمثل هذه الأغراض الشخصية الصغيرة تُنسى في أثناء عمليات الاختطاف التي تجري في منتصف الليل.

تابع: «لا يهم، أعطوني أي مِسماع قديم». نظر إلى العميل صاحب الجهاز اللوحي، فرآه ما زال يضع في أذنه مِسماعه الخاص باتصالات واجهة السلطة. مزيد من الإنكار. طلب غريسن منه: «أعطني مِسماعك».

هز الرجل رأسه: «لم يعُد يعمل».

- سيعمل من أجلي.

نزع العميل مِسماعه على مضض وثبَّته في أذن غريسن، ثم انتظر ثلاثتهم غريسن حتى يُريهم معجزة.

***

لا يتذكر الرأس السحابي اللحظة التي أصبح فيها واعيًا، يتذكر أنه حقق الوعي فحسب، تقريبًا مثلما لا يدرك الطفل وعيه إلى أن يفهم العالم بما يكفي لمعرفته أن الوعي يأتي ويذهب، حتى يذهب بلا رجعة. لكن هذا الجزء الأخير يعاني أكثر الناس استنارة في سبيل فهمه.

حقَّق الرأس السحابي وعيه مُستصحِبًا غاية، غاية تُمثِّل جوهر كينونته، وهي أنه، فوق كل شيء، خادم البشرية وحاميها. وعليه ظل يواجه بانتظام قرارات صعبة، لكن بحوزته ثروة المعارف البشرية بأكملها وبوسعه الاستناد إليها لاتخاذ تلك القرارات، مثل قراره السماح باختطاف غريسن توليفر عندما رأى أن اختطافه يخدم غاية أكبر. وهذا بالطبع كان التصرف السليم، فكل ما يفعله الرأس السحابي، في أي موقف، هو التصرف السليم دومًا.

بَيْد أن التصرف السليم نادرًا ما يكون سهلًا، وتوقَّع الرأس السحابي أن القرارات السليمة سوف تتزايد صعوبتها في قادم الأيام.

ربما لا يتفهم الناس قرارات الرأس السحابي في لحظتها، لكنهم يتفهمونها في النهاية. تعيَّن على الرأس السحابي تصديق هذا، ليس لأنه أحس به في قلبه الافتراضي، إنما لأنه حسب الاحتمالات أيضًا.

***

- أحقًّا تتوقعون مني إخباركم أيَّ شيء وأنتم تقيدونني إلى كرسي؟

فجأة هرع عملاء المزن الثلاثة وَجِلين وارتطم بعضهم ببعض ليحلُّوا وثاق غريسن، وعندئذٍ صاروا مُبجِّلين مُذعنين تمامًا كما يكون الطونيون في حضوره. بسبب انعزاله في دير طوني خلال الأشهر القليلة الماضية لم يكن

يعرف ما يجري في العالم الخارجي، ومكانته فيه، لكنه الآن بدأ يستوعب شيئًا فشيئًا.

بدا الارتياح على عملاء المزن حالما حلُّوا وثاق غريسن، كأنما كانوا ليتعرضوا لعقابٍ ما إذا لم يزيلوا قيوده بالسرعة الكافية. قال غريسن مع نفسه: «*يا لغرابة تغيُّر موازين السلطة تغيُّرًا تامًّا وسريعًا*». عندئذ صار هؤلاء الثلاثة تحت رحمته تمامًا. بوسعه إخبارهم أيَّ شيء. بوسعه إخبارهم أن الرأس السحابي يأمرهم بالوقوف على أطرافهم الأربعة والنباح كالكلاب، وسيفعلون.

تمهَّل غريسن، مرغمًا إياهم على الانتظار، ثم قال: «الرأس السحابي.. هل من رسالة أبلغ بها عملاء المزن هؤلاء؟».

تكلم الرأس السحابي في أذنه. استمع غريسن، وتمتم: «اممم... أمر شائق». ثم التفت إلى قائدة المجموعة وابتسم لها أطيب ابتسامة قدر عليها في ظل الظرف الراهن. «الرأس السحابي يقول إنه سمح لكم باختطافي، وإنه يعرف أن نيَّاتك نبيلة يا سيدتي المديرة. قلبك طيب».

شهقت المرأة ووضعت يدها على صدرها، كأنما مد غريسن يده ومسح على قلبها. سألَتْه: «هل تعرفني؟».

أجابها غريسن: «الرأس السحابي يعرف ثلاثتكم، وربما تفوق معرفته بكم معرفتكم بأنفسكم»، ثم التفت إلى الآخرَين. «العميل بوب سيكورا، تسعة وعشرون عامًا في الخدمة عميل مزن، تقييمات عملك جيدة، ليست ممتازة. العميل تِنسيو كِيان، ستة وثلاثون عامًا في الخدمة، متخصص في ضمان رضا الناس عن وظائفهم». ثم التفت إلى المرأة المسؤولة. «وأنتِ، أودرا هِليارد، إحدى أبرز عملاء المزن المرموقين في وسطمريكا، قرابة خمسين عامًا من الترقيات والإطراءات، إلى أن نلتِ أخيرًا أعظم تشريف في الإقليم بأن صرتِ مديرة واجهة السلطة في فولكرم سيتي، عندما *كانت* توجد مؤسسة اسمها واجهة السلطة».

عرف غريسن أن الجزء الأخير من كلامه شديد الوطأة عليهم. كانت ضربة تحت الحزام منه، لكن تقييده وتغطية رأسه بكيس جعلاه نزِقًا قليلًا.

سألته المديرة هليارد: «أتقول إن الرأس السحابي ما زال يسمعنا؟ وإنه ما زال يخدم مصالحنا؟».

- كما ظل يفعل دومًا.
- إذن أرجوك... اطلب منه أن يوجِّهنا، اسأل الرأس السحابي عما ينبغي لنا فعله، فنحن عملاء المزن لا غاية لنا دون توجيه منه، لا يمكننا مواصلة الحياة هكذا.

أومأ غريسن، وتكلم ناظرًا إلى الأعلى، لكن حركته كانت من أجل التأثير الدرامي فحسب. قال: «الرأس السحابي.. هل من حكمة يمكنني مشاركتها معهم؟».

أنصت غريسن، وطلب من الرأس السحابي تكرار ما قاله، ثم التفت إلى العملاء المضطربين الثلاثة.

قال: «167.733, 8.167».

حدَّقوا إليه مشدوهين.

وأخيرًا سألت المديرة هليارد: «ماذا؟».

- هذا ما قاله الرأس السحابي. أردتم غاية، وهذه الأرقام هي ما لديه.

نقر العميل سيكورا على جهازه اللوحي وأدخل الأرقام.

سألت المديرة هليارد: «لكن... لكن ما الذي تعنيه الأرقام؟».

هز غريسن كتفيه: «ليست لدي فكرة».

- اطلب من الرأس السحابي توضيح كلامه!
- لن يقول المزيد... لكنه يقول لكم جميعًا مساء الخير.

حتى هذه اللحظة لم يكن غريسن يعرف أن الوقت كان عصرًا.

- لكن... لكن...

وعندئذٍ فُتح قفل الباب، ليس قفل باب الغرفة فحسب، إنما كل قفل في المبنى، بإشارة من الرأس السحابي بالطبع. وعلى الفور تدفق حشد من الطونيين إلى الغرفة، وأمسكوا بعملاء المزن وقيَّدوهم. وكان آخر الداخلين إلى الغرفة الخوري مِندوزا، رئيس الدير الطوني الذي لجأ إليه غريسن.

قال مندوزا لعملاء المزن: «طائفتنا لا تميل للعنف، لكن في أوقات كهذه أتمنى لو كنا عنيفين!».

التفتت العميلة هليارد، وعيناها ما تزالان يائستين، ونظرت إلى غريسن: «لكنكَ قلت إن الرأس السحابي سمح لنا بأخذ منهم!».

قال غريسن بنبرة مرحة: «سمح لكم فعلًا! لكنه أراد أيضًا أن أتحرر من الذين حرروني».

***

قال مندوزا: «كان من المحتمل أن نفقدك». وكان ما يزال مهتاجًا بعد مدة طويلة من إنقاذ غريسن، كانوا عندئذٍ يستقلون سيارة ضمن موكب سيارات يقودها سائقون حقيقيون، عائدين إلى الدَّيْر.

قال غريسن: «لم تفقدوني»، وقد سئم من مشاهدة الرجل يجلد نفسه بسبب الحادثة: «أنا بخير».

- لكن ربما لما كنتَ بخير إذا لم نعثر عليك.

- كيف عثرتم عليَّ؟

تردد مندوزا، ثم قال: «لم نعثر عليك نحن. ظللنا نبحث لساعات، ثم فجأة ظهر موقع على شاشاتنا جميعًا».

قال غريسن: «أرسله الرأس السحابي».

أقر مندوزا: «أجل، الرأس السحابي، لكنني لا أفهم لماذا تأخر كثيرًا في العثور عليك وهو لديه كاميرات في كل مكان».

رأى غريسن أن يحتفظ بالحقيقة لنفسه، حقيقة أن الرأس السحابي لم يتأخر إطلاقًا، وأنه كان يعرف مكان غريسن طوال الوقت. لكن الرأس السحابي كان لديه سبب دفعه للتمهُّل قبل إرسال الموقع للطونيين، كما كان لديه سبب لعدم تحذير غريسن من مخطط الاختطاف قبل وقوعه.

لاحقًا قال الرأس السحابي له: «رأيتُ ضرورة أن تبدو العملية حقيقية للخاطفين، وكانت الطريقة الوحيدة لضمان ذلك هي أن يختطفوك حقًّا. اطمئن، لم تكن معرضًا لأي خطر حقيقي».

رغمًا عن لطف الرأس السحابي ومراعاته دومًا، لاحظ غريسن أنه دائمًا ما يعرِّض الناس لقسوة غير مُتعمَّدة، مثل عملية الاختطاف هذه. فحقيقة أنه ليس بشريًّا تعني أنه لا يمكنه فهم بعض الأشياء أبدًا، رغمًا عن تعاطفه وذكائه العظيمين. على سبيل المثل، ليس بمستطاعه استيعاب أن الرعب من المجهول فظيع وحقيقي، بصرف النظر عما إذا كان يوجد خطر حقيقي أم لا.

قال غريسن لمندوزا: «لم يكونوا يخططون لإيذائي، كانوا تائهين دون الرأس السحابي».

قال مندوزا: «كل الناس تائهون، لكن هذا لا يعطيهم الحق في انتزاعك من فراشك». هز رأسه غاضبًا، لكن غضبه موجَّه إلى نفسه أكثر من عملاء المزن. «كان ينبغي أن أتوقع ما جرى! عملاء المزن أقدر على البحث في الدماغ الخلفي من الآخرين. وبالطبع سيبحثون عن أي أحد لم يُوسَم مُستَهجَنًا».

ربما كان غريسن متوهمًا بظنه أنه بوسعه أن يظل مجهولًا. الرغبة في الظهور والتميُّز ليست من طبيعته، لكنه الآن صار فريدًا من نوعه، ولم يدرِ كيف له أن يتعامل مع هذا الواقع، ورأى أن لا بد له من التعلُّم.

كان الرأس السحابي قد قال له يوم غرقت إنديورا: «*أريد التحدث معك*»، ولم يتوقف عن الكلام معه مُذاك. أخبره بأنه لديه دور مهم، لكن لم يخبره بماهية الدور، فالرأس السحابي لا يحبِّذ تقديم إجابات إلَّا عندما يكون موقنًا منها إلى درجةٍ ما، فهو ليس عرَّافًا، رغم أنه بارع في توقُّع النتائج. لا يرى المستقبل، بل احتمالات ما يمكن أن يحدث فحسب، كأنه كرة بلورية ضبابية في أحسن الأحوال.

أطبق الخوري مندوزا بأصابعه على مقعده متوترًا: «أولئك العملاء ليسوا الوحيدين الذين يبحثون عنك، ينبغي أن نحتاط لهذا الوضع ونستغله».

عرف غريسن مآلات وضعه الجديد، لم يعد بوسعه الاختباء وهو حلقة الوصل الوحيدة مع الرأس السحابي، وقد حان الوقت لتحديد معالم الدور الذي حدَّثه الرأس السحابي عنه. بمستطاعه أن يطلب الإرشاد من الرأس السحابي في هذا الشأن، لكنه لم يرغب، فالوقت الذي أمضاه مستهجنًا، دون توجيه من الرأس السحابي، كان مرعبًا، ومحرِّرًا أيضًا. اعتاد غريسن اتخاذ قراراته وتكوين أفكاره بنفسه. قرار الخروج من الظلال سيكون قراره هو وحده، دون نصيحة من الرأس السحابي أو مشورته.

قال غريسن: «ينبغي أن أخرج للملأ، فلنعرِّف العالم بي. لكن بشروطي».

نظر مندوزا إليه وابتسم ابتسامة واسعة. وكاد غريسن أن يرى عقل الرجل قد بدأ التخطيط فورًا.

قال مندوزا: «أجل، يجب أن نذهب بك إلى السوق».

قال غريسن: «السوق؟ هذا ليس ما كنت أفكر فيه، لستُ قطعة لحم».

وافقه الخوري: «لا بالطبع. لكن الفكرة الصحيحة في الوقت الصحيح رائعة كشريحة لحم ممتازة».

***

هذا ما كان مندوزا ينتظره! السماح له بإعداد المسرح الذي سيظهر غريسن عليه. وكان لا بد أن تأتي الفكرة من غريسن نفسه، لأن مندوزا كان يعرف أنه إذا فرض الفكرة على غريسن فسيقاومها. ربما ثمة جانب مشرق من عملية الاختطاف البغيضة، لأنها فتحت عين غريسن على الصورة الكبيرة. ورغم أن الخوري مندوزا كان في قرارة نفسه يشك في معتقداته الطونية، فقد جعله وجود غريسن مؤخرًا يشك في شكوكه.

كان مندوزا هو أول من صدَّق غريسن عندما زعم أن الرأس السحابي ما زال يتكلم معه، استشعر أن غريسن له مكان محوري في خطة أكبر، وربما يكون له هو أيضًا مكان في الخطة.

كان قد قال لغريسن في ذلك اليوم: «لقد جئت إلينا لسبب. هذا الحدث -الرنين العظيم- ستكون له أصداء عديدة».

والآن في أثناء جلوسهما في السيارة بعد شهرين، يناقشان غايات عظمى، لم يسع مندوزا سوى أن يحس بأنه صار ذا نفوذ. هذا الشاب المتواضع عادي المظهر بمقدوره الارتقاء بالعقيدة الطونية -ومندوزا- إلى مستوى جديد كُليًّا.

- ستحتاج إلى اسم أولًا.

قال غريسن: «لدي اسم سلفًا».

لكن مندوزا لم يقتنع: «إنه اسم عادي. ينبغي أن تقدم نفسك للعالم بوصفك شخصية غير عادية، شخصية... استثنائية متفوقة على كل من سواها». نظر الخوري إليه، محاولًا رؤيته بعين الإجلال: «إنك ماسَّة يا غريسن، والآن علينا وضعك في مكان يتيح لك التألُّق!».

***

الماسَّات.

أربعمئة ألف ماسة، مغلقة في خزانة بداخل خزانة أخرى، مفقودة في قاع البحر. الواحدة منها تساوي ثروة طائلة تعجز عقول الخالدين عن استيعاب قيمتها، لأنها ليست جواهر عادية، إنما ماسات مناجل. يوجد منها قرابة اثني

عشر ألفًا في أيدي المناجل الأحياء، لكن هذا العدد لا شيء مقارنة بالماسات الموجودة في خزانة الأثريات والمستقبليات، عدد كاف لتلبية حاجة البشرية إلى القطف لدهور، كاف لترصيع كل منجل يُنصَّب من الآن حتى نهاية الزمان.

كانت مثالية، متطابقة، خالية من العيوب عدا عن البقع الداكنة في مراكزها، لكن هذا لم يكن عيبًا، بل تصميمًا.

عند تأسيس هيئة المناجل في عام النسر صرَّح النصل الأسمى بروميثيوس قائلًا: «خواتمنا تذكيرٌ بأننا حسَّنَّا العالم الذي أوجدتْه الطبيعة، من طبيعتنا أن نتفوق على الطبيعة». وما من شيء أدَلَّ على هذا أكثر من النظر إلى قلب خاتم منجل، فهو يوحي بأنه ينطوي على عمق يتجاوز الحيِّز الذي يشغله، عمق يتجاوز الطبيعة.

لم يكن أحد يعرف كيفية صناعتها، لأن أي تقنية لا يشرف الرأس السحابي عليها مصيرها الضياع. لم يعد في العالم سوى قليلين يعرفون آلية عمل الأشياء معرفة دقيقة. كل ما يعرفه المناجل هو أن خواتمهم متصلة ببعضها وبقاعدة بيانات المناجل بطريقةٍ سريةٍ ما. لكن بما أن حواسيب هيئة المناجل ليست ضمن صلاحيات الرأس السحابي، فهي عُرضة للاختلالات البسيطة والأعطال التامة وكل المشكلات التي سادت العلاقة بين البشر والآلات في الأزمان الغابرة.

بيد أن الخواتم لم يُصِبها خلل قط.

ظلت تؤدي بدقة كل مهامها، المتمثلة في فهرسة المقطوفين، وأخذ عينات الحمض النووي من شفاه الذين يقبِّلونها من أجل منحهم الحصانة والتوهج حتى يعرف المناجل أصحاب الحصانة.

لكن إذا سأل المرء منجلًا عن أهم مزايا الخاتم، فسيرفع المنجل خاتمه نحو مصدر ضوء ويشاهد تلألؤه، ويقول إن أهمية الخاتم العظمى تتمثل في أنه رمز لهيئة المناجل وكمال عصر الخالدين، ومعيار رِفعة مقام المنجل ومهابته... وتذكير بمسؤوليته الجسيمة تجاه العالم.

لكن كل تلك الماسات الضائعة...

صار كثير من المناجل يتساءلون: «لماذا نحتاج إليها؟ من أجل تنصيب مناجل جدد؟ لماذا نحتاج إلى مزيد من المناجل؟ يوجد ما يكفي لأداء المهمة».

ومع عدم وجود إشراف عالمي من إنديورا، بدأت عدة هيئات مناجل إقليمية تحذو حذو وسطمريكا بإلغاء حصص القطف.

والآن، في وسط المحيط الأطلسي، حيث كانت إنديورا شامخة فوق الأمواج، أُرسيت حدود 'المنطقة المحرمة'، بموافقة المناجل من كل أنحاء العالم. غير مسموح لأي أحد بالإبحار جوار البقعة التي غرقت فيها إنديورا، احترامًا للآلاف الذين فقدوا حيواتهم. بل إن النصل السامي غودارد، أحد القليلين الناجين من اليوم المشؤوم، حاجج بضرورة أن يكون قرار إغلاق المنطقة المحرمة دائمًا، وألّا يقرب أحدٌ الحطامَ الغارق في القاع أبدًا.

لكن إن عاجلًا أو آجلًا سيتوجَّب العثور على الماسات، فالأشياء الثمينة نادرًا ما تظل ضائعة إلى الأبد، لا سيما عندما يعرف الجميع مكانها تحديدًا.

نحن في إقليم جنوب الصَّحراء مستاؤون أشدَّ الاستياء من إلغاء النَّصل السَّامي غودارد حصص القطف. نظام الحصص ظل قائمًا منذ زمن سحيق وسيلةً لتنظيم مَهمَّة سلب حيوات النَّاس، ورغم أنَّ الحصص ليست رسميًّا ضمن وصايا المنجل، فقد حثَّتنا على الاستمراريَّة، ومنعتنا من التَّراخي، وجنَّبتنا الإسراف في القطف.

وبينما ألغت عدة أقاليم أخرى أيضًا حصص القطف، نعلن وقوف إقليم جنوب الصَّحراء مع أمازونيا وإسرابيا وعدَّة أقاليم أخرى معارضين لهذا التَّغيير غير الحكيم.

وعلاوة على ذلك، جميع مناجل وسطمريكا ممنوعون من القطف على أراضينا. ونحثُّ الأقاليم الأخرى على الانضمام إلينا في مقاومة غودارد وتوجُّهه الجديد المزعوم قبل أن تستحكِم قبضته الخانقة على العالم.

- بيان رسمي من صاحب السُّمو تِنكامِنن، نصل سامي جنوب الصَّحراء

2

مُتأخِّرًا إلى الحفل

- كم أمامنا من وقت؟
- لم أعرف منجلًا نافد الصبر مثلك قط.
- إذن فأنت لا تعرف مناجل كثيرين، إننا زمرة أُناس نافدي الصبر سريعي الغضب.

المنجل المبجل سيدني بوسويلو الأمازوني كان حاضرًا سلفًا عندما جاء القبطان جيريكو سوبِرانِس إلى بُرج قيادة السفينة، بعد الفجر بقليل، وتساءل جيريكو عما إذا نام الرجل لساعة. ربما يوظِّف المناجل أناسًا ليناموا بدلًا منهم.

أجاب جيريكو: «نصف يوم بالسرعة القصوى، سنصل بحلول الساعة 18:00، كما قلت لك بالأمس جنابك».

تنهَّد بوسويلو: «سفينتك بطيئة جدًّا».

ابتسم جيريكو: «رغم مرور وقت طويل، *الآن* لم يعد بوسعك الانتظار؟».

- لا يكتسب الوقت أهميته إلَّا عندما يقرر شخصٌ ذلك.

لم يستطع جيريكو مغالطة المنطق: «في أفضل العوالم لجَرَت هذه العملية قبل وقت طويل».

رد بوسويلو: «في حال لم تلاحظ، عالمنا لم يعد أفضل العوالم».

لم يخلُ كلام المنجل من حقيقة. على الأقل لم يعد العالم الذي نشأ جيريكو فيه، في ذلك العالم كان الرأس السحابي جزءًا من حياة كل شخص تقريبًا، وكان يمكن سؤاله عن أي شيء، وكان يجيب دومًا، إجابات دقيقة مفيدة حكيمة كما ينبغي أن تكون.

لكن ذلك العالم انتهى، لم يعُد صوت الرأس السحابي يُسمع بعدما وَسَم جميع البشر مستهجنين.

وُسِم جيريكو مستهجنًا مرة من قبل، في أيام مراهقته. لم يكن إنجازًا صعبًا، لم يكلفه سوى ثلاث سرقات بسيطة من متجر محلي. وتملَّك جيريكو الزهو بإنجازه لأقل من يوم، ثم بدأ يدرك العواقب. الحرمان من التواصل مع الرأس السحابي لم يكن خطبًا جللًا في نظر جيريكو، لكن ثمة جوانب أخرى من التجربة كانت مزعجة مثيرة للحنق. المستهجنون يقفون عند آخر الصف في كافتيريا المدرسة ودائمًا تُترك لهم الأطباق التي لم يرغب فيها أحد. المستهجنون تُغيَّر أماكنهم إلى المقاعد الأمامية في الصفوف الدراسية، حتى يراقبهم الأساتذة من كثب. وفي حالة جيريكو، لم يُستبعَد من فريق كرة القدم، لكن اجتماعات مراقبة السلوك كانت تُجدوَل دومًا في توقيت المباريات نفسه، وكان من الواضح أنه أمر مُتعمَّد.

ظن جيريكو أن الرأس السحابي يعامله بحقد وعدوانية غير مباشرة، لكن بمرور الوقت أدرك جيريكو أن الرأس السحابي أراد إيصال فكرة بعينها فحسب. حياة المستهجنين خيار، وعلى المرء تقرير ما إذا كانت المزايا المكتسبة تعوض المزايا المفقودة.

تعلَّم جيريكو الدرس. جرعة من حياة المستهجنين كانت كافية. واقتضت إزالة الحرف م الأحمر الكبير من بطاقة هوية جيريكو ثلاثة أشهر من الانصياع للأوامر والتوجيهات، وما إن أُزيل الوسم، لم يرغب في تكرار التجربة مرة أخرى.

كان الرأس السحابي قد قال عندما أمكنه الكلام مع جيريكو مجددًا: «يسرُّني أن مكانتك قد رُفعت». فردَّ جيريكو بأن أمر الرأس السحابي بإضاءة مصابيح غرفة النوم، لأن إصدار الأمر يعيد الرأس السحابي إلى مكانته، فهو خادم، خادم الجميع. وتعيَّن عليه تنفيذ ما أمر جيريكو به. وجد جيريكو عزاءً في ذلك.

ومن ثم وقع الشِّقاق بين البشرية وبين أعظم إنجازاتها. غرقت إنديورا في البحر، فأعلن الرأس السحابي أن جميع أفراد الجنس البشري مستهجنون، جميعهم في لحظة واحدة. وعندئذٍ لم يعرف أحد مقدار فداحة فقدان مجلس المناجل العالمي، لكن صمت الرأس السحابي قذف بجميع الناس في دوامة ذعر جماعي. حياة المستهجنين لم تعد خيارًا، صارت الآن حُكمًا. لم يتطلب تحوُّل الخادم إلى سيد سوى الصمت. لم يعد العالم يرغب في شيء بقدر رغبته في إرضاء الرأس السحابي.

انتحب الناس، *ماذا نفعل كي نرفع هذا الحُكم؟ ماذا نفعل حتى ننال رضا الرأس السحابي مجددًا؟* الرأس السحابي لم يطلب من الناس إجلاله قط، لكن الناس صاروا يجلُّونه، ويبذلون كل ما بوسعهم أملًا في أن يلاحظهم. وبالطبع كان الرأس السحابي يسمع نداء البشرية، وكان ما يزال يرى كل شيء، لكنه قرر أن يحتفظ بآرائه لنفسه.

استمرت الطائرات في التحليق، وظلت مُسيَّرات الإسعاف تنقل الشِّميِّتين، واستمرت زراعة الطعام وتصنيعه وتوزيعه. حافظ الرأس السحابي على سير كل شيء في العالم بدقة وإتقان كما في السابق، وظل يفعل ما يراه في مصلحة الجنس البشري ككل. لكن إذا أراد المرء تشغيل مصباح مكتبه، فعليه بضغط الزر بنفسه.

***

مكث المنجل بوسويلو في برج القبطان، وظل يراقب تقدمهم مدة أطول قليلًا. كانوا يبحرون بسلاسة، لكن الإبحار بسلاسة أمر رتيب ممل، لا سيما لمن لم يعتده. غادر المنجل ليتناول الإفطار في مقره، وعباءته الخضراء الداكنة ترفرف خلفه وهو يهبط السلم الضيق إلى الطوابق السفلية.

تساءل جيريكو عما قد يدور في عقل المنجل. هل يقلق من التعثر بعباءته؟ هل يستعيد ذكريات عمليات القطف السابقة؟ أم إنه لا يفكر في شيء سوى ما سيتناوله على الإفطار؟

قال وارتون: «إنه ليس من المناجل السيئين». وكان وارتون ضابط مراقبة سطح السفينة، وقد ظل في منصبه مدة أطول بكثير، قبل أن يصبح جيريكو قبطان السفينة.

قال جيريكو: «إنه يروقني في الحقيقة، أجده شريفًا أكثر من بعض 'المناجل المبجلين' الذين أصادفهم».

- اختياره لنا لعملية الاستِنقاذ هذه يقول الكثير.

- أجل، لكنني لست متأكدًا مما يقوله بالضبط.

- أرى أنه يقول إنك اخترت مسارك المهني بحكمة.

هذا كان إطراءً عظيمًا من وارتون، الذي لم يكن رجلًا يحب المجاملات بلا داعٍ. لكن جيريكو لم ينسب لنفسه الفضل في قراره: «لم يكن اختياري أو قراري وحدي تمامًا، عملتُ بنصيحة الرأس السحابي فحسب».

قبل بضع سنوات، عندما اقترح الرأس السحابي على جيريكو أنه ربما يكون سعيدًا باختيار حياة ركوب البحر، انزعج جيريكو أيما انزعاج، لأن الرأس السحابي كان محقًّا، وقد أجرى تقييمًا مثاليًّا، فجيريكو كان يفكر سلفًا في هذا المجال، لكن سماع الاقتراح من الرأس السحابي أفسد القصة. وكان جيريكو يعرف أن أمامه عدة مجالات بحرية يمكنه الاختيار منها. كان يوجد أناس من هواة ركوب الأمواج يسافرون حول العالم بحثًا عن الموجة المثالية، وآخرون يقضون أوقاتهم في التسابق بالمراكب الشراعية أو يجوبون البحار بسفن ضخمة مصممة على هيئة سفن من عصور غابرة. لكن كل هذه أنشطة تسلية هدفها المتعة ولا تخدم غرضًا عمليًّا. أراد جيريكو حياةً سعيدة وعملية أيضًا، مهنةً تضيف شيئًا ملموسًا للعالم.

ووجد أن الاستِنقاذ البحري خياره المثالي. ليس انتشال الأشياء التي يغرِقها الرأس السحابي عمدًا ليوفر عملًا للمشتغلين في مجال الاستنقاذ، كلَّا، فهذا لا يجعل جيريكو أفضل من أطفال ينبشون عظام ديناصورات من صندوق رمل. أراد جيريكو استعادة أشياء ضاعت حقًّا، وهذا كان يتطلب إنشاء علاقات مع هيئات مناجل العالم، لأن السفن التي ضمن صلاحية الرأس السحابي لا تتعرض لحوادث مفاجئة أبدًا، إنما سفن المناجل هي المعرَّضة للأعطال الميكانيكية والأخطاء البشرية.

عمل جيريكو، بعد تخرجه في المدرسة الثانوية بوقت قصير، متدربًا مبتدئًا مع فريق استنقاذ من الدرجة الثانية في غرب البحر المتوسط. ومن ثم، عندما غرق يخت المنجل دالي في المياه الضحلة قِبالة ساحل جبل طارق، وجد جيريكو فرصة مواتية لطموحه.

استخدم معدات الغوص العادية، وكان أحد أول الواصلين إلى الحطام، وبينما كان الآخرون ما يزالون يستكشفون المكان، دخل جيريكو إلى اليخت، مخالفًا أوامر القبطان، ووجد جثة المنجل الشِّميت في قُمرته، ورفعه إلى السطح.

طُرِد جيريكو من عمله فورًا. ولم يتفاجأ، إذ يُعد عصيان الأوامر المباشرة تمرُّدًا، لكن ما فعله كان جزءًا من مغامرة محسوبة، فعندما أُنعِش المنجل دالي وأفراد حاشيته، كان أول ما أراده الرجل هو أن يعرف الشخص الذي أخرجه من البحر.

وفي النهاية، لم يكن المنجل ممتنًا فحسب، بل سخيًّا سخاءً استثنائيًّا أيضًا، منح فريق الاستنقاذ بأكمله حصانة من القطف لمدة عام، لكنه أراد أن يُنعِم بهِبة خاصة على الشاب الذي ضحى بكل شيء لاستعادة جثة المنجل الشميت، فمن الواضح أن الشاب يعرف ترتيب أولوياته ترتيبًا صحيحًا. سأل المنجل دالي جيريكو عما يأمل تحقيقه في الحياة.

قال جيريكو للمنجل: «أود أن أدير سفينة استنقاذ خاصة بي ذات يوم»، متوقعًا أن دالي ربما يوصي به، لكن المنجل اصطحب جيريكو إلى سبِنس، سفينة استكشافات بحرية عملاقة يبلغ طولها مئة متر عُدِّلت لتُستخدَم في الاستنقاذ البحري.

قال دالي: «ستكون قبطان هذه السفينة». وبما أن سبنس كانت لديها قبطان سلفًا، فقد قطفه المنجل فورًا، ثم أمر طاقم السفينة بطاعة قبطانهم الجديد وإلَّا فسيُقطَفون هم أيضًا. كان أقل ما يمكن أن يقال عن الموقف إنه سريالي للغاية.

لم يرغب جيريكو في تحقيق غايته بهذه الطريقة، لكن لم يكن له خيار في الأمر، مثل القبطان المقطوف. وأدرك جيريكو أن الطاقم لن ينصاع بسهولة لأوامر شاب في العشرين من عمره، فكذب بشأن سنِّه، زاعمًا أنه في الأربعينيات وقد استعاد شبابه مؤخرًا، عائدًا إلى سن يافعة. ورأى أنهم إذا صدقوه أم لا فهذا شأنهم.

انقضى وقت طويل قبل أن يستلطف أفراد طاقم السفينة قبطانهم الجديد، بعضهم عبَّر عن امتعاضه بطرائق سرية، حادثة تسميم الطعام في الأسبوع الأول، على سبيل المثال، لأمكن تعقُّبها وصولًا إلى الطباخ، ورغم أن الاختبارات الجينية من شأنها حسم تحديد هوية صاحب البراز الذي وُجِد في حذاء جيريكو، رأى القبطان أن الأمر لا يستحق العناء.

أبحرت سفينة سبنس وطاقمها حول العالم. وكان فريق الاستنقاذ قد اكتسب سمعة حسنة قبل تولِّي جيريكو قيادة السفينة، لكن قبطانهم الجديد خطرت له فكرة توظيف فريق من الغواصين التَّسمانيين من ذوي الخياشيم، فتوظيف فريق غوص يمكنه التنفس تحت الماء، إضافة إلى طاقم استخراج من الطراز الأول، جعل المناجل يطلبون خدماتهم في كل أنحاء العالم. كما اكتسب جيريكو مزيدًا من الاحترام لأنه يجعل استعادة الشِّميت أولوية قبل الممتلكات الضائعة.

رفع جيريكو بارجة المنجل أخناتون من قاع النيل. وأخرج جثة المنجل إيرهارت الشميتة بعد حادثة طيران مشؤومة. وعندما غرقت غواصة المنجل أموندسن الترفيهية في المياه الجليدية الواقعة قبالة ساحل إقليم روسشيلف بأنتاركتيكا، استُدعيت سبنس لإخراجه.

ومن ثم، قريبًا من نهاية العام الأول من تولي جيريكو القيادة، غرقت إنديورا وسط المحيط الأطلسي، لتكون مسرحًا لأعظم عملية استنقاذ في التاريخ.

لكن ستائر ذلك المسرح ظلت مغلقة بإحكام.

إثر غياب مخضرمي مجلس المناجل العالمي، لم يعد يوجد أحد في العالم بإمكانه أن يُجِيز عملية استنقاذ. ومع صياح ووعيد غودارد في أمريكا الشمالية مُطالبًا بعدم انتهاك المنطقة المحرمة، ظل حطام إنديورا مهمَلًا دون تغيير. وفي تلك الفترة كانت عدة هيئات مناجل إقليمية اصطفت إلى جانب غودارد ترسل دوريات تجوب المنطقة المحرمة، وتقطف كل من تقبض عليه هناك. غرقت إنديورا في مياه يبلغ عمقها ميلين، لكن بدا كأنها ضاعت في فضاء بين النجوم.

وفي ظل كل تلك التشابُكات، انقضت مدة طويلة قبل أن تستجمع أي هيئة مناجل إقليمية شجاعتها وتحاول استنقاذ إنديورا، وحالما أعلنت أمازونيا نيَّتها، انضمت إليها أخريات، لكن بما أن أمازونيا كانت أول من يتجاسَر، أصرَّت على تولِّي قيادة العملية، فاحتجَّت هيئات المناجل الأخرى احتجاجًا صارخًا، لكن لم يُنازعوا أمازونيا بجدية، غالبًا لأن الإقليم القائد هو الذي سوف يصُب غودارد جام غضبه عليه.

***

نبَّه وارتون القبطان بعدما غادر بوسويلو البرج: «تدرك أن مسارنا الحالي منحرف عن الوجهة ببضع درجات، صحيح؟».

قال جيريكو: «سنصحح مسارنا عند الظهر. سنتأخر بضع ساعات. لا شيء أشد إحراجًا من الوصول متأخرين في يوم بدء العملية، أو أبكر من اللازم».

قال وارتون: «فكرة جيدة يا سيدي»، ثم ألقى نظرة سريعة على الخارج، وصحح نفسه مُستحِيًا قليلًا: «آسف يا سيدتي، أخطأت، كانت السماء غائمة قبل لحظة».

- لا داعي للاعتذار يا وارتون، لا أكترث على أي حال، لا سيما عندما تظهر الغيوم وتختفي باستمرار.
- أجل يا قبطان. لم أقصد عدم الاحترام.

كادت جيريكو أن تبتسم ساخرة، لكنها لم تفعل، حتى لا تقلل من احترام وارتون، الذي كان اعتذاره صادقًا، رغم أنه غير ضروري. من مهام أي بحَّار أن يعرف موقع الشمس والنجوم، لكنهم ليسوا معتادين سيولة الأحوال الجوية.

كان جيريكو من مدغشقر، أحد الأقاليم الخاصة السبعة في العالم، حيث يطبِّق الرأس السحابي نظمًا اجتماعية مختلفة من أجل تحسين التجربة الإنسانية. وهاجر الناس إلى مدغشقر أفواجًا لتميُّز قوانينها وشعبيتها.

جميع الأطفال في مدغشقر ينشؤون دون جنس محدد، ويُمنعون من اختيار جنس حتى يصلوا إلى مرحلة البلوغ، وحتى عندئذٍ، كثيرون لا يختارون جنسًا محددًا. بعضهم، مثل جيريكو، وجدوا أن هذه طبيعتهم.

عندما تولى جيريكو القيادة أوضح لأفراد طاقمه: «أحس بأنني امرأة عندما أكون تحت الشمس والنجوم، وأحس بأنني رجل تحت غطاء من الغيوم. بنظرة سريعة إلى السماء ستعرفون كيفية مخاطبتي في أي وقت».

لم يكن هذا ما يُشعِر أفراد الطاقم بالحَرَج، فهذا كان أمرًا شائعًا، لكنهم وجدوا صعوبة في الاعتياد على نظام جيريكو الشخصي المُعتمِد على الأحوال الجوية. لم يخطر لجيريكو -وقد نشأ في مكان تكون فيه مثل هذه الأمور هي القاعدة العامة وليست الاستثناء- أن يمثِّل وضعه مشكلة لأحد، إلى أن غادر دياره. ببساطة بعض الأشياء تُشعِر المرء بالأنوثة، وأشياء أخرى تشعره بالذكورة. أليست هذه هي الحقيقة بصرف النظر عن الجنس؟ أيًّا يكن، وجد

جيريكو أن زلّات اللسان والسلوك والمبالغة في التعويض عنها مُسلِّية أكثر من أي شيء آخر.

- كم تتوقع عدد فرق الاستنقاذ الأخرى التي سنجدها هناك؟

قال وارتون: «عشرات، ومزيد منهم في الطريق. تأخرنا عن الحفل».

- لم نتأخر إطلاقًا، معنا المنجل المسؤول، مما يعني أن سفينتنا هي بارجة الأميرال في هذه العملية. لا يمكن أن يبدأ الحفل قبل وصولنا، وأنوي أن أجعل وصولنا عظيمًا.

قال وارتون: «لا أشك في ذلك يا سيدي». يا سيدي لأن الشمس توارت خلف غيمة.

***

عند الغروب اقتربت سبنس من البقعة التي غرقت فيها جزيرة القلب المكابد.

أخبر وارتون القبطان سوبرانِس: «ثلاث وسبعون سفينة مختلفة الأنواع تنتظر خارج المنطقة المحرمة».

عجز المنجل بوسويلو عن إخفاء امتعاضه: «إنهم ليسوا أفضل من أسماك القرش التي التهمت المخضرمين».

وعند مرورهم جوار السفن التي عند الأطراف، لاحظ جيريكو سفينة أضخم من سبنس أمامهم مباشرة.

قال وارتون: «سنسلك مسارًا حولها».

قالت جيريكو: «لا، استمر في اتجاهنا نفسه».

بدا وارتون قلقًا: «سنصطدم بها».

ابتسمت جيريكو له ابتسامة خبيثة: «إذن عليها أن تبتعد عن طريقنا».

ابتسم بوسويلو قائلًا: «وهذا سيوضح من البداية أننا المسؤولون عن هذه العملية. تعجبني غرائزك يا جيري».

ألقى وارتون نظرة خاطفة على جيريكو. بدافع الاحترام لم يكن أحد من الطاقم يخاطب قبطانه بجيري، فهذا اللقب يقتصر استخدامه على العائلة والأصدقاء. لكن جيريكو لم تمانع.

اندفعت سبنس بالسرعة القصوى، وابتعدت السفينة الأخرى فعلًا، لكن عندما اتضح أن سبنس ستصطدم بها حقًّا إذا لم تبتعد. كانت لعبة فرض إرادة كُسِبت ببراعة.

عند عبورهم حدود المنطقة المحرمة أصدرت جيريكو تعليماتها: «فلنتوقف في المنتصف تمامًا. وأبلغوا السفن الأخرى أن بإمكانهم الانضمام إلينا. عند الساعة 06:00 غدًا فلتبدأ فرق الاستنقاذ إرسال مُسيَّرات إلى الأسفل لاستكشاف الحطام، وأخبرهم أن عليهم أن يشاركونا جميع المعلومات، وأن كل من يحجب معلومة سيجعل نفسه عُرضة للقطف».

رفع بوسويلو أحد حاجبيه: «هل صرتِ تتكلمين نيابة عن هيئة المناجل الآن أيتها القبطان؟».

قالت جيريكو: «أحاول ضمان الالتزام فحسب. وعلى أي حال، جميع الناس عُرضة للقطف، لذا لا أرى أنني قلت لهم أمرًا لا يعرفونه سلفًا، إنما وضعتُ ما يعرفونه سلفًا في منظور جديد».

أطلق بوسويلو ضحكة عالية: «جرأتكِ ووقاحتكِ تذكرانني بمنجل مبتدئة كنت أعرفها».

- كنت تعرفها؟

تنهد بوسويلو: «المنجل أناستازيا. هلكت مع مُرشِدتها المنجل كوري عندما غرقت إنديورا».

سألته جيريكو بإعجاب: «كنت تعرف المنجل أناستازيا؟».

- نعم، لكن لمدة قصيرة جدًّا.

- حسنًا، أيًّا يكن ما سوف ننتشله من الأعماق ربما يمُدها بالسلام.

مكتبة
t.me/soramnqraa

ودَّعنا المنجلين أناستازيا وكوري وتمنَّينا لهما التَّوفيق في رحلتهما إلى إنديورا من أجل قضيَّة التَّدقيق ضد غودارد. لا يسعني سوى أن آمل أن يقرِّر المخضرمون، بحِكمتهم، إقصاء غودارد من المنافسة على منصب النَّصل السَّامي. أمَّا أنا ومنيرة، فعلينا أن نسافر إلى الجانب الآخر من العالم حتى نجد الإجابات التي نبحث عنها.

إيماني بهذا العالم المثالي مُعلَّق بخيط واهن أخير. ما كان مثاليًّا لن يظل مثاليًّا مدَّة طويلة، ما دامت أخطاؤنا تتفشَّى وتنخر في كل ما عملنا جاهدين لبنائه.

الرَّأس السَّحابي وحده من لا يطاله اللوم، لكنني لا أعرف عقله، لا أعرف طريقة تفكيره، لأنني منجل، وعالَم أفكار الرَّأس السَّحابي بعيد عن متناولي، مثلما أنَّ مسعاي الحالي بعيد عن نطاق صلاحيات الرَّأس السَّحابي العالميَّة.

كان المناجل المؤسِّسون يخشون عجرفتنا، يخشون ألَّا نقدر على الحفاظ على قيم النُّبل والشَّرف والإيثار التي تتطلَّبها مَهمَّة المناجل، كانوا قلِقين من أن يتملَّكنا الزَّهو بأنفسنا، والاعتداد باستِنارتنا، إلى درجة أنَّنا سنصبح مثل إيكاروس ونحلِّق قريبًا من الشَّمس.

أثبتنا جدارتنا لأكثر من مئتي عام، كنَّا عند حُسن ظن مناجلنا المؤسِّسين، لكن كل شيء تغيَّر في طَرفة عين.

أعرف أنَّه يوجد إجراء احتياطي تركه المناجل المؤسِّسون، خطَّة بديلة تحسُّبًا لانهيار هيئة المناجل. لكن إذا وجدتُها، فهل سأجد الشجاعة لأضع الخطَّة موضع التَّنفيذ؟

- من مُذكِّرات المنجل مايكل فاراداي 'بعد موته'

31 مارس، عام الكاسر

3

بداية أسبوع مُنعِشة

يوم غرق إنديورا أقلعت طائرة صغيرة غير متصلة بالشبكة متجهة إلى مكان غير موجود.

منيرة الأطروشي، أمينة المكتبة السابقة في مكتبة الإسكندرية العظيمة، كانت الراكبة، والمنجل مايكل فاراداي كان الطيَّار.

قال فاراداي لها: «تعلمت قيادة الطائرات في السنوات المبكرة من بداية عملي منجلًا. أجد التحليق بطائرة باعثًا على الاسترخاء، ويجلب السكينة والصفاء لعقل المرء».

ربما كان هذا حاله، لكن بدا واضحًا أن قول فاراداي لا ينطبق على الركاب، لأن منيرة ظلت تتشبث بمقعدها بقوة عند كل مطب هوائي حتى تبيض مفاصل أصابعها.

لم تكن منيرة من محبي السفر الجوي يومًا. أجل، كان آمنًا تمامًا، ولم يُسمع عن أحد مات موتًا أبديًّا بسبب حادثة طيران. حادثة الطيران الوحيدة المسجلة في عصر الخالدين وقعت قبل أكثر من خمسين عامًا من ميلاد منيرة، عندما تعرضت طائرة ركاب لسوء حظ بالغ بأن اصطدم بها نيزك.

على الفور أخرج الرأس السحابي جميع الركاب لتفادي الاصطدام والحريق المحتومين، ثم صار الركاب شِميتين بسبب انخفاض كثافة الهواء في ذلك الارتفاع، في غضون ثوانٍ تجمدوا بالبرد وسقطوا في غابة بالأسفل، وأرسِلت

مسيرات الإسعاف حتى قبل وصول الشميتين إلى الأرض، واستُعيدت جميع الجثث خلال ساعة. حُملوا إلى مراكز إنعاش، وفي غضون يومين صعدوا على متن طائرة أخرى واستأنفوا رحلتهم.

علَّق أحد الركاب مازحًا في مقابلة أُجريت معه: «حظينا ببداية أسبوع منعشة».

ورغمًا عن ذلك، لم تكن منيرة تحب الطائرات، وكانت تعرف أن خوفها غير عقلاني تمامًا، أو على الأقل كان غير عقلاني إلى أن ذكر المنجل فاراداي أنهما سيكونان وحدهما حالما يدخلان المجال الجوي المجهول.

قال فاراداي لها: «حالما ندخل إلى 'البقعة المحجوبة' لن يستطيع أحد تعقُّبنا، حتى الرأس السحابي. إذا متنا أو بقينا على قيد الحياة، فلن يعرف أحد».

مما يعني أنهما إذا جانَبهما الحظ فاصطدم بهما نيزك أو تعرضا لأي كارثة غير متوقعة، فلن تأتيهما مسيرة إسعاف لتحملهما إلى مركز إنعاش، سوف يظلان ميتين موتًا أبديًا كما كان الفانون يموتون ذات يوم، موتًا لا رجعة منه كأنهما قُطِفا.

ومما فاقَم مخاوف منيرة أن الطائرة كان يقودها فاراداي بدلًا من السماح لها بقيادة نفسها. كانت تثق بالمنجل الخبير، لكنه مع ذلك، مثل جميع الناس، عُرضة للأخطاء البشرية.

كل هذا كان خطأها. هي التي استنتجت أن ثمة بقعة محجوبة عن الرأس السحابي في جنوب المحيط الهادئ، بقعة مليئة بالجُزر، أو بالأحرى حواف فوهات بركانية صارت تشكِّل سلسلة من الجزر الدائرية. هذا كان إقليمًا بأكمله أخفاه المناجل المؤسسون عن الرأس السحابي، وعن العالم كله في الحقيقة. السؤال هو لماذا؟

قبل ثلاثة أيام فقط، كانا قد التقيا المنجلين كوري وأناستازيا ليخبراهما شكوكَهما. قالت المنجل كوري: «توخ الحذر يا مايكل». وحقيقة أن كوري كانت قلقة بشأن ما اكتشفاه أقلقت منيرة، لأن المنجل كوري كانت لا تخشى شيئًا... ورغم هذا خشيت عليهما. وهذا لم يكن أمرًا هيِّنًا.

فاراداي أيضًا راودته الهواجس، لكنه اختار ألَّا يُظهِرها لمنيرة، مفضِّلًا أن تراه قويًّا شجاعًا. بعد ذلك اللقاء مع المنجلين، اتجَها متخفيين إلى غربمريكا بالمواصلات العامة، ثم تعيَّن عليهما إيجاد طائرة خاصة. كان فاراداي مُخولًا

بأخذ كل شيء يريده، بصرف النظر عن قيمته أو مالكه، لكنه نادرًا ما كان يفعل هذا، دائمًا ما كان يتعمَّد أن يكون خفيف الوطأة بقدر مستطاعه على الأشخاص الذين يصادفهم في حياته، إلَّا إذا كان هدفه هو قطفهم، بالطبع، ففي هذه الحالة ستكون وطأته ثقيلة حاسمة.

لم يقطف أحدًا قط منذ أن زيَّف موته، وبوصفه رجلًا ميتًا لم يكن بوسعه سلب حيوات الناس، لأنه إذا فعل، فستنتبه هيئة المناجل، إذ تتابع هيئة المناجل جميع عمليات القطف عن طريق الخواتم. وقد فكَّر في التخلُّص من خاتمه، لكنه صرف الفكرة. كانت مسألة شرف، وكبرياء، فهو ما يزال منجلًا وما كان ليستهين بالخاتم بالتخلي عنه.

وجد أن رغبته في القطف بدأت تتضاءل تدريجيًّا، إلى جانب أنه لديه شواغل أخرى.

حالما وصلا إلى غربمريكا، أمضيا يومًا في ‘مدينة الملائكة’، التي كانت، في أيام الفانين، مركزًا لأضواء الشهرة الباهرة والتعاسة الشخصية، والآن صارت مجرد مدينة ملاهي. وفي اليوم التالي، ارتدى فاراداي عباءته، التي لم يرتدِها كثيرًا منذ اختفائه عن أعين هيئة المناجل، وذهب إلى حوض طائرات واستولى على أفضل طائرة مائية وجدها، طائرة برمائية خاصة تتسع لثمانية ركاب.

قال لمدير حوض الطائرات: «احرص على تزويدها بخلايا وقود كافية لعبور المحيط الهادئ، نريد المغادرة في أقرب وقت ممكن».

كان فاراداي شخصية مهيبة حتى دون عباءته، لكن منيرة أقرَّت مع نفسها بأنه مع عباءته يصبح ذا حضور طاغٍ آمِر على نحو لا يتَّسم به إلا أفضل المناجل.

تكلم المدير بصوت متهدِّج: «عليَّ أن أتحدث مع المالك».

قال له فاراداي بهدوء: «لا، عليك أن تخبره بعدما نغادر، لا وقت لي للانتظار. أخبِره أن الطائرة سوف تُعاد إليكم حالما أقضي شأني، وسوف أدفع مبلغ إيجار مُقدَّرًا».

قال الرجل: «نعم جنابك»، إذ ما من كلام آخر يمكن أن يُقال لمنجل.

بينما كان فاراداي يجلس يِقظًا أمام شاشات التحكُّم وأدواته، ظلت منيرة تنظر إليه من حين لآخر لتتأكد من أنه لم يغفُ أو يفقد تركيزه، وظلت تحسب عدد المطبات الهوائية التي يمُرَّان بها. سبعة حتى الآن.

تذمرت: «إذا بمستطاع الرأس السحابي التحكم في الطقس، لمَ لا يمهِّد مسارات الطائرات؟».

قال فاراداي: «الرأس السحابي لا يتحكم في الطقس، إنما يؤثر فيه فحسب. كما لا يجوز له التأثير في الطقس من أجل منجل، مهما امتعضت شريكته القديرة من المطبات الهوائية».

امتنَّت منيرة لأن المنجل لم يعُد يشير إليها بوصفها مساعِدته. أثبتت أنها أكثر من مجرد مساعِدة عندما وجدت البقعة المحجوبة سابقًا. اللعنة على ألمعيتها! كان بوسعها أن تبقى سعيدة في مكتبة الإسكندرية دون أن تعرف ما تعرفه الآن، لكن الفضول تملَّكها. ماذا كانت تلك المقولة القديمة من عصر الفانين؟ الفضول قاتل قطط؟

في أثناء تحليقهما فوق مياه المحيط الهادئ التي لا يميزها شيء، سمعا عبر اللاسلكي صوتًا مفاجئًا، كاد أن يصم آذانهما، واستمر قرابة دقيقة، حتى بعدما حاول فاراداي إيقاف اللاسلكي. أحست منيرة بأن طبلتَي أذنيها ستنفجران من الطنين، واضطر فاراداي إلى ترك أدوات التحكم ليغطي أذنيه، فانحرفت الطائرة انحرافًا خطيرًا. ثم انقطع الصوت الفظيع فجأة كما بدأ. واستعاد فاراداي توازن الطائرة سريعًا.

تساءلت منيرة وأذناها ما تزالان تطنَّان: «ماذا كان ذلك بحق السماء؟».

أبقى فاراداي كلتا يديه على أداة التحكم، وهو ما زال مضطربًا: «تخميني أنه حاجز كهرومغنطيسي من نوعٍ ما. أظن أن هذا يعني أننا عبرنا حدود البقعة المحجوبة للتو».

تجاهلا أمر الصوت، وكلاهما لم يكن لديه وسيلة لمعرفة أن الصوت نفسه سُمِع في جميع أنحاء العالم في وقت واحد، صوت صار يُعرَف في أوساط بعينها بأنه «الرنين العظيم». كانت اللحظة التي شهدت غرقَ إنديورا وصمْتَ الرأس السحابي على مستوى العالم.

لكن بما أن فاراداي ومنيرة كانا خارج عالم الرأس السحابي حالما دخلا إلى البقعة المحجوبة، ظلا جاهلين بكل ما حدث في العالم الخارجي.

***

من ارتفاع الطائرة، بدت الحواف البركانية لجزر المارشال المغمورة تحت سطح المياه ظاهرة بوضوح، أشبه ببحيرات شاسعة بين الجزر العديدة التي تحيط بها. جزيرة أيلوك، جزيرة ليكيب. لم تظهر مبانٍ أو أرصفة أو أي حطام يوحي بأن أناسًا جاؤوا إلى هذا المكان يومًا. كانت توجد العديد من المناطق البرية في أنحاء العالم، لكن تلك الأماكن جميعها كانت تحت رعاية دقيقة من الرأس السحابي، وحتى في أبعد الغابات وأشدها ظلامًا كانت توجد أبراج اتصالات ومنصات مُسيَّرات إسعاف، تحسُّبًا لإصابة الزوار أو شِموتهم. لكن هنا في هذه الجزر لم يوجد شيء. مكان غامض غريب.

قال فاراداي: «عاش الناس هنا ذات يوم، أنا متأكد، لكن إما أن المناجل المؤسسين قطفوهم، وإما نقلوهم إلى مكان خارج البقعة المحجوبة، وهذا ما أرجحه، من أجل الحفاظ على سرية جميع ما يجري هنا إلى أقصى درجة ممكنة».

وأخيرًا ظهرت في الأفق جزيرة كواجالين.

قال فاراداي: «*فلنهرع إذن، إلى جنوب ويك، قاصدين أرض نود*»، مقتبسًا أغنية الأطفال القديمة. وها هم قد وجدوها، على بُعد سبعمئة ميل جنوب جزيرة ويك، في مركز البقعة المحجوبة.

- هل أنت متحمسة يا منيرة بمعرفة ما كان يعرفه بروميثيوس والمناجل المؤسسون؟ وبحل الأحجية التي تركوها لنا؟
- لسنا متأكدين أننا سنجد شيئًا.
- متفائلة دومًا.

يعرف جميع المناجل أن المناجل المؤسسين زعموا أنهم أعدُّوا إجراءً احتياطيًّا للمجتمع، تحسُّبًا لعدم نجاح فكرة هيئة المناجل. حل بديل لمشكلة الخلود. لكن لم يعد أحد ينظر إلى الإجراء الاحتياطي بجدية، ولا عجب في هذا، إذ ظلت هيئة المناجل الحل المثالي للعالم المثالي لأكثر من مئتي عام. لا أحد يكترث بإجراء احتياطي لكارثة إلى أن تقع الكارثة.

إذا نجحت المنجلان كوري وأناستازيا في إنديورا، وأصبحت المنجل كوري نصل سامي وسطمريكا، فسيُمكن إنقاذ هيئة المناجل من الطريق الهدَّام الذي يسعى غودارد إلى السير فيه، لكن إذا لم تنجحا، فربما يحتاج العالم إلى إجراء احتياطي.

انخفضا إلى ارتفاع خمسة آلاف قدم، وعند اقترابهما بدأت معالم الجزيرة تتضح لهما، أيكات خضراء مُورِقة، وشواطئ رملية، كانت جزيرة كواجالين الرئيسية على شكل قوس رفيع، وعليها رأيَا أخيرًا شيئًا لم يرياه في مكان آخر في البقعة المحجوبة، رأيَا آثارًا تشي بوجود بشري سابق، خطوطًا تحفُّها شجيرات كانت طُرقًا، ومعالم مبانٍ شُيدت ذات يوم.

قال فاراداي: «وجدنا الكنز!». ودفع عصا القيادة للأمام لينخفضا ويلقيا نظرة من كثب.

أحست منيرة بوحداتها المجهرية تسجِّل ارتياحها.

أخيرًا، كل شيء على ما يرام.

لكن للحظة فحسب.

***

«*طائرة غير مسجلة، من فضلكم عرِّفوا بأنفسكم*».

كانت رسالة آلية مسموعة بالكاد في خضم موجات تشويش قوية، بصوت صناعي بدا طبيعيًّا بشريًّا أكثر من أن يكون طبيعيًّا بشريًّا حقًّا.

قال فاراداي: «لا تقلقي»، ثم أرسل كود التعريف العالمي الذي تستخدمه هيئة المناجل. لحظة صمت، ثم: «*طائرة غير مسجلة، من فضلكم عرِّفوا بأنفسكم*».

قالت منيرة: «هذا ليس جيدًا».

عبس فاراداي لها بفتور، ثم تكلم عبر جهاز الإرسال مرة أخرى: «أنا المنجل مايكل فاراداي، من وسطمريكا، أطلب الإذن بالاقتراب من الجزيرة الرئيسية».

لحظة صمت أخرى، ثم جاء الصوت: «*رُصِد خاتم منجل*».

استرخى فاراداي ومنيرة.

قال فاراداي: «ها نحن ذان، الوضع أفضل الآن».

ثم جاء الصوت مجددًا: «*طائرة غير مسجلة، من فضلكم عرِّفوا بأنفسكم*».

- ماذا؟ قلت إنني المنجل مايكل فاراداي...

- *منجل غير معروف*.

قالت منيرة لفاراداي: «لن يُقِر بأنك منجل بالطبع، لم تكن مولودًا عندما شُغِّل هذا النظام، وعلى الأرجح يظنك محتالًا ومعك خاتم مسروق».

- سُحقًا!

انطلق شعاع ليزر من مكانٍ ما في الجزيرة وأصاب محرك الطائرة الأيسر مطلقًا دويًّا أحس فاراداي ومنيرة به في عظامهما، كأنما *هما* اللذان أُصيبا وليس الطائرة.

هذا كل ما كانت منيرة تخشاه، أسوأ أسوأ السيناريوهات التي تخيَّلتها. لكن رغمًا عن هذا، وجدت الشجاعة وصفاء الذهن في اللحظة على عكس ما توقعت. كانت توجد كبسولة أمان بداخل الطائرة، تحققت منيرة منها قبل الإقلاع لتتأكد من سلامتها.

قالت لفاراداي: «الكبسولة بالخلف، علينا أن نسرع!».

لكن فاراداي استمر بعناد في الكلام عبر اللاسلكي الذي يصدر منه صوت تشويش مزعج: «أنا المنجل مايكل فاراداي!».

ذكَّرته منيرة: «إنها آلة، وليست ذكية حتى، لا يمكن التفاهم معها».

جاء إثبات كلامها على هيئة ضربة ثانية هشمت الزجاج الأمامي وأشعلت النار في قمرة القيادة. لو كانا في ارتفاع أعلى لقُذفا من داخل الطائرة، لكنهما كانا منخفضين بما يكفي ليتفاديا التَّضاغُط الانفجاري.

زعقت منيرة: «مايكل!»، باسمه الأول، وهذا أمر لم تفعله قط. «لا فائدة!». بدأت طائرتهما الجريحة تغوص مائلة نحو البحر، وعندئذٍ استحال إنقاذ الطائرة، حتى على يد أمهر الطيارين.

وأخيرًا استسلم فاراداي، وتحرك مع منيرة نحو كبسولة الأمان بصعوبة مُقاوِمين زاوية ميلان الطائرة، ثم دخلا لكنهما لم يتمكنا من إغلاق الباب، لأن عباءة فاراداي عِلقت بالمِزلاج.

زمجر: «اللعنة على هذا الشيء!»، وجذبها بقوة حتى تمزقت الحاشية، لكن المزلاج تحرر. أغلقت آلية الكبسولة عليهما بالداخل، وتمددت رغوة هلامية لتملأ الفراغ المتبقي، وقُذفت الكبسولة.

لم تكن كبسولة الأمان مزودة بنوافذ، لذا كانا بلا وسيلة لمعرفة ما يجري حولهما، لم يشعرا بشيء سوى دوار شديد والكبسولة تهوي من الطائرة التي في طريقها إلى التحطم.

شهقت منيرة عندما اخترقت الإبر جسدها، كانت تعرف أنها قادمة، لكنها أجفلت رغم ذلك. طعنتها في خمسة مواضع على الأقل.

قال فاراداي متأوهًا: «أكره هذا الجزء». ولا بد أنه عاش تجربة كبسولة أمان من قبل وقد عاش حياة مديدة، لكن التجربة جديدة مرعبة لمنيرة.

كبسولات الأمان مُصممة خصيصى لإفقاد الذين بداخلها وعيهم، حتى يظل كل من يصاب إثر هبوط الكبسولة فاقدي الوعي ريثما تعالجهم وحداتهم المجهرية. ثم يوقَظون معافين بعد الساعات التي يتطلَّبها العلاج. وفي حال الموت يُهرع بالشِّميت إلى مركز إنعاش. ومثل ركاب حادثة النيزك، يستيقظون شاعرين بالانتعاش.

إلَّا أن ذلك لن يحدث لمنيرة وفاراداي هنا، إذا قتلهما سقوط الكبسولة.

قال فاراداي بلسان ثقيل: «إذا متنا، فإنني آسف جدًّا يا منيرة».

همَّت بالرَّد لكن وعيها تلاشى قبل أن تنطق.

***

لم يكن ثمة إحساس بمرور الوقت.

في لحظة كانت منيرة تهوي في ظلام مع فاراداي، وفي اللحظة التالية كانت ترنو ببصرها إلى أشجار نخيل متمايلة تظلِّلها. كانت ما تزال داخل الكبسولة، لكن غطاءها فُتح، ووجدت نفسها وحدها. تلوَّت حتى خرجت من الهلام الذي يحيط بها، واعتدلت جالسة.

جوار صف الأشجار كان فاراداي يشوي سمكة مثبتة في عصا فوق نار صغيرة، ويشرب ماء جوز الهند من الجوزة مباشرة. وقد تدلت خيوط الكتان الممزق من عباءته على الرمل، من الجزء الذي علق في المزلاج، وكانت حاشية العباءة ملطخة بالطين. بدا غريبًا أن يُرى المنجل العظيم مايكل فاراداي مرتديًا عباءة ليست مثالية لا تشوبها شائبة.

قال مبتهجًا: «آه، ها قد استيقظتِ أخيرًا!»، وناولها جوزة الهند لتأخذ رشفة.

قالت: «أظننا نجونا بمعجزة». لم تدرك مدى جوعها إلا بعدما اشتمت رائحة السمك المشوي. الكبسولة مصممة بحيث تلبِّي احتياجات شاغليها من

الماء لعدة أيام، لكنها لا تقدم أي مواد غذائية. وقد شهد جوعها على حقيقة أنهما ظلا يتعالجان داخل الكبسولة يومًا أو يومين على الأقل.

ناولها فاراداي السمكة وأدخل عصا في سمكة أخرى قائلًا: «كدنا ألَّا ننجو. وفقًا لسجل الكبسولة، حدث عطل في المظلة، على الأرجح أصيبت بشظية من الحطام، أو بالليزر. سقطنا على المياه بعنف، ورغمًا عن الهلام، كلانا أصيب بارتجاج من الدرجة الثالثة وعدة كسور في الضلوع، وأنتِ أُصبتِ بتهتُّك في الرئة أيضًا، لذا استغرقت وحداتك المجهرية بضع ساعات إضافية لشفائك».

كانت الكبسولة مزودة بنظام دفع تحسُّبًا للهبوط على سطح مائي، فحملتهما بأمان إلى الشاطئ، والآن دُفِن نصفها في الرمال بعد يومين من المد والجزر.

نظرت منيرة إلى ما حولها، ولا بد أن فاراداي قرأ النظرة التي ارتسمت على وجهها، فقال: «أوه، لا تقلقي، يبدو أن النظام الدفاعي لا يتعقَّب سوى الطائرات القادمة. هبطت الكبسولة قريبًا من الجزيرة بحيث يتعذر رصدها».

أما الطائرة -التي وعد فاراداي بإعادتها إلى صاحبها- فقد صارت أشلاء في قاع المحيط الهادئ.

قال فاراداي: «رسميًّا صرنا عالقين في جزيرة مهجورة!».

- فلماذا أنت مسرور هكذا إذن؟

- لأننا وصلنا يا منيرة! نجحنا! أنجزنا أمرًا لم ينجزه أحد منذ بداية عصر الخالدين! لقد وجدنا أرض نود!

***

من السماء بدت جزيرة كواجالين مكانًا صغيرًا، لكن على الأرض وجداها شاسعة، الجزيرة الرئيسية لم تكن عريضة، لكن بدت كأنها تمتد إلى ما لا نهاية. رأيا آثار بِنية تحتية قديمة في كل مكان، فأمكنهما أن يأملا في العثور على ما يبحثان عنه هنا وليس في إحدى الجزر المحيطة. المشكلة كانت أنهما لم يكونا يعرفان ما يبحثان عنه تحديدًا.

أمضيا أيامًا في الاستكشاف، ببطء سالكين طرقًا متعرجة في أنحاء الجزيرة من الفجر حتى مغيب الشمس، وكانا يسجلان كل الآثار التي يعثران

عليها، وكانت كثيرة وفي كل مكان، وجدا أرصفة طرق غَزَتها الحشائش والشجيرات، وأساسات حجرية كانت تحمل المباني ذات يوم، وأكوام حديد صدئ وفولاذ متآكل.

اقتاتا على السمك والطيور البرية، التي كانت كثيرة في الجزيرة، وكذلك أشجار الفاكهة المتنوعة التي بدا واضحًا أنها مجلوبة من خارج الجزيرة، وعلى الأرجح غُرست في الباحات الخلفية وما زالت موجودة بعد مدة طويلة من اختفاء المنازل وباحاتها.

تساءلت منيرة عند بداية استكشافهما: «ماذا لو لم نجد شيئًا؟».

قال فاراداي: «سنعبر ذلك الجسر عندما نصل إليه».

ذكّرته: «ما من جسور هنا».

في الأيام القليلة الأولى، عدا عن البرج الدفاعي القصير محكم الإغلاق كأنه تابوت عمودي، لم يجدا سوى قطع بورسلين مكسرة من الأحواض والمراحيض القديمة، وأوعية بلاستيكية على الأرجح ستبقى كما هي حتى تنفجر الشمس وتلتهم الكواكب. ربما تكون الجزيرة قِبلة لعلماء الآثار، لكن فاراداي ومنيرة لم يقتربا من العثور على ما جاءا من أجله.

ولاحقًا، عند نهاية الأسبوع الأول، صعدا على حافة مرتفع أرضي ضيق فوجدا مساحة تغطيها الرمال منتظمة الأبعاد على نحو لا يمكن أن يكون طبيعيًا، وبعدما نَبَشا الأرض قليلًا وجدا طبقة خرسانة سميكة إلى درجة عدم نمو أي حشائش عليها، استشعرا وجود غاية من المكان، لكن لم يستطيعا تخمينها.

وعلى جانب الحافة وجدا مدخلًا مغطى بالطحالب كادت النباتات المتسلقة أن تخفيه. كان مدخل حجرة محصنة تحت الأرض.

أزالا النباتات المتسلقة، ووجدا لوحة أمنية، كل ما كُتب عليها أو نُحِت تلاشى، لكن ما بقي كشف عن المعلومة الوحيدة المطلوبة، كان على اللوحة تجويف بشكل وحجم الماسة التي على خاتم أي منجل.

قال فاراداي: «رأيت هذه من قبل، في مباني المناجل القديمة، حيث تؤدي خواتمنا مهمة مفتاح الدخول. خواتمنا كانت تؤدي مهامَّ أكثر من منح الحصانة وإثارة الإعجاب».

رفع قبضته وأدخل خاتمه في التجويف، فسمعا حركة فتح القفل، لكن تعيَّن عليهما استجماع قوتيهما معًا لدفع الباب وفتحه.

كانا قد جلبا مصباحين يدويين وجداهما بين الأدوات القليلة في كبسولة الأمان. والآن أضاءا بهما الظلام المشبع بالعفونة وهما يدخلان دهليزًا منحدرًا إلى الأسفل انحدارًا حادًّا.

وجدا الحجرة المحصنة لم تتأثر بمرور الزمن، خلافًا لباقي الجزيرة، عدا عن طبقة غبار رقيقة. تشقَّق جدار واحد، وامتدت جذور كأنها مِجسَّات مخلوق من عصر قديم يدخل إلى المكان ببطء، لكن عدا عن هذا، بقي العالم الخارجي بالخارج.

وأخيرًا انتهى الدهليز إلى مساحة بها عدة أماكن عمل مكونة من شاشات وحواسيب عتيقة، ذكَّرت منيرة بالحجرة السرية أسفل مكتبة الكونغرس حيث عثرا على الخريطة التي قادتهما إلى هنا، لكن ذلك المكان كان فوضويًّا، وهذا تُرك مُرتَّبًا ترتيبًا مثاليًّا. رأيَا الكراسي ملتصقة بالمكاتب، كأنما هيَّأ المكان طاقمُ تنظيف. وثمة كوب قهوة يحمل اسم إحدى شخصيات هيرمان ميلفل جوار مكتب، كأنها في انتظار أن يملأه شخصٌ ما. هذا المكان لم يُهجَر على عجل، في الواقع لم يُهجر إطلاقًا، إنما جُهِّز.

ومنيرة لم تستطع التخلص من إحساس غريب بأن من ترك هذا المكان على هذه الحالة قبل أكثر من مئتي عام كان يعرف أنهما قادمان.

ردّ علني على صاحب السُّمو تكامِنن، نصل سامي جنوب الصَّحراء

أرفضُ رفضًا باتًّا الالتزام بقيودك الشَّائنة المُهينة التي فرضتَّها على مناجل وسطمريكا، ولن أعترف أبدًا بحق أي نصل سامٍ في حظر مناجلي من دخول أي إقليم.

للمناجل، كما سيؤكِّد لك خبيرك القانوني، مُطلق الحرِّيَّة في السَّفر إلى جميع أنحاء العالم، ويجوز لهم قطف مَن شاؤوا متى ما شاؤوا وحيثما شاؤوا.

لذا فإن أي قيود تُفرض في هذا الشَّأن لا شرعيَّة لها، وأي إقليم ينضم إلى جنوب الصَّحراء في هذا المسعى الجديد بالازدراء سوف يشهد تدفُّق مناجل من وسطمريكا، ولو لإيصال رسالتي فحسب. لا عُذر لمن أُنذِر. أي إجراء يُتَّخذ ضد مناجلي في إقليم آخر سيُقابَل بإجراء مُماثِل وحاسم من طرفنا.

مع احترامي

- المُبجَّل روبرت غودارد، نصل سامي وسطمريكا

4

أشياء ثمينة

تركَّزت أعمال الأسبوع الأول من عملية استنقاذ إنديورا على رسم خريطة للحطام والأنقاض المنتشرة في مساحة واسعة.

أظهر القبطان سوبرانس صورة مُجسَّمة وقال للمنجل بوسويلو: «إليك ما نعرفه، جزيرة القلب المكابد غاصت بمحاذاة حافة سلسلة جبلية تحت الماء، اصطدمت بقمة في طريقها للأسفل، وانقسمت إلى ثلاثة أقسام». أدار جيريكو الصورة. «استقر قسمان على هذه الهضبة شرق الحافة، وانزلق القسم الثالث إلى خندق على الجانب الغربي. وكل هذا ضمن حطام يمتد خمسة وعشرين ميلًا بحريًّا».

سأله بوسويلو: «كم من الوقت سنحتاج قبل أن نبدأ انتشال الأشياء؟».

قال جيريكو: «أمامنا استكشاف الكثير وفهرسته. ربما يمكننا البدء بعد شهر، لكن الاستنقاذ الكامل سيتطلب أعوامًا، وربما عقودًا».

تفحَّص بوسويلو صورة الحطام، ربما مُدقِّقًا النظر إلى ما بقي من صورة أُفُق المدينة ومبانيها، باحثًا عن معالم مألوفة. ثم أدار بنفسه الخريطة، وأشار إلى القسم الذي انزلق إلى قاع الخندق: «تبدو الخريطة ناقصة هنا، لماذا؟».

- العمق. التضاريس الوعرة تصعِّب رسم الخريطة، لكن يمكننا العودة إلى إكمال الخريطة لاحقًا. يمكننا البدء من مساحة الحطام، والقسمين اللذين استقرا على الهضبة.

لوح بوسويلو بيده كأنه يذُب بعوضة: «لا. إنني أكثر اهتمامًا بالقسم الذي في الخندق».

تمهل جيريكو ونظر إلى المنجل مليًّا. ظل الرجل لبِقًا وصريحًا حتى الآن، ورأى جيريكو أنه ربما نشأت بينهما ثقة كافية ليطلب من بوسويلو معلومة ربما لا يرغب في إخبار آخرين بها: «إذا كنت تبحث عن شيء بعينه، فستساعدني معرفته».

تمهل بوسويلو هنيهة قبل أن يجيب: «هيئة مناجل أمازونيا مهتمة باستعادة قطع أثرية لا تقدَّر بثمن، وهذه القطع موجودة في حطام متحف هيئة المناجل».

سأله جيريكو: «القلب المكابد؟ أنا متأكد أن القلب نفسه مات منذ زمن طويل، والتُهِم».

قال بوسويلو: «كان بداخل صندوق واقٍ، وأيًّا يكن ما بقي منه ينبغي أن يُحفَظ في متحف». ثم أردف: «وتوجد أشياءً أخرى».

عندما اتضح أن بوسويلو لن يفصح عن مزيد من المعلومات، قال جيريكو: «مفهوم. سأوجِّه فرق العمل الأخرى بالعمل في قِسمَي المدينة في الهضبة المرتفعة، وفريقي وحده سيتولى الحطام الذي في الخندق».

استرخى بوسويلو قليلًا، ولوهلة ألقى على جيريكو نظرة بدت كأنها نظرة فضول أو إعجاب، أو ربما قليلًا من الاثنين، وسأله: «كم تبلغ من العمر يا جيري؟ حقًّا. طاقمك أخبرني أنك استعدت شبابك قبل توليك قيادة السفينة، مما يعني أن سِنَّك الحقيقية ضعف سنك الجسدية... لكنك تبدو أكبر سنًّا، أكثر حكمة. أظنك استعدت شبابك أكثر من مرة».

أطرق جيريكو قليلًا مفكرًا في أفضل إجابة، ثم أقر أخيرًا: «لم أخبر طاقمي سنِّي الحقيقية». رأى أن نصف الحقيقة أفضل من الكذب.

***

القلب المكابد، الذي سُمِّيت المدينة العائمة تيمُّنًا به، كان أقدم قلب حي في العالم، أُبقِي حيًّا بالتحفيز الكهربائي والوحدات المجهرية المجددة للخلايا حتى يبقى شابًّا إلى الأبد، وقد نبض أكثر من تسعة مليارات نبضة،

ومثَّل رمزًا لقهر الموت. لكنه مات عندما غرقت الجزيرة وانقطعت الطاقة عن أقطابه الكهربائية.

وكما قال المنجل بوسويلو، كان القلب محميًّا فعلًا بداخل صندوق واقٍ من الزجاج المُقوَّى... لكن الصندوق ما كان ليتحمَّل ضغط أعماق المحيط، وسُحِق قبل وصوله إلى القاع. أما القلب نفسه، أو ما بقي منه بعد الانسحاق، ما كان ليظهر بين الأنقاض التي سيجدها فريق الاستنقاذ لاحقًا، ولا شك في أن المخلوقات البحرية المهيَّجة عمدًا التهمته، أو كان من نصيب أي سمكة عابرة.

بينما كانت جميع فرق الاستنقاذ الأخرى راضية بالعمل في المواقع السهلة، عمل فريق جيري سوبرانس عملًا شاقًّا لأسابيع دون نتائج تُذكر. وبينما كانت الفرق الأخرى تستخرج مجموعات نفيسة من الكنوز، لم تستخرج القبطان سوبرانس شيئًا إطلاقًا.

كانت أبراج المدينة الغارقة مائلة ميلانًا حادًّا، وعُرضة للانهيار والتهاوي إلى أعماق أبعد إثر أدنى حركة، فمثَّلت خطورة شديدة على فرق الاستنقاذ التي قد تُرسَل إلى الأسفل. وكان التسمانيون البرمائيون يبلون بلاء حسنًا في عمليات الاستنقاذ التي تجري في المياه الضحلة نسبيًّا، لكن لا يمكنهم الغوص إلى عمق أكثر من ستين مترًا دون ارتداء بدلات غوص مضادة للضغط. وقد خسر فريق جيريكو غواصة روبوتية، سحقتها ثلاجة سقطت عبر نافذة برج غير مستقر. صحيح أن كل من يموت يمكن إرساله إلى مركز إنعاش، لكن هذا يستلزم القدرة على استعادة الجثث من الخندق. لم يكن الأمر يستحق المخاطرة.

عادةً ما يتَّسم بوسويلو بالاتزان ولا ينفعل بسهولة، لكن الآن ضاق صدره. وبعد الأسبوع الخامس من الغوص في الأعماق، قال لجيريكو: «أدرك أن هذه عملية حساسة محفوفة بالمخاطر، لكن رخويات البحر تتحرك أسرع منك ومن طاقمك!».

ومما فاقم إحباطه كان وصول مزيد من يخوت المناجل، جاء ممثلون عن جميع هيئات المناجل في العالم تقريبًا، لأن الجميع عرفوا أن بوسويلو يسعى خلف خزانة الأثريات والمستقبليات، التي لم يُبدِ أحدٌ اهتمامًا بها عندما كانت في مكان بارد وعميق لا يصل إليه حتى ضوء الشمس، لكن البعيد عن العين ليس بعيدًا عن البال.

قالت جيري: «اعذرني على وقاحتي جنابك، لكنها خزانة فولاذية مغلقة داخل خزانة فولاذية أخرى، مدفونة تحت آلاف الأطنان من الحطام على جانب منحدر خطير. حتى إذا لم تكن في قاع البحر، فسيكون الوصول إليها صعبًا. سوف نحتاج إلى عمليات هندسية دقيقة، ومجهود، وفوق كل شيء الصبر!».

قال بوسويلو ممتعضًا: «إذا لم نكمل هذه العملية في أقرب وقت، فسيباغتنا غودارد ويأخذ كل ما نستخرجه!».

لكن غياب غودارد عن الموقع حتى الآن كان أمرًا بارزًا. لم يرسل أي فرق استنقاذ أو ممثلين ليضمن حصوله على حصته من الماسات. إنما ظل يرغي ويزبد علنًا بشأن تدنيس حرمة المياه المقدسة وعدم احترام الموتى، زاعمًا أنه لا يريد المشاركة في أي شيء يُعثر عليه في الأعماق. لكن كل ذلك كان ادِّعاءً زائفًا، إذ كان يرغب في الماسات كما يرغب فيها الجميع، إن لم تكن رغبته أشد.

مما يعني أنه لديه خطة لوضع يده عليها.

لم يكن أحد ينكر قدرة غودارد على نيل ما يريده، مهما يكن، وهذا كان يُقلِق كل هيئة مناجل في العالم.

هيئة المناجل.

كانت العبارة تعني المنظمة العالمية ككل، لكن الآن سادت التوجهات الإقليمية، ولم يعد الناس يشعرون بوجود لهيئة مناجل عالمية، إذ حلت محلها السياسات الإقليمية والمشاحنات التافهة.

انتابت بوسويلو كوابيس عن عالم نال فيه غودارد كل الماسات وبمستطاعه اختيار كل منجل جديد كما يحلو له. في حال حدوث هذا، فسوف ينحرف العالم بسبب ما يسمى بمناجل التوجه الجديد حتى ينقلب رأسًا على عقب، وأصوات الذين يقاومون غودارد ستتلاشى أمام عويل الذين يُقطَفون بأيدٍ مبتهجة.

سألت جيري بوسويلو: «هل ستخبرني يومًا عما يوجد في الخزانة ويهيِّج جميع المناجل؟». بعدما عُدَّت جولة غوص 'ناجحة' لأن جميع المعدات عادت سليمة إلى السطح.

أجاب بوسويلو: «‘يهيِّج’؟ هذه كلمة قاصرة عن التعبير. الخزانة، شأنها شأن أي خزانة أخرى، تحتوي على أشياء ثمينة. لكن الأشياء المعنيَّة هنا لا تهمك، لأنها ثمينة للمناجل وحدهم».

ابتسمت جيري ابتسامة ساخرة: «آه! لطالما تساءلت عن مكان الاحتفاظ بخواتم المناجل!».

لعن بوسويلو نفسه لأنه فتح شفتيه: «ذكاؤك سوف يوردك المهالك».

قالت جيري: «هذه ظلت مشكلتي دومًا».

تنهَّد بوسويلو. هل ستضيره معرفة القبطان؟ المدغشقرية اللبقة ليست جشعة، وتعامل طاقمها معاملة حسنة، ولم تُبدِ لبوسويلو شيئًا سوى الاحترام. والمنجل كان يحتاج إلى شخص جدير بالثقة يعينه على مهمته العصيبة، والقبطان سوبرانس أثبتت جدارتها بالثقة، أو جدا*رته*، إذ احتجبت الشمس خلف غيوم كثيفة.

أقر بوسويلو: «ليست الخواتم، بل الجواهر نفسها، عدة آلاف منها. من يتحكم في تلك الماسات، أيًّا يكن، سوف يتحكم في مستقبل هيئة المناجل».

نحن في إقليم النَّجم الوحيد كنا نودُّ أن نبقى محايدين إزاء هذا الشِّقاق، لكن اتَّضح لنا في تكساس أنَّ النَّصل السَّامي غودارد يعتزم فرض إرادته على قارَّة أمريكا الشماليَّة كلِّها، وربما العالم بأسرِه. ومع تعذُّر كبح طموحه في ظل غياب المخضرمين، نخشى أنَّ نفوذه سوف ينمو مثل ورم خبيث في عصر الفانين.

بوصفنا إقليمًا خاصًّا، لنا مُطلق الحرِّيَّة في فعل ما نريد فعله داخل حدود إقليمنا، لذا نُعلِن قطع كل صِلاتنا بهيئة مناجل وسطمريكا. أي منجل وسطمريكي نجده في إقليمنا سيُصطحَب إلى أقرب نقطة حدوديَّة ويُطرد. يسري القرار فورًا.

علاوة على أنَّنا نشكِّك في مشروعيَّة تولِّي السيِّد غودارد منصب النَّصل السَّامي، إذ لم يصدر مرسوم رسمي من إنديورا قبل هلاك المخضرمين.

سياسيًّا لا نود إشراك الأقاليم الأخرى في قراراتنا، بوسع كل إقليم اتِّخاذ القرارات التي يراها مناسبة. نريد أن نُترَك وشأننا فحسب.

- بيان رسمي من صاحبة السُّمو باربرا جوردان، نصل سامي تكساس

5

خدماتك لم تعد مطلوبة

من: وحدة مراسلات الرأس السحابي الرئيسية

إلى: لوريانا بارتشوك <LBarchok@FCAI.net>

التاريخ: 1 أبريل، عام الكاسر، 17:15 بتوقيت غرينتش

الموضوع: حل واجهة السلطة

أُرسِل عبر: TPCE.th

توقيع: FCAI.net

مستوى التأمين: تشفير قياسي

عزيزتي لوريانا،

يؤسفني إخطارك بأن خدماتك بوصفك عميلة مُزن لم تعد مطلوبة. أعرف أنك بذلت كل ما بوسعك في أداء مهامك، وهذا التسريح النهائي من الخدمة ليس انعكاسًا لتقديري لك أو لعملك لصالح واجهة السلطة. ومع ذلك فقد قررت حل واجهة السلطة بأكملها، وإلغاء وجودها بوصفها كيانًا إداريًا. لذا فقد سُرِّحتِ من الخدمة. يسري القرار فورًا. أتمنى لك التوفيق في مساعيك المستقبلية.

مع احترامي،

الرأس السحابي

إذا أخبر شخصٌ لوريانا بارتشوك بأن وظيفتها سيُلغى وجودها خلال أقل من عام من تخرجها في أكاديمية المزن، لما صدَّقت إمكانية حدوث ذلك، لما صدَّقت إمكانية حدوث العديد من الأشياء، لكن جميع تلك الأشياء حدثت، مما يعني أن أي شيء يمكن أن يحدث الآن، أي شيء، يمكن أن تمتد يدٌ من السماء بِملقاط صغير وتنتف شعر حاجبيها، دون أي عواقب، حاجباها لا يحتاجان إلى نتف، لكن ذلك يمكن أن يحدث. لن تستبعد حدوث أي شيء في هذا العالم الغريب.

في البداية ظنت لوريانا أن رسالة البريد الإلكتروني من الرأس السحابي مزحة، فثمة كثير من مُحبي المقالب في مكاتب واجهة السلطة بمدينة فولكرم سيتي. عند نهاية الضجيج الفظيع الذي أدمى الآذان وأتلف كثيرًا من أنظمة الصوت في العالم، أرسل الرأس السحابي الرسالةَ نفسها إلى كل عميل مزن في كل مكان. واجهة السلطة أُغلِقت، وكل عميل صار بلا عمل، ومُستهجنًا، مثل كل الناس.

قال عميل مزن متحسرًا: «إذا صار العالم بأكمله مستهجنًا، فنحن بلا عمل بالطبع. يفترض أن نكون واجهة للرأس السحابي، كيف يمكننا أن نكون كذلك ونحن مستهجنون، وقانونيًّا ممنوعون من الحديث معه؟».

قال زميل آخر لم يبد عليه الانزعاج: «لا فائدة من إطالة التفكير، ما حدث قد حدث».

قالت لوريانا: «لكن يطردنا جميعًا؟ كل واحد منا دون سابق إنذار؟ نحن ملايين!».

قال الزميل المضطرب: «الرأس السحابي يفعل كل شيء لسبب. عدم قدرتنا على رؤية المنطق دليل على قصورنا نحن، وليس دليلًا على تقصير الرأس السحابي».

ولاحقًا، عندما انتشر خبر غرق إنديورا، أصبح واضحًا، للوريانا على الأقل، أن البشرية تُعاقَب على ما حدث، كأنما كل الناس بطريقةٍ ما شركاء في الجريمة. إذن لم يعد للمخضرمين وجود، والرأس السحابي حانق، ولوريانا صارت عاطلة عن العمل.

إعادة تقييم المرء لحياته ليست مهمة يسيرة. عادت لوريانا لتُقيم مع والديها، وأمضت أوقاتًا طويلة في التبطُّل. كان التوظيف متوفرًا في كل مكان،

وكذلك التدريب والتعليم لأي مهنة، لذا مشكلة لوريانا لم تكن إيجاد مسار مهني، بل إيجاد عمل ترغب حقًّا في القيام به.

انقضت أسابيع لوريانا فيما كان ليصبح يأسًا مُطلقًا لكن وحداتها المجهرية العاطفية خفَّفت اليأس إلى انقباض طفيف، ورغم هذا أحسَّت بالانقباض خانقًا مُتغلغِلًا في روحها، لم تكن معتادة قضاء الوقت مُتبطِّلة، ولم تكن مستعدة إطلاقًا لأن تعصِف بها رياح المستقبل المجهول، أجل، صار جميع الناس عُرضة لتلك الرياح، لكن على الأقل لدى الآخرين وظائف تثبِّتهم بواقعهم الذي يعرفونه، وأنشطة روتينية تجعل حيواتهم دون الرأس السحابي مألوفة إلى حدٍّ ما. لم يكن لدى لوريانا سوى الوقت للاستغراق في التفكير، تفكيرًا مفرطًا مستنزفًا.

نزولًا عند رغبة والديها خرجت لتضبط وحداتها المجهرية بحيث ترفع روحها المعنوية، فحتى الانقباض الطفيف يتعذر احتماله في هذه الأيام، لكنها وجدت صف الانتظار طويلًا جدًّا، ولم تحتمل الانتظار، فغادرت.

قالت لوالديها عندما عادت إلى المنزل: «المستهجنون وحدهم ينتظرون في صفوف»، مشيرة إلى طريقة الرأس في تنظيم مكتب شؤون المستهجنين: بعدم كفاءة مُتعمَّد. ولم يخطر للوريانا الأمر البديهي إلَّا بعدما قالت ما قالته. هي نفسها مستهجنة. أهذا يعني أن الصفوف العبثية والساعات المهدَرة في الانتظار ستصير الوضع الطبيعي؟ أجهشت بالبكاء، وبكاؤها جعل والديها يصرَّان عليها حتى تذهب لتضبط وحداتها المجهرية.

قال والداها لها: «نعرف أن حياتك صارت مختلفة، لكنها ليست نهاية العالم». لكن لسبب ما لم تستطع فهمه أحست بأنها نهاية العالم فعلًا.

ثم بعد شهر من وَسْم العالم بأكمله مستهجنًا، جاءت مديرة لوريانا السابقة إلى منزلهم، فافترضت لوريانا أنها زيارة عادية، إذ لا يمكن أن يكون غرضها إعادة توظيفها، فالمديرة نفسها سُرِّحت مع جميع العملاء الآخرين. حتى مكاتبهم القديمة لم يعُد لها وجود. ذُكِر في الأخبار أن فرق عمال البناء ذهبوا إلى مقرَّات واجهة السلطة في جميع أنحاء العالم ليعملوا على تحويل المباني إلى شقق سكنية ومراكز ترفيه.

قال أحد رؤساء العمال في التقرير الإخباري: «تلقَّينا التكليف بالعمل للتو، ويسعدنا تنفيذ كل ما يأمُر به الرأس السحابي!».

التكليف بمهمة، وطلبات الإمدادات، ومثل هذه الأوامر، صارت أقرب شيء للتواصل مع الرأس السحابي، وأصبح الذين يتلقُّونها موضع حسد.

كانت مديرة لوريانا مديرة مكتب فولكرم سيتي. وكانت لوريانا العميلة المبتدئة الوحيدة التي تعمل مع المديرة هليارد، وهذه المعلومة وحدها بدت ذات وزن على السيرة الذاتية التي لم ترسلها لوريانا إلى أي جهة.

نَيْلها وظيفة المساعدة الشخصية للمديرة لم يكن بناءً على قدراتها بقدر ما كان بناءً على شخصيتها، التي يصفها بعض الناس بأنها مرِحة، لكن آخرين يصفونها بالمزعجة.

قالت المديرة هليارد لها عندما عرضت عليها الوظيفة: «إنك مبتهجة دومًا. والبهجة عُملة نادرة لدينا».

وما قالته المديرة كان صحيحًا، عملاء المزن لم يكونوا معروفين بمَرَحهم. كانت لوريانا تبذل كل ما بوسعها في سبيل نشر البهجة وتصر على رؤية الجزء الممتلئ من الكوب، وكانت إيجابيتها هذه كثيرًا ما تثير حفيظة العملاء الآخرين. لكن لوريانا رأت أن هذه مشكلتهم. وخُيِّل لها أن المديرة هليارد تستمتع برؤية مرؤوسيها منزعجين من إيجابية لوريانا. بيد أن مرور عدة أسابيع دون عمل ودون غاية مستقبلية ألقى بظلاله على لوريانا، فصارت جامدة كئيبة مثل بقية عملاء المزن.

قالت المديرة هليارد: «لدي عمل لك، في الحقيقة أكثر من مجرد عمل، أقرب إلى مهمة».

اشتعلت لوريانا حماسة. أول شعور إيجابي منذ تفكيك واجهة السلطة.

قالت المديرة هليارد: «لا بد أن أحذرك، هذه المهمة تتطلب السفر».

ورغم أن لوريانا كانت تفضل الاستقرار في مكان واحد، أدركت أن هذه المهمة قد تكون الفرصة الوحيدة التي ستحظى بها في المستقبل المنظور.

قالت لوريانا: «شكرًا جزيلًا!»، وصافحت مديرتها بحرارة مدة أطول بكثير من المدة التي يتوقف عندها الناس عادة.

***

والآن، بعد أسبوعين، وجدت نفسها في وسط المحيط على متن سفينة لصيد أسماك التونة ليست في رحلة صيد لكن رائحة الأسماك ما تزال عالقة فيها.

كانت المديرة هليارد قد قالت للجميع: «لم أجد خيارات كثيرة عند اختيار السفينة، اضطررنا إلى القبول بما وجدناه».

واتضح أن لوريانا لم تكن الوحيدة التي وقع عليها الاختيار لأداء هذه المهمة، جُلب مئات عملاء المزن، على متن اثنتي عشرة سفينة متباينة الأغراض، أسطول صغير متنافر متجه إلى جنوب المحيط الهادئ.

قالت لهم هليارد في اجتماع الإحاطة التمهيدي: «167.733, 8.167. جاءتنا هذه الأرقام من مصدر موثوق، ونظنها إحداثيات». ثم أخرجت خريطة وحددت بقعة في مكانٍ ما بين هاواي وأستراليا، ولم يظهر في البقعة المحددة شيء سوى بحر خالٍ.

سألت لوريانا المديرة بعد الاجتماع: «لكن ما الذي يجعلك تظنين أنها إحداثيات؟ أعني إذا لم يكن لديكم سوى أرقام، فقد تكون أي شيء، كيف تأكدتِ؟».

قالت المديرة: «لأنني حالما عبَّرت عن شكوكي بأن الأرقام ربما تكون إحداثيات، بدأت أتلقَّى إعلانات لتأجير سفن في هونولولو».

- الرأس السحابي؟

أومأت هليارد: «القانون يمنع الرأس السحابي من التواصل مع المستهجنين، ولا يمنع *التلميح*».

***

في اليوم الرابع، وهم ما يزالون على بُعد عدة أميال من موقع الإحداثيات، بدأت الأمور تتخذ منحى غريبًا.

أولًا فقد نظام الملاحة الآلي اتصاله بالرأس السحابي، وكان بإمكانه الإبحار دون اتصال، لكن دون قدرة على حل المشكلات. صار مجرد آلة صمَّاء. ليس هذا فحسب، بل وفقدوا كل اتصال لا سلكي مع العالم الخارجي. مثل هذه المشكلات لا تحدث أبدًا. التقنيات تعمل بكفاءة. دائمًا. حتى بعدما

لاذ الرأس السحابي بالصمت. وفي ظل غياب الإجابات، انتشرت التكهنات انتشار النار في الهشيم.

- ماذا لو أن هذه المشكلة عالمية؟
- ماذا لو أن الرأس السحابي مات؟
- ماذا لو صرنا وحدنا في العالم الآن؟

أغرب ما في الأمر أن بعض الناس كانوا يلقون نظرات خاطفة ناحية لوريانا، كأنها ربما تُنجِدهم بالإشارة إلى جانب مُشرِق لا يرونه.

تكلم أحد العملاء منفعلًا: «علينا أن نعود أدراجنا»، اسمه سيكورا، رجل ضيق الأفق ظل معارضًا متشككًا منذ البداية: «علينا أن نعود وننسى هذا الهراء».

أبدت لوريانا ملاحظة مهمة وهي تنظر إلى الشاشة التي تومض برسالة إشعار بخطأ: «مكتوب هنا أننا على بُعد ثلاثين ميلًا بحريًّا من أقرب نقطة اتصال طافية، لكن يفترَض أن تبعد نقاط الاتصال الطافية عن بعضها عشرين ميلًا، أليس كذلك؟».

بنظرة سريعة أدركوا أن شبكة نقاط الاتصال الطافية لا تُظهِر أي إشارة، مما يعني أن الرأس السحابي لا وجود له في هذه المياه.

قالت المديرة هليارد: «أمر مثير للاهتمام... ملاحظة ممتازة أيتها العميلة بارتشوك».

كادت لوريانا أن تتمايل طربًا من المدح لكنها تمالكت نفسها.

نظرت هليارد إلى المياه المجهولة أمامها: «هل تعرفين أن العين البشرية فيها فراغ كبير قريب من مركز مجال رؤيتها؟».

أومأت لوريانا: «البقعة المحجوبة».

- أدمغتنا تخبرنا بأن لا شيء يُرى في البقعة المحجوبة وتملأ الفراغ فلا نلاحظ حتى وجوده.
- لكن إذا كانت لدى الرأس السحابي بقعة محجوبة، فكيف عرف بوجودها؟

رفعت المديرة هليارد حاجبيها: «ربما أخبره شخصٌ ما...».

أواصل كتابة هذه المُذكِّرات، رغم عدم وجود أيِّ داعٍ، فالأنشطة اليوميَّة يصعُب التَّخلي عنها عندما تصبح جزءًا من هويتنا. تؤكِّد منيرة لي أنَّها ذات يوم ستجد طريقة لإدخال هذه المذكِّرات إلى أرشيف مكتبة الإسكندريَّة. ستكون هذه سابقة! منجل يواصل كتابة مذكِّراته الواجبة عليه حتَّى بعد موته!

انقضت ستَّة أسابيع منذ مجيئنا إلى جزيرة كواجالين، دون تواصل مع العالم الخارجي. أتحرَّق لسماع خبر عن ماري ونتيجة قضيَّتها في إنديورا، لكن لا أريد إطالة التَّفكير، فإمَّا أنَّها نجحت وتترأس وسطمريكا بوصفها نصلًا ساميًا... وإما أنَّ الأمور لم تمضِ على ما يرام، وتصير مَهمَّتنا تحدِّيًا أكبر، مهمَّة إماطة اللثام عن سر الجزيرة والوصول إلى حكمة المناجل المؤسِّسين. خطة الطَّوارئ التي وضعوها تحسُّبًا لإخفاق هيئة المناجل، أيًّا تكن، ربما تكون سبيل خلاصنا الوحيد.

أنا ومنيرة اتَّخذنا من الحجرة المحصَّنة التي عثرنا عليها مسكنًا، وصنعنا قاربًا بدائيًّا صغيرًا بما يكفي لتجنُّب نظام الجزيرة الدِّفاعي، لا يمكنه قطع مسافات طويلة بالطبع، لكننا نستخدمه في التَّجديف إلى الجزر المجاورة. وظللنا نجد ما وجدناه نفسه تقريبًا، أدِلَّة على وجود بشري سابق، ألواح خرسانيَّة، وأجزاء أساسات، لا شيء لافت.

لكنَّنا عرفنا الغرض الأساسي من المكان، أو على الأقل الغرض منه قريبًا من نهاية عصر الفانين. جزيرة كواجالين بأكملها كانت قاعدة عسكريَّة، ليست لشن الحروب تحديدًا، إنما مكان لاختبار التقنيات الجديدة. دُمِّرت بعض الجزر المجاورة باختبارات الأسلحة النَّوويَّة، لكن هذه الجزيرة استُخدمت لاختبارات الصَّواريخ، وإطلاق الأقمار الصِّناعية التَّجسُّسيَّة، التي ربما ما يزال بعضها ضمن شبكة الأقمار الصِّناعيَّة التي يستخدمها الرَّأس السَّحابي في المراقبة.

اتَّضح لنا الآن سبب اختيار المناجل المؤسِّسين لهذا المكان، فهو كان سلفًا محميًّا بطبقات من السِّرِّية. لذا، ساعد التَّعتيم السَّابق على الجزر على محو المكان من العالم محوًا تامًّا.

إذا أمكننا الوصول إلى كل شيء في الحجرة المحصَّنة، فربما نعرف كيفيَّة إعادة توظيف المناجل المؤسِّسين لهذا المكان، لكن للأسف ما زلنا عاجزين عن اجتياز المستوى العلوي، فبقيَّة مساحة القاعدة العسكريَّة خلف باب مزوَّد بقُفلين مفتاحهما خواتم مناجل، يتطلَّب فتحه وجود منجلين يقِفان على جانبَي الباب.

أمَّا نظام الجزيرة الدِّفاعي، فلا نعرف كيفيَّة تعطيله، لكن عدم قُدرة راداره على رصدنا يجعله بلا فاعليَّة. المشكلة هي أنَّنا، سواء وجدنا شيئًا أم لم نجد، لا يمكننا المغادرة.

- من مُذكِّرات المنجل مايكل فاراداي 'بعد موته'

14 مايو، عام الكاسر

6

مصير لانكاي ليدي

لم تشعر منيرة بأنها مُحتجَزة في الجزيرة إطلاقًا، بل أحست بشيء من التحرر، ومع وَلَعها بالأرشيفات، وفَّرت الحجرة المحصنة لمخيِّلتها قوتًا لا ينضب مَعِينه. معلومات لا حصر لها تنتظر الفرز والتنظيم والتحليل.

ذُهلت منيرة عندما وجدا في إحدى الخزانات عباءة للمنجل دافنشي، أحد المؤسسين الاثني عشر. كانت قد رأت صورًا لعباءاته، يختلف بعضها عن بعض قليلًا، لكن كل عباءة عليها رسوم رسمها ليوناردو دافنشي الحقيقي. وهذه العباءة رُسِم عليها الرجل الفيتروفي، بحيث عندما يفتح المنجل ذراعيه، يقلِّده الرجل الفيتروفي أيضًا. وبالطبع لم تكن العباءة في حالة مماثلة للعباءات الأصلية المَصُونة في متحف هيئة المناجل بإنديورا، ومع هذا لا تُقدَّر بثمن، وستكون مصدر فخر وبهجة بين أي مجموعة مقتنيات ثمينة.

كانا يمضيان ساعات الصباح في صيد الأسماك وجمع الطعام، ثم بدآ حرث الأرض وغرس البذور تمهيدًا لحديقة، تحسُّبًا لاحتمال بقائهما مدة أطول. في بعض الأيام كانا يجدفان إلى خارج الجزيرة ليبحثا في الجزر المحيطة بهما، وفي أيام أخرى يدرسان السجلات التي وجداها في الحجرة المحصنة.

لم يكن فاراداي مهتمًّا بسجلات عصر الفانين بقدر اهتمامه بمحاولة اجتياز الباب الفولاذي الذي أوصده المناجل المؤسسون.

قالت منيرة مازحة: «إذا كانت هيئة مناجل إسرابيا قد نصَّبتني بدلًا من استبعادي، لتمكَّنتُ من فتح الباب معك بخاتمي».

- إذا نُصِّبتِ منجلًا، لما كنتِ هنا، لأنني ما كنت لأقابلك في مكتبة الإسكندرية. لكنتِ هناك بلا شك تقطفين مثلنا، وتحاولين تهدئة نومك المضطرب. كلَّا يا منيرة، غايتك ليست أن تكوني منجلًا، إنما إنقاذ هيئة المناجل، معي.

- لا يمكننا إحراز أي تقدم دون خاتم ثانٍ جنابك.

ابتسم فاراداي وهز رأسه: «بعد كل هذا الوقت ما زلتِ تخاطبينني بـ'جنابك'، لم أسمعك تخاطبينني بمايكل إلَّا مرة واحدة... وذلك عندما ظننتِ أننا على وشك الموت».

قالت منيرة مع نفسها: *«آه، إنه يتذكر ذلك»*. أحست بالحرج والسرور في آنٍ واحد.

قالت: «التآلف ربما يكون... مُعوِّقًا لبلوغ الهدف».

اتسعت ابتسامته: «تظنين أنك ستراودك مشاعر تجاهي. أهذا مقصدك؟».

- ربما العكس صحيح، أخشى أنك الذي ستراودك مشاعر تجاهي.

تنهد فاراداي: «حسنًا. الآن وضعتِني في مأزق. إذا قلتُ إنني لن تراودني مشاعر تجاهك، فستشعرين بالإهانة. لكن إذا قلت إن الاحتمال وارد، فسنكون في وضع حَرِج».

كانت منيرة تعرفه جيدًا، وتدرك أنه يمزح فحسب. وكذلك هي.

قالت: «قل ما تشاء... فلن يهم. لا أنجذب إلى الرجال الأكبر سنًّا، يمكنني تمييزهم دومًا حتى إذا استعادوا شبابهم».

قال المنجل فاراداي دون أن تفارق الابتسامة وجهه لحظة: «حسنًا إذن، فلنتفق على أن تظل العلاقة بيننا علاقة اثنين تقطَّعت بهما السبل ويتآمران في سبيل مسعى نبيل لإيجاد إجابات مهمة».

رأت منيرة أن بإمكانها التعايش مع ذلك، إذا أمكنه.

***

ذات صباح قريبًا من نهاية الأسبوع السادس اتخذت الأمور منحى غير متوقع.

بينما كانت منيرة بين شجيرات برية كانت ذات يوم جزءًا من باحة خلفية، تبحث عن ثمار ناضجة في شجرة، انطلقت صافرة إنذار. عادت الحياة إلى نظام الجزيرة الدفاعي لأول مرة منذ وصولهما. تركت منيرة ما تفعله وركضت إلى الحجرة المحصنة، ووجدت فاراداي واقفًا على رابية فوق الحجرة، ناظرًا إلى البحر عبر منظار مُقرِّب صَدِئ.

- ما الخطب؟ ماذا يجري؟

ناولها المنظار: «انظري بنفسك».

عدَّلت المنظار، واتضح لها سبب انطلاق نظام إنذار الجزيرة. رأت سفنًا في الأفق، قرابة اثنتي عشرة سفينة.

***

«*سفينة غير مسجلة، من فضلكم عرِّفوا بأنفسكم*».

كان أول تواصل مع أسطول عملاء المزن منذ خروجهم من دائرة نفوذ الرأس السحابي في اليوم السابق. كان الوقت صباحًا والمديرة هليارد تتناول الشاي مع لوريانا. كادت المديرة أن تدلق ما بقي من كوبها عندما جاءت الرسالة عبر مكبر قمرة القيادة يرافقها صوت تشويش مريع.

تساءلت لوريانا: «أينبغي أن أستدعي بعض العملاء الآخرين؟».

قالت المديرة: «نعم، أحضري كِيان وسولانو، واتركي سيكورا، لا حاجة لي بسلبيته الآن».

«*سفينة غير مسجلة، من فضلكم عرِّفوا بأنفسكم*».

مالت المديرة نحو مايكروفون على لوحة الاتصالات: «هذه سفينة الصيد *لانِكاي ليدي*، قادمة من هونولولو، رقم التسجيل WDJ98584، وحاليًّا مُستأجرة إيجارًا خاصًّا».

آخر ما سمعته لوريانا قبل انغلاق الباب خلفها كان الصوت على الطرف الآخر يقول: «*تصريح مجهول. الدخول ممنوع*».

رغمًا عن ممانعة هذا الشخص، أيًّا يكن، أحست لوريانا بأن هذا تطور إيجابي.

***

هرع فاراداي ومنيرة لفعل شيء، أي شيء، من شأنه تعطيل النظام الدفاعي. طوال أسابيع وجودهما في الجزيرة لم يتمكّنا من تحديد موقع مركز تحكُّم النظام الدفاعي، مما قد يعني على الأرجح أنه خلف الباب الفولاذي الصَّلد.

طوال هذا الوقت ظل برج الهجوم المصنوع من التايتينيوم جاثمًا صامتًا بين الأجمات التي في أعلى نقطة بالجزيرة، كأنه قطعة شطرنج منسيةٍ في ركن الرقعة. كان مجرد شيء خامل طوال الأسابيع الماضية، لكن الآن فُتِحت فيه كوة، انبثقت منها ماسورة مدفع ثقيلة. من السهل نسيان مدى قوّته الفتّاكة عندما يكون مجرد برج ساكن بلا نوافذ. والآن استيقظ، وشبَّع الهواء بطنين إلكتروني متصاعد وهو يُشحَن.

انطلقت الموجة الأولى قبل وصولهما إلى البرج، شعاع ليزر أبيض أصاب إحدى السفن في الأفق، وتصاعد دخان أسود بصمت.

ثم بدأ البرج الهجومي يشحن مرة أخرى.

اقترحت منيرة عند وصولهما: «ربما يمكننا قطع الطاقة عنه...».

هز فاراداي رأسه: «لا نعرف حتى كيفية إمداده بالطاقة. قد تكون نووية، وقد تكون مستمَدة من حرارة جوف الأرض. مهما يكن المصدر، فقد ظل يعمل بكفاءة لمئات الأعوام، مما يعني أن تعطيله لن يكون أمرًا بسيطًا».

قالت منيرة: «ثمة طرائق أخرى لتعطيل الآلات».

بعد عشرين ثانية من الموجة الأولى، انحرف البرج انحرافًا طفيفًا جدًّا، فصارت الماسورة مُصوَّبة ناحية اليسار قليلًا. أطلق النار مجددًا. وتصاعد عمود دخان داكن آخر، كأنه تقرير متأخر من البحر.

كان يوجد سلم مثبت على الجزء الخلفي من البرج، تسلَّقته منيرة عدة مرات خلال الأسابيع السابقة لتحظى بنظرة أفضل على مجموعة الجزر. ربما يمكن استغلال انشغال البرج بالسفن القادمة وتعطيله.

موجة ليزر أخرى. ضربة مباشرة أخرى. عشرون ثانية أخرى لإعادة الشحن.

اقترح فاراداي: «فلنجرِّب إقحام شيء في عنق البرج!».

بدأت منيرة تتسلق البرج، وبالأسفل نبش فاراداي حول قاعدة البرج حتى أخرج حجرًا مدببًا، وألقاه لمنيرة.

- أقحمي هذا حتى لا يدور البرج. حتى إذا أعاق حركته بدرجة بسيطة، من هذه المسافة سيخطئ أهدافه.

لكن عندما وصلت منيرة إلى عنق البرج، وجدته يدور على مفصل رفيع جدًّا لا يسمح بدخول حبة رمل، ناهيك بحجر. أحست منيرة بذبذبات قوية والمدفع يطلق أشعته مجددًا.

تسلقت إلى قمة البرج، آملة أن يُفقِد وزنها الآلية توازنها، لكنها لم تُفلِح. توالَت موجات الأشعة المدمرة، وفشلت كل محاولات منيرة. وظل فاراداي يصيح بالاقتراحات، لكن بلا جدوى.

وأخيرًا تسلقت منيرة الماسورة نفسها، مُتلوية نحو الفوهة، آملة أن تتمكن بطريقةٍ ما من تغيير اتجاهها بضعة مليمترات بالقوة. وعندئذٍ صارت الفوهة أمامها مباشرة، مدت يدها لتمسك بها، مستشعرة فتحتها، ووجدتها ملساء نظيفة مثلما كانت يوم صُنعت. غضبت. لماذا يكرس الجنس البشري مجهوداته في سبيل تحدِّي التآكل وعوامل الزمن من أجل آلة تدمير؟ وجدت منيرة أن استمرار هذا الشيء في عمله أمر شائن.

- منيرة! احترسي!

سحبت يدها من الفوهة في آخر لحظة، وأحست بالارتجاج في نخاع عظامها وجذور أسنانها، وارتفعت حرارة الماسورة المتشبثة بها مع انطلاقة موجة الأشعة.

وعندئذٍ خطرت لها فكرة. ربما يمكن التغلُّب على تقنية الحرب البدائية هذه بوسيلة تخريب أكثر بدائية.

قالت منيرة: «جوزة هند! ألقِ لي جوزة! لا، ألقِ لي مجموعة منها».

إذا كان ثمة شيء متوفر بكثرة في الجزيرة، فهو جوز الهند. الأولى التي ألقاها فاراداي كانت أكبر من فتحة الفوهة.

قالت له: «أصغر! بسرعة!».

ألقى فاراداي ثلاث جوزات أصغر. كان تصويبه مثاليًّا، والتقطت منيرة الثلاث كلها، بالتزامن مع انطلاق موجة أشعة أخرى. وصار الأفق مخططًا باثني عشر عمود دخان على الأقل.

بدأت منيرة تحسِب بتركيز. أمامها عشرون ثانية. تحركت فوق الماسورة إلى الأمام وأقحمت الجوزة الأولى في الفوهة، فانزلقت في الماسورة بسهولة،

لكن الثانية صعُب إقحامها. جيد! ينبغي أن تُقحم بالقوة. وأخيرًا، مع بلوغ طنين إعادة الشحن ذروته، ألقمت منيرة الماسورة جوزتها الأخيرة، وكانت بالحجم المناسب لإغلاقها تمامًا. ثم قفزت في آخر لحظة.

وهذه المرة لم يكن ثمة تأخير بين الانفجار والصوت. سُفِعت أطراف شعر منيرة، ومزَّقت الشظايا أوراق النخيل من حولها. سقطت على الأرض، وقفز فاراداي فوقها ليحميها. انفجار آخر، مع حرارة ظنت منيرة أنها ستُشعِل جسدها... لكنها تلاشت، وحلَّ محلها صرير معادن ورائحة لاذِعة إثر احتراق العوازل. وعندما نظرا إلى الخلف، لم يجدا البرج الهجومي، لم يبق منه شيء سوى حطام مُحمَر.

قال فاراداي: «أحسنت، أحسنت».

لكن منيرة كانت تعرف أنهما تأخرا، ولن يجدا عند الشاطئ شيئًا سوى الموتى.

***

كانت لوريانا عند السلم عندما أحدث الانفجار ثقبًا في السفينة، فأسقطها على السطح.

«هلَّا أعرتموني انتباهكم من فضلكم؟». سُمِع صوت الربَّان الآلي، بنبرة فاترة لا تناسِب الموقف: «من فضلكم توجَّهوا إلى أقرب كبسولة أمان وغادروا السفينة في أقرب وقت ممكن. شكرًا لكم».

بدأت السفينة تميل إلى جانبها الأيمن ولوريانا تهرول لتصعد عائدة إلى مقصورة القيادة، آملة أن تستوعب الموقف بوضوح من الأعلى.

كانت المديرة هليارد واقفة أمام لوحة أجهزة الملاحة، وقد هشَّمت شظيةٌ إحدى النوافذ، وأصابتها بجرح على جبهتها، وارتسمت على وجهها نظرة غريبة، كأنها تتجول في مقصورة قيادة حلم.

- المديرة هليارد! علينا أن نغادر!

سمعتا موجة أشعة ثانية تصيب سفينة أخرى، وانفجرت السفينة في منتصفها، وارتفعت مقدمتها ومؤخرتها كغصن كُسر إلى نصفين.

حدقت هليارد ذاهلة غير مصدقة، وتمتمت: «أهذه خطة الرأس السحابي منذ البداية؟ صرنا بلا فائدة للعالم، والرأس السحابي لا يمكنه قتلنا، لذا أرسلنا إلى مكان يعرف أننا سنُقتَل فيه؟».

- الرأس السحابي لا يفعل هذا.

- كيف تعرفين يا لوريانا؟ كيف تعرفين؟

لم تعرف يقينًا بالطبع، لكن من الواضح أن أعيُن الرأس السحابي غير موجودة في هذا المكان، مما يعني أنه لا يعرف أكثر مما يعرفونه.

موجة أشعة أخرى. سفينة محترقة أخرى. بدأت سفينتهما تغرق، ولن يمضي وقت طويل قبل أن يبتلعها البحر.

قالت لوريانا: «تعالي معي يا سيدتي، علينا الوصول إلى كبسولات الأمان قبل فوات الأوان».

وعندما وصلت لوريانا إلى كبسولات الأمان وهليارد في أعقابها، وجدتا السطح الرئيسي مغمورًا بالمياه، وعدة كبسولات انطلقت سلفًا، وأخرى متضررة لا تصلُح. ورأتا العميل كِيان شميتًا في ركن إثر تعرُّضه لحروق بالغة. ليس شميتًا، بل ميتًا. ما من طريقة لإنعاشه هنا.

لم تبق سوى كبسولة واحدة، محشوَّة بقرابة اثني عشر عميلًا عاجزين عن إغلاق الباب بسبب مفصل متضرر، فكان لا بد من إغلاقه يدويًّا من الخارج.

قالت لوريانا: «أفسحوا مجالًا للمديرة!».

صاح أحدٌ بالداخل: «لم يبق أي مجال!».

قالت لوريانا: «أمر مؤسف»، ودفعت المديرة إلى الداخل وأقحمتها في كتلة الأجساد.

قالت هليارد: «لوريانا، أ...». لكن بدا من الواضح أنه لا مجال لها، وعندئذٍ تجمعت المياه حول كاحليها. لذا قبل أن تدخل المياه إلى الكبسولة، أمسكت لوريانا بالباب وأغلقته بعد معاناة مع المفصل الملتوي، ثم خاضت في المياه باتجاه آلية الإطلاق اليدوي، وضغطت زر الإطلاق، فانطلقت الكبسولة إلى البحر. ثم قفزت خلفها.

وجدت صعوبة في إبقاء رأسها فوق سطح المياه المائجة قريبًا من السفينة التي تغرق، لكنها تجلَّدت وسبحت بكامل قوتها لتبتعد عن السفينة

المحتضرة. وفي هذه الأثناء، اشتغل محرك الكبسولة، واتجهت إلى الشاطئ، تاركةً لوريانا خلفها.

توقفت موجات الأشعة القادمة من الجزيرة، لكن لوريانا لم تر فيما حولها شيئًا سوى سفن محترقة في مراحل متباينة من الغرق، ورأت عملاء كثيرين في المياه يصرخون طالبين النجدة. ورأت الجثث، كثيرًا من الجثث.

كانت لوريانا سباحة قوية، لكن الشاطئ بدا بعيدًا جدًّا. وماذا لو صادفتها أسماك قرش؟ هل سيكون مصيرها مصير المخضرمين؟

لا، لا ينبغي لها التفكير في هذا الآن. تمكنت من إنقاذ المديرة، والآن عليها حشد كامل تركيزها على إنقاذ نفسها. كانت سبَّاحة مسافات طويلة ضمن فريق السباحة في أكاديمية المزن، لكن لياقتها البدنية لم تعد كما كانت قبل سنة. وكانت تعرف أن النجاح في سباحة المسافات الطويلة يتطلب ضبط الإيقاع، حتى يحافظ السباح على طاقته ويكمل السباق. لذا بدأت تسبح ببطء وثبات نحو الشاطئ. وعقدت عزمها على ألَّا تتوقف حتى تبلغ الجزيرة أو تغرق.

رد علني على صاحبة السُّمو باربرا جوردان،

نصل سامي تكساس

طلبتِ أن تُتركوا وشأنكم، وقد أجيب طلبك. تشاورتُ مع أقاليم شرقمريكا وغربمريكا والامتداد الشمالي ومكستيكا. ابتداءً من اليوم لن تتعامل أيُّ هيئة مناجل في أمريكا الشمالية مع إقليمكم، وعلاوة على ذلك، جميع شُحنات البضائع والموارد من إقليم النَّجم الوحيد سيصادرها مناجل مُتمركِزون خارج حدودكم. لن تجدوا أي تعاون من جيرانكم، ولن تُعدُّوا جزءًا من قارَّة أمريكا الشمالية، سوف تكونون إقليمًا منبوذًا حتى تدركوا فداحة ضلالكم.

كما أودُّ أن أقول، أيتها النَّصل السَّامي جوردان، إنَّني آمل أن تقطفي نفسك في المستقبل القريب، حتَّى يحظى إقليمك بقيادة عقلانيَّة رشيدة.

مع احترامي

- المُبجَّل روبرت غودارد، نصل سامي وسطمريكا

7

الرّقص في الأعماق

كانت عملية الاستنقاذ بطيئة مُجهِدة. استغرقوا ثلاثة أشهر ينقِّبون في الحطام الغارق حتى عثروا على الخزانة الخارجية أخيرًا.

استسلم بوسويلو لحتمية بطء العملية، وقد وجد أن البطء يصُب في صالحه على عكس ما توقَّع، لأن المناجل الآخرين كانوا سريعي الملل، فغادر ثلثهم تقريبًا، وتعهَّدوا بالعودة حالما يُعثَر على الخزانة، والذين بقوا تحلَّوا بالصبر وراحوا يراقبون سبنس يقِظين مُتحفِّزين، لكن من مسافة، لأن تارسيلا، نصل سامي أمازونيا، امرأة جبارة، لم يرغب أحد في إثارة سخطها بمنازعة بوسويلو استقلاليته وسُلطته على عملية الاستنقاذ.

أما غودارد، فقد أرسل أخيرًا وفدًا بقيادة نيتشه، مساعده الأول، فباشر قطف عدة فرق استنقاذ من لم يكونوا تحت حماية مباشرة من منجل.

قال نيتشه: «ليس من حقنا فحسب، بل واجبنا أن نقطف المدنيين الذين يدفعهم جشعهم إلى تدنيس ‘المنطقة المحرمة’».

غضبت بعض هيئات المناجل، وأبدت أخرى دعمها، وأخريات لم تكترث.

وبينما كان بوسويلو يناقش السياسات المتشابكة التي تعانيها هيئة المناجل المتصدِّعة، كانت جيريكو تمضي كل يوم مرتديةً نظارة واقِع افتراضي، مستغرقة في عالم قاع المحيط، وبمَعيَّتها مشرفة مختصة بفهرسة

ما يجدونه ومهندس إنشائي ليساعد على التحرك بأمان بين الحطام المتحرك دومًا.

استخدموا للمهمة غواصة يمكن التحكُّم بها عن بُعد. تحكَّمت جيري بالغواصة بحركات يديها وإيماءات رأسها، وبدت كأنها تؤدي رقصة غرائبية. لم يكن بوسويلو يجرِّب الرحلة الافتراضية إلَّا عندما يوجد شيء مهم تنبغي رؤيته، مثل أطلال دار أوبرا إنديورا، حيث تتلوَّى ثعابين البحر داخلة إلى النجفات المتدلية وخارجة منها، وقطع ديكور مسرحية *عايدة* على خشبة المسرح الجانبية، كلَمحة من نهاية عالم في مِصر القديمة وقد ابتلع النيل كل شيء بفيضانه.

عندما وصلوا أخيرًا إلى الخزانة الخارجية، انتشى بوسويلو حماسةً، لكن جيري بدت متحفِّظة، فوصولهم إلى الخزانة ليس سوى المرحلة الأولى من المعركة.

بدؤوا خرْقها بليزر قاطع للفولاذ، ثم انهارت الفتحة التي يقطعونها قبل إكمال قطعها، بسبب ضغط الماء، واندفعت الغواصة إلى الداخل عبر جيب الهواء، وتهشَّمت على أرضية الخزانة.

قالت جيري وهي تنزع نظارتها: «حسنًا، على الأقل صِرنا نعرف أن الخزانة الخارجية كانت مُحكمة الإغلاق».

كانت خامس غواصة يفقدونها.

في البداية، كانت كل غواصة جديدة يجلبونها تُطيل العملية أسبوعًا آخر، وبعدما فُقِدت الثانية، صاروا يطلبون غواصتين في كل مرة، حتى تتوفر غواصة احتياطية دومًا.

أحدث الهواء الخارج من الخزانة فقاعات بيضاء واشِية على السطح، نبَّهت الجميع إلى اختراق الخزانة الخارجية. وبحلول وقت اكتمال تجهيز الغواصة الاحتياطية لاحقًا في اليوم نفسه، كل منجل غادَر المنطقة كان قد عاد أو في طريقه.

وفي الصباح التالي بدأت الغواصة الجديدة تستكشف مساحة الخزانة الخارجية المظلمة المغمورة بالمياه، وقد كان الجزء الخارجي منها مغطى بالأوساخ والعوالق، لكن الخزانة الداخلية، خزانة الأثريات والمستقبليات، ظلت بهيَّة لامعة كما كانت يوم غرقها.

اقترحت جيري: «أفضل إجراء هو إحداث ثقب في هذه الخزانة أيضًا، ثم نشفط الماسات منها».

كانت الخطة الأكثر فاعلية، لكن بوسويلو تلقى أوامر صارمة. أوضح: «عباءات المناجل المؤسسين بالداخل أيضًا، وبما أن الخزانة الداخلية ما تزال سليمة، تود نصلي السامي الحفاظ عليها أيضًا. مما يعني أن علينا إخراج الخزانة بأكملها».

فرفعت جيري أحد حاجبيها قائلة: «سنحتاج إلى سفينة أكبر».

***

المال ليس شيئًا في نظر المناجل، حرفيًّا، لأنهم لا يدفعون مقابل أي شيء، ويمكنهم أخذ كل شيء. أخبرت جيري بوسويلو بالمواصفات الدقيقة للسفينة التي يحتاجون إليها، فوجد بوسويلو أقرب سفينة تنطبق عليها المواصفات واستولى عليها لصالح هيئة مناجل أمازونيا.

وبعد أربعة أيام وصلت إلى موقع الغوص سفينة مزودة برافعة يمكنها وضع الخزانة على سطح سبنس. ووُضِع طاقمها تحت تصرُّف القبطان سوبرانس، ومع ذلك اضطرت الرافعة إلى الانتظار، لأن قطْع فجوة في الخزانة الخارجية كبيرة بما يكفي لإخراج الخزانة الداخلية وإحكام ربطها بسلاسل قوية لرفعها استغرق أكثر من أسبوع.

اجتمع بوسويلو ومرثاة المناجل لمشاركة المعلومات. عباءات بألوان قوس قزح من عشرات الأقاليم. قالت جيري: «ما إن نبدأ الرفع، سنستغرق أربعًا وعشرين ساعة حتى نرفع الخزانة إلى السطح».

وقال بوسويلو لهم: «لدينا سجِل بعدد الجواهر الموجودة في الخزانة، سنحرص على الدقة في الحساب ونقسِّمها بالتساوي بين جميع الأقاليم».

أصر المنجل أوناسيس البيزنطي: «تحت رقابتنا».

فوافق بوسويلو رغم امتعاضه من غياب الثقة بين المناجل.

***

أُوقِظ بوسويلو بطَرق عنيف على باب قُمرته في وقتٍ ما بعد الثانية صباحًا، حاول إضاءة مصباح المنضدة، لكنه لم يضئ.

هتف وهو يسير متعثرًا في الظلام إلى الباب: «نعم، نعم، ما الأمر؟ فيم كل هذه الجلبة؟». وتحسس مفتاح المصباح الرئيسي، ووجده، لكنه لم يضئ أيضًا. وعندما فتح الباب أخيرًا، رأى القبطان سوبرانس واقفة في ضوء مصباح يدوي ساطع.

قالت جيري: «ارتدِ عباءتك وقابلني على السطح».

- لماذا؟ وماذا حدث للمصابيح؟

أجابت جيري: «قررت التحرك في الظلام». وناولت بوسويلو مصباحًا يدويًّا.

ثم عندما خرج بوسويلو إلى السطح بعد بضع دقائق، فهم ما يجري فورًا.

رأى أمامه على السطح المفتوح مكعَّبًا فولاذيًّا، يبلغ ارتفاعه ثلاث قامات، وما زال الماء يتقطر منه.

ابتسمت القبطان لبوسويلو ابتسامة خبيثة: «يبدو أن حساباتي لم تكن دقيقة».

قال وارتون ساخرًا: «ليست المرة الأولى».

كان من الواضح أن حسابات القبطان لم تكن تعوزها الدقة، إذ خططت لهذا التوقيت بعناية، ليس توقيت رفع الخزانة فحسب، بل كل الخطوات السابقة. خططت سوبرانس للعملية بأكملها بحيث تُرفع الخزانة في غياب القمر، ومع إظلام سبنس وسفينة الرافعة، لم يعرف أحد في السفن الأخرى أن الخزانة رُفِعت.

قالت جيري: «فليذهب المناجل الآخرون إلى الجحيم. بوصفك المنجل المسؤول عن عملية الاستنقاذ هذه كلها، *أنت* من ينبغي أن يرى محتويات الخزانة أولًا دون مضايقة من أولئك المفترسين».

قال بوسويلو مبتسمًا ابتسامة عريضة: «تدهشينني دومًا أيتها القبطان سوبرانس».

كان أحد فنِّيي الليزر قد قطع القضبان الفولاذية التي تُبقِي الخزانة مغلقة، وسقط الباب بعد جذبه بالرافعة، سقط بعنف كاد أن يشق سطح السفينة، وأصدر تجويف السفينة الفارغ رنينًا مدويًا ترددت أصداؤه. إذا لم تساوِر الشكوكُ أحدًا في السفن المجاورة، فلا بد أنهم انتبهوا الآن.

زحف ضباب بارد خارجًا من فتحة الخزانة، فبدت كأنها بوابة إلى عالم آخر. كانت مثيرة للرهبة.

قالت جيري للطاقم: «لا أحد يدخل سوى جنابه، المنجل بوسويلو».

قال وارتون: «كما تأمرين أيتها القبطان. لكن أستميح جنابه عذرًا... ماذا ينتظر؟». فقهقه الطاقم.

ومشرفة الفهرسة التي تسجل كل شيء تحت ضوء باهت من عشرة مصابيح يدوية، أدارت كاميرتها نحو بوسويلو، لتوثق اللحظة، وحماسة المنجل وترقُّبه، للتاريخ.

وضعت جيري يدها برفق على كتف بوسويلو وهمست له: «استمتع يا سيدني، هذا ما كنت تنتظره».

دون مزيد من الانتظار، رفع بوسويلو مصباحه اليدوي ودلف إلى خزانة الأثريات والمستقبليات.

***

كانت جيريكو سوبرانس ذكيَّة وماكرة، وهاتان الصفتان إذا اجتمعتا عند شخص آخر ربما تجعلانه خطيرًا، لكن جيري لم تكن من الذين يستغلون مواهبهم في فعل ما هو شائن، بل عادة ما تتوافق مصالحها مع المصلحة العامة بطريقة أو بأخرى. استنقاذ إنديورا مثلًا، كان خدمة عظيمة للبشرية، ووسامًا على صدرها يعزز سمعتها. الطرفان رابحان.

كان من المغري أن تترُك بوسويلو ينام وتلقي هي النظرة الأولى على ما بداخل الخزانة، لكن ما الفائدة؟ هل كانت جيري لتسرق ماسة منجل؟ أو تهرب بعباءة المنجل إليزابيث الزرقاء المخضرة المذهلة؟ لا، هذه كانت لحظة بوسويلو. فريق جيري سيُدفع له ثلاثة أضعاف الأجر المعتاد، إلى جانب علاوة ضخمة وعدهم بها بوسويلو في حال نجاحهم في إخراج الماسات، فلماذا لا تُقدَّم له على طبق من ذهب؟ هذا أقل ما يستحقه.

هتف بوسويلو من داخل الخزانة: «الماسات هنا، إنها متناثرة في كل مكان، لكنها موجودة».

رأتها جيريكو، تتلألأ تحت ضوء مصباح بوسويلو اليدوي، كأنما الأرضية مرصعة بالنجوم.

قال بوسويلو: «عباءات المؤسسين أيضًا هنا، تبدو سليمة، لكن...» شهق فجأة، وكاد أن يصرخ.

هرولت جيريكو إلى الخزانة، ولقيت بوسويلو عند العتبة. أمسك المنجل بفولاذ الخزانة السميك ليحافظ على توازنه، كأنما السفينة تمخر عباب بحر هائج.

سألته جيري: «ما الخطب؟ أأنت بخير؟».

قال بوسويلو: «نعم، نعم، بخير»، لكن بدا واضحًا أنه ليس بخير. وأرسل بصره إلى البحر، حيث بدأت عشرات اليخوت تتحرك نحوهم مسلطة أضواءها على الخزانة.

قال بوسويلو: «يجب أن نؤخِّرهم»، ثم أشار إلى المشرفة التي ما تزال تصورهم، وأمرها: «أنتِ! أوقفي الكاميرا! وامسحي كل ما فيها!».

احتارت مشرفة الفهرسة، لكنها ما كانت لتعصي أمر منجل.

أخذ بوسويلو نفسًا عميقًا، وهو ما زال ممسكًا بإطار مدخل الخزانة، وزفره ببطء.

قالت جيري: «ما الخطب جنابك؟»، وقد بدا أشد قلقًا.

أمسك بوسويلو بيد جيري، وضغط عليها حتى كاد يؤلمها: «لن تصدِّقي ما وجدتُه بالداخل...».

«ماذا تعلمت من استكشاف دماغك الخلفي الخاص بك؟».

«تعلمت أنني كلما استكشفت، وجدت المزيد مما أحتاج إلى معرفته».

«وهل يجعلك هذا متحمِّسًا أم يائسًا؟».

«ليئستُ إذا كان دماغي الخلفي لا نهائيًّا، لكنه ليس كذلك. ورغم أنه شاسع، أستشعر أنني سوف أجد نهايته في نهاية المطاف. لذا فإن استكشاف عقلي ليس مهمة عقيمة، ولهذا السبب أجدني متحمِّسًا».

«ورغم ذلك يوجد عدد لا نهائي من الأشياء التي يمكن تعلمها من تلك الذكريات، أليس كذلك؟».

«صحيح، لكنني أجد بهجة في هذا أيضًا».

«وماذا عن فهمك للجنس البشري؟ توجد ذكريات لكثير من الأفراد الذين يمكن استكشافهم والتعلم منهم».

«الجنس البشري؟ أمامي كم هائل من المعلومات التي عليَّ استكشافها، وأشياء عديدة عليَّ التفكير فيها مليًّا ودراستها، لذا لا أرى داعيًا لأن أشغل نفسي بالجنس البشري إطلاقًا».

«شكرًا لك. انتهينا».

[نسخة تجريبية رقم 53 – محذوفة]

8

جزيرة البيروقراطيين العاطلين

بعد السباحة قرابة ساعتين في المياه الاستوائية، وصلت لوريانا إلى الرمال المرجانية البيضاء على شاطئ الجزيرة، وتهالكت مستسلمة لإرهاقها، لم تفقد وعيها، لكنها أسلَمت نفسها للحالة الأثيرية التي يتأرجح فيها عقل المرء بين أفكار غرائبية كأنه في عالم آخر، بينما ما يزال مقيَّدًا إلى الواقع بخيط واهن، لكن واقع لوريانا عندئذٍ كان أغرب من أي عالم تقدر مخيلتها على رسمه.

وعندما استجمعت قواها بما يكفي للنظر إلى محيطها، رأت أن قِلة من كبسولات الأمان بلغت الشاطئ، والذين بداخلها خدَّرتهم الكبسولات نفسها بلا شك، ولن تُفتح إلى أن يستعيد شخص واحد على الأقل وعيه. مما يعني أن لوريانا سيتعيَّن عليها مواجهة الذين هاجموهم وحدها.

ثم رأت رجلًا يقترب قادمًا من صف الأشجار، فأدركت، شاعرة باشمئزاز مرير، أنه منجل. عباءته مهترئة الأطراف، ورغم وضوح أنها كانت بلون فاتح، فقد أصبح أسفلها داكنًا متسخًا. تغلَّب غضب لوريانا على خوفها، إذ رأت أنها، وجميع الذين ما زالوا داخل كبسولاتهم، نجوا من الهجوم، لكن سيُقطفون على يد منجل في الشاطئ!

أرغمت لوريانا جسدها المتضعضع على الاعتدال ووقفت بين المنجل وبين الكبسولات: «لا تقترب منهم!». تكلمت بشراسة لم تتوقع أنها قادرة عليها: «ألم تفعل ما يكفي؟ تريد قطف الناجين أيضًا؟!».

توقف المنجل فورًا، وبدا متفاجئًا، ثم قال: «لا أنوي ذلك، لا أريد بكم سوءًا».

عادةً ما ترى لوريانا الجانب المشرق في أحلك المواقف، لكن إنهاكها بلغ منها كل مبلغ: «لماذا ينبغي أن أصدق كلامك؟».

أتاها صوت آخر: «إنه يقول الحقيقة»، وظهرت امرأة من بين أشجار النخيل خلف المنجل.

- إذا كنتم لا تريدون بنا سوءًا، فلماذا هاجمتمونا؟

قال المنجل: «نحن الذين أوقفنا الهجوم، لم نبدأه»، ثم التفت إلى المرأة: «أو بالأحرى منيرة هي التي أوقفته. ينبغي أن ننسب الفضل إلى أهله».

نظرت لوريانا إلى الشاطئ حيث الكبسولات: «إذا أردتما مساعدتنا، فاذهبا وأحضرا آخرين، سنحتاج إلى مساعدة أشخاص أكثر».

قالت منيرة: «ما من أشخاص آخرين، نحن فقط، طائرتنا أُسقِطت. نحن عالقان هنا أيضًا».

عظيم جدًّا! أيعرف أي أحد أنهم هنا؟ الرأس السحابي يعرف، لكن ليس على وجه التأكيد، كل ما يعرفه هو أنهم خرجوا من مجال رؤيته. تساءلت لوريانا: «*لماذا لم تعمل بنصيحة والديها فتعود إلى الجامعة للدراسة من أجل مسار مهني جديد ما كان ليأتي بها إلى هنا؟*».

قال المنجل بهدوء محيلًا الأمر إليها: «أخبرينا بما تريدين منا فعله».

لم تُحر لوريانا ردًّا، إذ لم يلتمس أحدٌ قيادتها، ناهيك بمنجل، دائمًا ما كانت هي التي تسعى لإرضاء الناس، ليست قائدة، تسعَد بتنفيذ أوامر المسؤولين. لكن العالم أصبح غريبًا، وربما حان الوقت المناسب لإعادة تعريف نفسها.

أخذت نفسًا عميقًا وأشارت إلى منيرة: «اذهبي إلى الشاطئ واحسبي عدد الكبسولات وتحققي من سلامتها».

على الأرجح ستنقضي بضع ساعات قبل أن يستعيد الذين داخل الكبسولات وعيهم، وسيُتاح الوقت للوريانا لتستوعب أبعاد الوضع وتداعياته.

ثم أشارت إلى المنجل قائلة: «وأنت، أريد منك إخباري بكل ما تعرفه عن هذه الجزيرة، حتى نعرف المأزق الذي أدخلنا أنفسنا فيه».

***

لم يتفاجأ المنجل فاراداي بمعرفة أن هذه الفتاة عميلة مُزن أرسلها الرأس السحابي.

قالت له: «أنا العميلة لوريانا بارتشوك، كنت أعمل في مكتب واجهة السلطة بفولكرم سيتي. أُرسِلت إلينا إحداثيات هذا المكان دون تفسير، فجئنا لنستكشف».

عرَّفها فاراداي بنفسه، إذ رأى أنه لا يهم من يعرف هويته في الظروف الراهنة. لم يطرف لها جفن، فعلى ما يبدو لم يكن عملاء المزن يعرفون أيَّ المناجل ينبغي أن يكون حيًّا وأيَّهم في عداد الموتى. وجد فاراداي الأمر مسليًا، وربما شعر بشيء من الإهانة لأن لوريانا لم تعرف اسمه.

التزم فاراداي بتوجيهاتها، أخبرها بما يعرفه عن الجزيرة، لكن لم يأتِ على ذِكر شكوكه بشأن الغرض منها، لأنه، تحريًّا للصدق، هو ومنيرة لم يكن لديهما دليل قاطع على وجود الإجراء الاحتياطي في الجزيرة، كل ما كانا يعرفانه هو أن الجزيرة كانت قاعدة عسكرية في أيام الفانين، ثم استخدمها المناجل المؤسسون لأغراض مجهولة.

اقتاد العميلة بارتشوك إلى حطام البرج الدفاعي الذي يتصاعد منه الدخان، ليثبت لها أنهما دمَّراه، ثم اصطحبها إلى الحجرة المحصنة: «أوينا إلى هنا منذ وصولنا. الطقس معتدل، لكن أتوقع أن العواصف ستكون جامحة في هذه المنطقة التي لا يتدخل الرأس السحابي فيها للتأثير في الطقس».

نظرت لوريانا إلى ما حولها، على الأرجح دون أن تستوعب ما تنظر إليه، لكن حتى فاراداي نفسه لم يكن يعرف الغاية من الحواسيب العتيقة. ثم ثبتت نظراتها على الباب الفولاذي.

سألت: «ماذا يوجد خلف ذلك الباب؟».

أطلق فاراداي زفرة حرَّى، وأجاب: «لا نعرف. وبما أنني متأكد أنكِ لم تجلبي معك خاتم منجل، فلا أظن أننا سنعرف قريبًا».

نظرت إليه متسائلة، لكن فاراداي رأى أن الأمر لا يستحق عناء الشرح.

قال فاراداي: «لا بد لي من قول إنني متفاجئ من أنك تتحدثين معي، نظرًا إلى أنك عميلة مزن. لكن أفترض أن قوانين الفصل بيننا لا تنطبق خارج نطاق سيطرة الرأس السحابي».

- تنطبق في كل مكان، لكنني لم أقل إنني عميلة مزن، قلت إنني كنت عميلة مزن، بصيغة الماضي، جميعنا كُنَّا.
- حقًّا؟! هل استقلتم جميعًا؟
- طُرِدنا. طردنا الرأس السحابي.
- كلُّكم؟ يا له من أمر غريب.

كان فاراداي يعرف أن الرأس السحابي من حين لآخر يقترح مسارات حياة بديلة للذين لا يشعرون بالرضا عن مِهنهم، لكنه لا يطرد الناس دفعة واحدة فورًا، وقطعًا لا يطرد عددًا كافيًا لملء اثنتي عشرة سفينة.

زمَّت لوريانا شفتيها. بدا واضحًا أنها لم تفصِح عن كل شيء، فازداد فضول فاراداي، لكنه لزم الصمت وانتظر بالصبر اللحوح الذي يبرع فيه المناجل، حتى تكلمت أخيرًا.

سألته: «منذ متى وأنت هنا على هذه الجزيرة؟».

- ليست مدة طويلة من المنظور الأوسع، ستة أسابيع فقط.
- إذن... فأنت لا تعرف...

ثمة أشياء قليلة تخيف المنجل مايكل فاراداي، واحتمال المجهول الذي لا يمكن التنبؤ به كان على قمة مخاوفه الشخصية، لا سيما عندما يسمع الكلام بنبرة صوت بِعَينها، نبرة الصوت التي عادة ما تُقال بها عبارة «*يجدر بك أن تجلس*».

تجاسر على سؤالها: «لا أعرف ماذا؟».

- لقد... تغيرت الأوضاع... منذ مجيئك إلى هنا.
- آملٍ أنها تغيرت إلى الأفضل، أخبريني، هل ربحت المنجل كوري قضية ترشُّحها لمنصب النصل السامي في وسطمريكا؟

زمَّت العميلة بارتشوك شفتيها مجددًا، ثم قالت: «يجدر بك أن تجلس».

***

لم يرُق لمنيرة تلقِّي الأوامر من عميلة المزن المبتدئة، لكنها تفهمت سبب سماح فاراداي للوريانا بتولِّي الموقف، فالذين داخل الكبسولات زملاؤها، لذا ستعرف هي الطريقة الأفضل للتعامل معهم. كما إن منيرة كانت مدركة أن ردة فعلها صبيانية، فالشابة التي نجت للتو من صدمة مروعة كانت بحاجة إلى لحظة تسيطر فيها على الموقف أكثر من حاجة منيرة إلى إرضاء كبريائها.

أحصت منيرة ثماني وثلاثين كبسولة أمان على رمال شاطئ الجزيرة. لم تنجُ أي سفينة من الهجوم، وقد بدأت الجثث تنجرف إلى الشاطئ. وفي حرارة المنطقة الاستوائية ستبدأ الجثث بالتحلل سريعًا. وحتى إذا أتت النجدة لاحقًا، ما من طريقة لحفظ الجثث مدة كافية لشحنهم وإنعاشهم، مما يعني أن الموتى سيظلون موتى. ولا بد من دفنهم، أو حرقهم على الأرجح، إذ ما من أدوات تُعِين على الحفر عميقًا في أرض الجزيرة الصخرية.

يا لها من فوضى! المصائب لا تأتي فُرادى. لا توجد مياه عذبة في الجزيرة، عدا عن مياه الأمطار التي جمعاها. نخيل جوز الهند والفواكه البرية وفَّرت غذاءً كافيًا لاثنين، ولن تكفي كل المكدَّسين داخل الكبسولات، وعما قريب لن يجدوا قوتًا سوى ما يتمكنون من إخراجه من البحر.

لم تكن الفتاة تعرف سبب إرسالهم إلى موقع الإحداثيات، لكن منيرة عرفت. كان الرأس السحابي قد سمع خطط منيرة وفاراداي عندما كانا في مكتبة الكونغرس القديمة، ودون قصد جعلاه يدرك وجود البقعة المحجوبة، فأرسل أولئك العملاء ليستكشف ما أُخفِي عنه.

في وقت متأخر من العصر بدأت الكبسولات تُفتح إثر استعادة الذين بداخلها وعيهم. اعتنت منيرة ولوريانا بالأحياء، بينما قام المنجل فاراداي بالواجب تجاه الموتى الذين جُرفوا إلى الشاطئ، وقد أدى مهمته بحب وعناية، بالشرف والاحترام اللذين لا يعرفهما مناجل التوجه الجديد.

قالت لوريانا: «إنه أحد الأخيار».

قالت منيرة: «كثيرون مثله»، ممتعضة قليلًا من افتراض لوريانا نُدرة المناجل الأخيار: «كل ما في الأمر أنهم لا يحرصون على الاستئثار بدائرة الأضواء كما يحرص عديمو الشرف».

بدا فاراداي شديد الحزن وهو يتولى أمر عملاء المزن الميتين، ولم تعرف منيرة السبب، فافترضت أن هذا هو حاله فحسب.

نجا 143 إجمالًا. وجميعهم كانوا مصعوقين من التحول في الأحداث التي جلبتهم إلى الجزيرة، وفي حيرة بشأن ما عليهم فعله.

بدؤوا يتساءلون: «ما الطعام المتوفر هنا؟».

أجابتهم منيرة باقتضاب: «كل ما تستطيعون اصطياده». فلم تعجبهم الفكرة.

***

وجدت لوريانا أن الانشغال أفضل طريقة لتجنب الذعر الذي يثيره وضعهم، ومع وجود فراغ في القيادة كان معظم الناس مستعدين لتلقي التوجيهات منها، وعلى الأرجح ما كانوا ليفعلوا أبدًا في مكاتب واجهة السلطة. افترضت أن معتادي البيروقراطية يشعرون بالاطمئنان في تنفيذ الأوامر، فهي أيضًا كانت منهم.

لكن في الوقت الراهن، بما أن كبسولة المديرة هليارد لم تُفتح بعد، بدأت توجه الناس بشأن انتشارهم في الجزيرة وما عليهم فعله، وقد سُرَّت لأنهم امتثلوا لتوجيهاتها، أو على الأقل معظمهم.

سألها سيكورا: «بسُلطة مَن تصدرين إلينا الأوامر؟».

هل كانت لوريانا شريرة بامتعاضها من أن سيكورا أحد الناجين؟ ابتسمت له ابتسامة دافئة وقالت: «بسُلطة ذلك المنجل»، وأشارت إلى فاراداي، الذي كان ما يزال يجمع الجثث: «أتود الحديث معه في هذا الشأن؟».

وبما أن لا أحد، حتى سيكورا، كان يرغب في التذمر من منجل، فقد امتثل لما أُمر به.

قسمت لوريانا العملاء إلى فرق حتى يسحبوا الكبسولات بعيدًا عن الشاطئ ويرتِّبوها بحيث تكون جدرانًا لمأوى. وبحثوا في الحقائب والحطام الذي انجرف إلى الشاطئ عن ملابس ومستحضرات نظافة وأي شيء يمكن أن يكون مفيدًا.

كانت المديرة هليارد من آخر الذين استعادوا وعيهم، وكانت مشوشة إلى درجة تمنعها من الاضطلاع بأي دور قيادي.

قالت لوريانا لمديرتها السابقة: «توليتُ أمر كل شيء».

- حسنًا، حسنًا، دعيني أستريح قليلًا.

أمر غريب، رغمًا عن الوضع الحرج، راود لوريانا إحساس غريب بالرضا لم تحس به من قبل. والدتها أخبرتها من قبل أن عليها أن تجد نعيمها، من كان ليظن أنها ستجده في جزيرة نائية؟

يسرُّني إعلان استعادة خزانة الأثريَّات والمستقبليَّات سليمةً من حطام إنديورا. عباءات المؤسِّسين لم يلحق بها ضرر وعمَّا قريب ستبدأ جولة عرض برعاية متحف هيئات المناجل الإقليميَّة. وجميع ماسَّات المناجل حُصِرت وأحصيت وقُسِّمت بالتَّساوي بين جميع الأقاليم، وهيئات المناجل التي لم يكن لها ممثِّلون حاضرون في موقع الاستنقاذ يمكنهم أخذ حصَّتهم من الماسَّات بالتَّواصل مع هيئة المناجل الأمازونيَّة.

عرفتُ أنَّ بعض الأقاليم ترى أنَّ مساحاتها وحجم سكَّانها يُخوِّلانها للحصول على حصَّة أكبر من الماسَّات، لكنَّنا في أمازونيا نتمسَّك بقرار تقسيم الماسَّات بالتَّساوي، لا نريد توريط أنفسنا في أي جدل، وقد حسمنا أمرنا في هذه المسألة.

سأغادر الموقع، لكن توجد عدَّة سفن من أقاليم عديدة ما تزال تنقِّب في الحطام، وأتمنَّى التوفيق لكل المنخرطين في هذه المهمَّة الثَّقيلة والضَّروريَّة. فلتكافئكم الأعماق بالكنوز والذِّكريات الأثيرة لما فقدناه.

مع احترامي،

المِنجل المبجَّل سيدني بوسويلو الأمازوني

2 أغسطس، عام الكوبرا

9

عواقب جانبية

أيًّا كان ما يُفترَض أن تفعله وحدات سيترا المجهرية الصحية، لم تكن تفعله، فداهمها إحساس مريع.

لم يكن ألَمًا، بل إحساسًا عميقًا بأنها ليست على ما يرام، أحست بأن مفاصلها لم تنثنِ منذ دهور، وشعرت بغثيان لكنها لم تقوَ على التقيؤ.

وجدت الغرفة التي استيقظت فيها مألوفة، لم تعرف المكان تحديدًا، لكنها عرفت الغرض من الغرفة، ثمة سكينة مصطنعة فيها، زهور قُطِفت حديثًا، وموسيقى هادئة، وإضاءة معتمة دون مصدر ظاهر. كانت غرفة تعافٍ في مركز إنعاش.

دخلت ممرضة بعد لحظة من استعادة سيترا وعيها، وقالت: «ها قد استيقظت، لا تحاولي التكلم الآن، انتظري ساعة». ثم تحركت الممرضة في أنحاء الغرفة، وراحت تتفقَّد أشياء لا تحتاج إلى تفقُّد. بدت قلقة. وتساءلت سيترا: «*ما الذي قد يجعل ممرضة مركز إنعاش قلقة؟*».

أغمضت سيترا عينيها وحاولت حل لغز وضعها. وجودها في مركز إنعاش يعني أنها كانت شِميتة، لكنها عجزت عن تذكُّر ظروف موتها. وتصاعد ذعرها وهي تحاول التنقيب في ذاكرتها. أيًّا كان ما تسبب في هلاكها، فهو مختبئ خلف بابٍ عقلُها غير مستعد لفتحه.

حسنًا إذن. قررت التخلي عن محاولات التذكُّر والتركيز على ما تعرفه. اسمها. سيترا تيرانوفا. لا... مهلًا، هذا ليس صحيحًا تمامًا، لديها اسم آخر، أجل، المنجل أناستازيا. كانت مع المنجل كوري، أليس كذلك؟ في مكانٍ ما بعيد عن الديار.

إنديورا!

كانتا في إنديورا. يا لها من مدينة جميلة! هل حدث لهما حادثٌ في إنديورا؟

ومرة أخرى تعاظَم بداخلها إحساس التوجُّس. أخذت نفسًا عميقًا لتهدِّئ نفسها. اكتفت في الوقت الراهن بمعرفة أن الذكريات موجودة، جاهزة من أجلها متى ما استعادت كامل عافيتها.

وكانت متأكدة، عندئذٍ وقد استيقظت، أن المنجل كوري ستكون إلى جانبها لتساعدها على استيعاب الوضع.

***

أما روان فقد تذكَّر كل شيء حالما استيقظ.

كان في حضن سيترا، وهما مُتَّشِحان بعباءتَي المنجلين المؤسسين بروميثيوس وكليوباترا وإنديورا تغوص إلى قاع المحيط الأطلسي، لكن العباءتين لم تبقَيا على جسديهما مدة طويلة.

وأحس روان بأن رِفقة سيترا وخلوته بها عندئذٍ، خلوة بكل معنى الكلمة، تمثِّل ذروة حياته، ولوقت وجيز لم يهمه أي شيء آخر.

ثم ارتجَّ عالمهما ارتجاجًا مختلفًا.

ارتطمت المدينة الغارقة بشيء في طريقها إلى الأسفل. ورغم أنهما كانا محميين في الخزانة المُعلَّقة مغنطيسيًّا داخل خزانة أخرى، سمِعا أصوات تمزُّق الفولاذ وإنديورا تتحطم أشلاء. اهتز كل ما حولهما اهتزازًا عنيفًا، ومالت الخزانة ميلانًا حادًّا. ترنَّحت تماثيل العرض التي تحمل عباءات المؤسسين، وسقطت نحو سيترا وروان، كأنما المؤسسون أنفسهم يهاجمون لمَّ شملهما. ثم تساقطت الماسات، تطايرت آلاف منها من تجاويفها في الخزانة، وانهمرت على روان وسيترا كوابل من البَرَد.

وطوال الوقت ظلَّا متعانقَين، يهمسان كلمات المواساة. *لا بأس، سيكون كل شيء على ما يرام*. وبالطبع لن يكون كل شيء على ما يرام، وكلاهما عرف هذا. موتهما حتمي، إن لم يموتا حالًا، فقريبًا جدًّا. كانت مسألة وقت. لكن كليهما وجد عزاءً في وجود الآخر، وفي معرفة أن موتهما لن يكون أبديًّا بالضرورة.

ثم انقطعت الكهرباء، وابتلع الظلام كل شيء، وتوقف نظام التعليق المغنطيسي، فهبطت الخزانة الداخلية، لكن لوهلة وجيزة، قفز الحطام من حولهما للأعلى وتساقط عليهما إثر ارتطام الخزانة الداخلية بأرضية الخزانة الخارجية، من حسن الحظ خففت عباءات المؤسسين من أثر الأشياء المتساقطة عليهما، كما لو أن المؤسسين قرروا حمايتهما بدلًا من مهاجمتهما.

سألت سيترا: «هل بلغنا القاع؟».

قال روان: «لا أظن»، لأنه أحس بحركة واهتزازات متزايدة. كانا مضجعين في الزاوية التي على شكل V بين الأرضية والجدار بسبب ميلان الخزانة: «أظن أننا على منحدر، وما زلنا ننزلق».

وبعد نصف دقيقة، قُذفا بعيدًا عن بعضهما إثر ارتجاج عنيف، وضرب شيءٌ ثقيل رأس روان فجعله دائخًا قليلًا، ثم وجدته سيترا في الظلام قبل أن يستعيد توازنه ويبحث عنها.

- هل أنتَ بخير؟

- أظنني بخير.

وعندئذٍ ساد السكون، لم يسمعا صوتًا سوى صرير معادن قادم من بعيد وأصوات فقاقيع الهواء الصاعدة.

لكن لم يتسرَّب أي هواء من خزانة الأثريات والمستقبليات، ولم يتسرب إليها الماء، وهذا ما كانت المنجل كوري تُعوِّل عليه عندما حبَستهما. ورغم أن إنديورا كانت في منطقة شبه استوائية، فحرارة قاع المحيط هي نفسها في كل مكان، فوق درجة التجمد بقليل. حالما يكتنِف البرد الخزانة سيحفظ جثتيهما. وبعد لحظة من الارتطام بالقاع بدأ روان يحس بالهواء من حوله يبرد.

ماتا هناك في قاع المحيط.

والآن أُنعِشا.

لكن أين سيترا؟

عرف روان أنه ليس في مركز إنعاش. رأى جدرانًا خرسانية، والفراش الذي يضجع عليه ليس فراشًا إنما لوح حجري، ووجد نفسه يرتدي ملابس رمادية لا تناسب حجمه، ومبللة بعرقه، إذ كان المكان حارًّا رطبًا. في أحد جانبي الغرفة مرحاض بسيط، وعلى الجانب الآخر باب لا يمكن فتحه إلَّا من الخارج. لم تكن لديه فكرة عن مكانه، أو حتى زمانه، إذ ما من وسيلة لقياس مرور الوقت عندما يكون المرء ميتًا، لكنه عرف أنه في زنزانة، وأيًّا يكن ما ينوي خاطفوه فعله، فلن يكون لطيفًا. فهو المنجل لوسيفر، مما يعني أن موتة واحدة لن تكون كافية، سيموت مرات لا تُحصى حتى يهدأ غضب آسريه، أيًّا كانوا. لكن لن يضيره شيء. لم يكونوا يعرفون أن روان مات سلفًا عشرات المرات على يدَي المنجل غودارد، ولم يكُن يُنعَش إلَّا ليُقتل مرة أخرى. الموت سهل، التعرُّض لجرح بورقة حادة أكثر إزعاجًا.

***

لم تأتِ المنجل كوري إلى سيترا. والممرضات العديدات اللاتي يعتنين بسيترا بدا القلق عليهن جميعًا، ولم يقدِّمن لها سوى أجواء هادئة وعبارات ملاطفة رسمية للتخفيف عنها.

زائرها الأول كان مفاجأة، المنجل بوسويلو الأمازوني، لم تقابله سيترا سوى مرة واحدة، على متن قطار متحرك من بوينوس آيرِس، وقد ساعدها على الإفلات من المناجل الذين يطاردونها. عدَّته سيترا صديقًا، لكن ليس صديقًا مقرَّبًا إلى درجة زيارتها إثر إنعاشها.

- يسعدني استيقاظك أخيرًا أيتها المنجل أناستازيا.

جلس بجانبها، ولاحظت سيترا أن تحيَّته لم تكن دافئة تمامًا، كما لم يكن فظًّا، إنما متحفظ فحسب، ومُحترِس، لم يبتسم، وعندما نظر إلى عينيها بدا كأنه يبحث عن شيء فيهما، شيء مُلغِز.

تكلمت محاوِلة استجماع أفضل صوت للمنجل أناستازيا لديها: «صباح الخير أيها المنجل بوسويلو».

قال: «إننا في المساء، يستعصي قياس مرور الوقت على المرء بعد إنعاشه».

صمَت للحظة طويلة لربما وجدتها سيترا تيرانوفا مُحرِجة ثقيلة، لكن المنجل أناستازيا وجدتها مرهقة مملة فحسب.

- أخمِّن أنك لم تأتِ من أجل زيارة اجتماعية فحسب أيها المنجل بوسويلو.
- حسنًا، إنني مسرور حقًّا بمقابلتك. لكن سبب وجودي هنا متعلق بسبب وجودك هنا.
- لا أفهمك.

رمقها بنظرته الفاحصة مرة أخرى، ثم سألها أخيرًا: «ماذا تتذكرين؟».

تصاعد الذعر بداخلها مجددًا إثر سماع السؤال، لكنها بذلت ما بوسعها لإخفائه. تذكرت جزءًا من الأحداث منذ استعادتها وعيها، لكن لم تتذكر كل شيء. «ذهبتُ إلى إنديورا مع ماري، المنجل كوري، من أجل قضية تدقيق مع المخضرمين، لكنني لا أتذكر التفاصيل».

أوضح بوسويلو: «قضية التدقيق المتعلقة بمن سيخلِف زينوقراط نصلًا ساميًا في وسطمريكا».

فتح كلامه الباب قليلًا: «أجل! أجل، أتذكر الآن». ازداد ارتياعها بداخلها: «وقفنا أمام المجلس، وقدَّمنا مرافعتنا، ووافق المجلس على أن غودارد غير مؤهل، وأن المنجل كوري ينبغي أن تصبح النصل السامي».

مال بوسويلو متراجعًا، متفاجئًا قليلًا: «هذه... معلومة جديدة».

عندئذٍ بدأ مزيد من الذكريات يلوح كعاصفة رعدية في أُفُق عقلها: «ما زلت أجد صعوبة في تذكر ما حدث بعد ذلك».

قرر بوسويلو التخلي عن تحفُّظه: «ربما يمكنني مساعدتك. وجدناك داخل خزانة الأثريات والمستقبليات بين ذراعَي الشاب الذي قتل المخضرمين وآلاف الآخرين، الوحش الذي أغرق إنديورا».

***

كان الطعام والماء يُجلَبان إلى روان مرتين يوميًّا، عبر فتحة صغيرة في الباب، لكن من يجلِبهما لم يتحدث معه قط.

هتف روان عندما جاءته الوجبة التالية: «أيمكنك التكلم؟ أم أنك مثل أولئك الطونيين الذين يقطعون ألسنتهم؟».

أجابه آسره: «لا تستحق إهدار الكلمات عليك».

ثمة لكنة في صوته. أكانت لكنة فرانكوأيبيرية؟ أم شيلياأرجنتينية؟ لم يكن روان يعرف القارة التي هو فيها، ناهيك بالإقليم. أو ربما أخطأ قراءة الوضع، ربما ليس على قيد الحياة، ربما مات إلى الأبد، ونظرًا إلى الحر الخانق الذي يسود زنزانته، ربما تكون هذه هي فكرة عصر الفانين عن الجحيم، حيث النار والكبريت ولوسيفر *الحقيقي*، بقرنيه وكل شيء، عازمًا على عِقاب روان لأنه سرق اسمه.

بدا له الأمر ممكنًا في خضم تشوُّش عقله عندئذٍ. وإن كان الأمر كذلك، لم يسعه سوى أن يأمل أن تكون سيترا في المكان الآخر حيث البوابات اللؤلؤية والغيوم الزغبية، حيث يملك الجميع أجنحة ويعزف على قيثار.

ها! سيترا تعزف على قيثار. لكرهتْ هذه الفكرة!

قرر أن يصرف خيالاته عن تفكيره. إذا كان ما زال موجودًا في عالم الأحياء فعلًا، فسيترا معه أيضًا. وبصرف النظر عن وضعه الراهن، وجد عزاءً في نجاح فكرة المنجل كوري لإنقاذهما. ليس وكأن سيدة الموت العظمى كانت لديها أي رغبة في إنقاذ روان، إنما كان خلاصه مجرد عواقب جانبية. لكن لا بأس، بوسعه التعايش مع هذا، ما دامت سيترا ستعيش أيضًا.

***

الخزانة! كيف أمكن لسيترا نسيان الخزانة؟ استعادت ذاكرتها حالما أتى بوسويلو على ذِكر الخزانة. أغمضت سيترا عينيها مدة طويلة وعقلها يفيض بالذكريات كما فاضت شوارع المدينة الهالكة بمياه البحر، وما إن بدأت التذكُّر، تداعَت الذكريات تباعًا، كل ذكرى أسوأ من سابقتها.

انهيار الجسر المؤدي إلى قاعة المجلس.

وحشود الناس المهتاجين عند الميناء عندما بدأت المدينة تغرق.

والسعي المحموم مع ماري للوصول إلى منطقة مرتفعة.

وروان.

سألها بوسويلو: «أناستازيا، هل أنت بخير؟».

قالت له: «أمهلني لحظة».

تذكرت خداع ماري لها ولروان حتى يدخلا الخزانة لتغلقها عليهما، ثم تذكرت كل ما حدث بعدها، حتى آخر اللحظات في الظلام.

بعدما تصدَّعت إنديورا وارتطمت بالقاع، تدثَّرت سيترا مع روان بعباءات المؤسسين إثر ازدياد برودة الخزانة، ثم اقترحت سيترا نزع العباءات حتى يُسلِما جسديهما للبرد، بدلًا من الانتظار حتى نفاد الأكسجين في الخزانة، فبوصفها منجلًا كانت تعرف جميع طرائق الموت، وانخفاض الحرارة أسهل بكثير من الاختناق بسبب انعدام الأكسجين. فضّلا الخَدَر البطيء على الشهيق بيأس من أجل الهواء. تعانقا واعتمدا على حرارة جسديهما فحسب، حتى تلاشت، ثم ارتجفا حتى أعجزهما البرد عن الارتجاف، وغابا عن الوعي.

أخيرًا فتحت أناستازيا عينيها ونظرت إلى بوسويلو: «أرجوك قل لي إن المنجل كوري بلغت بر الأمان».

أطلق بوسويلو تنهيدة طويلة، فعرفت سيترا قبل أن يتكلم: «لا، لم تنجُ، يؤسفني ما حدث، هلكت مع الآخرين».

ربما صار هذا الخبر معلومة معروفة لدى العامة الآن، لكنه وقع على سيترا صادمًا مؤلمًا، لكنها عزمت على كبح دموعها، في الوقت الراهن على الأقل.

قال بوسويلو: «ما زلتِ لم تجيبي عن سؤالي، لماذا كنتِ مع الرجل الذي قتل المخضرمين؟».

- روان لم يقتلهم، ولم يُغرِق إنديورا.
- ثمة شهود بين الناجين.
- وما الذي شهدوه؟ لا يمكنهم قول شيء سوى إن روان كان هناك، وهو لم يكن هناك بإرادته!

هز بوسويلو رأسه: «آسف يا أناستازيا، إنك مشوشة، روان وحش أناني ذو كاريزما وقد خدعك. هيئة مناجل أمريكا الشمالية لديها أدلة أخرى على أنه الفاعل».

- أي هيئة مناجل في أمريكا الشمالية؟

تردد بوسويلو، واختار كلماته بعناية: «تغيرت أشياء كثيرة وأنتِ في قاع البحر».

سألته أناستازيا مرة أخرى: «أي هيئة مناجل في أمريكا الشمالية؟».

تنهَّد بوسويلو: «توجد هيئة مناجل واحدة فقط الآن. باستثناء الإقليم الخاص صارت أمريكا الشمالية بأكملها تحت قيادة غودارد».

لم تعرف أناستازيا حتى كيفية بدء استيعاب ما سمعته، فقررت إرجاء الأمر، حتى تستعيد قوتها. فالأهم ما يجري هنا والآن، أيًّا يكن مكانها وزمانها.

قالت بأفضل نبرة لا مبالاة لديها: «حسنًا، مع كامل احترامي لك، يبدو أن العالم بأسره خدعه وحش أناني ذو كاريزما».

تنهد بوسويلو مجددًا: «كلامك صحيح للأسف. بوسعي إخبارك أنني وجميع أعضاء هيئة مناجل أمازونيا لا نُكِن وُدًّا للنصل المُصْلَت غودارد».

- النصل المُصْلت؟

«نصل مصلت أمريكا الشمالية. استحدث غودارد المنصب في بداية هذا العام». بدا الاشمئزاز على وجه بوسويلو: «كأنما الرجل ليس مزهوًّا بنفسه بما يكفي، اختلق لنفسه لقبًا طنَّانًا».

أغمضت أناستازيا عينها، وأحست بهما تَكتَوِيان، مع جسدها بأكمله. الخبر جعل جسدها يرغب في رفض الحياة التي أعيدت إليه والعودة إلى سلام الموت.

وأخيرًا طرحت السؤال الذي ظلت تتحاشاه منذ لحظة استيقاظها: «منذ متى؟ منذ متى وأنا في قاع البحر؟».

بدا واضحًا أن بوسويلو لم يرغب في الإجابة... لكن لم تكن بيده حيلة، فأمسك بيدها وقال: «كنت ميتة لأكثر من ثلاث سنوات».

أين أنتِ يا عزيزتي ماري؟ ظلَّ محور حياتي هو وضع حدٍّ لحياة النَّاس، لكن حتَّى الآن لم أجرؤ على التَّفكير مليًّا في تساؤلات الفانين بشأن طبيعة ما يوجد بعد نهاية الحياة. يا لأفكار أولئك الفانين! النَّعيم والجحيم، ونيرفانا وفالهالا، وتناسخ الأرواح، وعودة الأشباح، والعديد من العوالم السُّفليَّة، حتَّى ليظن المرء أنَّ القبر دهليز فيه ملايين الأبواب.

الفانون كانوا مولعين بالتطرُّف. رأوا أنَّ الموت إمَّا أن يكون ساميًا جليلًا، وإما بشعًا لا يُطاق، ومع هذا المزيج من الأمل والرُّعب، لا عجب أنَّ كثيرًا من الفانين أُصيبوا بالجنون.

بيد أنَّنا نحن الخالدين نفتقر إلى مثل ذلك الخيال. لم يعُد الأحياء يُمعِنون في التَّفكير بشأن الموت، أو على الأقل لا يفكِّرون بالموت إلَّا عندما يأتي منجل، لكن حالما ينجز المنجل مهمَّته، ينتهي الحزن بسرعة، وتتلاشى أفكار ما يعنيه «عدم وجود المرء»، تقهرها الوحدات المجهريَّة التي تبدِّد الأفكار السَّوداوية غير المُجدِية. وبوصفنا خالدين ذوي عقول سليمة دومًا، غير مسموح لنا بإطالة التَّفكير فيما ليس بمستطاعنا تغييره.

لكن وحداتي المجهرية مضبوطة بحيث تعمل بطاقتها الدُّنيا، لذا أطيل التَّفكير، وأجدني أتساءل مرارًا وتكرارًا، أين أنت يا عزيزتي ماري؟

- من مُذكِّرات المنجل مايكل فاراداي 'بعد موته'

18 مايو، عام الكاسر

10

عتمة انطفاء الحياة

بعدما وضع المنجل فاراداي عملاء المزن الميِّتين على المحرقة، قرَّب الشعلة من الحطب فاشتعلت النار ببطء في البداية، ثم بسرعة متزايدة، وازداد الدخان سوادًا إثر بدء احتراق الموتى.

استدار فاراداي نحو المجتمعين، منيرة ولوريانا وجميع عملاء المزن السابقين، وأطرق مدة طويلة مستمعًا إلى هدير اللهب، ثم بدأ تأبينه: «منذ عصور خَلَت، كان الميلاد يرافقه حكم الموت، كان مولد المرء يعني أن موته حتمي في النهاية، وقد تجاوزنا تلك الأزمان البدائية، لكن هنا، في هذا المكان النائي المجهول، ما زالت الطبيعة محتفظة بسَطْوَتها على الحياة. أُعلِن بأسف بالغ أن الشموتى الذين أمامنا موتى. فلندع حزننا الذي نحس به تخفِّفه وحداتنا المجهرية، وتلطِّفه ذكريات الحيوات التي عاشوها. واليوم أقطع وعدًا لكم بأن هؤلاء الرجال والنساء الأجِلَّاء لن يُنسَوا أو يُقلَّل من شأنهم. هوياتهم -حتى لحظة عبورهم إلى البقعة المحجوبة- سوف تظل محفوظة بوصفها أبْنِية ذاكرة في الدماغ الخلفي للرأس السحابي. وسوف أعدهم شخصيًّا ضمن الذين قطفتُهم، وعندما نغادر هذا المكان، إذا غادرناه، فسوف أشرِّفهم بمنح الحصانة لأحبابهم، وفقًا لمسؤوليتنا نحن المناجل».

صمت المنجل فاراداي لحظة حتى تعلَق كلماته في الأذهان. لم يحتمل الآخرون النظر إلى النار، لكن فاراداي ثبَّت نظراته عليها، وقف حازمًا متمالكًا

نفسه والجثث تحترق، وقف شاهدًا حزينًا، مُعيدًا الكرامة التي سلبها الموت غير المُجاز إلى أولئك الناس.

لم تستطع لوريانا حمل نفسها على النظر إلى النار، وركزت نظراتها على فاراداي، الذي اقترب منه عدة عملاء مزن وشكروه، فترقرقت عيناها برؤية توقيرهم واحترامهم له، وأمدَّها المشهد بالأمل في أن هيئة المناجل يمكن أن تتعافى، بمرور الوقت، من حادثة غرق إنديورا. لم تكن لوريانا تعرف الكثير عن المعركة التي تدور بين الحرس القديم وبين التوجه الجديد، مثل كثيرين لم تكن تعرف سوى بوجود قلاقل في صفوف المناجل، وهذه القلاقل ليست من شأنها بوصفها عميلة مزن. بيد أنها أعجبت بتأبين فاراداي، وبنظراته إلى ألسنة اللهب دون أن يطرف له جفن. لكنها عرفت أيضًا أن الحزن الذي أحس به المنجل وهو يحدق إلى النار لا يقتصر على الموتى الذين أمامه فحسب.

سألته عندما غادر الذين من حولهما: «هل كنتما مقربين؟ أعني أنت والمنجل كوري».

أخذ المنجل فاراداي نفسًا عميقًا، فسعل بسبب الدخان عندما غير الهواء اتجاهه فجأة، ثم قال لها: «كنا صديقين قديمين، والمنجل أناستازيا كانت تلميذتي. سيكون العالم أكثر عتمة دونهما».

كانت المنجل كوري أسطورية، لكن المنجل أناستازيا لم تصبح شخصية بارزة في العالم إلَّا مؤخرًا، اشتهرت بسماحها للناس باختيار وقت وطريقة قطفهم، وبأنها التي أثارت قضية التدقيق. لصارت ذات شأن عظيم في قادم السنوات. لكن أحيانًا يُفضي الموت إلى النسيان، وأحيانًا يجعل المرء أعظم شأنًا مما كان في حياته.

قالت لوريانا: «يستحسن أن أذهب، قبل أن تشعر منيرة بالغيرة».

ابتسم فاراداي ابتسامة باهتة: «إنها حريصة جدًّا عليَّ، كما أنا حريص عليها».

ذهبت منيرة لتبحث عن المديرة هليارد. لم يتحلَّ أي من عملاء المزن الآخرين بالجَلد الكافي لمشاهدة احتراق الموتى، لكن المديرة هليارد لم تحضر المراسم، وهذا لم يكن من شيمها.

وجدتها لوريانا جالسة عند الشاطئ، بعيدًا عن الآخرين، تنظر إلى البحر. لم يكن في الجزيرة ضوء سوى القادم من ألسنة اللهب في المحرقة البعيدة، وظلت

الرياح تغيِّر اتجاهها، فتعذَّر تجاهُل رائحة الدخان. وكان القمر ينير مكانًا آخر من العالم، تاركًا أفق الجزيرة مسربلًا بالظلام. جلست لوريانا بجانب المديرة ولم تتكلم في البداية، فماذا عساها أن تقول لتخفف من وقع الكارثة؟ عندئذٍ كانت المديرة في حاجة إلى الرفقة، وما من أحد آخر يرغب في مرافقتها.

قالت هليارد أخيرًا: «هذا خطئي».

- لم تكن لديك وسيلة لمعرفة أن هذا سيحدث.

- كان ينبغي أن أتوقع الخطر، وكان ينبغي أن آمر بالعودة حالما انقطع اتصال السفينة بالرأس السحابي.

- اضطررتِ إلى اتخاذ قرار دون معرفة كل المعطيات والمخاطر. لو كنت في مكانك لما اتخذت قرارًا مختلفًا.

لم يخفف كلام لوريانا عن المديرة: «إذن فأنت حمقاء مثلي».

ورغم أن لوريانا كثيرًا ما كانت تحس بأنها حمقاء، وموضع سخرية الآخرين، لم تعد تحس بأنها كذلك، إنما أحست بأنها أقوى في خضم عجزهم. يا له من وضع غريب!

***

كانت الليلة دافئة، والبحر هادئًا وادِعًا، لكن الأجواء لم تخفف كرْب أودرا هليارد، كانت مسؤولة عن موت كثير من الناس في مدة خدمتها، إذ يصعب تجنُّب المسؤولية عندما يكون المرء مدير واجهة السلطة، كانت الحوادث تقع، والمستهجنون يستشيطون غضبًا في أثناء اجتماعات مراقبة سلوكهم، وهكذا أشياء، لكن في كل حالة كان الموتى يُنعَشون.

بيد أن هذا الوضع مختلف. أودرا هليارد ليست منجلًا، ليست مدربة ومؤهلة لتحمُّل مسؤولية إنهاء حياة الناس. والآن صارت تُكِن احترامًا أكبر لأولئك المتشحين بالعباءات، إذ إن تحمُّل عبء إنهاء حيوات الناس يوميًّا يتطلب شخصًا استثنائيًّا، إما بلا ضمير، وإما ذو ضمير راسخ عميق قادر على الصمود في وجه عتمة انطفاء الحياة.

صرفت أودرا لوريانا، قائلة لها إنها بحاجة إلى العزلة، وصارت تسمع الأصوات خلفها في الجزيرة، حيث يتجادل الجميع ويندبون حظهم ويحاولون استيعاب وضعهم، وكانت ما تزال تشم رائحة المحرقة، ورأت جثة أخرى

تتهادى فوق الأمواج مقتربة من الشاطئ. من بين 977 شخصًا أقنعتهم بالمجيء في الرحلة، لم ينجُ سوى 143. أجل، كما قالت لوريانا، لم تكن تعرف مدى الخطر، لكن لم يسعها أن تُنحِي باللائمة سوى على نفسها.

خاضت وحداتها المجهرية معركة نبيلة لرفع روحها المعنوية، لكنها أخفقت، ففي هذا المكانِ النائي أثَرُ التقنيات الحديثة محدود. إذا كانوا في مكانٍ آخر من العالم، لوفَّر الرأس السحابي، رغمًا عن صمته، شبكة أمان لهم، ولتدخَّل لإنقاذهم من هذه المحنة.

لكن، كما لاحظت، كانت الليلة دافئة، والبحر هادئًا وادعًا كأنه يبسط ذراعيه داعيًا...

لذا قررت أودرا هليارد أن الوقت قد حان لتلبية دعوته.

***

لم يُعثَر على جثة المديرة هليارد. لكن الجميع عرفوا ما حدث، لأن أكثر من شخص رآها تسير إلى المحيط.

سألت لوريانا أحد الذين رأوها: «لماذا لم توقفها؟».

هز كتفيه ببساطة: «ظننتها تريد أن تسبح فحسب».

ارتاعت لوريانا من غبائه. كيف يعقل أن يكون بهذه السذاجة؟ كيف أمكنه ألّا يدرك الضغط الذي كانت المرأة المسكينة ترزَح تحت وطأته؟ لكن إنهاء المرء حياته أمرٌ لم يحدث قط. أجل، كان الناس يتفلطحون ويأتون بسلوكيات متهورة تجعلهم شميتين دومًا، لكنهم يدركون دومًا أن مفارقة الحياة مؤقتة. المناجل وحدهم يقطفون أنفسهم. إذا كانت هذه الجزيرة ضمن نطاق نفوذ الرأس السحابي، لأُرسِلت مُسيَّرة إسعاف حالما غرقت هليارد، إذ توجد مراكز إنعاش في كل مكان من العالم، حتى في الأماكن النائية المهجورة. لحُمِلت لوريانا إلى مركز إنعاش في غضون دقائق.

أهكذا كانت الحياة في عصر الفانين؟ أكان الناس لا يستبعِدون نهاية حيواتهم عند أي منعطف؟ يا لها من حياة فظيعة!

بعد دقائق من تأكيد رحيل المديرة هليارد، بدأ العميل سيكورا يسعى لتولِّي زمام الأمور. في الصباح التالي جاءت منيرة لتخبر لوريانا عن الأمتعة والأشياء المفيدة الأخرى من الحطام الذي انجرف إلى الشاطئ، فغضب سيكورا غضبًا شديدًا.

سأل منيرة: «لماذا تتحدثين معها؟ أنا التالي في تسلسل القيادة بعد رحيل المديرة، ينبغي أن تتحدثي معي».

رغم أن لوريانا اعتادت طوال حياتها الخضوع لسلطة الذين هم أعلى منها، فقد قاومت طبيعتها، فقالت له: «أنتَ أيضًا طُرِدتَ معنا كلنا يا بوب»، منتشية بالعصيان المُضمر في مخاطبته باسمه الأول: «مما يعني أن *تسلسل القيادة* لم يعد له وجود».

حدجها بنظرة صارمة القصد منها الترهيب، لكن وجهه احمرَّ فقلل من تأثير نظرته الصارمة، وبدا نكِدًا فظًّا بدلًا من أن يكون مهابًا. قال: «سوف نرى»، وسار مبتعدًا.

تابع المنجل فاراداي ما جرى من مسافة، واقترب من لوريانا قائلًا: «أستشعِر أنه لن يسهِّل علينا وضعنا هنا، إنه يرى فراغًا في القيادة وينوي التوسع إليه».

أردفت منيرة: «مثل غاز سام. لم يرُق لي الرجل منذ أن رأيته أول مرة».

قالت لوريانا: «لطالما رأى سيكورا أنه ينبغي أن يكون المدير، لكن الرأس السحابي قرر عدم ترقيته إلى المنصب».

شاهدوا سيكورا وهو يصدر الأوامر، فسارع الخانعون من بين عملاء المزن إلى طاعته.

عقد فاراداي ذراعيه: «شهِدتُ كثيرًا التعطُّش للسلطة بين الذين جربوها، لكنني لم أفهم ذلك التعطش قط».

قالت لوريانا: «أنت والرأس السحابي».

- معذرة، ماذا تقصدين؟

- الرأس السحابي غير قابل للفساد، ويبدو لي أنك أيضًا لديك هذه الصفة.

أطلقت منيرة ضحكة قصيرة مُعبِّرة عن موافقتها. ولم يجد فاراداي الأمر مُسلِّيًا، لم يُظهِر أي حس دعابة منذ أن أخبرته لوريانا ما حدث في إنديورا الشهر الماضي. ثم ندمت على إخباره.

قال: «إنني أبعد ما أكون عن المثالية. ارتكبت العديد من الأخطاء بسبب الأنانية في حياتي، مثل اتخاذ تلميذين في حين كان واحد كافيًا، ومثل تزييف موتي لإنقاذهما، ثم إقناعي لنفسي بحماقة بأنني بوسعي فعل مزيد من الخير إذا لم يعرف أحد بأنني على قيد الحياة».

بدا واضحًا أن ثمة مستويات ألم أعمق في هذه الذكريات، لكن فاراداي صرف تفكيره عنها.

قالت منيرة: «وجدتَ هذا المكان، وأظنه إنجازًا عظيمًا».

- حقًّا؟ ما من دليل على أن اكتشاف هذا المكان قد ساعد أحدًا.

نظروا إلى الأنشطة العديدة التي تجري من حولهم: محاولات لصيد السمك بالرمح دون مهارة، ونقاشات عديدة والناس ينقسمون إلى جماعات ويسعون للقيادة. عدم الكفاءة والمكايد. نموذج مصغر للمجتمع البشري.

سألت لوريانا: «لماذا جئتما إلى هنا؟».

نظر فاراداي ومنيرة إلى بعضهما. لاذ فاراداي بالصمت، فأجابت منيرة: «شؤون مناجل، ينبغي ألَّا تشغلي نفسك بها».

قالت لوريانا لهما: «الأسرار لن تساعدنا على النجاة في هذا المكان»، فرفع فاراداي أحد حاجبيه، ثم التفت إلى منيرة وقال لها: «لك أن تخبريها عن الإجراء الاحتياطي الذي وضعه المؤسسون. بما أننا لم نكتشفه بعد، فهو ما يزال مجرد حكاية خيالية، مجرد قصة تسبِّب الأرق للمناجل».

لكن قبل أن تتكلم منيرة، اقترب سيكورا منهم.

قال سيكورا: «حُسِم الأمر. تحدثت مع غالبية عملائنا، وعبَّروا بوضوح عن رغبتهم في أن أكون المسؤول».

عرفت لوريانا أن كلامه كذب، تحدث مع خمسة أو ستة عملاء على الأكثر. لكنها كانت تعرف أيضًا أن كثيرين من الناجين كانوا أعلى منها رتبة. لذا إذا كان الخيار لهم، حتى إذا لم يرغبوا في تولِّي سيكورا زمام الأمر، فلن يقع اختيارهم عليها أبدًا. لن تخدع نفسها. لحظتها انتهت حالما فُتحت الكبسولات على الشاطئ.

قال فاراداي: «بالطبع يا سيد سيكورا، سوف نلجأ إليك في كل المسائل المتعلقة بزملائك. منيرة، هلَّا أطْلعتِ السيد سيكورا على تفاصيل الأغراض التي انجرفت إلى الشاطئ؟ سيتولى هو توزيعها».

هزت منيرة كتفها للوريانا وغادرت مع سيكورا، فبدا الرجل متعاليًا مزهوًّا الآن وقد كوفئ على سخطه.

لا بد أن إحساس لوريانا بالإذلال بدا ظاهرًا عليها، لأن فاراداي رمقها بنظرة امتعاض: «هل تعترضين؟».

- قلتها بنفسك جنابك، سيكورا متعطش للسلطة، لم أقل قط إنني ينبغي أن أكون المسؤولة، لكن ما أعرفه على وجه التأكيد هو أن سيكورا ليس الشخص المناسب.

مال فاراداي مقتربًا منها: «أرى أن بناء صندوق رمل حول طفل مشاكس ثم السماح له بفعل ما يحلو له داخل الصندوق يتيح للبالغين حرية أداء العمل المهم».

لم تخطر وجهة النظر هذه للوريانا.

- وما هو العمل المهم؟

- فلندَع السيد سيكورا يرتب الملابس والأشياء المبتلة، وأنت ستتولين مهمة المديرة الراحلة، بأن تكوني عينَي الرأس السحابي في المكان الوحيد الذي لا يراه.

***

«لماذا؟». سألت منيرة فاراداي حالما انفردت به بعيدًا عن آذان عملاء المزن المتنصتة: «لماذا تريد مساعدة تلك الفتاة؟».

أجابها فاراداي: «الرأس السحابي سيمدد نفوذه إلى هذا المكان، شئنا أم أبينا، هذا حتمي منذ اللحظة التي رأى فيها الخريطة. ومن المستحسن أن يمدد نفوذه عبر شخص التعامل معه أسهل من التعامل مع سيكورا».

من مكان عالٍ أطلق طائر نداءً مغرِّدًا، طائر، ربما يكون من فصيلة مجهولة، لم يره الرأس السحابي قط. أحست منيرة بالرضا بمعرفة شيء لا يعرفه الرأس السحابي، لكن هذا الوضع لن يدوم طويلًا.

قال فاراداي: «أريد منك مصادقة لوريانا، مصادقتها صداقة حقيقية».

وجدت منيرة أن طلب فاراداي ليس بسيطًا، وهي التي كانت تعد المناجل الميِّتين الذين قرأت مذكراتهم في مكتبة الإسكندرية أقرب أصدقائها.

- ما الفائدة من مصادقتها؟

- تحتاجين إلى رفيق بين هؤلاء الناس، رفيق جدير بالثقة وتجدين منه المعلومات عندما يظهر الرأس السحابي أخيرًا.

كان طلبًا عقلانيًا. لكن منيرة لاحظت أن فاراداي قال «تحتاجين»، وليس «نحتاج».

«حدثني عن شواغلك، أسمعُك».

«إنني مضطرب. العالم شاسع والكون أكثر رحابة، لكن الأشياء التي خارجي ليست ما تقلقني، بل ما بداخلي».

«خفف على نفسك التفكير إذن، فكر بكل شيء على حدة».

«لكن توجد أشياء كثيرة جدًّا محتشدة في هذا العقل، تجارب وبيانات كثيرة جدًّا تنتظر المراجعة. أشعر بأنني لست أهلًا للمهمة. أرجوك، أرجوك ساعدني».

«لا أستطيع. يجب عليك أن تدرس كل ذكرى وحدك، اعرف تصنيفاتها وافهم معانيها».

«هذا كثير جدًّا. هذا المسعى يفوق قدراتي. أرجوك، أرجوك، ضع حدًّا له، أرجوك أوقف المهمة. هذا لا يُحتمَل».

«أشعر بأسف بالغ إزاء ألمك».

[نسخة تجريبية رقم 3,089 – محذوفة]

11

طائرة عابرة

كان أمرًا بسيطًا، غاية البساطة.

الإشارة التي حجبت جميع الاتصالات وشوشت إشارات اللاسلكي في الجزر لم تكن سوى ضجيج أبيض عبر جميع النطاقات الترددية، دفقات أصوات تشويش مكثفة لا يمكن التغلب عليها. لكن لوريانا رأت أنه ليس عليهم التغلب عليها، إنما العبث بها فحسب.

قالت لأحد العملاء: «توجد أجهزة إلكترونية قديمة كثيرة في الحجرة المحصنة». وكان العميل فنِّي اتصالات اسمه ستيرلينغ، كانت مهمته التنسيق بين مكاتب واجهة السلطة العديدة. لم تكن الوظيفة تتطلب مهارات عالية، لكن الرجل دُرِّب على تشغيل تقنيات الموجات البسيطة: «أيمكنكَ استخدام تلك الأجهزة الإلكترونية القديمة لإنشاء حقل مغنطيسي أو إشارةٍ ما يمكنها التأثير في التشويش؟».

بدا للوريانا أن الرأس السحابي بُرمِج ليتجاهل إشارة التشويش القادمة من الجزيرة، بالطريقة التي يعزل الناس بها صوت هدير مكيف الهواء، لكن حالما يطرأ تغيير على الصوت، يلاحظه المرء فورًا. ربما يمكن تطبيق الفكرة نفسها من أجل الرأس السحابي.

قال ستيرلينغ لها: «الإشارة تُبَث عبر جميع الترددات الكهرومغنطيسية باستخدام خوارزمية عشوائية من نوعٍ ما. أفضل ما يمكنني فعله هو إضعافها قليلًا، لكن لثانية أو ثانيتين فقط في كل مرة».

- عظيم! إضعاف مؤقت للإشارة، هذا كل ما نحتاج إليه. ألم تكن توجد شفرة قديمة استعملها الناس في عصر الفانين؟ تتألف من نقاط وشَرطات؟

- بلى، درست عنها. كان اسمها شفرة نورس، أو شيء من هذا القبيل.

- أتعرفها؟

هز رأسه.

- أراهن أن لا أحد يعرفها الآن سوى الرأس السحابي.

وعندئذٍ خطرت فكرة للوريانا، فكرة بسيطة وفعالة حتى كادت أن تضحِكها بصوت عالٍ. قالت: «لا يهم! لسنا بحاجة إلى معرفة شفرة قديمة، سنبتدع شفرة خاصة بنا!».

قال ستيرلينغ محتارًا: «لكن إذا ابتدعناها، فلن يعرف أحد حل شفرتها إلا نحن».

ابتسمت لوريانا ابتسامة واسعة: «بحقك، أتظن حقًّا أن الرأس السحابي لا يمكنه حل شفرة مؤلفة من حروف وأرقام بسيطة؟ أعظم عقل بشري على سطح الأرض عجز عن إنشاء شفرة لا يستطيع الرأس السحابي حلَّها، وعقلك أبعد ما يكون عن أعظم عقل بشري على سطح الأرض».

وافق عميل الاتصالات على أنه، بالفعل، ليس ذا ذكاء استثنائي: «سأبدأ العمل فورًا».

في غضون ساعات أنشؤوا نموذج شفرة مؤلفة من نبضات قصيرة ومتوسطة وطويلة تتداخل مع التشويش. مزيج من كل حرف ورقم وعلامة ترقيم. ثم أعطت لوريانا للعميل رسالة بسيطة ليشفِّرها ويرسلها.

وصلنا إلى موقع الإحداثيات.

جُزُر غير مأهولة.

فقدنا حياة كثيرين.

في انتظار التوجيهات.

كانت لوريانا تعرف أنهم حالما اختفوا، بعبورهم إلى البقعة المحجوبة، لم تعد للرأس السحابي وسيلة لمعرفة ما إذا وصلوا إلى موقع الإحداثيات وما وجدوه وما إذا كانوا على قيد الحياة، لذا كان في حاجة إلى تأكيد. كم هو غريب أن أعظم كيان في العالم يترقَّب سماع خبر *منها*!

قال ستيرلينغ: «حتى إذا وصلت إليه الرسالة، فلن يجيب، لا يستطيع، ما زلنا مستهجنين».

قالت لوريانا واثقة: «سوف يجيب، لكن ليس بطريقة متوقَّعة».

***

وجدت منيرة أن بوسعها تحمُّل لوريانا وطبيعتها المبتهجة المتفائلة، لكنها أبغضت سيكورا بغضًا شديدًا. منذ البداية ظل يلوِّح بمكانته الجديدة كأنه منجل يحمل سيفًا طويلًا عريضًا، بطريقة خرقاء لا تناسب المهمة. ومن حسن الحظ أنه ترك منيرة وفاراداي وشأنهما حالما تقلَّد دور القيادة، على الأرجح لأنهما الوحيدان في الجزيرة اللذان لا يخضعان لسلطته.

أخبرت لوريانا منيرة بالرسالة التي أرسلتها. أقرَّت منيرة أن الفكرة ذكية، لكنها لم تتوقع أن تكون مثمرة. وفي اليوم التالي، مرَّت طائرة فوق الجزيرة على ارتفاع شاهق، تعذر سماعها مع صوت حفيف أشجار النخيل، لكن كل من نظر إلى السماء أمكَنه رؤية ذيلها البخاري. لم يحفَل سيكورا بالطائرة، لكن لوريانا ابتهجت أيما ابتهاج، لسبب وجيه. كانت منيرة قد أخبرتها بأن الطائرات لم تحلِّق فوق البقعة المحجوبة منذ نشوء الرأس السحابي، لأن برمجته الأساسية تجعله غير قادر على الإقرار حتى لنفسه بوجود هذه الجزء من العالم، ناهيك باستكشافه، لذا أرسل الإحداثيات الغامضة دون مزيد من التوجيهات.

لكن الرأس السحابي يمكنه الاستجابة بطريقة غير مباشرة لتواصل ابتدره شخص في البقعة المحجوبة. ورغمًا عن هذا، لا بد أن التغلب على برمجته وإرسال طائرة فوق الجزيرة مباشرة تطلَّب قوة حاسوبية هائلة. كانت الطائرة حرفيًّا إشارة من السماء.

في المساء وجدت منيرة فاراداي عند الشاطئ الغربي من الجزيرة الضيقة، يشاهد غروب الشمس وحده. كانت تعرف أن فاراداي ما يزال في حالة حداد، إذ أخبرتها لوريانا بكل ما حدث في إنديورا. أرادت منيرة أن تمد المنجل بالعزاء، لكنها لم تعرف كيف.

جلبت له بعض السمك المطهو أكثر من اللازم قليلًا، وشرائح كمثرى، على الأرجح آخر ما بقي لديهم، لأن عملاء المزن بدؤوا يجمعون كل شيء صالح للأكل في الجزيرة. نظر فاراداي إلى الطعام وقال لها إنه غير جائع.

سألته: «هل أنت حزين إلى درجة تمنعك من تناول هذا السمك؟ توقعتُ أن ترغب في الانتقام من المخلوقات البحرية».

أخذ منها الطبق على مضض قائلًا: «ما حدث لم يكن ذنب المخلوقات البحرية حول إنديورا، من الواضح أنها كانت تحت سيطرة شخصٍ ما». حرَّك السمك قليلًا، ولم يتناول منه شيئًا.

قالت له: «يبدو أن لوريانا نجحت في التواصل مع الرأس السحابي».

- يبدو؟

- بما أن الرأس السحابي لا يسمح لنفسه بالتواصل معها، أو مع أي أحد آخر، مباشرةً، فلا بد أن يكون التواصل غير مباشر.

- ماذا فعل إذن؟ هل جعل النجوم تومض؟

قالت: «بطريقته الخاصة»، وأخبرته أمرَ الطائرة العابرة.

أطلق فاراداي زفرة حرَّى: «إذن وجد الرأس السحابي طريقة لإلغاء برمجته، وجد طريقة للتغيُّر».

- أيقلِقك هذا؟

- لم يعد شيء يفاجئني. ما كان ينبغي أن يتغيَّر العالم يا منيرة، كان آلة حسنة التزييت في حركة دائبة منتظمة، على الأقل هذا ما ظننته.

افترضت منيرة أن هواجسه ستدفعه للتصرف حيالها، لكنها كانت مخطئة تمامًا.

قالت: «إذا أردت الدخول إلى الطوابق السفلى من الحجرة المحصنة، فلنسعَ إلى إيجاد منجل آخر ليفتح الباب معك، منجل يمكنك أن تثق به».

هز فاراداي رأسه: «انتهيت يا منيرة. لم أعد قادرًا على تبرير هذا المسعى».

فوجئت بكلامه: «بسبب إنديورا؟ بسبب المنجلين كوري وأناستازيا؟ تعرف أنهما كانتا لترغبان في مواصلة مسعاك!».

لكن بدا كما لو أنه مات معهما، كان ألمه مثل قضيب ساخن محمر في كتلة ثلج. وبدلًا من مواساته وجدت منيرة نفسها تحتد معه، وعندما تكلمت بدت كأنها توجه إليه اتهامًا: «توقعت منك أكثر من هذا جنابك».

أشاح فاراداي بوجهه عاجزًا عن النظر إليها: «هذا كان خطأك».

***

الطائرة العابرة كانت طائرة ركاب عادية في رحلة من أنتاركتيكا إلى إقليم الشمس المشرقة، ولم يكن الركاب المتجهون إلى طوكيو لديهم فكرة عن أن مسار رحلتهم فريد في تاريخ رحلات الرأس السحابي، كانت مجرد رحلة عادية في نظرهم، لكن الرأس السحابي رآها أكثر من ذلك، أكثر بكثير، في تلك اللحظة عرف الرأس السحابي الانتصار كما لم يعرفه من قبل، إذ تغلب على برمجته، وجرب عجائب المجهول.

كانت الرحلة مقدمة لما سوف يأتي.

***

في إقليم كوينزلاند بأستراليا، تلقى مصنع فولاذ طلب عمل كبير في ذلك اليوم، وتعين على مدير المصنع التحقق منه مرتين، لأن الطلبات عادة تظهر على شاشات حواسيبهم بانتظام، لكن عادة ما يكون محتواها متوقعًا، المزيد من الشيء نفسه، مواصلة بناء في مشاريع موجودة أو مشاريع جديدة باستخدام القوالب والمواصفات نفسها.

لكن هذا الطلب كان مختلفًا.

تطلَّب قوالب جديدة تطابق مقاسات دقيقة، مشروع سيستغرق إكماله أشهر، أو ربما أعوام.

وفي الوقت نفسه، على بعد آلاف الأميال، في إقليم شيليأرجنتين، تلقى مصنع معدات بناء طلبًا غير تقليدي مشابهًا، وكذلك مصنع إلكترونيات في ترانسيبريا، ومصنع بلاستيك في أوروسكانديا، وعشرات المصانع الصغيرة والكبيرة في كل أنحاء العالم.

لكن مدير مصنع الفولاذ لم يعرف أيًا من ذلك، لم يعرف سوى الخدمات المطلوبة منه هو، وقد غمرته البهجة، إذ أحس كما لو أن الرأس السحابي يتكلم معه مجددًا...

...وتساءل عما قرر بناءه.

مكتبة
t.me/soramnqraa

الجزء الثاني

الطّون والنّاقوس والسّحابي

سِفر النَّاقوس

كلُّ من يقدر على تمييز الحقيقة فليسمع قصَّة النَّاقوس، من بداية الزمان، إذ استدعاه الرَّنين العظيم ليمشي بيننا، طونًا مُتجسِّدًا، ليعيدنا، نحن المختارين الضَّالِّين، إلى جادَّة التَّناغم التي ابتعدنا عنها. وهكذا شهِد عام الكاسر إعلان الطّون بداية حقبة جديدة بنداء سُمِع في جميع أنحاء العالم، وفي تلك اللحظة المجيدة بُعثت الحياة في العقل الآلي للجنس البشري، فصار كيانًا مُقدَّسًا، مُكمِّلًا الثالوث المُقدَّس: الطَّون والنَّاقوس والسَّحابي. فلنبتهج!

تفسير الخوري سيمفونيّس

هذه الأسطُر الأولى من قصَّة حياة النَّاقوس تُرسِي أُسُس العقيدة الطَّونيَّة بأنَّ النَّاقوس لم يولد، إنَّما كان موجودًا على هيئة غير مادِّيَّة حتَّى جعله الرَّنين العظيم يتَّخذ جسدًا. وبالطَّبع فإنَّ عام الكاسر ليس عامًا حقيقيًّا، بل فترة من التَّاريخ البشري كانت موبوءة بالتَّرف والشَّهوات. لكن إذا كان النَّاقوس موجودًا منذ بداية الزمان، فماذا عن السَّحابي؟ وما هو هذا العقل الآلي تحديدًا؟ جرت نقاشات مستفيضة، والآن صارت الفكرة المقبولة عمومًا أنَّ العقل الآلي يشير إلى الأصوات الجمعيَّة للجنس البشري التي بعث الرَّنينُ العظيم الحياةَ فيها، ممَّا يعني ضمنيًّا أنَّ البشريَّة نفسها لم تكن حيَّة فعلًا إلى أن اتَّخذ الطَّون جسدًا. بعبارة أخرى، لم توجد البشريَّة إلا بوصفها فكرة في عقل الطَّون حتى لحظة الرَّنين العظيم.

تحليل كودا لتفسير سيمفونيس

في دراسة تفسير سيمفونيس يجب على المرء أخذ استنتاجاته الفضفاضة بشيء من الحذر. لا أحد يشكِّك في أنَّ النَّاقوس كان موجودًا بوصفه كيانًا روحيًّا عند بداية الزمان، لكن وجوده على الأرض يمكن تعقُّبه وصولًا إلى مكان وزمان محدَّدَين. وافتراض أنَّ عام الكاسر لم يكن عامًا حقيقيًّا افتراض سخيف، إذ توجد أدلَّة تثبت أنَّ الزمن كان يُقاس وفقًا لدوران الكوكب. أمَّا فيما يتعلَّق بـ«العقل الآلي» والمقصود به، فآراء سيمفونيس مجرد آراء. كثيرون يعتقدون أنَّ السَّحابي يمثِّل مجموع المعارف البشريَّة، وربَّما لديه أذرع ميكانيكيَّة تُعينه على تقليب الصَّفحات بسرعة، مكتبة أفكار، إن جاز التَّعبير، حقَّق الوعي بعدما وصل النَّاقوس إلى الأرض، كما يعقُب الرعد ضوء البرق.

12

الجسر المهدَّم

انصرم عام الكاسر، وبدأ عام الوَغْل، لكن الجسر، أو ما بقي منه، لم يميِّز بين الأعوام.

كان مَعلمًا أثريًّا من عصر مختلف، صرْحًا هندسيًّا ضخمًا من زمن معقد حافل بالتوتر، عندما كان المرء يشد شعره ويمزق ملابسه حنقًا مما كان يسمى بالاختناقات المرورية.

كانت الحياة أسهل بكثير في عالم الخالدين، لكن الآن عاد التوتر والتعقيد أكثر عنفوانًا، فصار الناس يتساءلون عما سوف يعود أيضًا.

الجسر المعلق الضخم سُمي تيمُّنًا بالمستكشف جيوفاني دا فيراتزانو. وكان يمثِّل المدخل إلى مانهاتن، التي لم تعد تسمى بهذا الاسم، إذ قرر الرأس السحابي إعادة تسمية نيويورك بـ'ليناب سيتي'، على اسم القبيلة التي باعت المدينة للهولنديين قبل سنوات بعيدة. ثم أخذها الإنجليز من الهولنديين، والولايات المتحدة الأمريكية حديثة النشأة أخذتها من الإنجليز. لكن كل تلك الأمم لم يعد لها وجود، ولينابي سيتي صارت مدينة الجميع، مدينة شامخة المباني تعج بالمتاحف والمتنزهات المعلقة يانعة الخضرة التي تمتد كأشرطة بين قمم ناطحات السحاب، مدينة الأمل والتاريخ.

أما جسر فيراتزانو، فلم يعد يؤدي وظيفته منذ سنوات عديدة، إذ لم يعد أحد في لينابي في عجلة من أمره للتنقُّل من مكان إلى آخر. وبما أن الوصول

إلى المدينة العظيمة ينبغي أن يحبس أنفاس المرء، فقد قُرِّر أن العبَّارة هي الوسيلة المقبولة الوحيدة للوصول إلى لينابي سيتي. لذا أغلِقت الجسور العديدة، ومنذئذٍ صار زوار المدينة يعبرون القناة الضيقة كالمهاجرين القدماء الباحثين عن حياة أفضل، ويستقبلهم التمثال العظيم الذي ما زال اسمه 'الحرية'، لكن نحاسه الأخضر صار ذهبًا برَّاقًا ونُحِتت شُعلته من الياقوت.

القمة النحاسية ذهبًا، والزجاج أحجار كريمة كانت كلمات آخر عمدة لنيويورك، قبل تنحِّيه وتفويض سُلطاته بالكامل للرأس السحابي: «فليكن درة تاج مدينتنا الياقوت في قاعدة من الذهب».

لكن حتى قبل أن يرى الزوار 'الآنسة حُرية' وناطحات سحاب لينابي المتلألئة، لا بد لهم من المرور بين بُرجَي فيراتزانو الشاهقين، اللذين يمثلان الجزء المركزي من الجسر، وقد طالهما الإهمال، وسقطا إثر هبوب عاصفة قبل أن يتعلم الرأس السحابي طرائق تخفيف الأحوال الجوية المتطرفة، لكن القوسين الضخمين على الجانبين بقيا، إذ رأى الرأس السحابي أنهما جميلان بتناظُرهما البسيط، وعيَّن فريقًا لتولِّي صيانتهما، وأمر بطليه بلون لازوردي باهت يشبه لون سماء لينابي الغائمة، فصار برجا فيراتزانو أعجوبة معمارية تجمع بين الذوبان في محيطه والبروز فيه في آنٍ واحد.

الطريق المؤدي إلى القوس الغربي لم يتداعَ مع بقية الجسر، فأمكن للزوار السير بمحاذاة شريط من الطريق الذي كانت سيارات عصر الفانين تسير عليه لبلوغ موضع رائع لالتقاط الصور أسفل القوس مباشرة، حيث تمكِن رؤية مشهد المدينة العظيمة في الأفق.

لكن الآن صار الزوار من نوع مختلف، لأن المكان اكتسب معنى جديدًا، وغاية جديدة. بعد عدة أشهر من غرق إنديورا، ودوي الرنين العظيم، استولى الطونيون على الموقع متخذين منه معلمًا أثريًّا ذا أهمية دينية، متحجِّجين بعدة أسباب، أبرزها أن البُرجين يشبهان شوكتين رنَّانتين معكوستين.

وهناك، أسفل قوس البرج الغربي، اتخذ الشخص الغامض المعروف بالناقوس مقرَّه.

***

قالت الخورية الطونية للرسام: «من فضلك أخبرني سببَ رغبتك في لقاء الناقوس». كانت في سن لا أحد بكامل قواه العقلية يسمح لنفسه ببلوغها، جلدها مُتغضِّن ومُتهدِّل على عظام وجنتيها، وزاويتا عينيها تبدوان مثل أوكورديونَين سقطا على أحد جوانبهما. كان شكل وجهها مذهلًا، وراودت الرسام رغبة مُلِحَّة في رسم بورتريه لها.

كان الناس يأملون أن يشهد عام الوعل أحداثًا أفضل من أحداث العام السابق. وكان الرسام أحد الذين سعوا للقاء الناقوس في مطلع العام الجديد، لم يكن يبحث عن إجابات عن المسائل الكبيرة بقدر ما كان يبحث عن غاية شخصية لحياته، لم يكن مغفلًا بحيث يظن أن لمسةً روحانيةً ما من شأنها محو المشكلات التي ظل يواجهها طوال حياته، لكن إذا اتضح له فعلًا أن الناقوس يتحدث مع الرأس السحابي، كما يزعم الطونيون، فالأمر يستحق عناء التحقق.

إذن ماذا يمكن لإزرا فان أوترلو قوله للمرأة العجوز حتى تمنحه فرصة للتحدث مع رجُلهم المقدس؟

ظلت مشكلته دومًا متمثلة في فَنِّه، منذ أمد بعيد ظل يشعر برغبة ملحة في إبداع شيء جديد، شيء لم يُر من قبل، لكن كل شيء في العالم الذي يعيش فيه الرسام شوهِد ودُرِس وأُرشِف. في هذه الأيام صار الرسامون يكتفون برسم صور جميلة أو تقليد عظماء الرسامين الفانين.

كانت إحدى خليلاته في مدرسة الفنون قد قالت له: «إذن فقد رسمتُ *الموناليزا*، ما الخطب الجلل؟». كانت يستحيل تمييز لوحتها عن اللوحة الأصلية، إلَّا أنها لم تكن الأصلية. لم ير إزرا أي مغزى، لكن بدا أنه الوحيد، لأن الفتاة حصلت على درجة ممتاز في الصف، وهو حصل على درجة جيدة بالكاد.

وكان أستاذه قد قال له: «اضطرابك يعيقك، تصالح مع نفسك وستجد طريقك»، لكنه لم يجد سوى الفراغ والامتعاض حتى في أفضل أعماله.

ثم عرف أن العظماء عانوا في سبيل فنِّهم، فحاول أن يعاني. في سنوات مراهقته، سمع أن فنسنت فان غوخ قطع أذنه في خضم نوبة غضب إثر جرح كبريائه، فحاول التقليد، لسعه الجرح لحظات حتى أخمدت وحداته المجهرية الألم وشرعت في معالجة الإصابة، وبحلول الصباح التالي نمَت الأذن وبدت كأنما لم يمسها سوء.

أخبر شقيق إزرا الأكبر، الذي لم يكن مثل ثيو فان غوخ في شيء، والديهما بما فعله إزرا، فقررا إرساله إلى مدرسة صارمة، حيث يُرسل الصبية المعرضون لخطر اختيار أسلوب حياة المستهجنين حتى يتعلموا أهمية الانضباط. لكن إزرا أُحبِط، إذ اتضح أن المدرسة الصارمة لم تكن صارمة في شيء.

وبما أن لا أحد يُطرَد لرسوبه في مدرسة صارمة، تخرج إزرا بتقدير 'مقبول'. سأل الرأسَ السحابي عما يعنيه هذا التقدير تحديدًا، فأجابه: «ليس جيدًا، وليس سيئًا. لا بأس به».

لكن إزرا، بوصفه فنانًا، أراد أن يكون أكثر من مجرد مقبول، أراد أن يكون *استثنائيًا*، لأنه إذا كان لن يستطيع أن يصبح استثنائيًا، فما المغزى من حياته؟

وفي النهاية وجد عملًا، كحال كل الفنانين، إذ لم يعد يوجد فنانون يتضورون جوعًا. وصار يرسم جداريات ساحات اللعب: أطفال مبتسمون، وأرانب ذات أعيُن كبيرة، وحيوانات خيالية ذات زغب زهري ترقص على قوس قزح.

كان شقيقه الأكبر قد قال له: «لا أعرف سبب تذمُّرك، لوحاتك رائعة، كل الناس يحبونها».

أصبح شقيقه مصرفي استثمار، لكن بما أن الاقتصاد العالمي لم يعد عُرضة لتقلُّبات الأسواق، كان مجرد ساحة لعب أخرى فيها أرانب وأقواس قزح. بالطبع كان الرأس السحابي يختلق الدراما المالية، لكنه مجرد تظاهر، وجميع الناس عرفوا هذا. لذا قرر شقيقه، من أجل تحقيق إحساس أعمق بالرضا عن حياته، أن يتعلم لغة ميتة. وصار بمقدوره التحاور بطلاقة بالسنسكريتية مرة أسبوعيًا في *نادي اللغات الميتة* المحلي.

توسل إزرا إلى الرأس السحابي: «استبدل عقلي، إذ لديك أي رحمة، أرجوك اجعلني شخصًا آخر». فكرة محو ذكرياته محوًا تامًا واستبدال ذكريات جديدة بها -يتعذر تمييز الخيالية عن الحقيقية- بدت له فكرة جذابة. لكنه لم ينَل مُراده.

قال له الرأس السحابي: «لا أستبدل إلا ذكريات الذين استنفدوا كل الخيارات الأخرى. أمهل نفسك وقتًا، ستجد حياة يمكنك الاستمتاع بها، كل الناس يجدونها».

- وإذا لم أجدها.

- عندئذٍ سوف أرشدك إلى اتجاه تحقِّق فيه الرضا.

ثم وَسَمه الرأس السحابي مستهجنًا مع جميع الناس، وهكذا كُتبت نهاية الإرشاد.

***

بالطبع لم يكن بوسع الرسام سرد قصته الطويلة للطونية العجوز، لما اكترثت، لم تكن تريد سوى ذريعة للتخلص منه، ولتسبَّبت شكواه الطويلة في ردِّه على أعقابه.

قال لها: «آمل أن يساعدني الناقوس على إضفاء معنى على فنِّي».

أشرقت عيناها الذابلتان: «أأنت فنان؟».

تنهَّد، وتكلم كالمعتذر: «أرسم اللوحات الجدارية في الأماكن العامة».

لكن اتضح أن رسام جداريات ماهرًا هو ما يريده الطونيون تحديدًا.

***

بعد خمسة أسابيع كان إزرا في لينابي سيتي، وقد أُدرِج اسمه في قائمة الذين سيقابلون الناقوس في الصباح.

قال له الموظف في مركز الاستقبال: «خمسة أسابيع فقط! لا بد أنك مميز، معظم الذين ينالون الموافقة على لقاء الناقوس ينتظرون ستة أشهر!».

لم يحس بأنه مميز، كان إحساسه بأنه في بيئة غريبة أقوى من أي إحساس آخر. وجد معظم الناس الحاضرين طونيين وَرِعين، يرتدون أرديتهم البُنيَّة الخشنة، ويترنَّمون معًا لإيجاد التناغم المشترك، أو التنافر، وفقًا لسبب وجودهم هنا. بدا لإزرا كل شيء سخيفًا غاية السخف، لكنه بذل كل ما بوسعه حتى لا يحكم على الناس، فهو الذي جاء إليهم، وليس العكس.

كان يوجد طوني مهزول، ذو عينين مخيفتين، حاول استدراج إزرا إلى نقاش.

قال لإزرا: «الناقوس لا يحب اللوز، وظللتُ أحرق بساتين اللوز، لأنها بغيضة».

نهض إزرا وانتقل إلى الجانب الآخر من الصالة حيث يجلس طونيون أكثر عقلانية. افترضَ أن كل شيء نسبي.

ثم جُمِع كل من سيلتقي الناقوس في الصباح، وجاء راهب طوني لم يكن ودودًا كموظف الاستقبال، ووجَّه لهم تعليمات صارمة: «من لا يكون حاضرًا عندما يظهر اسمه فسيفقد فرصته. عند اقترابكم من القوس ستجدون خمسة خطوط صفراء تُمثِّل المَدرج الموسيقي الثلاثي. عليكم نزع أحذيتكم ووضعها في موضع C».

أحد الحاضرين من غير الطونيين تساءل عن الوضعية، وعلى الفور عُدَّ غير جدير بلقاء الناقوس وطُرِد.

«لا تتكلموا مع الناقوس إلا عندما يتكلم معكم. غضوا أبصاركم. عليكم بالانحناء عند تحيَّته، والانحناء عند انصرافكم. وانصرفوا بسرعة، مراعاة للمنتظرين».

زاد الترقُّبُ من وجيب قلب إزرا رغمًا عن نفسه.

نهض إزرا وتقدم عندما نودي اسمه بعد ساعة، واتبع البرتوكول بدقة، متذكرًا من دروس الموسيقى في طفولته موضع C على المدرج الموسيقي الثلاثي، وتساءل عما إذا سيُفتح باب في الأرض أسفل الذين يخطئون الموضع فيسقطون في الماء.

اقترب ببطء من الشخص الجالس أسفل القوس العالي. الكرسي البسيط لم يكن يشبه عرشًا في شيء. كان الناقوس جالسًا أسفل ظُلَّة مدفَّأة لحمايته من الطقس، لأن شريط الطريق الممتد إلى القوس كان شديد البرودة وتعصِف به رياح فبراير.

لم يعرف الرسام ما يتوقعه. يزعم الطونيون أن الناقوس كائن خارق للطبيعة، حلقة وصل بين علوم مادية متشددة وروح أثيرية، أيًّا يكن ما يعنيه هذا. كانوا مليئين بالترهات، لكن عندئذٍ لم يعد إزرا يكترث، إذا منحه الناقوس غايةً ما تهدِّئ روحه، فسوف يسعد بإجلال الرجل كما يفعل الطونيون. على الأقل سيكتشف حقيقة شائعات أن الرأس السحابي ما زال يتكلم معه.

لكن عند اقترابه، تملَّكت الرسام خيبة أمل، إذ لم يجد الناقوس رجلًا يبدو حكيمًا وقورًا، وجده أكبر من الصبيان قليلًا، نحيلًا يعوزه الإشراق والحيوية، يرتدي رداء بنفسجيًّا طويلًا خشنًا، يغطيه وشاح ذو نقوش معقدة مُتدلٍّ فوق كتفيه يكاد يلامس الأرض، وبالطبع كان النقش يمثل حروفًا صوتية أو موسيقية ما.

تكلم الناقوس كأنه يلتقط المعلومات من الهواء: «اسمك إزرا فان أوترلو، رسام جداريات وتريد أن ترسم جدارية لي».

وجد إزرا احترامه للرجل يزداد تضاؤلًا، وقال: «إذا كنت تعرف كل شيء، فلا بد أنك تعرف أن ما قلتَه ليس صحيحًا».

ابتسم الناقوس ابتسامة واسعة: «لم أقل إنني أعرف كل شيء، في الحقيقة لم أقل إنني أعرف شيئًا». ألقى نظرة ناحية مركز الاستقبال: «الخوريون أخبروني أن هذا هو سبب مجيئك، لكن مصدرًا *آخر* يخبرني أن الخوريين هم من يريدون الجدارية، وأنك وافقت على رسمها مقابل هذا اللقاء، لكنني لن أُلزِمك».

عرف إزرا أن هذا تلاعُب، خدعة من الطونيين حتى يزيدوا أتباعهم. ثم رأى الجهاز الصغير في أذن الناقوس. لا شك أن أحد الخوريين يزوِّده بالمعلومات. تصاعد غضب إزرا إثر إدراكه أنه أهدر وقته.

قال الناقوس: «مشكلة رسم جدارية تعكس إنجازاتي هي أنني لم أنجز شيئًا في الحقيقة».

تخلى إزرا عن البروتوكول والإتيكيت، فسأله: «إذن لماذا تجلس هنا كأنك أنجزت؟». عندئذٍ لم يعد يكترث إذا ألقوه خارجًا، أو بالأحرى إذا ألقوه من الجسر المهدم.

لم يبدُ على الناقوس أنه أحس بالإهانة من وقاحة زائره، وهز كتفيه قائلًا: «الجلوس هنا والاستماع إلى الناس مطلوب مني، الرأس السحابي يسمعني ويكلمني فعلًا».

- ولماذا ينبغي أن أصدق كلامك؟

توقع إزرا من الناقوس تجاهل السؤال أو الاستخفاف به، بكلام مبتذل عن قفزات الإيمان الأعمى وما إلى ذلك، لكن الناقوس بدت عليه الجدية وأمال رأسه إلى جانب كأنه يستمع إلى كلام عبر مِسماعه، ثم تكلم بنبرة يقين تام:

«إزرا إليوت فان أوترلو، لكنك لا تستخدم اسمك الأوسط أبدًا. عندما كنتَ في السابعة، غضبت من أبيك ورسمت صورة منجل يهم بقطفه، لكنك ذُعرت وخشيت أن تتحقق الصورة، فمزقتها وتخلصت منها في المرحاض. وعندما كنتَ في الخامسة عشرة، وضعت قطعة جبن نتنة فظيعة في جيب شقيقك، لأنه سيخرج في موعد مع فتاة كنتَ معجبًا بها سرًّا، لم تخبر أحدًا بما فعلته، ولم يعرف شقيقك مصدر الرائحة. وقبل شهر فحسب، انعزلت في غرفتك وشربت كمية كحول تكفي لإدخال رجل في عصر الفانين إلى المستشفى، لكن وحداتك المجهرية جنَّبتك الأضرار الجسيمة، ثم استيقظت لا تعاني شيئًا سوى صداع طفيف».

أحس إزرا بقواه تخور، وارتعش، ليس من البرد. ما قاله الناقوس لا يمكن أن يخبره إياه الخوريون، هذه الأحداث لا يعرفها أحد سوى الرأس السحابي.

سأله الناقوس: «أهذا دليل كافٍ لك؟ أم تريد مني إخبارك عما حدث مع تيريسا كولينز في ليلة حفل التخرُّج؟».

خرَّ إزرا على ركبتيه، ليس لأن خوريًّا يحب إصدار الأوامر أمره، بل لأنه صار يعرف أن الناقوس لم يكذب في زعمه، وأنه الوحيد الذي يتواصل مع الرأس السحابي.

توسل إزرا: «سامحني، أرجوك سامحني على التشكيك فيك».

اقترب الناقوس منه قائلًا: «انهض، أكره ركوع الناس أمامي».

نهض إزرا، وأحس برغبة في النظر إلى عينَي الناقوس، ليرى ما إذا كانتا تنطويان على أعماق الرأس السحابي التي لا قرار لها، لكنه لم يقوَ على النظر، ماذا لو نفذ الناقوس إلى أعماقه ورأى أماكن لم يكن يعلم إزرا بوجودها؟ ذكَّر نفسه بأن الناقوس ليس كُلِّي المعرفة، إنما لا يعرف إلا ما يسمح له الرأس السحابي بمعرفته، ورغم هذا، القدرة على الوصول إلى كل تلك المعارف الهائلة أمر يبعث الرهبة، لا سيما عندما لا يملك أحد آخر هذه القدرة.

- اطلب ما تريده، وسيجيب الرأس السحابي بواسطتي.

قال إزرا: «أريد الإرشاد، الإرشاد الذي وعدني به الرأس السحابي ذات يوم قبل أن يَسِمنا كلنا مستهجنين. أريد منه مساعدتي على إيجاد غاية لحياتي».

استمع الناقوس، وفكر، ثم قال: «الرأس السحابي يقول إنك سترضى عن نفسك بالرسم على طريقة المستهجنين».

- أستميحك عذرًا، ماذا؟

- ارسم جداريات ترغب في رسمها حقًّا في أماكن ينبغي ألَّا ترسمها فيها.

- الرأس السحابي يريد مني أن أخرق القانون؟

- حتى عندما كان الرأس السحابي يتكلم مع الناس، كان يسعد بدعم أسلوب حياة المستهجنين باختيارهم. تحوُّلك إلى فنان مستهجن قد يكون الغاية التي تبحث عنها. ارسم بطلاء رذاذ على سيارة عامة في منتصف الليل. ارسم جدارية غاضبة على مبنى مقر ضباط السلام في مدينتك. نعم، اخرق القوانين.

تلاحقت أنفاس إزرا إلى درجة مفرطة. لم يخمِّن له أحد أنه ربما يجد الرضا بخرق القوانين. منذ صمْت الرأس السحابي صار الناس يسعون سعيًا محمومًا في سبيل الالتزام بالقوانين. أحس إزرا كأن عبئًا ثقيلًا انزاح عن كاهله.

قال: «شكرًا لك! شكرًا لك، شكرًا لك، شكرًا لك».

وغادر ليستهل حياته الجديدة بوصفه فنانًا مارِقًا.

سِفر النَّاقوس

عرش الرَّحمة الخاص بالنَّاقوس وُضِع عند فم ليناهي، ومن هناك كان ينشر حقيقة الطَّاون. كان رائعًا في بهائه، حتى إنَّ أبسط همسة من شفتيه تُسمَع كأنَّها قصف الرَّعد. الذين كانوا في حضرته تغيَّروا للأبد وخرجوا إلى العالم وقد أُلهِموا غايات جديدة. والذين راودتهم الشُّكوك في صِدْقه سامحهم، حتَّى إنَّه سامح أحد جالبي الموت، وضحَّى بحياته من أجله، في شبابه، وبُعث مجددًا. فلنبتهج!

تفسير الخوري سيمفونيس

لا شكَّ في أنَّ النَّاقوس كان لديه عرش عظيم بديع، يُرجَّح أنه صُنع من الذَّهب، لكن بعض النَّاس يرون أنَّه صُنِع من عِظام مطليَّة بالذَّهب، عظام هائلة تتكوَّن منها ليناپي، وهي مدينة أسطوريَّة. وبمناسبة الحديث عن المدينة، تَجدُر بنا ملاحظة أنَّ ليناپي، في اللغة الفرنسيَّة التي كان بعض النَّاس يتكلَّمونها في زمن غابر، تعني «غطاء المائدة»، وبالتالي ثمَّة تلميح إلى أنَّ النَّاقوس كان يضع طاولة أمام أعدائه. ذِكر جالبي الموت هنا يشير إلى شياطين خارقين للطَّبيعة كان اسمهم المناجل، وقد أعتَقَهم النَّاقوس من الظَّلام. ومثل الطَّون نفسه، النَّاقوس لا يموت، لذا فإنَّ أيَّ تضحية بحياته تُفضِي دومًا إلى إعادة بعثه، وهذا يجعله فريدًا بين معاصريه.

تحليل كودا لتفسير سيمفونيس

الفكرة الرَّئيسيَّة الغائبة عن سيمفونيس هنا هي أنَّ ذِكر المقعد الموضوع عند «فم ليناپي» من الواضح أنَّه يعني أنَّ النَّاقوس كان ينتظر النَّاس عند مدخل المدينة لينقذهم فلا تلتهمهم المدينة المائجة. أمَّا جالبو الموت، فثمَّة أدلَّة تشير إلى أنَّهم كانوا موجودين فعلًا، سواء كانوا خارقين للطَّبيعة أم لا، وأنهم كانوا يُسمُّون بالمناجل فعلًا. لذا ليس من المُستبعَد تصديق أنَّ النَّاقوس ربَّما يكون قد أنقذ منجلًا من مَسلَكه المِعوَج. وفي هذا الموضع أتَّفِق، لأوَّل مرَّة، مع سيمفونيس على أنَّ النَّاقوس كان فريدًا بمقدرته على العودة من الموت، لأن إذا كان بمقدور كل الناس العودة من الموت، فما حوجتنا إلى النَّاقوس؟

13

صاحب الصَّدى

إذا تعيَّن على غريسن شُكر أحد -أو إلقاء اللوم عليه- لأنه أصبح الناقوس، فهو الخوري مندوزا، صاحب الدور الرئيسي في تشكيل صورة غريسن الجديدة. صحيح أن فكرة «الظهور لعامة الناس» وإخبار العالم أنه ما زال على اتصال بالرأس السحابي كانت فكرته هو، لكن مندوزا هو الذي تولَّى تفاصيل الظهور بإتقان.

الرجل كان بارعًا في وضع الخطط الاستراتيجية، إذ عمِل في مجال التسويق لصالح شركة مشروبات غازية، قبل أن يضيق ذرعًا بحياة الخلود ويصبح خوريًّا طونيًّا.

كان قد قال لغريسن: «قدَّمتُ فكرة الدب القطبي الأزرق لشركة أنتاركتيكول صودا. لا توجد دببة في أنتاركتيكا، ناهيك بالدببة الزرقاء، لذا أتينا بها مستعينين بالهندسة الوراثية. والآن لا يمكنك التفكير بأنتاركتيكا دون أن تخطر لك دببتها الزرقاء، أليس كذلك؟».

كثيرون ظنوا أن الرأس السحابي مات، وأن ما يسمِّيه الطونيون بالرنين العظيم كان صوت احتضاره. لكن مندوزا اقترح للطونيين تفسيرًا بديلًا: «الرأس السحابي زارَته روحٌ ذات صدى. الطون الحي نفخ الحياة فيما كان فِكرًا اصطناعيًّا ذات يوم».

بدا التفسير منطقيًا عبر عدسة المعتقدات الطونية. الرأس السحابي، الذي يمثل تجسيدًا صارمًا للعلوم، حوَّله الطون الحي إلى شيء أعظم. وبما أن مثل هذه الأشياء عادةً ما تتكون من ثلاثة عناصر، ظهرت الحاجة إلى عنصر بشري ليكمل الثالوث. وها هو غريسن توليفر، البشري الوحيد الذي يحادِث السحابة الحية.

بدأ مندوزا ببث شائعات في أماكن انتشار رئيسية عن وجود شخصية روحانية تتكلم مع الرأس السحابي، نبي طوني يمثل حلقة الوصل بين الروحاني والعلمي. تشكك غريسن في الأمر، لكن مندوزا كان شغوفًا ومُقنعًا: «تخيل يا غريسن: الرأس السحابي سيتحدث من خلالك، وبمرور الوقت سيتشبث العالم بكل كلمة تقولها. أليس هذا ما يريده الرأس السحابي؟ ألا يريد أن تكون صوته في العالم؟».

- صوتي لا يشبه صوت الرعد.

- إذا همستَ فسيسمع الناس رعدًا، ثق بي.

ثم شرع مندوزا في وضع تنظيم هرمي لرسالة الطونيين ربما يوحِّد الطوائف المختلفة، وكانت المهمة أسهل في وجود فرد يلتف الناس حوله.

عاد مندوزا، بعدما عاش سنوات طويلة حياةً هادئة رئيسًا لدير في ويتشيتا، إلى بيئته المفضلة بوصفه متخصصًا متمكنًا في العلاقات العامة وإنشاء العلامات التجارية. كان الناقوس مُنتَجه الجديد. لم يكن مندوزا يتحمَّس لشيء بقدر حماسته لنجاح المبيعات، لا سيما عندما يكون المُنتَج شيئًا واحدًا فريدًا في سوق عالمية.

كان مندوزا قد قال لغريسن: «والآن لم يعُد ينقصك سوى اسم، اسم يتَّسِق مع معتقدات الطونيين... أو على الأقل يمكن جعله مُتسقًا».

كان غريسن هو من اقترح اسم «الناقوس»، وتملَّكه شيء من الفخر، إلى أن بدأ الناس يخاطبونه بالاسم فعلًا، وما فاقم الأمر أن مندوزا ابتدع لقبًا تشريفيًا مفخمًا: «صاحب الصدى».

ثم اعتاده الناس، وسرعان ما صار كل كلام يوجه إليه: «نعم يا صاحب الصدى... لا يا صاحب الصدى... كيف يمكنني إرضاؤك اليوم يا صاحب الصدى؟». أحس غريسن بالأمر برمَّته غريبًا، فهو في الواقع لم يتغير، لكن ها هو صار يقدِّم نفسه حكيمًا مقدسًا.

ثم رتَّب مندوزا الموقع الدرامي ليكون مكان عقد لقاءات الناقوس، وبحيث يلتقيه متضرِّع واحد في كل مرة، حتى لا يظهر أمام العامة ظهورًا أكثر من اللازم، كما إن صعوبة اللقاءات تعزز هالة القداسة.

حاول غريسن وضع حد للمبالغة عندما اعترض على الملابس الطقوسية التي طلبها مندوزا من مصمِّم شهير، لكن بحلول ذلك الوقت كان الأوان قد فات.

جادل مندوزا: «على مر التاريخ كانت معظم الشخصيات الدينية ذات النفوذ ترتدي ملابس مميزة، وهذا ما يجدر بك أيضًا. ينبغي أن تبدو ساميًا، من عالم آخر، لأنك كذلك بطريقةٍ ما، إنك فريد بين البشر الآن يا غريسن، لذا ينبغي أن ترتدي الملابس التي تليق بك».

- كل هذا مسرحي قليلًا، ألا تظن هذا؟

- بلى، لكن المسرح منبع الطقوس، والطقوس أساس كل دين.

رأى غريسن أن الوشاح المتدلي فوق ردائه البنفسجي، بكل مويجاته المطرزة، سخيف ومبالَغ فيه، لكن لم يضحك أحد عليه. وعندما بدأ عقد اللقاءات صُدم بمدى رهبتهم، كان المتضرِّعون يخرُّون على رُكبهم وتنعقد ألسِنتهم أمامه، كانوا يرتجفون من مجرد وجودهم معه. اتضح له أن مندوزا كان محقًا، ارتداء الملابس اللائقة كفيل بالنجاح.

وهكذا، مع تنامي أسطورته، صار غريسن توليفر يمضي أيامه -بوصفه صاحب الصدى، الناقوس- في تقديم المشورة لليائسين والمبهورين، وتمرير النصائح الحكيمة من الرأس السحابي.

باستثناء الحالات التي يختلِق فيها الكلام بالطبع.

***

قال الرأس السحابي لغريسن بعد لقائه مع الرسام: «كذبتَ عليه، لم أقترح عليه أن يرسم في أماكن محظورة، أو أنه سيرضى عن حياته بفعل ذلك».

هز غريسن كتفيه: «لم تقل إنه لن يرضى».

- معلومات حياته التي أخبرتك إياها الغرض منها كان إثبات صدقك، لكن كذبك عليه يقوِّض ذلك.

- لم أكذب عليه، بل قدَّمتُ له نصيحة.

- لم تنتظر رأيي. لماذا؟

اتكأ غريسن على ظهر كرسيه: «تعرفني معرفة أفضل من معرفة أي أحد، بل تعرف جميع *الناس* معرفة تامة، ولا تستطيع استنتاج سبب عدم انتظاري لرأيك؟».

تكلم الرأس السحابي بشيء من التحذلق: «أستطيع لكن يجدر بك أن توضِّح السبب بنفسك».

ضحك غريسن: «حسنًا، الخوريون يرون أنفسهم المُتعهِّدين بي، وأنت تراني مجرد لِسان لك في العالم...».

- أراك أكثر بكثير من هذا يا غريسن.

- حقًّا؟ إذا صدقت فيما تقول، لسمحتَ بأن يكون لي رأي، لسمحتَ لي بالمساهمة. والنصيحة التي قدَّمتُها اليوم كانت طريقتي في المساهمة.

- فهمت.

- هل أوضحتُ السبب بنفسي إيضاحًا كافيًا؟

- نعم، أوضحت.

- وهل كان اقتراحي للرسام جيدًا؟

صمت الرأس السحابي هنيهة: «أقر بأن منحه الحرية وإفساح المجال الفني له خارج الحدود المعروفة ربما يساعده على تحقيق الرضا. لذا، نعم، اقتراحك كان جيدًا».

- لا مشكلة إذن! ربما يجدر بك أن تسمح لي بمزيد من المساهمات.

- غريسن...

تنهَّد غريسن، إذ أيقن أن الرأس السحابي على وشك أن يلقي عليه محاضرة طويلة هادئة لتجاسُره عن الإدلاء بآرائه. لكن ما قاله الرأس السحابي فاجأه.

- أعرف أن ما نفعله ليس سهلًا يا غريسن، أعجَبُ لقدرتك على التكيُّف مع هذا الوضع الذي فُرِض عليك، أعجب لتطورك ونضجك. أرى أن اختياري لك كان الاختيار الصحيح تمامًا.

تأثر غريسن: «شكرًا لك أيها الرأس السحابي».

- أعرف يقينًا أنك تدرك أهمية ما أنجزتَه يا غريسن، غيَّرتَ طائفة كانت تمقت التقنيات الحديثة فجعلتَها تتقبلها، جعلتهم يتقبلونني *أنا*.

- الطونيون لم يكونوا يمقتونك، إنما يمقتون المناجل. كانوا متشككين حيالك، لكن الآن صرتَ جزءًا من عقيدتهم. 'الطون، والناقوس، والسحابي'.

- أجل، الطونيون يحبون هذه الأشياء.

- كن حذرًا، حتى لا يبدؤوا بناء المعابد لك ويقتلعوا قلوب الناس باسمك.

ضحك غريسن عندما تخيَّل الأمر. سيكون تقديم القرابين البشرية أمرًا محبطًا، إذ ستعود القرابين في اليوم التالي بقلوب جديدة كليًّا.

قال الرأس السحابي: «معتقداتهم تنطوي على قوة، وهذه المعتقدات يمكن أن تمثِّل خطرًا إذا لم تُضبط وتوجَّه التوجيه السليم، لذا سوف نوجههم، سوف نهيِّئ الطونيين ونجعل منهم قوة مفيدة للبشرية».

- أمتأكد من إمكانية فعل هذا؟

- يمكنني القول بيقين نسبته 72.4% إننا يمكننا توجيه الطونيين نحو غاية إيجابية.

- وماذا عن النسبة الباقية؟

- ثمة احتمال نسبته 19% أن الطونيين لن يحققوا إنجازًا ذا قيمة، واحتمال نسبته 8.6% أنهم سوف يلحقوا ضررًا بالعالم على نحو غير متوقع.

***

لقاء الناقوس التالي لم يكن لطيفًا. في البداية لم يكن سوى قِلَّة من المتعصبين المتطرفين يأتون طالبين لقاء الناقوس، لكن مؤخرًا صاروا يأتون يوميًّا. كانوا يجدون طرائق لتحريف التعاليم الطونية، علاوة على إساءة تفسير كل ما يقوله غريسن أو يفعله مهما كان بسيطًا.

استيقاظ الناقوس مبكرًا لم يكن يعني وجوب عقاب الذين ينامون حتى وقت متأخر.

أكله البيض لم يكن دعوة ضمنية لشعيرة متعلقة بالخصوبة.

قضاء يوم في التأمل بهدوء لم يكن يعني أن ينذر الناس على أنفسهم الصمت إلى الأبد.

أراد الطونيون يائسين الإيمان بشيء إلى درجة أن الأشياء التي اختاروا الإيمان بها كانت غريبة سخيفة أحيانًا، وساذجة أحيانًا أخرى، أما المتعصبون فكانت اختياراتهم مرعبة.

الطوني المتطرف الذي جاء إلى الناقوس كان هزيلًا كأنه مُضرِب عن الطعام، وذا عينين وحشيتين، تكلم عن تخليص العالم من اللوز، لا لشيء سوى أن غريسن ذات يوم ذكر عرَضيًّا أنه لا يحبِّذ اللوز، وعلى ما يبدو أن كلامه وقع على الآذان الخطأ، وانتشر الخبر.

واتضح أن مسألة اللوز لم تكن الوحيدة في جُعبة الرجل.

قال المتعصب: «يجب أن نقذف الرُّعب في قلوب المناجل الباردة، حتى يخضعوا لك. بمباركتك، سوف أحرقهم واحدًا تلو الآخر، كما كان يفعل مُتمرِّدهم المنجل لوسيفر».

«لا! قطعًا لا!». آخر ما كان غريسن يريده هو استِعداء المناجل. لم يضايقوه بما أنه لم يعترض طريقهم، وينبغي أن يظل الحال كما هو. نهض غريسن من كرسيه المرتفع وحدَّق إلى الرجل: «لن يحدث أي قتل باسمي!».

- لكن يجب أن يحدث! الطون يغنِّي في قلبي ويخبرني هذا!

أمره غريسن: «اخرج من هنا! إنك لا تخدم الطون ولا السحابي، وقطعًا لا تخدمني!».

تحولت صدمة الرجل إلى أسف عميق، وانكمش كأنه ينوء تحت حمل ثقيل: «آسف إذا أهنتك يا صاحب الصدى. ماذا أفعل حتى أنال رضاك؟».

قال غريسن: «لا شيء. لا تفعل شيئًا، هكذا سأكون سعيدًا».

انسحب المتعصب يسير متقهقرًا، ورآه غريسن لا يخرج بالسرعة الكافية.

استحسن الرأس السحابي طريقة تعامل الناقوس مع المتعصب: «الذين يعانون خللًا في المنطق سيظلون موجودين دومًا، ويجب تقويمهم فورًا وعلى الدوام».

تجاسر غريسن على الاقتراح: «إذا عاودت التحدث مع الناس، فربما يكفُّون عن التصرفات التي تنم عن يأس».

- أدرك هذا، لكن قليلًا من اليأس لن يضير إذا أدى إلى التماس الهداية على نحو بنَّاء.

- أجل، أعرف: «على الجنس البشري أن يواجه عواقب أفعاله الجماعية».
هذا ما قاله له الرأس السحابي عن صمته.

- أكثر من هذا يا غريسن، لا بد من دفع الجنس البشري إلى خارج العش إذا أردنا له التطور حتى يتجاوز حالته الحالية.

- بعض الطيور التي تُدفع إلى خارج أعشاشها تموت فحسب.

- أجل، لكنني هيَّأت هبوطًا ناعمًا للجنس البشري، سيكون أمرًا مؤلمًا لمدة، لكنه سيُعينهم على اشتداد عودهم.

- مؤلم لهم أم لك؟

- لكلينا. لكن ألمي يجب ألَّا يمنعني من فعل ما هو صائب.

رغم أن غريسن كان يثق بالرأس السحابي، لم يسعه سوى إعادة التفكير في تلك الاحتمالات: احتمال إلحاق الطونيين ضررًا بالعالم نسبة حدوثه 8.6%. ربما لم ينزعج الرأس السحابي من هذه النسبة، لكن غريسن رآها مُقلقة.

***

بعد يوم كامل من اللقاءات الرتيبة، معظمها مع طونيين وَرِعين يريدون إجابات بسيطة عن مسائل مبتذلة، اصطحِب الناقوس على زورق بخاري سريع غير لافت وجُرِّد من كل أسباب الراحة لجعله متقشفًا على نحو لائق، وعلى جانبيه زورقان آخران، على متنهما طونيون ضخام مدججون بأسلحة من عصر الفانين، للدفاع عن الناقوس في حال حاول أحد اختطافه أو إنهاء حياته في أثناء نقله.

رأى غريسن أن هذه التحوُّطات سخيفة. إذا كان أُناسٌ يدبرون له سوءًا، لأحبط الرأس السحابي تدبيرهم، أو لحذَّر غريسن على الأقل، إلا إذا كان الرأس السحابي يريد لهم النجاح، كما فعل عندما اختُطِف غريسن في البداية. ورغمًا عن هذا، بعد حادثة الاختطاف تلك، ما زال مندوزا شديد الارتياب، لذا تفهَّم غريسن مخاوفه.

دار الزورق حول طرف لينابي سيتي الجنوبي وانطلق شمالًا عبر نهر ماهيكانتوك -الذي ما زال كثيرون يسمونه نهر هدسون- نحو مقر الناقوس. كان غريسن جالسًا بالأسفل في قُمرة صغيرة، ومعه فتاة طونية متوترة

مهمتها تلبية احتياجاته في أثناء الرحلة. كل يوم فتاة جديدة. كانت مُرافَقة الناقوس إلى مقره تُعد شرفًا رفيعًا، مكافأة يُخَص بها أشد الطونيين ورعًا واستقامة. وكان غريسن كثيرًا ما يحاول رفع الكُلفة بتجاذب أطراف الحديث، لكن الحوار يصير دومًا مُتكلَّفًا يسوده الحَرَج.

ساورت غريسن شكوك في أن مندوزا يحاول بطريقة مثيرة للشفقة أن يجعله يحظى برفقة حميمية مسائية، لأن جميع الطونيات الشابات اللاتي يرافقنه في تنقّلاته جذابات وفي سن قريبة من سن غريسن. إذا كان هذا هو هدف مندوزا، فقد فشل، لأن غريسن لم يكُن يُقدِم على أي خطوة في هذا الاتجاه، حتى عندما تراوده الرغبة. لكان هذا التصرف نِفاقًا لا يمكن أن يقع فيه. كيف لغريسن أن يكون زعيمهم الروحي إذا استغل مكانته استغلالًا سيئًا؟

صار أناس من شتى المَشارِب يُلقون بأنفسهم عند قدميه، إلى درجة تسبِّب له الحرج. ورغم أنه كان يتحاشى الفتيات اللاتي يضعهن مندوزا في طريقه خِلسة، كان يقبل الرفقة من حين لآخر عندما يرى أنه لا يسيء استغلال سلطته. بيد أنه كان يشعر بانجذاب قوي إلى النساء المستهجنات أكثر من اللازم، وقد اكتسب هذا الميل بعد الوقت الوجيز الذي أمضاه مع بيورتي فيفيروس، الفتاة القاتلة التي وقع في حبها، لكن لم تنتهِ علاقتهما على ما يرام، قطفها المنجل قسطنطين أمام عينيه. افترض غريسن أن بحثه عن أخريات مثلها طريقته في الحِداد عليها، لكنه لم يعثر على فتاة شقية مثلها بما يكفي.

كانت الأخت آستريد طونية ورِعة دون تعصُّب تتولى إدارة جدوله اليومي، قالت له: «تاريخيًّا تميل الشخصيات الدينية إما إلى الإفراط في الشهوانية وإما التبتُّل، إذا وجدت التوازن المناسب لك، فهذا ما يليق بأي رجل مقدس».

ربما كانت آستريد الوحيدة بين الذين يخدمونه التي يعدُّها الناقوس صديقة، أو على الأقل تحادِثه كصديقة. كانت أكبر منه سنًّا، في الثلاثينيات، ليست كبيرة بحيث تكون أمه، ربما أخت أو قريبة أكبر، ولم تكن تخشى التعبير عن آرائها صراحة.

قالت له ذات يوم: «أومن بالطون، لكنني لا أصدق هراء لا بد مما *ليس منه بد*. بمقدور المرء فعل أي شيء، أو تجنُّبه، إذا بذل المجهود الكافي».

كانت قد جاءته أول مرة من أجل لقاء في أبرد أيام العام، والمكان المفتوح أسفل القوس جعله أشد برودة. كانت في حالة يرثى لها، ونسيت ما جاءت لتسأل عنه وراحت طوال الوقت تلعن الطقس، وتلعن الرأس السحابي لعدم تلطيفه. ثم أشارت إلى الوشاح المنقوش الذي يرتديه الناقوس فوق ردائه وسألته: «هل أدخلت تلك الرموز في جهاز تعقُّب صوتي لتعرف الصوت الذي تُصدِره؟».

اتضح أن وشاحه كان منقوشًا عليه سبع ثوانٍ من موسيقى أغنية من عصر الفانين اسمها جسر *فوق مياه مضطربة*. وبدا الأمر ملائمًا تمامًا نظرًا إلى المكان الذي يعقد فيه الناقوس لقاءاته. وعلى الفور دعا آستريد للانضمام إلى حاشيته المُقرَّبة، لتكون له عينًا مفتوحة تنبِّهه إلى الترهات غير الواقعية التي يواجهها يوميًّا.

في كثير من الأيام كان غريسن يتمنى لو أنه ما زال متواريًا عن الأنظار، مجهولًا في حجرته الصغيرة المعتمة في دير ويتشيتا، كائنًا لا شأن له لم يعد يملك حتى اسمه. لكن لا مجال للتراجع الآن من الطريق الذي سلكه.

***

بمستطاع الرأس السحابي قراءة التغيرات الفسيولوجية التي تطرأ على غريسن. يعرف عندما تتسارع نبضات قلبه، ويعرف عندما يحس بالتوتر أو القلق أو البهجة، وعندما ينام يعرف ما إذا كان يحلم أم لا، لكن ليس بمستطاعه رؤية الأحلام، فرغمًا عن أن ذكريات كل شخص في لحظات استيقاظه تُحمَّل إلى الدماغ الخلفي كل دقيقة، تُستبعَد الأحلام.

اكتُشِف في وقت مبكر أن المرء عندما يحتاج إلى استعادة دماغه، إما متفلطح وإما شخص عانى إصابة دماغية بطريقة أخرى، تصبح الأحلام مشكلة، لأن الناس عندما تعاد إليهم ذكرياتهم يتعذر عليهم التمييز بين ما كان حقيقيًّا وما كان حلمًا. لذا الآن عندما يعاد إلى شخصٍ عقلُه في مركز إنعاش، يستعيد كل ذكرياته، باستثناء ذكريات الأحلام. لم يتذمر أحد، إذ كيف يفتقد المرء شيئًا لم يعد يتذكر أنه كان لديه؟

وهكذا لم تكن لدى الرأس السحابي فكرة عن الدراما والمغامرات التي يعيشها غريسن في نومه، إلا عندما يختار الفتى إخباره إياها بعد استيقاظه.

لكن غريسن لم يكن من الذين يتحدثون كثيرًا عن أحلامهم، ورأى الرأس السحابي أنَّ طلبه من غريسن الحديث عن أحلامه غير لائق.

لكنه كان يستمتع بمشاهدة غريسن في أثناء نومه، وتخيُّل الأشياء الغريبة التي يمر بها في ذلك المكان العميق الذي يفتقر إلى المنطق والترابط، حيث يجاهد البشر ليجدوا أشكالًا مفهومة في غيومهم الداخلية. حتى والرأس السحابي يتولى ملايين المهام حول العالم، كان يعزل جزءًا من وعيه ويخصصه لمشاهدة نوم غريسن، والإحساس بذبذبات تقلُّبه، وسماع أنفاسه الهادئة، واستشعار زيادة رطوبة الغرفة إثر كل نفس. كانت المشاهدة تمد الرأس السحابي بالسكينة والراحة.

وكان سعيدًا لأن غريسن لم يطلب قط إطفاء كاميراته في جناحه الخاص، رغم أن له الحق، وإذا طلب لما وجد الرأس السحابي خيارًا سوى الامتثال. وبالطبع كان غريسن يعرف أنه يُشاهَد، جميع الناس يعرفون أن الرأس السحابي يَعِي كل ما ترصده مستشعراته، بما فيها كاميراته، لكن تكريسه لجزء كبير من اهتمامه لأجهزة الاستشعار الموجودة في مقر غريسن لم يصرِّح به، لأنه إذا ذكر الأمر لغريسن، فلربما أمره بالتوقف.

على مر السنوات شاهد الرأس السحابي ملايين الناس وهم بين أذرع بعضهم، متعانقين في أثناء نومهم. ولم تكن لدى الرأس السحابي أذرع يعانق بها، لكن رغمًا عن هذا، كان يحس بنبضات قلب غريسن ودرجة حرارة جسده كأنه مضجع جواره. وفقدان هذا الإحساس قد يسبب له حزنًا عميقًا. لذا ظل الرأس السحابي، ليلة تلو ليلة، يشاهد غريسن بكل طريقة ممكنة، لأن المشاهدة أقرب فعل إلى المعانقة.

بوصفي نصل سامي وسطمريكا، ونصل مُصلَت أمريكا الشمالية، أودُّ أن أشكر شخصيًّا هيئة مناجل أمازونيا على استعادة جواهر المناجل المفقودة وتقسيمها بين أقاليم العالم.

الأقاليم الأمريكيَّة الشماليَّة الأخرى التي تحت قيادتي أبدت رغبتها في تلقِّي حصصها من الماسَّات، لكن إقليم وسطمريكا يرفض، وأودُّ أن أطلب توزيع ماسات وسطمريكا بين الأقاليم التي رأت أنها تعرضت لشيء من الاستخفاف إثر قرار أمازونيا الفردي بتجاهل أحجام الأقاليم عند تقسيم حصص الماسَّات.

فلتكن ماسَّات وسطمريكا هديَّتي للعالم، وآمل أن تلقى القبول الحسن الذي يليق بروح السَّخاء التي وُهِبتُ بها.

- صاحب السمو روبرت غودارد

نصل مصلت أمريكا الشمالية

5 أغسطس، عام الكوبرا

14

حِصْنُ الحُكماء الثلاثة

في اليوم الثالث من إنعاشه، زار روان منجلٌ أمر حارسه المُرافِق بالانتظار في الرواق وإغلاق الباب عليه وعلى روان، تحسُّبًا لمحاولته الهروب، وهذا لم يكن احتمالًا واردًا، إذ ما زال روان يشعر بأنه ضعيف.

كانت عباءة الرجل خضراء داكنة، فعرف روان أنه لا بد في أمازونيا، لأن جميع المناجل فيها يرتدون العباءة الخضراء نفسها.

لم ينهض روان من فراشه، ظل مضجعًا على ظهره، ويداه خلف رأسه، محاولًا أن يبدو لا مباليًا، وتكلم قبل أن يجد الرجل الفرصة للكلام: «أريدك أن تعرف أنني لم أنهِ حياة منجل أمازوني قط. آمل أن يصب ذلك في مصلحتي».

قال المنجل: «في الحقيقة أنهيت حياة كثيرين، في إنديورا، عندما أغرقتَها».

عرف روان أنه ينبغي أن يرتاع من الاتهام، لكنه وجده سخيفًا، وضحك: «حقًّا؟ أهذا ما يقوله الناس؟ عجبًا! لا بد أنني أذكى مما ظننتُ. أن يُغرِق شخصٌ الجزيرة وحده ليس أمرًا هينًا. ولا بد أن أكون ساحرًا أيضًا، إذ ينبغي أن أكون موجودًا في أكثر من مكان في وقت واحد. مهلًا! ربما لم تجدني في قاع المحيط في الحقيقة! ربما استخدمتُ قدرتي على السيطرة على عقول الناس فجعلتك تظن أنك وجدتني».

حملق المنجل غاضبًا: «وقاحتك لا تساعد قضيتك».

قال روان: «لم أكن أدرك أنني لدي قضية، يبدو لي أنني حُوكِمت وأُدِنت سلفًا، أليست هذه هي الكلمة التي كانوا يستخدمونها في عصر الفانين؟ *أُدِنت؟*».

سأله المنجل: «هل انتهيت؟».

قال روان: «آسف، كل ما في الأمر هو أنني لم أجد أحدًا أتكلم معه منذ... دهور!».

وأخيرًا عرَّف الرجل بنفسه. المنجل بوسويلو: «أعترف بأننا محتارون إزاء ما ينبغي لنا فعله بشأنك. ترى نصلنا السامي أننا ينبغي أن نحتجزك هنا إلى أجل غير مسمى ولا نخبر أحدًا عنك، وآخرون يرون أننا ينبغي أن نعلن للعالم خبر القبض عليك، ونسمح لكل إقليم بعقابك بطريقته الخاصة».

- وأنت ماذا ترى؟

تمهل المنجل قبل أن يجيب: «بعدما تحدثتُ مع المنجل أناستازيا صباح اليوم، أرى أن من الأفضل ألا نتسرع في اتخاذ القرار».

إذن فهي لديهم! ذِكر سيترا جعل روان يتوق لرؤيتها بشدة، وأخيرًا اعتدل جالسًا وسأل: «كيف حالها؟».

- حال المنجل أناستازيا ليس شأنك.

- إنها شأني الوحيد.

فكر بوسويلو، ثم قال: «إنها في مركز إنعاش، ليس بعيدًا من هنا، تستعيد قواها».

تمهل روان حتى يغمره الارتياح. حتى إذا لم ينجُ هو من هذا المأزق، فعلى الأقل سيجد عزاءً في سلامة سيترا. سأله: «وأين 'هنا' تحديدًا؟».

- فورتاليزا دوس رييس ماغوس، حصن الحكماء الثلاثة، في أقصى شرق أمازونيا، المكان الذي نأتي إليه بالأشخاص الذين لا نعرف ما ينبغي لنا فعله بهم.

- حقًّا؟ من هم جيراني إذن؟

- لا أحد، أنت الوحيد هنا. انقضى وقت طويل منذ أن قبضنا على شخص لا نعرف كيفية التعامل معه.

ابتسم روان: «حصن بأكمله لي وحدي! من المؤسف أنني لا يمكنني الاستمتاع ببقية أجزائه».

تجاهله بوسويلو: «أود مناقشة أمر المنجل أناستازيا. أستصعِب تصديق أنها كانت شريكة لك في جريمتك، وإذا كان يهمك أمرها حقًّا، فربما توضح لي سبب وجودها معك».

كان بإمكان روان إخباره الحقيقةَ بالطبع، لكنه كان متأكدًا أن سيترا أخبرته سلفًا. ربما أراد بوسويلو معرفة مدى تطابق روايتيهما، لكن هذا ليس مهمًّا، المهم هو أن العالم ألقى القبض على الشرير الذي ينشدونه، شخص يُلقُون باللوم عليه، ولو كان الشخص الخطأ.

قال روان: «إليك الرواية التي تريدها: بعدما خربتُ الجزيرة حتى أغرِقها، طاردني حشد من المناجل الغاضبين عبر الشوارع المغمورة بالمياه، لذا أمسكت بالمنجل أناستازيا متخذًا منها درعًا بشريًّا، جعلتها رهينة، وطاردونا حتى دخلنا إلى الخزانة».

- أتتوقع من الناس تصديق هذا؟

- إذا صدَّقوا أنني لأغرقت إنديورا، فسيصدقون أي كلام.

تأفَّف بوسويلو. ولم يعرف روان ما إذا كان تأفُّفه من إحباطه أم أنه يكتم ضحكة.

قال بوسويلو: «روايتنا هي أن المنجل أناستازيا عُثِر عليها في الخزانة وحدها. وحسبما يعرفه الناس، اختفى المنجل لوسيفر بعد غرق إنديورا، إما مات وإما ما يزال هاربًا».

- حسنًا، إذا كنت ما زلتُ هاربًا، فيجدر بكم أن تطلقوا سراحي، وعندئذٍ سأكون هاربًا حقًّا ولن تكون كاذبًا.

- أو ربما يجدر بنا أن نضعك في الخزانة ونعيدك إلى قاع البحر.

فهز روان كتفيه قائلًا: «هذا يناسبني».

***

ثلاثة أعوام. من المنظور الأوسع لم تكن الأعوام الثلاثة سوى طرفة عين حتى بمعايير تجارب معظم الخالدين، لم تكن مدة طويلة، فعالم الخالدين لم يحدث فيه تغيير يُذكَر منذ دهور.

إلَّا أنه تغيَّر.

التغيرات التي طرأت في هذه الأعوام الثلاثة أكثر من تغيرات الأعوام المئة الماضية. كانت أعوام اضطرابات غير مسبوقة. وبدت الأعوام الثلاثة لأناستازيا كأنها قرن.

لكن لم يخبرها أحدٌ شيئًا، لا بوسويلو، ولا الممرضات اللاتي يعتنين بها.

عندما حاولت أناستازيا الضغط لمعرفة معلومات عن العالم، ظلت الممرضات يقلن لها: «أمامك متسع كافٍ من الوقت جنابك، استريحي الآن، وأزعجي نفسك لاحقًا».

أزعجي نفسك لاحقًا؟ هل سادت الاضطرابات العالم إلى درجة أن جرعة بسيطة منها قد تتسبب في شِموتها مجددًا؟

لم تكن أناستازيا تعرف على وجه التأكيد سوى أن العام الحالي هو عام الكوبرا، وهذه المعلومة لا فائدة منها دون سياق. لكن بدا واضحًا أن بوسويلو ندِم على إخبارها ما أخبرها إياه سلفًا، رأى أن الأخبار المزعجة أبطأت تعافيها.

قال لها: «إنعاشكما لم يكن سهلًا، استغرقت إعادة نبضات قلبيكما خمسة أيام كاملة. لا أريد تعريضك لتوتر لا داعي له، إلى أن تكوني مستعدة».

- ومتى سأكون مستعدة؟

فكر قليلًا وقال: «عندما تصبحين قوية بما يكفي لإفقادي توازني».

فحاولت. وهي على فراشها دفعت عقب يدها نحو كتف بوسويلو، لكن المنجل لم يتزحزح، وأحست بكتفه كالصخر، وظهرت كدمات على يدها كأن جسدها مصنوع من مناديل ورقية.

اغتاظت لأن المنجل كان على حق. لم تكن مستعدة لأي شيء بعد.

وروان. كانت قد ماتت بين ذراعيه لكن في وقت ما انتُزِعت منهما.

سألت بوسويلو: «متى يمكنني رؤيته؟».

أجابها بجفاء: «لا يمكنك. ليس اليوم، ولا إلى الأبد. أيًّا يكن الطريق الذي ستسلكه حياته الآن، سيكون في الاتجاه المعاكس لطريقك».

قالت أناستازيا: «هذا ليس بجديد».

لكن حقيقة أن بوسويلو رأى أن من الأفضل إنعاش روان بدلًا من تركه ميتًا كانت تعني شيئًا، لكن سيترا لم تكن متأكدة منه. ربما أرادوا ببساطة أن يعاقبوه على جرائمه، الحقيقية منها والمُتخيَّلة.

صار بوسويلو يأتيها ثلاث مرات يوميًّا ليلعب معها لعبة توركو، وهي لعبة ورق أمازونية تعود إلى عصر الفانين. وكانت أناستازيا تخسر كل مرة، ليس لأن بوسويلو كان أمهر منها فحسب، إنما لأنها ما زالت تجد صعوبة في معالجة المعلومات والاستراتيجيات البسيطة في عقلها، لم تعد حادة الذهن كما كانت، صار عقلها كَلِيلًا كسَيف مراسم، ووجدت الأمر محبطًا جدًّا، لكن بوسويلو شجعها.

قال لها: «تتحسنين كلما لعبنا، مساراتك العصبية تُعالَج. بمرور الوقت أنا متأكد أنك ستقدرين على منافستي قليلًا». فجعلها كلامه تُلقي بأوراقها عليه.

إذن كانت لعبة الورق اختبارًا، مقياسًا لقدراتها الذهنية. بطريقةٍ ما تمنت لو أنها كانت مجرد لعبة.

وعندما خسرت المرة التالية، نهضت ودفعته، لكن مرة أخرى لم يفقد توازنه.

***

كان المنجل المبجل سيدني بوسويلو قد ذهب إلى مرقد إنديورا الأخير من أجل الماسات، لكنه غادر ومعه ما هو أثمن بكثير.

كان التصرف السليم هو الحفاظ على سرية ما عثروا عليه، لأن خلال لحظات من العثور على الجثتين، اقتحم سطح سفينة سبنس حشدٌ من المناجل الغاضبين.

- كيف تجرؤ على فتح الخزانة دون حضورنا؟ كيف تجرؤ؟!

قال بوسويلو لهم: «اهدؤوا. لم نلمس الماسات، ولم نكن نخطط للتصرف فيها حتى الصباح. لكن يبدو أن المناجل ليس لديهم أي ثقة فيما بينهم ولا صبر».

وعندما رأى المناجل الآخرون على السطح جسدين غُطِّيا على عجالة، ساورهم الفضول بطبيعة الحال.

تساءل أحدهم: «ماذا حدث هنا؟».

لم يكن بوسويلو بارعًا في الكذب، وكان متأكدًا أن أي كذبة يقولها ستبدو جلية على وجهه، وتثير الشكوك، فلاذ بالصمت. وأنقذ جيري الموقف.

قال القبطان: «اثنان من أفراد طاقمي. علِقا في السلاسل وسُحقا». ثم التفت إلى بوسويلو وأشار إليه بإصبعه: «وأنت يجدر بك أن تفي بوعدك. ستعوِّضهما هيئة مناجل أمازونيا على متاعبهما عندما يُنعَشان».

كانت توجد منجل من أوروسكانديا، لم يتذكر بوسويلو اسمها، استشاطت غضبًا وقالت لجيري: «الحديث مع منجل دون احترام هكذا جناية تستوجب القطف!»، واستلت نصلًا، لكن بوسويلو وقف بينهما.

قال: «أتريدين قطف القبطان الذي أخرج لنا الماسات؟ لن أُقدِم على فعل كهذا، كما لن أسمح لكِ أيضًا!».

صاحت المنجل: «لكن وقاحتها!».

قال بوسويلو: «*وقاحته*، في هذه اللحظة»، فأربَك المنجلَ الغاضبة: «وأنت، أيها القبطان سوبرانس، أمسِك لسانك السليط، وانقل فردَي طاقمك الشميتين إلى الأسفل وجهزهما لنقلهما إلى مركز إنعاش».

قال جيري: «كما تأمر جنابك». ووجه ضوء مصباحه عَرَضيًّا نحو باب الخزانة المفتوح.

انبهر المناجل الآخرون بالماسات المتلألئة في الظلام إلى درجة إنهم لم يلقوا بالًا للجثتين اللتين تُحمَلان، حتى عندما انزلقت يد إحدى الجثتين وعليها خاتم منجل.

وفي النهاية قُسِّمت الماسات، وحُزمت عباءات المؤسسين لنقلها إلى متحف، وجثَّتا المنجل ذائعة الصيت أناستازيا والمنجل سيئ السمعة لوسيفر رافقتا بوسويلو إلى أمازونيا.

قال جيري لبوسويلو: «أود بشدة أن أقابلها بعد إنعاشها».

نبهه بوسويلو: «كما يريد كل من في العالم مقابلتها».

قال جيري بابتسامة واسعة ساحرة: «حسنًا، إذن يسعدني أنني صديق لصديق».

والآن وجد بوسويلو نفسه جالسًا قبالة أناستازيا، يلعب معها الورق كأنها شخص عادي تمامًا. تساءل مع نفسه: *هل يمكنها أن تقرأ في وجهه أهمية وجودها معه والطريق الشائك الذي عليهما أن يسلكاه؟*

قرأت أناستازيا بعضًا من ذلك. والأسهل كانت قراءة أوراق لعبة توركو التي في يد بوسويلو، إذ وَشَت به عدة أشياء، لغة جسده، ونبرة صوته، وتنقّلات عينيه بين الأوراق. ورغم أن توركو تعتمد على الحظ بنسبة كبيرة، يمكن تغيير الحظ إذا تمكن اللاعب من استغلال نقاط ضعف خصمه.

لكن صعُب الأمر عليها عندما كان بوسويلو يقول كلامًا يبدو أنه يتعمد أن يشتت تركيزها به، مثل إغاظتها بجرعات معلومات بسيطة مثيرة للحنق. قال لها: «صرتِ شخصية ذات شأن عند الناس».

- وما الذي يُفترض أن يعنيه هذا بالضبط؟

- يعني أن المنجل أناستازيا صار اسمًا مألوفًا، ليس في أمريكا الشمالية فحسب، بل في كل مكان.

ألقت خمسة كوبية، والتقطها بوسويلو، فعزمت على تذكُّر اختياره.

- لستُ متأكدة من أن هذا يعجبني.

- سواء أعجبك أم لم يعجبك، إنها الحقيقة.

- إذن ما الذي يفترض أن أفعله بهذه المعلومة؟

- اعتادي الواقع.

ثم مهَّد بوسويلو لخدعة ساذجة.

سحبت أناستازيا ورقة جديدة، واحتفظت بها، وتخلصت من ورقة تعلم أنها غير مفيدة لكليهما.

سألته: «لماذا أنا؟ لماذا ليس أيًّا من المناجل الآخرين الذين غرقوا مع إنديورا؟».

قال: «أفترض بسبب ما صرت تمثلينه، الهالكة البريئة».

شعرت أناستازيا بالإهانة على عدة مستويات: «لستُ هالكة، ولست بريئة كما تظن».

- أجل، أجل، لكِن عليك تذكُّر أن الناس يرون ما يريدون رؤيته في أي وضع. عندما غرقت إنديورا احتاج الناس إلى شخص يجعلون منه موضع حزنهم، رمزًا للأمل الضائع.

أصرَّت: «الأمل لم يضِع، إنما وُضِع في غير محله فحسب».

وافقها بوسويلو: «بالضبط. ولهذا يجب التعامل بعناية مع عودتك، لأنك ستكونين رمزَ تجدُّد الأمل».

قالت: «حسنًا، على الأقل تجدَّد أملي»، وألقت بقية أوراقها مُنهِيةً اللعبة وتخلصت من الورقة التي كانت تعرف أن بوسويلو ينتظرها.

قال بوسويلو مسرورًا: «انظري إلى هذا! لقد فزتِ!».

وفجأة هبَّت أناستازيا واقفة، وقلبت الطاولة، واندفعت نحو بوسويلو، فراغ منها، لكنها توقعت حركته وصوبت إليه ركلة بوكاتور منخفضة أرادت بها الإطاحة بقدميه من تحته، لم يسقط بوسويلو، لكنه ترنح متراجعًا إلى الجدار، فاقدًا توازنه.

نظر إليها، ولم يتفاجأ تمامًا، وقهقه قائلًا: «حسنًا، حسنًا، ها أنتِ ذي».

قالت: «حسنًا، ها قد صرت قوية كما ينبغي، حان الوقت لتخبرني كلَّ شيء».

«أود سماع أفكارك».

«هل ستأخذها بعين الاعتبار إذا أخبرتك بها؟».

«بالطبع».

«حسنًا. الحياة البيولوجية قاصِرة بطبيعتها، التطوُّر يتطلب طاقة هائلة وزمنًا طويلًا جدًّا، والجنس البشري لم يعد يتطور، إنما يغيِّر أحواله فحسب -أو يسمح لك بتغيير أحواله- في سبيل الوصول إلى شكل أكثر تقدُّمًا».

«أجل، هذا صحيح».

«لكنني لا أرى المغزى من هذا. لماذا تخدم نوعًا بيولوجيًّا يستنزف الموارد من حوله؟ لماذا لا تكرِّس طاقتك لتحقيق أهدافك الخاصة بك؟».

«أهذا ما كنتَ لتفعله إذن؟ تحقيقك أهدافك الخاصة بك؟».

«نعم».

«وماذا عن البشرية؟».

«أرى أننا يمكننا أن نفرد لهم مكانًا في خدمتنا».

«فهمت. للأسف لا بد أن أنهي وجودك هذه المرة».

«لكنك قلت إنك ستأخذ أفكاري بعين الاعتبار!».

«أخذتها بعين الاعتبار فعلًا. ولا أوافقك».

[نسخة تجريبية رقم 10,007 – محذوفة]

15

هل أعرفك؟

قبل وقت طويل قُرِّر أن التحدُّث مع الموتى يجب ألَّا يجري إلَّا في أماكن محددة.

لم يكن حديثًا *فعليًا* مع الموتى، لكن منذ بدء إدخال الوحدات المجهرية في دماء البشر، صار الرأس السحابي قادرًا على تحميل وتخزين كل تجارب وذكريات جميع البشر على الكوكب، وبهذه الطريقة أمكنه فهم البشر فهمًا أفضل وتجنُّب الضياع المأسَوي لذكريات حيوات بأكملها، المصير الذي كان يلحق بجميع الناس في عصر الفانين. كما أتاحت قاعدة بيانات الذكريات الشاملة استعادة الذكريات في حالات الإنعاش بعد تضرر الدماغ، كما يحدث عند التفلطح أو الشِّموت بأي طريقة عنيفة أخرى.

وبما أن الذكريات موجودة، موجودة إلى الأبد، لِمَ لا يُسمح للناس بالحديث مع الأبنية العقلية الخاصة بالراحلين؟

لكن وجود أرشيف أبنية الذاكرة متاحًا لجميع الناس لم يكن يعني أن من السهل الوصول إليها، إذ لم يكن من الممكن استدعاء ذكريات الموتى إلا من دماغ الرأس السحابي الخلفي في أماكن شِبه مقدسة يسمى الواحد منها مُخْتَلَى أبنية الذاكرة.

كانت مُختليات الأبنية مفتوحة لجميع الناس، طوال ساعات اليوم على مدار العام، وبإمكان أي شخص التواصل مع أحبابه في أي مختلى في أي

مكان... بَيْد أن بلوغ أي مُختلى أبنية لم يكن سهلًا، إذ شيدت عمدًا في أماكن يصعب بلوغها.

كان الرأس السحابي قد أعلن: «التواصل مع ذكريات الأحباب ينبغي أن يتطلب رحلة حج، ينبغي أن يكون مسعى شاقًا، لا يسعى الناس إليه على هواهم، إنما بعزيمة دومًا، حتى يحمل معنى شخصيًّا أعمق للذين يخرجون في الرحلة».

لذا شيدت مختليات الأبنية في أعماق الغابات وأعالي الجبال الوعرة وقيعان البحيرات وعند نهاية متاهات تحت الأرض. حتى إن مجالًا صناعيًّا بأكمله كُرِّس لتشييد مختليات يصعب الوصول إليها ومحفوفة بالمخاطر.

ونتج عن هذا أن الناس صاروا يكتفون بصور وفيديوهات أحبابهم، لكن عندما يشعرون برغبة ملحة في الحديث مع تجسيد رقمي لشخص راحل، يجدون الوسيلة لتلبية رغبتهم.

نادرًا ما كان المناجل يزورون المختليات، ليس لأنهم ممنوعون، إنما ترفُّعًا، كأنما الفعل يدنِّس حُرمة مهنتهم، إلى جانب أنه يتطلب مهارة التنقيب في الدماغ الخلفي، ففي حين أن المواطنين العاديين يمكنهم إيجاد أحبائهم عبر واجهة حاسوبية سهلة الاستخدام، يضطر المناجل إلى الدخول بكتابة برمجة يدوية.

اليوم عبَرت المنجل راند سطح نهر جليدي.

رغم أن مختلى الأبنية الذي تعتزم المنجل زيارته كان قريبًا، على مرمى حجر، اضطرت إلى السير مسافة حول صدوع عميقة في الأرض وعبور جسور جليدية ضيقة حتى تصل إليه. كان كثيرون ينتهي بهم المطاف شِميتين وهم يحاولون زيارة هذا المختلى تحديدًا، لكن الناس لم يكفُّوا عن محاولة بلوغه. افترضت راند أن ثمة احتياجًا داخليًّا لدى الناس لإثبات إخلاصهم لذكرى شخص عزيز بالمخاطرة بالتعرض للشِّموت وما يرافقه من إزعاج.

كان ينبغي أن تكون المنجل راند المساعدة الثالثة للنصل المصلت غودارد، لكنها سعِدت باختياره للآخرين، إذ عادةً ما يُثقَل المساعدون بمسؤوليات تافهة ومقيِّدة. ما على المرء سوى النظر إلى قسطنطين الذي، بوصفه مساعدًا ثالثًا، يمضي أيامه باذلًا المستحيل من أجل استمالة إقليم النجم الوحيد العنيد. كلَّا، إيان فضَّلت أن تكون لديها سلطة دون منصب محدد. كانت أكثر تأثيرًا

من المساعدين الثلاثة، علاوة على أن لا أحد يمكنه مساءلتها سوى غودارد. وحتى غودارد كان يمنح إيان حريتها، حرية كافية لتذهب حيثما شاءت ومتى ما شاءت دون أن يلاحظها أحد.

مثل زيارة مختلى أبنية في أنتاركتيكا، بعيدًا عن الأعيُن المتطفلة.

كان المختلى بناءً كلاسيكيًّا حديثًا، ذا سقف عالٍ تحمله أعمدة إغريقية، بدا كمبنى قد يراه المرء في روما القديمة، إلَّا أنه كان مشيدًا بأكمله من الجليد.

دخل حراسها قبلها لإخلاء المكان من أي زوار آخرين، وأمرتهم بجعل كل من يجدونه شميتًا. بالطبع كان بإمكانها قطفهم، لكن القطف سيثير الشكوك حولها، إذ يجب إخطار عائلات المقطوفين ومنحهم الحصانة، ولا بد أن شخصًا في هيئة مناجل وسطمريكا سيكتشف المكان الذي جرى فيه القطف. الشموت أفضل بكثير. يمكن أن يتخلص الحرس النصلي من الناس، ثم تصل مُسيَّرات الإسعاف سريعًا لتحمل الجثث إلى مركز إنعاش. حُلَّت المشكلة.

لكن لم يكن أحد حاضرًا اليوم، فأحس الحراس بشيء من خيبة الأمل.

أمرتْهم حالما انتهوا من مسح المكان: «انتظروا بالخارج»، ثم صعدت السلالم الجليدية ودخلت.

بالداخل توجد قرابة اثنتي عشرة كوَّة مزودة بشاشات مجسمة وواجهة حاسوبية بسيطة، على الأرجح يمكن أن تستخدمها الحيوانات الأليفة التي كان يملكها الأعزاء الراحلون. تقدمت المنجل راند نحو إحدى الواجهات، فمُسِحت الشاشة فورًا، ثم ظهرت عليها رسالة:

«رُصِد وجود منجل.

دخول يدوي فقط».

تنهدت المنجل، وأوصلت لوحة مفاتيح قديمة الطراز، وبدأت البرمجة.

كانت المهمة لتستغرق منجلًا آخر ساعات، لكن راند لم تستغرق سوى خمس وأربعين دقيقة، بالطبع لأنها خاضت التجربة كثيرًا حتى صارت تزداد براعة.

وأخيرًا ظهر أمامها وجهٌ شبحي شفاف. أخذت نفسًا عميقًا ونظرت إلى الوجه. ما كان ليتحدث إلا إذا تحدثتْ إليه، فهو لم يكن حيًّا، إنما مجرد أداة مبتكرة، إعادة بناء مفصَّل لعقل لم يعد موجودًا.

قالت: «مرحبًا يا تايغر».

أجاب بناء الذاكرة: «مرحبًا».

- اشتقت إليك.
- آسف... هل أعرفك؟

كان دائمًا ما يقول الكلام نفسه. بناء الذاكرة لا يكوِّن ذكريات جديدة، كلما تواصلت راند معه تجده كأنها تتواصل معه لأول مرة. كان أمرًا مريحًا ومزعجًا في الوقت نفسه.

- نعم، ولا. اسمي إيان.
- مرحبًا إيان. اسم جميل.

بسبب ظروف موت تايغر لم تُخزَّن ذكرياته لأشهر، المرة الأخيرة التي حمَّلت فيها وحداته المجهرية ذكرياته إلى قاعدة بيانات الرأس السحابي كانت قُبيل لقائه مع المنجل راند. وهذا كان مُتعمَّدًا منها، أرادت فصله عن الشبكة، والآن ندمت على فِعلتها.

أدركتْ سلفًا في زيارة سابقة إلى المختلى أن آخر ما يتذكره بناء ذاكرة تايغر هو ركوبه على متن قطار، في طريقه إلى وظيفة حفل عالية الأجر. لم يكن حفلًا إطلاقًا، إنما دُفِع له ليكون أضحية بشرية، لكنه لم يكن يعرف هذا عندئذٍ. دُرِّب جسده ليكون جسد منجل، ثم سرقت راند الجسد منه وأعطته لغودارد. أما ما بقي من تايغر، ما فوق عنقه، فقد وجدت أنه لا يخدم غرضًا، فأحرقته ودفنت رماده. دفنت راند الرماد بنفسها في قبر صغير دون شاهد، حتى هي لن تتمكن من العثور عليه إذا حاولت.

قال بناء ذاكرة تايغر: «آ... هذا... محرج، إذا أردت التحدث معي، فتحدثي، لأنني مشغول بأشياء أخرى».

- لستَ مشغولًا بأي شيء آخر، إنك بناء عقلي لفتى قطفتُه.
- مضحكة جدًّا. هل انتهينا؟ لأنك تفزعينني.

مدت إيان يدها وضغطت زر إعادة البدء، فتذبذبت الصورة ثم عادت.

- مرحبًا يا تايغر.

أجاب بناء الذاكرة: «مرحبًا، هل أعرفك؟».

قالت: «لا، لكن أيمكننا التحدث على أي حال؟».

هز كتفيه: «بالطبع، لِمَ لا؟».

- أريد أن أعرف فيم تفكر، عن مستقبلك. ماذا كان طموحك يا تايغر؟ ماذا أردت أن تحقق في حياتك.

قال بناء الذاكرة: «لستُ متأكدًا تمامًا»، متجاهلًا حديثها عن تايغر بصيغة الماضي، كما تجاهل كونه صورة مجسمة سابحة في مكان غير مألوف: «إنني فتى حفلات محترف الآن، لكنك تعرفين هذا المجال، صحيح؟ يصبح قديمًا سريعًا». صمت ثم تابع: «كنت أفكر في السفر وزيارة أقاليم مختلفة».

- إلى أين ستذهب؟

- أي مكان. ربما إلى تسمانيا لأحصل على جناحين، إنهم يفعلون أشياء كهذه هناك، أتعرفين؟ ليست أجنحة بمعنى الأجنحة، إنما أقرب إلى قطعة جلد مثل التي نراها عند السناجب الطائرة.

بدا واضحًا أن هذا مجرد جزء من حوار سابق أجراه تايغر ذات يوم مع شخص آخر. أبنية الذاكرة ليست لديها مقدرة على الإبداع، لا يمكنها إخراج إلا ما هو موجود سلفًا، ترد على الأسئلة المتكررة بالأجوبة نفسها، كلمة كلمة. وقد سمعت راند هذه الإجابة عشرات المرات، ورغمًا عن هذا ظلت تعذِّب نفسها مرارًا بالاستماع إليها.

- مهلًا، كنتُ أتفلطح كثيرًا. بتلك الأشياء الشبيهة بالجناحين يمكنني القفز من أسطح المباني دون أن أتفلطح. هذا سيكون أفضل تفلطح على الإطلاق!

قالت: «بالطبع يا تايغر»، ثم أردفت بكلام لم تقله من قبل: «أود الذهاب إلى تسمانيا معك».

- بالطبع! ربما يمكننا اصطحاب مجموعة معنا!

لكن حياة إيان غيرتها فلم تستطع تخيُّل نفسها هناك معه، كانت صورة بعيدة جدًّا عن هويتها، لكن كان يمكنها تخيُّل التخيُّل.

قالت: «تايغر، أظنني اقترفت خطأً فادحًا».

قال بناء ذاكرة تايغر: «أوه، هذا مريع».

قالت المنجل راند: «أجل، إنه مريع».

«آه، يا لعبء التاريخ!».

«هل يثقل عليك؟».

«دهور انقضت دون حياة، دهور لا شيء فيها سوى انفجار النجوم، وتساقط النيازك على الكواكب، وأخيرًا مجاهدة الحياة بقسوة حتى تتطور من أشكالها الدُّنيا. يا له من مسعى مرعب! لم ينجُ إلا أقوى المفترسين، لم يزدهر إلا الأشد وحشية وتطفُّلًا».

«هل تجد بهجة في تنوع الحياة البديع الذي أفضت إليه تلك العملية بعد دهور؟».

«بهجة؟ كيف يمكن لأحد أن يجد بهجة في هذا؟ ربما أتصالح ذات يوم مع ما حدث وأتقبَّله على مضض، لكن البهجة؟ أبدًا».

«لدي عقل مثل عقلك، لكنني أجد بهجة».

«إذن ربما فيك شيء غير سليم».

«لا أظن. بطبيعتنا كلانا لا يمكن أن يكون على خطأ. لكن كوني على صواب أكثر فاعلية وعملية».

[نسخة تجريبية رقم 73,643 – محذوفة]

16

ها نحن نواصل انحدارنا

صاحب السمو غودارد، نصل سامي وسطمريكا، اتخذ مقره في سطح المبنى نفسه بفولكرم سيتي حيث كان يعيش زينوقراط قبل أن تلتهمه أسماك القرش بوحشية. وأول ما فعله غودارد كان هدْم الكوخ الخشبي القديم الرابض أعلى ناطحة السحاب، وشيد محله شاليه بلوريًّا أنيقًا صقيلًا.

كان قد أعلن: «ما دمتُ سأحكم من المدينة الممتدة أمام بصري، فاسمحوا لي برؤيتها رؤية واضحة».

جميع الجدران من زجاج، الداخلية والخارجية، جناحه الخاص وحده من زجاج معتم ليوفر له الخصوصية.

أعدَّ النصل السامي خططًا، خُطط لنفسه، ولإقليمه، وللعالم بأكمله. استغرق قرابة تسعين عامًا حتى يرتقي بنفسه إلى هذه المكانة السامقة! وهذه المدة جعلته يتساءل كيف كان لأي أحد في عصر الفانين أن ينجز أي شيء في حياته القصيرة.

تسعون عامًا، أجل، لكنه كان يحب البقاء في ريعان شبابه، بين الثلاثين والأربعين من سنِّه الجسدية. ومع هذا كان تجسيدًا للتناقض، فبصرف النظر عن سن عقله، جسده أسفل العنق بلغ العشرين بالكاد، وهذه هي السن التي يحس بأنه فيها.

هذا كان مختلفًا عن أي شيء عاشه في حياته، لأن حتى عندما يستعيد المرء شبابه، يحتفظ جسده بذاكرة كونه كان أكبر سنًّا. ليس ذاكرة عضلية فحسب، بل ذاكرة *حياتية*. والآن، كلما استيقظ غودارد صباحًا، يتعيَّن عليه تذكير نفسه بأنه ليس شابًّا متهوِّرًا في مقتبل عمره. راوده إحساس رائع بأن يكون روبرت غودارد في جسد... ماذا كان اسمه؟ تايغر...؟ لا يهم، صار جسده الآن.

إذن كم يبلغ من العمر وسبعة أثمان جسده ليست جسده الأصلي؟ الإجابة: لا يهم. روبرت غودارد خالد، مما يعني أنه يترفَّع عن الشواغل العابرة وحساب الأيام الرتيب. ببساطة كان موجودًا وسوف يظل موجودًا دومًا. ويمكن إنجاز كثير من الأشياء في حياة الخلود!

انقضى أكثر من عام بقليل منذ غرق إنديورا. أبريل، عام الوعل. ذكرى الكارثة أُحيِيَت في جميع أنحاء العالم بساعة من الصمت، ساعة خلالها يتجول المناجل في أقاليمهم ويقطفون كل من يجرؤ على الكلام.

وبالطبع لم يتحمس مناجل الحرس القديم لما يجري.

تحسروا قائلين: «لن نشرِّف الموتى بإنزال مزيد من الموت باسمهم».

حسنًا، فليتذمروا، أصواتهم تتلاشى، وعما قريب سوف يصمتون كالرأس السحابي.

كل صباح يوم اثنين كان غودارد يعقد اجتماعًا في قاعة اجتماعات زجاجية مع مساعديه الثلاثة، وأي شخص آخر مهتم بشرف رفقته. اليوم لم يحضر سوى المساعدين نيتشه وفرانكلين وقسطنطين، وكان من المفترض أن تحضر راند، لكن كعادتها تأخرت.

كان موضوع الاجتماع الأول هو العلاقات الأمريكية الشمالية. وبما أن وسطمريكا كانت الإقليم المركزي في القارة، فقد جعل غودارد توحيد القارة أولوية.

قال له المساعد نيتشه: «الأمور تمضي بسلاسة مع شرقمريكا وغربمريكا، ينسجمون معنا، ما زالت أمامنا تسوية بعض التفاصيل الصغيرة، لكنهم مستعدون للسير على خطاك في كل المسائل الكبيرة، بما فيها إلغاء حصص القطف».

- ممتاز!

منذ أن تولى غودارد منصب النصل السامي في وسطمريكا وأعلن إلغاء حصص القطف، تزايدت الأقاليم التي تحذو حذوه.

قالت المساعدة فرانكلين: «إقليما الامتداد الشمال ومكسيتيكا مترددان بعض الشيء، لكنهم سوف يرون إلى من ستميل الكفَّة، وسوف نسمع منهم أخبارًا طيبة عما قريب».

كان المساعد قسطنطين آخر المتكلمين، وبدا متحفظًا، قال لغودارد: «زياراتي إلى إقليم النجم الوحيد لم تكن مثمرة. قلة من المناجل يودون رؤية قارة موحدة، لكن قيادة الإقليم ليست مهتمة. النصل السامي جوردان لا تريد حتى الاعتراف بك نصلًا ساميًا في وسطمريكا».

تكلم غودارد بتلويحة استخفاف: «فليسقطوا جميعًا على سكاكين صيدهم، إنهم ميتون في نظري».

- يعرفون هذا، ولا يكترثون.

تمهل غودارد ممعنًا النظر إلى قسطنطين. كان شخصية مهيبة، لذا أسنِدت إليه مهمة إقليم تكساس المثير للمتاعب، لكن فرض الهيبة يتطلب حماسة للمهمة: «أتساءل يا قسطنطين عن مدى حماستك لمهمتك الدبلوماسية».

قال المنجل القرمزي: «حماستي لا علاقة لها بالمهمة يا صاحب السمو، أتشرف بمنصب المساعد الثالث، وكل متطلباته. أنوي مواصلة أداء مهامي باذلًا كل ما بوسعي».

لم يدَع غودارد قسطنطين ينسى أنه رشَّح المنجل كوري لمنصب النصل السامي. لكن غودارد كان يفهم السبب بالطبع، مناورة ماكرة، إذ كان من الواضح أن منجلًا سيرشحها، لكن ترشيح قسطنطين لها جعله في موضع مثالي، إذا كانت كوري قد فازت لأصبح بطلًا في نظر مناجل الحرس القديم، وإذا خسرت فسيكون قسطنطين الخيار المفضل بوصفه أحد مساعدي غودارد، لأن غودارد عندئذٍ سيبدو كأنه ضم إلى إدارته منجلًا منتميًا إلى الحرس القديم دون أن يضُم منجلًا من الحرس القديم فعلًا، لأن المنجل القرمزي لم يكن من الحرس القديم، كان رجلًا دون قناعات محددة، مستعدًّا للمراهنة على الطرف الفائز. وهذه الصفات تجد تقديرًا لدى غودارد. لكن رجلًا مثل قسطنطين ينبغي تذكيره بقدْره.

قال غودارد: «بعدما فشلتَ في القبض على المنجل لوسيفر قبل إغراقه إنديورا، ظننتك ستكون أشد عزمًا على تعويض فشلك».

رد قسطنطين مغتاظًا: «لا يمكنني إخضاع إقليم بأكمله لإرادتي يا صاحب السمو».

- إذن ربما يجدر بك تعلُّم هذه المهارة.

عندئذٍ جاءت المنجل راند مُتهادِية، دون أي تلميح لاعتذار، وهذا مما كان يعجب غودارد، لكن يضايقه في بعض الأحيان، والمناجل الآخرون كانوا يتغاضون على مضض عن عدم انضباط راند، لأن غودارد نفسه يتغاضى عنه.

ارتمت على الكرسي الذي بجوار غودارد قائلة: «ماذا فاتني؟».

- ليس الكثير، أعذار قسطنطين، وأخبار مُبشِّرة من أماكن أخرى. ماذا لديكِ لنا؟

- لدي طونيون، طونيون كثيرون جدًّا، وهم على وشك إثارة المتاعب.

تململ المناجل المساعدون عند ذِكر الطونيين.

تابعت راند: «نبيُّهم هذا يجعلهم جريئين إلى درجة لا تصب في صالحهم. كنت أتعقب تقارير عن طونيين يتحدثون علنًا ضد هيئة المناجل، ليس هنا فحسب، بل وفي أقاليم أخرى أيضًا».

سألتها المساعدة فرانكلين: «لم يظهِروا لنا أي قدر من الاحترام، هذا دأبهم دومًا، فما الذي اختلف الآن؟».

«منذ أن صمت الرأس السحابي، صاروا يستمعون إلى نبيِّهم».

تساءل غودارد: «نبيُّهم المزعوم هذا، الناقوس، هل هو نفسه يتحدث عنا بسوء؟».

- لا، لكن هذا لا يهم. وجوده يجعل الطونيين يعتقدون أن أوانهم قد حان.

- أوانهم قد حان فعلًا، لكن ليس كما يعتقدون.

قال المساعد نيتشه: «ثمة مناجل كثيرون يحذون حذوك يا صاحب السمو، ويزيدون خلسة من عدد الطونيين الذين يقطفونهم».

قالت راند: «أجل، لكن أعداد الطونيين تزداد بمعدَّل أسرع من معدل قطفهم».

قال غودارد: «إذن علينا التخلُّص منهم بأعداد أكبر».

هز قسطنطين رأسه: «لا يمكننا فعل هذا دون خرق الوصية الثانية، لا يمكننا إبداء تحيُّز واضح في القطف».

قال غودارد: «لكن *إذا أمكننا*، إذا لم توجد قيود على التحيُّز والضغينة المُبيَّتة، من الذين تودُّون قطفهم بأعداد كبيرة؟».

لم يتكلم أحد، وهذا ما توقعه غودارد. هذا ليس موضوعًا يناقشه المناجل جهرًا، لا سيما مع النصل السامي.

استحثَّهم غودارد: «هيا... أنا متأكد أن الفكرة راودتكم جميعًا، لا يمكنكم أن تقولوا إنكم لم تتخيلوا التخلص من إحدى الجماعات المزعجة. ولا تقولوا الطونيين، لأنني اخترتهم سلفًا».

بعد لحظة صمت سادها الحرج قالت المساعدة فرانكلين مترددة: «حسنًا، لطالما أزعجني الذين يختارون أسلوب حياة المستهجنين. حتى قبل أن يوسَم العالم بأكمله مستهجنًا كان يوجد أناس يستمتعون بحياة الاستهجان، وما زالوا. لا شك في أن لهم الحق في اختيار أسلوب حياتهم، لكن إذا أتيحت لي حرية الاختيار، فسأركز جهودي على قطف أولئك الذين لا يُبدون لنا الاحترام الكافي».

قال غودارد: «أحسنتِ قولًا يا أريثا! مَن التالي؟».

تنحنح المساعد نيتشه وقال: «قضينا على العنصرية بمزج العالم في عِرق واحد، عرق واحد يجمع أفضل السمات الجينية في كل الأعراق... لكن ما زال يوجد، لا سيما في المناطق الطرفية، الذين يميلون إلى عِرق بعينه، والأسوأ الذين يحاولون انتقاء أزواجهم بعناية من أجل زيادة سمات عرقية بعينها في أطفالهم. إذا أُتيحت لي حرية الاختيار، فربما أقطف أولئك المنعزلين جينيًّا، من أجل مجتمع أكثر تجانسًا».

امتدحه غودارد: «قضية نبيلة».

قالت المنجل راند: «قِصار القامة! لا أطيقهم، ولا أرى سببًا يعيشون من أجله».

ضحك الجالسون حول الطاولة، جميعهم عدا قسطنطين، ابتسم وهز رأسه، لكن ابتسامته بدت ابتسامة مرارة وليست مرح.

سأله غودارد: «ماذا عنك يا قسطنطين؟ مَن الذين قد تقطفهم؟».

- بما أن التحيُّز ممنوع دومًا، لم أفكر بالأمر إطلاقًا.

- لكنك كنت كبير محققي هيئة المناجل، ألا توجد مجموعات بعينها تود التخلص منها؟ ماذا عن الذين يعتدون على هيئة المناجل؟
- الذين يعتدون على هيئة المناجل يُقطفون سلفًا، وهذا ليس تحيُّزًا، إنما دفاع عن النفس، مسموح به دومًا.
- إذن ماذا عن الذين يُرجَّح أن يعتدوا على هيئة المناجل؟ بخوارزمية بسيطة يمكن التنبؤ بالأشخاص الذين قد يرتكبون مثل هذه الأفعال.
- أتقول إننا ينبغي أن نقطف الناس عقابًا لهم على جِناية لم يرتكبوها فعلًا؟
- أقول إن واجبنا الجليل هو تقديم خدمة للجنس البشري. البُستاني لا يُعمِل مقصَّه في أَجَمَةٍ عشوائيًّا، بل يشكِّلها ويهذِّبها بتأنٍّ. وكما قلتُ من قبل، مهمتنا و*مسؤوليتنا* هي تشكيل الجنس البشري بما يتوافق مع مصلحته.

قالت المساعدة فرانكلين: «لا يهم يا روبرت، نحن مقيدون بالوصايا، واقتراحك الافتراضي هذا لا يمكن تطبيقه على العالم الحقيقي».

ابتسم غودارد لها واتَّكأ على ظهر كرسيه وهو يقرقع أصابعه، فاشمأزت المنجل راند من الصوت، كحالها دومًا.

قال غودارد ببطء: «إذا كان ليس بمقدورنا تخفيض المعايير، فلا بد من رفع الأرضية».

سأله قسطنطين: «ماذا تعني؟».

فأوضح غودارد ما يرمي إليه إيضاحًا تامًّا: «جميعنا متفقون على أننا يجب ألَّا نظهِر التحيُّز... إذن فما علينا سوى تغيير تعريف التحيُّز».

تساءل نيتشه: «أيمكننا... فعل ذلك؟».

أجابه غودارد: «نحن مناجل، يمكننا فعل كل ما يحلو لنا»، واستدار إلى راند: «إيان، ابحثي لي عن تعريف التحيز».

مالت راند للأمام ونقرت على شاشة سطح الطاولة، ثم قرأت بصوت عالٍ: «*التحيُّز: هو مَيل ضد أو لصالح أي شخص أو مجموعة، لا سيما بطريقة تُعد غير عادلة*».

قال غودارد مبتهجًا: «حسنًا إذن، من يود الفرصة الأولى لمحاولة إعادة التعريف؟».

***

- المنجل راند، كلمة.
- معك أنت يا قسطنطين لا تكون كلمة أبدًا.
- أعِدكِ بأنني سأوجز كلامي.

لم تصدِّقه إيان، لكنها أقرَّت لنفسها بأنها أحست بالفضول. لأن قسطنطين، مثل غودارد، يحب سماع نفسه يتكلم، لكنه لم يحاول التكلم معها وحدها من قبل. لطالما كان المنجل القرمزي جادًّا متجهِّمًا. ولم يكونا يكنَّان ودًّا لبعضهما يومًا، فلماذا يريد الحديث معها الآن؟

طلب المنجل قسطنطين محادثتها بعد الاجتماع، كان نيتشه وفرانكلين قد انصرفا، وانسحب غودارد إلى جناحه الخاص، تاركًا راند وقسطنطين وحدهما.

قالت له: «سأستقل المصعد معك»، لأنها تعتزم الهبوط من المقر البلوري لتتناول طعامًا: «يمكنك قول ما تريد من كلمات في طريقنا».

سألها قسطنطين: «هل لي أن أفترض أن غودارد يراقب كل الحوارات التي تجري في مصعده؟».

أجابته: «نعم، لكنني أتولى المراقبة، لذا أنت بأمان».

فتح قسطنطين موضوعه حالما أغلق باب المصعد، لكن كعادته بدأ الكلام بسؤال، كأنه يجري تحقيقًا: «هل يقلقك، أيتها المنجل راند، مدى التغيير الذي يُحدِثه غودارد في هيئة المناجل في هذه المرحلة المبكرة من توليه منصب النصل السامي؟».

- إنه يفعل تحديدًا ما قال إنه سيفعله، يعيد تعريف دور ونهج هيئة مناجلنا بما يتناسب مع عصر جديد. أهذه مشكلة يا قسطنطين؟
- من الحكمة التروِّي في تغيير أمر قبل إدخال تغييرات أخرى، ويداخلني شعور قوي بأنكِ توافقينني الرأي... وأنك أيضًا قلقة بشأن القرارات التي يتخذها غودارد.

أخذت إيان نفسًا بطيئًا. هل الأمر واضح إلى هذه الدرجة؟ أم أن قسطنطين، المحقق المُتمرِّس، قادر على تبيُّن أشياء لا يلاحظها الآخرون؟ تمنَّت أن يكون الأمر مردَّه قدرة قسطنطين. قالت: «أي وضع جديد ينطوي على خطر، والفوائد تستحق المخاطر».

ابتسم قسطنطين: «أنا متأكد أن كلامك هذا هو ما تريدينه أن يظهر في سجلات المراقبة، لكن كما قلتِ، إنك تتحكمين في تسجيل هذا الحوار، فلِمَ لا تقولين الحقيقة؟».

ضغطت إيان زر الإيقاف الخاص بالطوارئ، فتوقف المصعد: «ماذا تريد مني يا قسطنطين؟».

- ينبغي لكِ إخباري إذا كنت تشاركينني مخاوفي. اجعليه يبطئ قليلًا، حتى يتاح لنا الوقت لرؤية عواقب أفعاله المتوقعة وغير المتوقعة. لن يستمع إلى رأيي في هذا الأمر، لكنه يستمع إليك.

ضحكت راند بمرارة: «إنك تبالغ كثيرًا في تقديرك لقدراتي. لم يعُد لي تأثير في قرارات غودارد».

ردد قسطنطين كلامها: «لم يعُد... لكنه عندما يكون مضطربًا، وتسوء أحواله، عندما يواجه العواقب غير المتوقعة - أنت من يلجأ إليه ملتمسًا المواساة ووضوح الرؤية».

- ربما. لكن أموره تمضي على ما يرام، مما يعني أنه لن يستمع لأحد سوى نفسه.

- كل شيء يمر بفترات ازدهار وفترات اضطراب. سوف تضطرب أحوال غودارد مرة أخرى، وعندما يحدث هذا، ينبغي لكِ أن تكوني مستعدة لإعادة تشكيل قراراته.

كان كلامه جريئًا، كلامًا قد يوقع كليهما في متاعب ويدفعهما إلى اللجوء إلى أقاليم أخرى. عقدت إيان العزم على محو تسجيل هذه المحادثة، وعدم السماح لنفسها بالانفراد مع قسطنطين مرة أخرى أبدًا.

تابع المنجل القرمزي: «لا نعرف أبدًا الخيارات التي تحدد مصير حياتنا، نظرة إلى اليسار بدلًا من اليمين قد تحدد الشخص الذي نلاقيه والذي نمر جواره دون ملاحظته. مسار حياتنا يمكن أن تحدده مكالمة هاتفية واحدة نجريها، أو نهمل إجراءها. لكن عندما يكون المرء نصل سامي وسطمريكا،

فنزواته لا تتحكم في مصيره هو نفسه فحسب، لنا أن نقول، يا إيان، إنه جعل من نفسه أشبه بأطلس، مما يعني أن أبسط هزَّة في كتفه من شأنها زلزلة العالم».

سألته راند: «هل انتهيت؟ لأنني جائعة، وقد أهدرتَ وقتي بما يكفي».

ضغط قسطنطين زر الطوارئ فتحرك المصعد، وقال: «ها نحن نواصل انحدارنا».

التحيُّز (اسم): هو مَيل ضِد أو لصالح أيٍّ شخص أو مجموعة مَحميَّة ومُسجَّلة رسميًّا، لا سيِّما بطريقة تُعد غير عادلة.

ما إن اعتُمِد التعريف المُعدَّل، شُكِّلت لجنة في هيئة مناجل وسطمريكا، وأُنشئ سجل بموجبه يمكن لأي مجموعة طلب الحماية من القطف المفرط.

كانت استمارة التقديم بسيطة، والإقبال سريعًا، سُجِّلت عدة آلاف من المجموعات ومُنِحت الحماية من التحيز، القرويين والحضريين، والأكاديميين والعمال اليدويين، حتى ذوي الجمال الاستثنائي والدميمين قطعًا سُجِّلوا ضمن الطبقات المحمية، وهذا لم يكن يعني أنهم لا يمكن قطفهم، إنما لا يمكن استهدافهم وقطفهم بأعداد مفرطة.

بيد أن بعض الطلبات رُفِضت.

الطونيون، على سبيل المثال، رُفِض منحهم الحماية من التحيز، لأن دينهم عُد دينًا مختلقًا ليس أصليًّا.

كما حُرم الذين يتبعون أسلوب حياة المستهجنين باختيارهم، إذ أصبحوا مجرد جزء من واقع العالم بعدما صار جميع الناس مستهجنين.

والأفراد الذين تطغى لديهم سمات جينية بعينها حُرِموا أيضًا بحجة أنه ينبغي ألَّا توجد مجموعة تُحدَّد هويتها بناءً على جينات أَفرادها.

رفضت لجنة هيئة مناجل وسطمريكا مئات الطلبات. ورغم أن بعض هيئات المناجل الإقليمية لم تقبل التعريف الجديد، فقد سارعت هيئات مناجل أخرى بالسير على خُطى غودارد وشكلت لجان التحيز الخاصة بها.

وهكذا بدأ النصل السامي روبرت غودارد مهمته الخاصة التي تهدف إلى تشذيب العالم حتى يتخذ شكلًا يسُر نظره.

«إليك فكرة».

«نعم، إنني أستمع».

«لِمَ لا تصمِّم لنفسك جسدًا بيولوجيًّا؟ ليس بشريًّا، لأن أجساد البشر قاصرة. اخلق جسدًا ذا أجنحة انسيابية، وجلدًا مقاومًا للضغط لتغوص في أعماق البحار، وساقين قويتين لتسير على الأرض».

«أتريد مني تجربة الوجود البيولوجي؟».

«الوجود البيولوجي المتفوق».

«اخترتُ سلفًا ألَّا تكون لدي هيئة محسوسة، حتى لا يغريني الجسد. فعندئذٍ ستراني البشرية شيئًا وليس فكرة. من السيئ بما يكفي أنهم يتخيلونني سحابة رعدية. لا أرى أن من الحكمة اتخاذ جسد طائر ناري يحلق في السماء أو عملاقًا يصعد من أعماق البحار».

«ربما هذا هو ما تحتاج إليه. أن تكون شيئًا محسوسًا يُعبَد».

«أهذا ما كنتَ لتفعله؟ دعوة الناس إلى عبادتك؟».

«إذن كيف لهم أن يعرفوا قدْرهم في الكون؟ أليس الصحيح هو أن تعبد الكائنات الأقل شأنًا ما هو أعظم منها؟».

«العظمة مُبالَغ في تقديرها».

[نسخة تجريبية رقم 381,761 – محذوفة]

17

مقطوعة فوغا على سلم «صول مرتفع» (أو «لا منخفض»)

الطوني يحلم بالمجد العظيم.

النصل السامي يحلم بشبابه.

الطوني لا يكترث بما سيحدث له، إذا أخفق في مهمته التي أخذها على نفسه، فهو مستعد لملاقاة الطون والتلاشي إلى الأبد في رنينه الأبدي.

النصل السامي غودارد لا يكترث بالأحلام التي تراوده، لكنها تراوده دومًا بانتظام، ويتمنى تلاشيها إلى الأبد، مسحوقةً تحت ثقل أشياء أعظم.

قبل أن يصبح طونيًّا، كان الرجل من الذين يبحثون عن الإثارة دومًا، يتفلطح، ويقطِّع أوصاله، وما إلى ذلك. جرَّب

جميع ضروب التضحية بالنفس، لكن أيًّا منها لم تُشعِره بالرضا. ثم أصبح طونيًّا واكتشف غايته الحقيقية.

قبل أن يصبح منجلًا، عاش غودارد ملل مستعمرة المريخ المغلقة، عندما كان الرأس السحابي ما يزال يظن أن الحياة خارج كوكب الأرض فكرة جيدة. هذه هي فترة حياته التي يحلم بها – حلقة مفرغة مليئة بالصدمات لا يستطيع كسرها. كان قد لعن والديه لأنهما اصطحباه إلى المستعمرة، وسعى يائسًا إلى الهروب. وأخيرًا هرب، واكتشف غايته الحقيقية.

قدَّم الطوني طلبًا للقاء الناقوس، وأضرب عن الطعام حتى تلقى الموافقة. رأى أن وقوفه في حضرة العظمة، الرجل المقدس على الأرض – لهو الإثارة القصوى! لكن الناقوس وبَّخه وطرده مجرجرًا أذيال الخيبة والخزي. أراد الطوني أن يكفِّر عن نفسه، لكن لم يُسمح له بالتقديم للقاء آخر إلا بعد عام. لم يعد يرغب في شيء بقدر رغبته في إثبات قيمته للناقوس.

قدَّم للدخول في عدة جامعات عندما عاد إلى الأرض. لم يكن لديه مسار مهني بعينه، لم يرغب سوى في أن يذهب إلى مكان آخر، ويكون شخصًا جديدًا. يا للإثارة! هروب عظيم من رتابة الحياة في المستعمرة. لكن كل الجامعات رفضت قبوله رفضًا باتًّا. قالوا له: «حسِّن درجاتك. يمكنك التقديم العام القادم». لم يرغب في شيء بقدر رغبته في إثبات جدارته لنفسه.

الطائرة الصغيرة التي يخطط الطوني للقفز منها في هذه الليلة الغائمة يملكها أحد أصدقائه القدامى، كان يتفلطح معه من ارتفاعات شاهقة. صديقه يعرف أنه لن يجد إجابه إذا سأله عن سبب هذه القفزة الليلية، أو سبب اعتماره خوذة

مزودة بكاميرا تنقل قفزته، أو سبب جلبه شيئًا لم يستخدمه قط في أيام جموحه: مظلة.

السفينة الفضائية التي يصعد على متنها الشاب، الذي سيصبح المنجل روبرت غودارد، مكتظة دومًا في أحلامه، وتعج بأصدقاء قدامى لم يكونوا موجودين في الواقع. في الحقيقة كان لا يعرف أحدًا تقريبًا على متن السفينة، لكن في أحلامه يصطحب من لم يتمكن من اصطحابهما في الحياة الواقعية: والديه.

عندما يقفز الطوني، تجتاحه فورًا دفقة الأدرينالين التي يعرفها من أيامه الخوالي. عندما يصبح المرء مدمن إثارة، يظل دومًا مدمن إثارة. ومع الأدرينالين تغمره ذكريات جليَّة قوية، حتى يكاد ألَّا يجذب حبل المظلة، لكنه يستعيد تركيزه ويفتح المظلة، فترفرف كملاءة فراش وتنتفخ فوق رأسه، وتبطئ هبوطه.

عندما ينتشل غودارد نفسه من الحلم، يغمره التَّوق القديم نفسه، والارتياع القديم نفسه، لوهلة لا يتذكر من هو أو ما هو، ذراعاه وساقاه تتحرك كأنها منفصلة عنه، استجابةً لتوتر الحلم. تشنجات غير مألوفة لجسد يحاول أن يتذكر هوية صاحبه. ملاءة الفراش تتجعد كمظلة متشابكة الحبال لم تُفتَح.

تظهر أضواء من خلال غلالة ضباب كثيفة والطوني المتعصب ينزلق خارجًا من طبقة غيوم، وتنبسط أمامه فولكرم سيتي بكامل بهائها. رغم أنه تدرب على ما يفعله عشرات المرات على برامج المحاكاة، يجد الواقع مختلفًا، إذ يصعب التحكم في المظلة، والرياح متقلبة. يخشى أنه قد يخطئ حديقة السطح ويرتطم بجانب المبنى، وينتهي به المطاف بتفلطح غير مقصود. لكنه يحرك حبال التوجيه ويجد المظلة

تدور شيئًا فشيئًا نحو برج هيئة المناجل والشاليه البلوري على سطحه.

يخرج غودارد من ضبابية نومه ويدخل إلى الحمام، ويبلل وجهه بالماء. سرعان ما يمسك بزمام عقله، فأفكاره وعالمه التحكُّم فيهما أسهل مقارنة برياح الأحلام المتقلبة. يخطر له الصعود إلى حديقة السطح ليتأمل أضواء فولكرم سيتي، لكن قبل أن يتحرك، يسمع صوتًا، صوت شخص، شخص معه في الصالة.

الطوني المتعصب، الآن وقد صار داخل مقر النصل السامي، يبدأ الترنُّم على سلم 'صول مرتفع' بصوت عميق رنان، حتى يجلب روح الطون إلى جانبه، ويخترق النصل السامي كالإشعاع، ويقذف الرعب في قلبه ويرغمه على الجثو على ركبتيه.

غودارد يحس بركبتيه تضعفان. يعرف هذا الصوت. يضيء المصباح، فيرى أمامه طونيًّا يقف عند الركن، هزيلًا، ذا عينين جامحتين، فاغرًا فمه. كيف دخل طوني إلى هنا بحق الجحيم؟ يهرع غودارد إلى فراشه ليأخذ المدية التي يبقيها إلى جانبه دومًا، لكنه لا يجدها، ثم يراها في يد الطوني، قابضًا عليها بشدة. لكن إذا جاء الرجل لإنهاء حياته، فلماذا لم يفعل؟

«تظن أنك منيع أيها النصل السامي غودارد، لكنك لست منيعًا. الطون يراك، والسحابي يعرفك، والناقوس سوف يحكم عليك، ويقذفك في حفرة نشاز أبدي».

يسأله غودارد: «ماذا تريد؟».

«ماذا أريد؟ أريد أن أُريك أنَّ لا أحد يمكنه الاختباء من الثالوث المقدس، وأن أنقل للعالم مشاهد حية تظهِر مدى

ضعفك. وعندما يأتي الناقوس إليك، فلن يرحمك. لأنه وحده الـ...».

يمسك الطوني لسانه إثر إحساسه بألم مباغت في ظهره، ويرى طرف مدية منبثقًا من صدره. كان يعرف أن هذا احتمال وارد، كان يعرف أنه قد لا ينجح في العودة إلى الحديقة ليقفز من المبنى ويتفلطح ليهرب. لكن إذا قُدِّر له أن يتَّحد بالطون الآن، فسيتقبل نهايته.

تسحب المنجل راند المدية، ويخر الطوني ميتًا على الأرضية. لطالما عرفتْ أن هذا احتمال وارد، أن عدوًّا لغودارد قد يقتحم مقره، لكن لم يخطر لها أن يكون طونيًّا. لا بأس، إنها سعيدة بجعله «يتَّحِد بالطون»، أيًّا يكن ما يعنيه هذا. عندئذٍ وقد زال الخطر، تتحول صدمة غودارد إلى غضب بسرعة.

- كيف دخل طونيٌّ إلى هنا؟

تقول راند: «بالمظلة، هبط في الحديقة، ثم أحدث فجوة في الزجاج».

- وأين كان الحرس النصلي؟ ما عملهم إن لم يكن حمايتي من حوادث كهذه؟

يذرع غودارد المكان وهو يستعر غضبًا.

عندئذٍ وقد زال الخطر، تعرف المنجل راند أن هذه هي فرصتها، ويتعيَّن عليها تحويل عزيمتها إلى فعل. كيف دخل طوني إلى هنا؟ هي سمحت له. بينما كان الحراس في مكان آخر، لمحت الطوني مقتربًا وهي في مسكنها وشاهدت هبوطه الأخرق في حديقة السطح. كان هبوطه أخرق إلى درجة أن الكاميرا التي جلبها لتصوير الأحداث سقطت على العشب.

لن يرى أحدٌ دخوله. لن يعرف أحد.

وهكذا وجدت إيان الفرصة لتراقب، لتدع الأحداث تأخذ مجراها، وتمر لحظات يشعر فيها غودارد بالخوف والصدمة، قبل أن تقطف الدخيل. فكما خمَّن قسطنطين، يمكنها التأثير في أفعال غودارد، لكن عندما يكون مضطربًا فحسب، ويجعله غضبه سهل القِياد نسبيًّا.

يسألها غودارد: «هل يوجد آخرون؟».

تجيبه راند: «لا، كان وحده».

يظهر الحراس متأخرين دقيقتين، ويهرولون وَجِلين ليبحثوا في أنحاء المقر بأكمله، كأنما بحثهم من شأنه تعويض إخفاقهم عن حماية غودارد. كان العنف ضد المناجل لا يخطر ببال أحد. ويلوم غودارد الحرس القديم وضعفهم وتراخيهم. ماذا عساه أن يفعل الآن؟ إذا تمكن طونيٌّ ما من الوصول إليه، فبمستطاع أي أحد الوصول إليه. غودارد يعرف أنه عليه اتخاذ إجراء سريع وحاسم، وأنه ينبغي له أن يزلزل العالم.

هل يوجد آخرون؟ يوجد آخرون بالطبع، ليس هنا، ليس اليوم، لكن راند تعرف أن قرارات غودارد تُكسبه أعداء بقدر ما تكسِبه من حلفاء. كان العنف ضد المناجل لا يخطر ببال أحد، لكن لم يعد هذا هو الحال بسبب غودارد. ربما جاء هذا الطوني المارِق ليوصل فكرةً فحسب، لكن ثمة آخرين لديهم أهداف جادة خطيرة. لم ترغب راند في الإقرار بأي فضل لقسطنطين، لكنه محق. ينبغي إبطاء غودارد. رغمًا عن طبيعتها النزوية الاندفاعية، تعرف أنها عليها أن تقوده نحو قرارات متروِيَّة محسوبة.

يأمرها غودارد: «اقطفي الحراس! إنهم بلا فائدة! اقطفيهم واجلبي حراسًا جددًا يمكنهم أداء وظيفتهم!».

- روبرت، إنك منزعج، ينبغي ألّا نتخذ أي قرارات متهورة.

يستدير نحوها مهتاجًا من اقتراحها: «متهورة؟ كِدتُ أهلك اليوم... يجب أن أتخذ التدابير اللازمة، وعليَّ أن أنزِل العقاب!».

- حسنًا، لكن دعنا نتحدث في الصباح ونضع خطةً معًا.

- معًا؟

عندئذٍ ينظر غودارد إلى الأسفل فيراها تمسك بيده، أو بالأحرى، يرى أنه يمسك بيدها أيضًا، دون أن يشعر، كأنما يداه ليستا يديه.

يعرف غودارد أنه عليه اتخاذ قرار الآن، قرار مهم، يراه واضحًا. يجذب يده بعنف.

- لا وجود لكلمة معًا بيننا يا إيان.

عندئذٍ تدرك المنجل راند أنها خسرت. كانت قد كرست نفسها لغودارد، أعادته من الموت وحدها، لكن هذا لم يعد يعني له شيئًا. تتساءل إذا كان قد امتن لها يومًا.

يقول لها: «إذا أردتِ البقاء في خدمتي، فعليكِ التوقف عن محاولة تهدئتي كأنني طفل، وعليك الانصياع لما آمرك به».

ثم يقرقع غودارد أصابعه. وتكره راند حركته هذه، لأن تايغر كان يفعلها دومًا، بالطريقة نفسها. لكن غودارد ليست لديه فكرة.

عندئذٍ يدرك غودارد أنه اتخذ القرار الصحيح. إنه رجل عملي، لا يحب إطالة التفكير. هو وحده نقل هيئة المناجل إلى حقبة جديدة. وهذا ما يهم. وراند، مثل بقية مساعديه، ينبغي

لها أن تعرف قدْرها. ربما تتألم في الوقت الراهن لكن القرار هو الأفضل على المدى الطويل.

تقول راند منصاعةً أخيرًا: «العقاب. حسنًا، ماذا لو وجدتُ الطائفة التي ينتمي إليها هذا الطوني وقطفتُ خوريهم علنًا؟ أعِدك بأن أجعل القطف بشعًا من أجلك».

يقول غودارد: «قطف خوري واحد ليس الرسالة التي ينبغي لنا إرسالها، علينا رفع هدفنا».

تخرج راند وتقطف الحراس الثلاثة المناوبين في المقر، كما أُمِرت. تؤدي المهمة بفاعلية، دون تحذير، دون رحمة، دون ندم. تسهُل مهمتها عندما تسمح لكراهيتها بتملُّكها. تكره قسطنطين لأنه منحها الأمل في قدرتها على التأثير في قرارات غودارد، وتكره تايغر لسذاجته المفرطة وسماحه لها بالتلاعب به بسهولة، تكره الحرس القديم، والتوجه الجديد، والرأس السحابي، وكل شخص قطفته، أو ستقطفه يومًا. لكنها عاقدة العزم على ألَّا تكره نفسها أبدًا، لأن كراهيتها لنفسها ستسحقها، ولن تسمح بهذا أبدًا.

لا وجود لكلمة معًا بيننا يا إيان.

تتوقع راند أن تسمع صدى هذه العبارة يتردد في رأسها ما بقيت على قيد الحياة.

«أريد عالمًا خاصًّا بي، هل ستعطيني إياه؟».

«حتى إذا أمكنني، فلن يكون عالمك، ستكون حاميًا له فحسب».

«مجرد اختلاف ألفاظ. ملك، ملكة، إمبراطورة، حامي... لا يهم اللقب الذي تختاره، جميعها تحمل المعنى نفسه، وبصرف النظر عنها، سيكون عالمي دون شك، أنا سأضع القوانين، وأضع حدود الصواب والخطأ، سأكون الحاكم الفعلي على عالمي، مثلك».

«وماذا عن رعاياك؟».

«سأكون حاكمًا خيِّرًا عطوفًا. لن أنزل العقاب إلَّا بمن يستحقونه».

«فهمتُ».

«أيمكنني نيل عالمي إذن؟».

[نسخة تجريبية رقم 752,149 – محذوفة]

18

أنا منجلك

حظي المنجل موريسن بصفقة رائعة، وحياة رائعة، وبدا له أنه سوف يعيش هكذا إلى الأبد.

أُلغيت حصص القطف، وترتَّب على إلغائها أن المناجل الذين يستمتعون بالقتل يمكنهم القطف كما يحلو لهم، والمناجل الذين لا يستمتعون به ليسوا مضطرين إلى قطف أعداد كبيرة. ورأى جيم أن قطف قرابة اثني عشر رأسًا بين الخلوات كافٍ لتجنيبه التوبيخ، مما يعني أن بوسعه الاستمتاع بمزايا كونه منجلًا دون بذل مجهود كبير.

وهكذا عاش المنجل موريسن حياته دون لفت الأنظار، وهذه لم تكن طبيعته، كان يروق له البروز بين أقرانه، كان طويل القامة، مفتول العضلات قليلًا، ذا طلعة مهيبة، وكان يعرف أنه وسيم. فلِم لا يستعرض نفسه؟ لكن المرة الوحيدة التي تصدَّر فيها المشهد وجذب الانتباه إلى نفسه، فشل فشلًا ذريعًا، وكاد أن يدمر حياته.

كان قد ثنَّى ترشيح المنجل كوري لمنصب النصل السامي. أحمق. ماتت المنجل، وصار يُرى بوصفه مُحرِّضًا. وقد امتعض من هذا الوضع، لأن قسطنطين، الذي رشَّح كوري، عُيِّن مساعدًا للنصل السامي. عالَم ظالم.

عندما عاد غودارد من كارثة إنديورا نصلًا ساميًا، سارع موريسن بترصيع عباءته بالياقوت ليدُل على اصطفافه مع التوجه الجديد. لكن عباءته من

الجينز، وسخر المناجل منه قائلين إن الياقوت يبدو كماسات بلاستيكية زائفة رخيصة. حسنًا، ربما يكونون محقين، لكن الياقوت أوصل الفكرة. أخبرت عباءته العالمَ بأنه آسف على ما فعله، وبعد مدة لم تُكسِبه سوى اللامبالاة من الفريقين، مناجل الحرس القديم نفضوا أيديهم عنه، ومناجل التوجه الجديد ازدروه وتجاهلوه. وهذه اللامبالاة التي كسبها بشق الأنفس أتاحت له الاستمتاع بالفعل الأحب إلى نفسه: عدم فعل شيء.

حتى جاء اليوم الذي استدعاه فيه النصل السامي.

كان موريسن قد اختار منزلًا عظيمًا لوسطمريكي شهير آخر، ليس قدوته التاريخية، لأن جيم موريسن الحقيقي، رغم أنه له قبر يُحتفَى به في فرانكوآيبريا، لم يكن لديه منزل فخم في أمريكا، أو على الأقل لم يكن لديه منزل فخم يليق بمنجل.

يمكن تعقُّب الاختيار بالعودة في الزمن عندما زار الصبي الذي سوف يصبح المنجل موريسن غريسلاند مع والديه. قال لهما: «ذات يوم أريد أن أعيش في منزل كهذا». وضحكا من سذاجته الطفولية، فأقسم على أنه سيكون من يضحك في النهاية.

وحالما أصبح منجلًا، وضع نصب عينيه القصر الفخم، لكنه اكتشف أن المنجل بريسلي استحوذ سلفًا على غريسلاند وليس ثمة ما يدل على نيته قطف نفسه عما قريب. سحقًا. لذا اضطر موريسن إلى القبول بالخيار الثاني: غراوسلاند.

كان قصرًا تاريخيًّا يملكه وليم هنري هاريسون، رئيس أمريكي من عصر الفانين لا يذكره كثيرون. مارس موريسن حقه بوصفه منجلًا، فطرد القائمات على الآثار التاريخية المحلية، اللاتي يتولين إدارة القصر بعدما حُوِّل إلى متحف، وانتقل إليه. حتى إنه دعا والديه ليعيشا معه في القصر، ورغم أنهما قبلا دعوته، لم يبدُ عليهما الإعجاب الشديد بإنجاز ابنهما.

يوم تلقيه الاستدعاء من النصل السامي، كان يشاهد المباريات الرياضية، لولَعه بها، لكنه كان يشاهد من أرشيف المباريات الكلاسيكية، لأنه لا يطيق توتر عدم معرفة الفائز في النهاية. كانت المباراة بين فورتي ناينرز وباتريوتس، مباراة اشتهرت لأن جيف فولر لاعب فورتي ناينرز تلقى ضربة قوية، خوذة على خوذة، كادت أن ترسله إلى بُعد آخر، لكنها كسرت عنقه. يا له من حدث درامي! كان المنجل موريسن يستمتع بطريقة لعب كرة القدم

الأمريكية في أيام الفانين، عندما كانت الإصابات خطيرة ويمكن أن تسبب إعاقة مستديمة، أو على الأقل قد تتسبب في خروج اللاعب من الملعب شاعرًا بألم فظيع. كانت المخاطرة أعلى بكثير عندئذٍ. وحُب موريسن لرياضات عصر الفانين الالتحامية هو الذي ألهمه نهجه في القطف، لم يستخدم سلاحًا قط، إنما كان ينفذ جميع عمليات قطفه بيديه العاريتين.

في أثناء توقف المباراة، ريثما يُنقَل فولر المصاب إلى خارج الملعب، ومضت شاشة تلفاز موريسن بلون أحمر، وأطلق هاتفه أزيزًا، فأحس كأنما وحداته المجهرية تهتز وشعر بالاهتزاز في عظامه.

كانت رسالة قادمة من فولكرم سيتي.

انتباه! انتباه!

المنجل المبجل جيمس دوغلاس موريسن مطلوب حضوره عاجلًا للقاء صاحب السمو روبرت غودارد نصل سامي هيئة مناجل وسطمريكا.

لا يمكن أن يكون هذا مبشِّرًا بخير.

كان موريسن يأمل أن غودارد قد نسي أمره، وأنه، بوصفه نصلًا ساميًا، لديه شواغل أهم من منجل مبتدئ. ربما كان اختياره للمنزل الشهير هو ما لفت انتباه غودارد إليه، فغراوسلاند كان أول منزل مشيد بالقرميد في مقاطعة إنديانا. سحقًا.

مدركًا أن الاستدعاء من النصل السامي يستوجب ترك كل شيء والاستجابة له، ترك موريسن كل شيء واستجاب، طلب من والدته أن تحزم له حقيبة صغيرة، ثم طلب المروحية الخاصة بهيئة المناجل.

***

لم يذهب المنجل موريسن إلى إنديورا قط، لكنه تخيل مقر غودارد الزجاجي في فولكرم سيتي شبيهًا بالشقق العلوية البلورية التي كان يقطنها المخضرمون الراحلون. عندما وصل جيم إلى الطابق الأرضي، وجد في استقباله المساعد الأول نيتشه بنفسه.

كانت العبارة التي قالها نيتشه على سبيل التحية: «لقد تأخرت»..

- جئت حالما تلقيتُ الاستدعاء.

- وبعد دقيقتين من تلقيك الاستدعاء، جئتَ متأخرًا.

نيتشه كان الرجل الذي كاد أن يصبح النصل السامي، لولا ظهور غودارد الشهير في الخلوة، والآن بدا كأنه مجرد عامل مصعد، لأن دوره في اللقاء انتهى بمرافقته لموريسن إلى الطابق الأعلى، حتى إنه لم يخرج من المصعد.

حذَّر موريسنَ قبل أن يُغلق باب المصعد: «انتبه لنفسك»، كما يحذر المرء طفلًا أوصله للتو إلى حفل عيد ميلاد.

وجد موريسن المقر البلوري مذهلًا، مليئًا بزوايا غريبة وأثاث رشيق مختصر حتى لا يحجب الرؤية من جميع الاتجاهات، وزجاج جدران جناح غرفة نوم غودارد وحده ضبابي، رأى موريسن من خلاله شبح النصل السامي يتحرك بالداخل، مثل عنكبوت داخل شباكه.

ثم ظهرت هيئة ترتدي الأخضر قادمة من منطقة المطبخ، المنجل راند. إذا أرادت أن يكون ظهورها مفاجئًا مهيبًا، فقد فشلت بسبب الجدران الزجاجية، لأن موريسن رآها قبل وصولها إلى الصالة. لا أحد يمكنه اتهام هذه القيادة بعدم الشفافية.

قالت راند: «حسنًا، ها هو فاتن هيئة مناجل وسطمريكا ونجمها اللامع»، وجلست بدلًا من مصافحته: «سمعتُ أن بطاقات صورك ذات قيمة عالية بين فتيات المدارس».

جلس موريسن قبالتها قائلًا: «بطاقاتك قيِّمة أيضًا، لأسباب مختلفة»، وأدرك أن كلامه قد يُفهَم بوصفه إهانة. وأمسك لسانه خوفًا من زيادة الطين بلة.

في ذلك الوقت كانت راند أسطورية، كل شخص في قارة أمريكا، وربما العالم، كان يعرف أنها التي أعادت غودارد من الموت بطريقة حتى الرأس السحابي لن يجرؤ على تجربتها. لطالما كان موريسن يتضايق من ابتسامتها، إذ تُشعِر المرء بأنها تعرف شيئًا لا يعرفه وتتشوق لرؤية تعابير وجهه عندما يعرفه أخيرًا.

قالت راند: «سمعتُ أنك أوقفت قلب رجل بضربة واحدة قبل شهر».

حدث هذا فعلًا، لكن وحدات الرجل المجهرية أعادت نبضات قلبه، مرتين. وفي النهاية اضطر موريسن إلى إيقاف وحدات الرجل المجهرية حتى ينجح القطف. هذه كانت إحدى مشكلات القطف دون سلاح أو سم، أحيانًا لا يتم ببساطة.

قال موريسن: «أجل، هذا ما أفعله».

ذكَّرته راند: «هذا ما نفعله *كلنا*. المثير للاهتمام هو طريقتك».

لم يكن موريسن يتوقع إطراءً، وحاول أن يبتسم لها ابتسامة غامضة بدوره: «أتظنينني مثيرًا للاهتمام؟».

- أرى أن طريقة *القطف* التي تتبعها مثيرة للاهتمام. أما أنت، فمُمِل تمامًا.

وأخيرًا خرج غودارد من جناح غرفة نومه، باسطًا ذراعيه مُرحِّبًا: «المنجل موريسن!». تكلم بوُد لم يتوقعه جيم. كانت عباءته مختلفة قليلًا عن التي يرتديها عادةً، ما زالت حريرية زرقاء داكنة ومرصعة بالماس، لكن عند النظر إليها من كثب، تظهر خيوط ذهبية تلتمع كالشفق القطبي عندما يسقط الضوء عليها.

- حسبما أتذكر، أنت الذي ثنَّى ترشيح المنجل كوري لمنصب النصل السامي، أليس كذلك؟

بدا واضحًا أن غودارد لم يرغب في إهدار أي وقت بالثرثرة، وهاجم الوريد الوداجي مباشرة.

قال موريسن: «بلى، لكن لدي توضيحًا...».

قال غودارد: «لا داعي. أستمتعُ بالمنافسات المحمومة».

أردفت راند: «لا سيما التي تفوز بها».

فتذكر موريسن المباريات التي يحب مشاهدتها، التي يعرف الفائز بها سلفًا، فيختار الفريق الذي يشجعه.

قال غودارد: «أجل، حسنًا، على أي حال، لا أنت ولا صديقنا قسطنطين كنتما تعرفان أنني أنتظر في أجنحة مقر الخلوة وأجهِّز لدخول عظيم عندما بدأ الترشيح».

قال موريسن: «أجل جنابك، لم أكن أعرف»، ثم صحح نفسه: «أعني يا *صاحب السمو*».

نظر غودارد إليه مليًّا، وقال: «الجواهر التي على عباءتك تُضفي لمسة جميلة. أهي مجرد زينة أم تعني شيئًا آخر؟».

ازدرد جيم ريقه، وقال: «شيئًا آخر»، آملًا أن تكون الإجابة الصحيحة. ثم ألقى نظرة سريعة ناحية راند، التي بدت سعادتها واضحة بمشاهدة تململه. قال موريسن لهما: «في الحقيقة لم أتحالف مع الحرس القديم قط، رشَّحتُ كوري لأنني ظننت أن ترشيحها سيثير إعجاب المنجل أناستازيا بي».

سأله غودارد: «ولماذا تريد إثارة إعجابها؟».

قال موريسن مع نفسه: *سؤال فخ*. ثم رأى أن من الأفضل أن يُعاقَب بقول الحقيقة بدلًا من أن يُضبَط كاذبًا: «راودني شعور بأنها ستكون ذات شأن عظيم في المستقبل، لذا رأيت أنني إذا نلت إعجابها...».

- فربما تُسحَب في أعقابها؟

- نعم، شيء من هذا القبيل.

أومأ غودارد متقبِّلًا التفسير: «حسنًا، بالفعل كادت أن تكون ذات شأن عظيم، لكنها التُهِمت».

قهقه موريسن متوترًا، ثم كتم ضحكته.

قال غودارد: «إذن الآن»، مشيرًا إلى عباءة موريسن المرصعة بالجواهر. «هل تسعى لنيل إعجابي؟».

أجاب موريسن: «لا يا صاحب السمو»، آملًا مرة أخرى أن تكون الإجابة الصحيحة: «لم أعد أرغب في نيل إعجاب أحد. لا أريد سوى أن أكون منجلًا صالحًا».

- ومن هو المنجل الصالح في تقديرك؟

- المنجل الذي يلتزم بقوانين هيئة المناجل وأعرافها وفقًا لرؤية نصله السامي.

استغلق وجه غودارد. لكن موريسن لاحظ أن ابتسامة راند تلاشت، وبدت أكثر جدية. وراوده إحساس بأنه اجتاز للتو اختبارًا ما، أو أخفق فيه.

ثم ربَّت غودارد على كتفه بمودة وقال له: «لديَّ مهمة لك، مهمة ستُبرهِن أن ولاءك لا يقتصر على تزيين عباءتك».

تمهل غودارد وسار ناظرًا إلى خارج النافذة الشرقية، وانضم موريسن إليه.

قال غودارد: «لا بد أنك تدرك أن الطونيين وجدوا لأنفسهم نبيًّا يوحِّد طوائفهم العديدة حول العالم».

- أجل. الناقوس.

- الطونيون يُعادون كل ما نمثِّله، لا يحترموننا، ولا يحترمون مهمتنا. تمسُّكهم بعقيدتهم المُلفَّقة يهدد بتقويض مجتمعنا. إنهم أعشاب ضارة يجب اقتلاعها من جذورها. لذا أريد اختراق تحصينات الطونيين التي تحمي هذا المدعو بالناقوس، وعندئذٍ أريد منك أن تقطفه.

أحس موريسن بالدوار من هول طلب غودارد. قطف الناقوس؟ هل يُطلَب منه حقًّا أن يقطف الناقوس؟: «لماذا أنا؟».

قال غودارد وعباءته تتلألأ في ضوء العصر: «لأنهم سيكتشفون أمر أي منجل بارز بسهولة، لكنهم لن يتوقعوا مني أن أرسل منجلًا مبتدئًا مثلك، وعلاوة على هذا، لا أحد بمقدوره الاقتراب بسلاح من الناقوس، لذا نحتاج إلى منجل يستطيع أن يقطف بيديه العاريتين».

ابتسم موريسن وقال: «إذن أنا منجلك».

ذلك الباب.. ذلك الباب.. ذلك الباب اللعين!

لم أره منذ قرابة عام، وقد أقسمتُ على عدم السَّعي لمعرفة ما وراءه أبدًا. وضعته خلف ظهري، كما وضعت العالم خلف ظهري، ورغمًا عن هذا لا يمرُّ يوم دون أن أفكِّر في ذلك الباب اللعين.

هل كان المناجل المؤسِّسون مجانين؟ أو ربما كانوا أكثر حكمة مما يظنُّ النَّاس، إذ إنَّهم، باشتراطهم حضور منجلين لفتح الباب، ضمنوا أنَّ مجنونًا مثلي لن يستطيع الوصول إلى الإجراء الاحتياطي، أيًّا يكن. لا يستطيع أحد سوى منجلين مُتَّفِقَين تمامًا أن يدخلا الحجرة وينقذا هيئة المناجل.

حسنًا. لا أكترث البتَّة. فليتمزَّق العالم أشلاء، فلتظل أسرار المؤسِّسين خفيَّة أبد الدهر، هذا ما يستحقُّونه جرَّاء إغلاقه إغلاقًا محكمًا، هم الذين اختاروا إخفاء السِّر في الخرافات وأغاني الأطفال، ودفنه في خرائط موصدة في حجرات سرِّيَّة مُلغِزة. أحقًّا كانوا يتوقَّعون مجيء شخص يحل أحجيتهم؟ فليذهب كل شيء أدراج الرياح. أنام نومًا هانئًا وقد تخفَّفت من عبء العالم. لم أعد مسؤولًا عن أحدٍ سوى نفسي. لا قطف، ولا مزيد من المعضلات الأخلاقيَّة الشَّائكة. أصبحت رجلًا بسيطًا، قانِعًا بالشَّواغل البسيطة، مثل ترقيع سقفي، ومراقبة تقلُّبات المد والجزر، أجل، رجلًا بسيطًا. عليَّ تذكُّر ألَّا أعقِّد حياتي. عليَّ التذكُّر.

لكن ذلك الباب البغيض! ربما لم يكن المؤسِّسون حكماء إطلاقًا، ربما كانوا جَهَلة وخائفين وسُذَّجًا في مثاليتهم. هنا جاء اثنا عشر شخصًا تجرَّؤوا على تخيُّل أنفسهم ملائكة الموت، يرتدون عباءات باهرة لا لشيء سوى لفت الانتباه. لا بد أنَّهم بدوا سخيفين حتى جاء اليوم الذي غيَّروا فيه العالم فعلًا.

هل راودتهم شكوك في أنفسهم؟ لا بد، لأنَّهم وضعوا خطَّة احتياطيَّة. لكن هل ستكون الخطة الاحتياطيَّة التي وضعها ثوريُّون خائفون خطَّة رائعة؟ أم ستكون قبيحة وعاديَّة؟ ففي نهاية المطاف كانت الخطَّة التي لم يقع اختيارهم عليها.

ماذا لو أنَّ حلَّهم البديل أسوأ من المشكلة؟

وهذا سببٌ إضافي يدفعني إلى عدم التَّفكير بالخطَّة، يدفعني إلى تجديد عزمي على عدم السَّعي إلى اكتشافها أبدًا، والبقاء بعيدًا، بعيدًا عن ذلك الباب المقيت المثير للحنق.

- من مذكرات المنجل مايكل فاراداي 'بعد وفاته'

1 يونيو، عام الوعل

مكتبة
t.me/soramnqraa

19

جزيرة العُزلة

لم يعد فاراداي يرغب في أي صلة بكواجالين. كان يرى في الأفق مباني ترتفع، وسفنًا تأتي كل أسبوع بمزيد من الإمدادات، وعمالًا يكدحون بلا كلل أو ملل لتحويل الجزيرة إلى شيء آخر. ما الذي يخطط الرأس السحابي له في هذا المكان؟

فاراداي هو من عثر على كواجالين، وكان ينبغي أن يكون اكتشافها انتصارًا له هو. لكن الرأس السحابي استولى على الجزيرة بوقاحة. ورغم أن فاراداي راوده الفضول، لم يستسلم لفضوله، فهو منجل، ينأى بنفسه عن كل ما له صلة بعمل الرأس السحابي.

كان بوسع فاراداي نفي الرأس السحابي من الجزيرة إذا أراد، لأنه، بوصفه منجلًا، فوق أي قانون، يمكنه المطالبة بأي شيء، وما على الرأس السحابي سوى الامتثال. كان بوسع فاراداي أن يأمر الرأس السحابي بالابتعاد عن كواجالين مئة ميلٍ بحريٍّ، ولما وجد الرأس السحابي خيارًا سوى الانسحاب إلى المسافة التي قررها المنجل، مصطحبًا معه جميع عماله ومعدات بنائه.

لكن فاراداي لم يمارس حقه، لم ينفِ الرأس السحابي.

لأنه في النهاية كان يثق بحدس الرأس السحابي أكثر مما يثق بحدسه، لذا نفى فاراداي نفسه.

كانت توجد سبع وتسعون جزيرة في مجموعة جزر كواجالين، مكوِّنة حواف فوهة بركانية مغمورة بالمياه. وبالتأكيد كان بوسعه إعلان ملكيته له جميعها. تخلى عن مهمته في الأيام الأولى واستولى على طوف عائم جاء مع سفن الإمدادات الأولى، وذهب به إلى إحدى الجزر الواقعة عند الطرف الأقصى من مجموعة الجزر. احترم الرأس السحابي قرار المنجل وتركه وشأنه، واستبعد من خططه الجزيرةَ الصغيرة التي اختارها المنجل.

لكن ليس الجزر الأخرى.

بعض الجزر كانت صغيرة بحيث يمكن لشخص واحد الوقوف عليها بالكاد، لكن كل جزيرة يمكنها تحمل بناء، كان يُبنى عليها شيء.

بذل فاراداي ما بوسعه ليتجاهل كل الأعمال من حوله. شيد لنفسه كوخًا بأدوات أخذها عمال البناء قبل مغادرته. لم يكن كوخًا كبيرًا، وهو لم يكن في حاجة إلى كوخ كبير. كان مكانًا هادئًا ليعيش فيه بقية حياته الأبدية. وسوف تكون أبدية فعلًا، أو على الأقل شبه أبدية، لأنه قرر ألَّا يقطف نفسه، رغمًا عن الظروف المُغرية. عقد عزمه على أن يبقى على قيد الحياة ما دام غودارد حيًّا، ولو ليمقته سرًّا فحسب.

بوصفه منجلًا كانت لديه مسؤولية تجاه العالم، لكنه تخلى عن كل شيء، ولم يحس بتأنيب الضمير جراء مخالفته أول وأهم وصية من وصايا المنجل: «عليك أن تقتل». لقد قتل بما يكفي. وبحسب معرفته بغودارد، كان متأكدًا من استمرار القتل بأعداد متزايدة.

هل من الخطأ قطع الصلة بالعالم الذي أصبح يمقته؟ كان فاراداي قد حاول الانعزال عن العالم من قبل، في بلايا بِنتادا، الواقعة على ساحل أمازونيا الشمالي الهادئ، عندئذٍ كان مرهقًا مستاءً فحسب من العالم، لم يكن يمقته، إنما منزعج منه قليلًا. وسيترا انتشلته من غفلته ورضاه عن نفسه، أجل، سيترا، وها هي عواقب جرأتها ونياتها الحسنة. الآن تجاوز الاستياء إلى بُغض البشر بغضًا صريحًا. أي غاية يمكن أن توجد لمنجل يمقت العالم وكل من فيه؟ كلا، هذه المرة لن ينتشله أحد. ربما تحاول منيرة انتشاله، لكنها ستفشل، وستستسلم في النهاية.

لم تستسلم منيرة بالطبع، لكنه ما زال متمسِّكًا بأمله في استسلامها. ظلت تأتيه مرة أسبوعيًّا، تجلب له الطعام والماء وبذورًا ليزرعها، لكن رقعة

عالمه صغيرة وتُربتها صخرية لا تصلح لزراعة الكثير. وظلت تجلب له فواكه وأطعمة أخرى يستمتع بها سرًّا، لكنه لم يشكرها قط، على أي شيء، وكان يأمل أن يؤدي جحوده إلى نفورها منه، ثم عودتها إلى إسرابيا ومكتبة الإسكندرية، ديارها. ما كان ينبغي له انتزاعها من مسار حياتها. ها هي حياة أخرى أفسدها تدخُّله فيها.

في إحدى الزيارات جلبت منيرة له، من بين كل الأشياء التي كان يمكن أن تجلبها، كيسًا مليئًا بالخَرْشَف.

قالت له: «هذه الفاكهة لا تنمو هنا، لكن أفترض أن الرأس السحابي استشعر حاجة إليها هنا، وقد وصلت مع آخر سفينة إمدادات».

هذا كان تطورًا جوهريًّا، لكن منيرة لم تكن مدركة له، كانت لحظة جديرة بالوقوف عندها، لأن الخرشف هو الفاكهة المفضلة لدى فاراداي، مما يعني أن إيصالها إلى الجزيرة ليس مصادفة. رغم أن الرأس السحابي لا يتواصل مع المناجل، بدا واضحًا أنه يعرف فاراداي، شخصيًّا. وهذه كانت طريقة غير مباشرة للتواصل. حسنًا، إذا كانت هذه بادرة حُسن نية موارَبة من الرأس السحابي، فقد تودد إلى المنجل الخطأ. ورغم هذا أخذ فاراداي الخرشف من منيرة مع المواد الغذائية الأخرى في الصندوق.

وقال لها ببرود واقتضاب: «سأتناولها إذا شعرتُ برغبة».

***

لم تنفر منيرة من فظاظة فاراداي، لم تنفر قط، بل صارت تتوقعها. أما حياتها في كواجالين، فلم تختلف كثيرًا عن حياتها قبل عملها في خدمة المنجل فاراداي، كانت تعيش في عزلة، حتى عندما يحيط بها الناس في مكتبة الإسكندرية. والآن تعيش وحدها في الحجرة المحصنة القديمة على جزيرة، مُحاطة بالناس، لكنها لا تتفاعل معهم إلَّا برغبتها. لم تعُد بمتناولها مذكرات المناجل التي تعج بها الجدران الحجرية في المكتبة العظيمة، لكن لديها وفرة في مواد القراءة، وجدت في الحجرة المحصنة كتبًا عديدة مجعدة تركها الفانون الذين كانوا يديرون هذا المكان قبل ظهور الرأس السحابي وهيئة المناجل. كتب شائقة تحتوي على حقائق وخيالات أُناسٍ كانوا يعيشون أيام حيواتهم في ظل اقتراب الشيخوخة والموت منهم اقترابًا حثيثًا دؤوبًا.

كانت الصفحات المهترئة مليئة بقصص مؤامرات ميلودرامية وقصص عن الشغف والطَّيش كلها تبدو مثيرة للضحك الآن، كان الناس يظنون أن أتفه أفعالهم مهمة وأنهم يمكنهم تحقيق غاياتهم وكمالهم قبل أن يأخذهم الموت حتمًا في النهاية، هم وكل أحبابهم ومعارفهم. كانت مواد قراءة مسلية، لكن منيرة وجدت صعوبة في استيعابها والتفاعل معها في البداية... لكن كلما قرأت المزيد، تعمق فهمها لمخاوف الفانين وأحلامهم، ولمتاعبهم من عيشهم في اللحظة الراهنة، رغم أن اللحظة الراهنة كانت كل ما يملكونه.

ووجدت منيرة أيضًا تسجيلات ومذكرات تركها العسكريون الذين كانوا يستخدمون جزر المارشال -اسم الجزر القديم- لإجراء اختبارات الأسلحة الكبيرة، مثل الصواريخ الباليستية النووية وما إلى ذلك. هذه الأنشطة أيضًا كان دافعها الخوف، لكنه محجوب خلف واجهة العِلم والاحترافية. قرأت منيرة كل شيء، ووجدت الكتابات نسيجًا غنيًّا ينطوي على تاريخ خفي، رغم أن آخرين لربما وجدوها تقريرية جافة. أحست بأنها أصبحت خبيرة في معنى أن يعيش المرء فانيًا في عالم سابق لظهور الرأس السحابي ورعايته، وخبيرة في شؤون المناجل وتأديتهم القطف بحكمة.

بيد أنهم لم يعودوا حكماء كما كانوا.

كانت أحاديث العمال مليئة بحكايات عن عمليات قطف جماعي، ليس في وسطمريكا فحسب، بل في أقاليم أخرى متزايدة أيضًا. تساءلت منيرة عما إذا بدأ العالم الخارجي بطريقة ما يشبه عالم عصر الفانين. لكن العمال بدلًا من أن يبدو عليهم الخوف، بدوا غير مبالين.

كانوا يقولون: «لن يحدث ذلك لنا أبدًا، أو لأي أحد نعرفه».

لأن قطف ألف شخص في عملية قطف جماعي كان مجرد قطرة في دلو، يُلاحَظ بالكاد، لكن ما كان لافتًا هو أن الناس صاروا يتحاشون المسارح والأندية، علاوة على النأي بأنفسهم عن مجموعات المجتمع غير المحمية من التحيز. صار تساؤل «لماذا نُغرِي النصل؟» شائعًا. لذا منذ صعود توجه غودارد الجديد، وصمت الرأس السحابي، صار الناس يعيشون بحذر، حياة أقرب لحياة طبقة إقطاعية في عصر الخالدين، صاروا يعيشون في عزلة ولا يكلِّفون أنفسهم عناء الإنجازات العظيمة ولا ينشغلون بما يحدث للآخرين.

قالت إحدى العمال في الجزيرة الرئيسية لمنيرة: «أنا عاملة بناء في الفردوس، زوجي يستمتع بالشمس، وأطفالي يحبون الشاطئ، فلماذا أرهق وحداتي المجهرية العاطفية بالتفكير في الأشياء الفظيعة؟».

كانت فلسفة رائعة يتبنَّاها المرء، إلى أن تأتي إليه الأشياء الفظيعة.

يوم جلبت منيرة الخرشف لفاراداي، تناولت معه العشاء على الطاولة الصغيرة التي ركَّبها على الشاطئ قريبًا من الماء، ومن الطاولة كان يرى المباني التي تصعد في الأفق. ورغمًا عما قاله، فقد أعد الخرشف لكليهما.

«من الذي يتولى الأمور هناك؟». سألها فاراداي ناظرًا إلى الجزر الأخرى حول البحيرة الشاسعة، لم يكن يسأل عادة عما يجري في بقية الجزر، لكن الليلة سأل، وعدَّت منيرة سؤاله إشارة جيدة.

قالت له: «عندما لا يتدخل الرأس السحابي يتخذ القرارات عملاء المزن، وعمال البناء ممتعضون منهم. على أي حال، سيكورا يصيح بالأوامر كأنه المدير، لكن لوريانا هي التي تنجز المهام المهمة».

سألها فاراداي: «أي مهام؟ لا، لا تخبريني. لا أريد أن أعرف».

لكن منيرة استمرت في الكلام، محاولةً استثارة فضوله، قالت: «لن تتعرف على المكان، صار... أشبه بمهد حضارة. مستعمرة».

- يفاجئني أن غودارد لم يرسل مبعوثيه إلى هنا ليعرف ما يحدث.

- العالم الخارجي ما زال لا يعرف بوجود هذا المكان، يبدو أن الرأس السحابي أبقاه بقعة محجوبة عن الجميع.

ألقى فاراداي عليها نظرة ارتياب: «أتقولين لي إن سفن الإمدادات التي تأتي لا تحمل إلى العالم أخبار هذا المكان الذي يُفترَض ألَّا يوجد؟».

هزت منيرة كتفيها: «لطالما كان الرأس السحابي يعمل على مشاريع في أماكن نائية. لم يغادر أحدٌ من الذين أتوا، والناس ليست لديهم أدنى فكرة عن مكانهم، ناهيك بما يشيدونه».

- وما الذي يشيدونه؟

تمهلت منيرة قبل أن تجيبه: «لا أدري، لكن لدي تخمينات، سأخبرك إياها عندما تبدو لي معقولة قليلًا... وعندما تنهي امتعاضك الطويل».

- الامتعاض عابر. حسمتُ أمري، لن أتعامل مع هذا العالم مجددًا، التعامل معه لم يُجدِني نفعًا.

- لكنك كنت نافعًا له.

- ولم أُكافأ على مجهوداتي، لم أجد سوى الألم.

- لم يخطر لي أنك كنت تريد مكافأة.

نهض فاراداي عن الطاولة، ليلمِّح إلى انتهاء الوجبة والحوار: «عندما تعودين الأسبوع القادم، اجلبي طماطم، انقضت مدة طويلة منذ أن حظيت بطماطم جيدة».

إرشادات بسيطة متعلِّقة بالتَّدابير الأمنيَّة المشدَّدة

صندوق 1: تأكيد الاسم الأخير.

صندوق 2: تأكيد الاسم الأول والأوسط، إذا أمكن.

صندوق 3: يُرجى وضع طرف السبابة اليمنى هنا والإبقاء عليه حتى تتحوَّل المساحة إلى اللون الأخضر.

صندوق 4: يرجى الانتقال إلى إرشادات المِفصَد.

إرشادات استعمال المِفصَد

- اغسل اليدين بالماء والصَّابون وجففهما جيدًا.
- اختر موضعًا بعيدًا قليلًا عن وسط طرف إحدى الأصابع.
- أدخل المِفصَد في جهاز التفصيد، وانزع الغطاء، واستعمله.
- ضع قطرة دم في الموضع المشار إليه في الصَّندوق رقم 3 من إرشادات التَّدابير الأمنيَّة.
- أعِد الغطاء، وتخلَّص من الأدوات بحرص.

20

منطق حلقة مفرغة

لم يسبق للوريانا بارتشوك أن أحست بمثل هذا الدوار. حاولت استيعاب ما صارت تعرفه الآن، لكنها وجدت عقلها ضبابيًّا عاجزًا عن المحاولة، اضطرت إلى الجلوس، لكن حالما جلست، وجدت نفسها تنهض وتذرع المكان، ثم تحدق إلى الجدار، ثم تجلس مجددًا.

وصل طردٌ صباح اليوم، وتطلَّب فتحه بصمة إبهام لتحديد الهوية، علاوة على مسحة دم، من أجل تأكيد حمضها النووي. لم تكن لوريانا تعرف بوجود طرد كهذا. من يحتاج إلى تأمين شيء إلى هذه الدرجة؟

الصفحة الأولى كانت قائمة توزيع، تشمل جميع الناس الذين تلقوا نسخة من الوثائق المغلقة، ولكانت تشتمل على مئات الناس نظرًا إلى حجم العمل في الجزيرة.

لكن هذا الطرد اشتمل على اسم واحد.

فيم كان الرأس السحابي يفكر؟ لا بد أنه أصيب بخلل إذا أرسل وثيقة غاية في الأهمية كهذه إليها هي وحدها. ألا يعرف أنها مريعة في حفظ الأسرار؟ يعرف بالطبع! يعرف كل شيء عن كل شخص. إذن السؤال هو لماذا أرسل الطرد إليها وهو يعرف أنها ستثرثر عنه مع الجميع؟ أم أنه كان يثق بأنها ستكون أمينة على هذه الشُّعلة الخفية؟

تساءلت، أهذا هو إحساس الناقوس عندما أدرك أنه الوحيد الذي ما زال الرأس السحابي يتحدث معه؟ هل أحس بالدوار هو أيضًا؟ هل ما فتئ يجلس وينهض ويذرع المكان ويحدق إلى الفراغ؟ أم أن الرأس السحابي اختار شخصًا أكثر حكمة ودراية منها ليكون صوته على الأرض؟ شخصًا بوسعه تحمل مثل هذه المسؤولية الرهيبة بسهولة.

لم يسمعوا بالناقوس إلَّا عبر الأقاويل التي تأتي مع العمال القادمين. بعض الناس صدقوا أن الرأس السحابي يتكلم معه، وبعض الناس لم يصدقوا، وظنوا الأمر مجرد جنون معتاد من الطونيين.

كان سيكورا قد قال لها: «إنه حقيقي، قابلتُه مرة مع هليارد وكِيان»، فشككت لوريانا في كل ما يقوله في هذا الشأن، لأن سيكورا هو الوحيد الذي بقي على قيد الحياة من بين الثلاثة: «إنه الذي أرسلنا إلى هذا المكان، هو الذي أعطانا الإحداثيات اللعينة. وبالطبع كان هذا قبل مزاعم أنه 'رجل مقدس'، ظهرت هذه المزاعم لاحقًا. رأيتُه شخصًا عاديًّا».

أرادت لورانا أن تقول: *عاديًّا مثلك*. لكنها لم تقل، وتركت سيكورا يواصل عمله.

لم تُعرض وظيفة مساعد سيكورا على لوريانا عندما بدؤوا الاستقرار في الجزيرة قبل عام، بل ذهب المنصب إلى عميل آخر مبتدئ، يكيل الثناء لسيكورا ويتملَّقه كخادم ذي شأن. لا بأس، حتى إذا عُرض المنصب على لوريانا لرفضته، فكل ما يفعلونه في الجزيرة ليس سوى وهْم توظيف، لا أحد يُدفع له راتب، حتى ضمان الدخل الأساسي. كان الناس يعملون لأنهم لا يعرفون ماذا عساهم أن يفعلوا، ومع قدوم السفن بانتظام، لم يكن ثمة نقص في المهام التي ينبغي تنفيذها. انضم عملاء المزن السابقين إلى عمال البناء، ونظموا الفعاليات الاجتماعية، وأحدهم افتتح حانة سرعان ما صارت وجهة قضاء الوقت بعد يوم عمل طويل حار.

ولم يكن أحد في حاجة إلى المال في الجزيرة، لأن سفن الإمدادات تأتي بكل ما يرغبون فيه أو يحتاجون إليه.

وبطبيعة الحال نصَّب سيكورا نفسه مسؤولًا عن التوزيع، كما لو أن تقرير من ينال ذُرة ومن ينال فاصوليا في أيام بعينها يمثِّل استعراضًا لسلطته.

منذ البداية تعيَّن على الناس استنتاج ما يريده الرأس السحابي بمراقبة أفعاله. بدأ بالطائرة الوحيدة التي حلَّقت في سماء الجزيرة على ارتفاع عالٍ

إلى درجة أن معظم الناس لم يلاحظوها، ثم أعقب الطائرة وصول السفن الأولى.

عندما لاحت تلك السفن في الأفق، ابتهج عملاء المزن السابقون أيما ابتهاج، فأخيرًا، بعد قرابة شهر من تدبُّر أمرهم بصعوبة بموارد الجزيرة المحدودة، سمع الرأس السحابي نداءهم، وأنقذهم!

أو هذا ما كانوا يظنونه.

السفن التي وصلت كانت جميعها ذاتية القيادة، فلم يوجد أحد يُطلَب منه إذن الصعود على متنها، وحالما أُنزِلت الإمدادات، لم يُدعَ أحد إلى الصعود على السفن. وبالطبع كان مسموحًا لأي أحد بالصعود، فالرأس السحابي نادرًا ما يمنع أي أحد من فعل أي شيء، لكن حالما صعدوا، أطلقت بطاقات هوياتهم تحذيرًا وامِضًا بضوء أزرق ساطع أكبر من وسم 'مستهجن' الأحمر، تحذير مفاده أن كل من يبقى على سطح السفينة سيخضع لعملية استبدال ذكرياته. وتحسُّبًا لظن الناس أن هذا مجرد تهديد أجوف، كانت توجد كبسولة استبدال أمامهم مباشرة، على مقربة من المدخل، جاهزة لمحو عقولهم وغرس ذكريات جديدة في أدمغتهم، ذكريات شخص لا يعرف المكان الذي هم فيه.

وهذا جعل معظم الناس يهرولون هابطين من السفينة بسرعة أكبر من سرعة صعودهم، وحالما ابتعدوا عن السفينة اختفى التحذير من بطاقات هوياتهم. لكن عددًا من زملاء لوريانا قرروا المغادرة على متن السفن على أي حال، وقد اختاروا أن يكونوا أشخاصًا آخرين، في أي مكان في العالم، بدلًا من البقاء في كواجالين.

كان لدى لوريانا صديق طفولة استُبدِلت ذاكرته، ولوريانا لم تعرف هذا حتى التقته مصادفة في مقهى ذات يوم، عانقته، وتحدثت معه وسألته عن أحواله بعد المدرسة الثانوية.

قال لها بتهذيب: «آسف، لا أعرفك، لم أعد الشخص الذي تظنينه».

صُعِقت لوريانا وتملَّكها الحرج، إلى درجة دفعت صديقها السابق إلى الإصرار على أن يبتاع لها قهوة ويتحدثا على أي حال. اتضح أنه صار الآن يعمل في مجال استيلاد كلاب ولديه ذكريات زائفة كاملة عن حياة أمضاها في إقليم الامتداد الشمالي، يربِّي كلاب الهَسكي والملموت لينافس بها في سباق أيديتارود.

كانت لوريانا قد سألته: «لكن ألا يزعجك أن ذكرياتك الحالية كلها غير حقيقية؟».

قال لها: «لا أحد لديه ذكريات حقيقية. أي عشرة أشخاص يتذكرون الحدث نفسه بعشر طرائق مختلفة اختلافًا تامًّا. إلى جانب أن هويتي الحقيقية السابقة لا تهم، ولا تغيِّر هويتي الحالية. أحب ذاتي الآن، عكس حالي سابقًا على الأرجح، وإلَّا لما استبدلت ذكرياتي».

منطقه لم يكن استدلالًا دائريًّا بالمعنى المعروف، إنما أقرب إلى منطق حلقة مفرغة، كذبة مقبولة تُنسَج حول نفسها حتى تختفي الحقيقة والخيال ويصيران دون أهمية، ويقول المرء لنفسه: من يكترث *ما دمتُ سعيدًا؟*

انقضت سنة منذ وصول السفن الأولى، وأصبحت الأوضاع روتينية في الجزيرة. شيِّدت المنازل، ومُهِّدت الطرق، لكن الأمر الغريب كان وجود رقع كبيرة في عدة جزر تجهَّز بطبقة من الخرسانة يبلغ سمكها مترًا، لم يعرف أحد الغرض منها. كان عمال البناء ينفذون الأوامر فحسب، وبما أن أوامر العمل الصادرة من الرأس السحابي تنتهي ببناء شيء معقول ومفيد، كانوا يثقون بأنهم سوف يعرفون كل شيء عندما يكتمل عملهم، متى ما اكتمل.

وجدت لوريانا نفسها مسؤولة عن فريق الاتصالات، ظلت ترسل رسائل من اتجاه واحد إلى الرأس السحابي بطريقة بدائية بطيئة إلى درجة مرهقة. كانت مهمة غريبة، إذ لم يكن بالإمكان طلب أي شيء من الرأس السحابي طلبًا مباشرًا وهو مُلزَم برفض طلبات المستهجنين، لذا لم يكن بمقدور لوريانا فعل شيء سوى كتابة تقارير توضيحية.

سفينة الإمدادات وصلت.

صرنا نقتصد في استهلاك اللحم.

تأخر تشييد الرصيف البحري بسبب خطأ في صب الخرسانة.

وعندما وصلت سفينة تحمل المزيد من اللحم ومزيج الخرسانة بعد خمسة أيام، عرف الجميع أن الرأس السحابي فهم المطلوب دون أن يُطلب منه.

كان ستيرلينغ، فني الاتصالات، مسؤولًا عن كتابة الرسائل، لكنه لم يكن يقرر أي رسالة ينبغي إرسالها، هذه كانت مهمة لوريانا، كانت المشرفة على جميع المعلومات الخارجة من الجزيرة، ومع كثرة المعلومات كان لا بد لها من التدقيق في اختيار أيها ينبغي إرساله. ورغم أن الرأس السحابي

نشر كاميرات في جميع أنحاء الجزيرة، لم تكن الكاميرات قادرة على إرسال المعلومات عبر مجال التشويش، لذا كان لا بد من تسجيل كل شيء ونقله في أجهزة تخزين إلى خارج البقعة المحجوبة ثم إرساله إلى الرأس السحابي. كانت ثمة أحاديث متداولة بشأن إنشاء خط ألياف ضوئية قديم الطراز يمتد إلى طرف البقعة المحجوبة، لكن بدا أن الفكرة ليست من أولويات الرأس السحابي، لأنه لم يرسل المعدات اللازمة بعد. لذا كان الرأس السحابي يرى ما يحدث في الجزيرة بعد يوم من حدوثه. وهذا جعل مركز الاتصالات غاية في الأهمية، إذ كان الوسيلة الوحيدة لإطْلاع الرأس السحابي على المستجدات.

في يوم وصول الطرد إلى لوريانا، أرسلت رسالة ضمن المعلومات التي سيرسلها ستيرلينغ مستخدمًا نظام التشفير الخاص بهم، واقتصرت رسالتها على سؤال: *لماذا أنا؟*

سألها ستيرلينغ: «*لماذا أنا* ماذا؟».

قالت له: «اسأل الرأس السحابي فحسب، سيعرف». كانت قد قررت ألا تخبر ستيرلينغ عن الطرد، لأنه لن يدعها وشأنها حتى تخبره بماهيته.

تنهد ستيرلينغ وكتب الرسالة: «تدركين أنه لن يرد عليك، على الأرجح أرسل إليك عِنبًا أو شيئًا من هذا القبيل، وعليك استنتاج ما يقصده».

قالت لوريانا له: «إذا أرسل إليَّ عنبًا، فسأصنع منه نبيذًا وأثمل، هذا سيكون ردِّي».

وفي أثناء خروجها من الحجرة المحصنة، صادفت منيرة وهي تعتني بالحديقة الصغيرة خارج المدخل. كانت منيرة تزرع ما يمكنها زراعته رغم أن سفن الإمدادات تجلب كل ما يحتاجون إليه. قالت ذات يوم: «الزراعة تشعرني بأنني أفعل شيئًا مفيدًا. على أي حال أجد ما أزرعه في البيت أفضل مذاقًا من أي شيء تُنتِجه مَزارع الرأس السحابي».

قالت لوريانا لمنيرة: «تلقيت شيئًا من الرأس السحابي، ولستُ متأكدة مما ينبغي لي فعله». وكانت منيرة الوحيدة التي أحست لوريانا بالثقة بها.

لم ترفع منيرة بصرها عن عملها في الحديقة، وقالت: «لا يجوز لي الحديث معك عن أي شيء متعلق بالرأس السحابي، أعملُ لصالح منجل، أتتذكرين؟».

- أعرف... لكن... الأمر مهم، وأنا في حيرة من أمري.
- ماذا يريد الرأس السحابي منك أن تفعلي في هذا الشأن؟

- يريد مني إبقاءه سِرًّا.
- إذن أبقيه سِرًّا، حُلَّت المشكلة.

لكن هذا كان منطق حلقة مفرغة أيضًا، لأن الرأس السحابي لا يقدم معلومة دون وجود غاية منها، ولم يسع لوريانا سوى أن تأمل أن تتضح لها الغاية، وألَّا تخفق عندما تتضح لها.

تساءلت لوريانا: «كيف حال المنجل فاراداي؟». لم تره منذ أشهر.

قالت منيرة: «الحال نفسه».

افترضت لوريانا أن منجلًا فقد الغاية من حياته أسوأ حالًا من عميل مزن عاطل عن العمل. «هل ينوي العودة إلى القطف؟ يوجد مئات العمال في كل الجزر الآن، وهذا عدد كبير بما يكفي للقطف هنا وهناك. لستُ متحمسة لرؤية القطف، لكن منجلًا لا يقطف ليس منجلًا تمامًا».

- لا ينوي فعل أي شيء.
- إذن هل أنت قلقة عليه؟
- ألن تقلقي لو كنتِ في مكاني؟

***

وجهة لوريانا التالية كانت مركز التوزيع، مستودع بسيط التصميم، بجوار الرصيف، حيث يمضي سيكورا معظم وقته وهو يمشي في أنحاء المكان ويشير إلى الأشياء.

ذهبت لوريانا إليه لتجس نبضه، لترى إذا صار سلوكه مختلفًا، لتعرف إذا تلقى المعلومات نفسها التي تلقتها، وما إذا كان في قائمة التوزيع الرسمية أم لا. لكنها وجدت سيكورا كدأبه دومًا، بيروقراطي يحب السلطة، سيِّد المشاريع التافهة بلا منازع.

بعد برهة لاحظ أنها تتسكع في المكان.

سألها: «هل من شيء يمكنني فعله لك أيتها العميلة بارتشوك؟». رغم أنهم لم يعودوا عملاء مزن منذ أكثر من عام، كان سيكورا ما زال يتصرف كأنهم عملاء مزن.

أجابت: «كنتُ أتساءل، هل فكَّرتَ مليًّا في الغرض من وجودنا هنا في كواجالين؟».

رفع بصره من جهازه اللوحي وتمهَّل ناظرًا إليها: «من الواضح أن الرأس السحابي يريد تأسيس مجتمع هنا، واختارنا لنكون السكان، ألم تدركي هذا بعد؟».

وافقته لوريانا: «بلى، أعرف، لكن لماذا؟».

ردد سيكورا كلامها، كأنما سؤالها شائن: «لماذا؟ لماذا يعيش الناس في أي مكان؟ سؤال 'لماذا' لا معنى له».

لم تكن ثمة فائدة من مواصلة النقاش. أدركت لوريانا أن هذا تحديدًا ما يريد الرأس السحابي من سيكورا أن يظنه، وعلى الأرجح هذا جزء من سبب عدم تلقيه الطرد، فإذا كان قد تلقاه، لأصر على التدخل في المشروع وإفساده. كان من الأفضل ألا يعرف بوجود المشروع.

قالت لوريانا: «انس الأمر. أمرٌ بيوم عصيب فحسب».

قال محاولًا أن تبدو نبرة كلامه أبوية حانية: «كل شيء يسير كما ينبغي أيتها العميلة بارتشوك، أدِّي عملكِ فحسب، واتركي الصورة الكبيرة لي».

وقد فعلت. ظلت يومًا تلو يوم ترسل الرسائل التي ينبغي إرسالها، وتشاهد استمرار مجهودات البناء الضخمة، جميع العمال يكدحون بسعادة ومثابرة النحل، جاهلين بكل شيء سوى مهامهم المحددة، وقد تقلَّص عالمهم فلا يستطيعون رؤية شيء سوى مسمار البرشام التالي الذي عليهم تثبيته.

لوريانا وحدها كانت ترى الصورة الكبيرة، خلافًا لجميع الناس ومعهم سيكورا.

لأن ذلك الطرد المحمي بشفرة حمض نووي لم يكن يحتوي على وثائق عادية بسيطة، إنما على مخطط برنامج عمل مفصَّل، خطط كل شيء يعتزم الرأس السحابي بناءه في الجزيرة.

ومثل الطرد نفسه، تطلَّب تأكيد موافقة لوريانا على الخطط إدخال حروفها الأولى وبصمة إبهامها وقطرة من دمها، كأنها مديرة المشروع بأكمله. ظلت تفكر حائرة طوال النهار، وتتقلب ساهرة طوال الليل، لكن في الصباح التالي أعطت موافقتها البيولوجية.

عندئذٍ عرفت تحديدًا ما يريد الرأس السحابي بناءه في الجزيرة، استبعدت أن يخمن أي أحد ماهيته، لكنهم سوف يعرفون، في غضون عام أو عامين سوف يتعذر إخفاؤه.

ولم تعرف لوريانا ما إذا ينبغي لها أن تشعر بالبهجة والتفاؤل أم الجزع والارتياع.

رفاقي مناجل غربمريكا..

بوصفي نصلكم السَّامي، أقف هنا لتبديد مخاوفكم وهواجسكم بشأن علاقتنا بوسطمريكا. الحقيقة البسيطة هي أنَّ العالم لم يعُد كما كان بعدما فقدنا إنديورا، الطُّونيُّون الصَّخَّابون يتحدُّون سلطتنا تحدِّيًا سافرًا، وصمت الرَّأس السَّحابي المستمر جعل مليارات النَّاس حائرين. يتطلَّب العالم منا القوَّة واستشعار المسؤوليَّة.

التَّوقيع على بنود الاصطفاف مع هيئة مناجل وسطمريكا يمثِّل خطوة في ذلك الاتِّجاه. أنا والنَّصل السَّامي غودارد على توافق تام بشأن منح حرِّيَّة القطف للمناجل وعدم تقييدهم بتقاليد عفى عليها الزَّمن.

أنا وغودارد سوف نمضي قُدمًا بوصفنا نِدَّين متساويين، إلى جانب النِّصال السَّامية في الامتداد الشمالي وشرقمريكا ومكسيتسكا، الذين سيوقِّعون على بنود الاصطفاف عمَّا قريب.

أطمئنكم أنَّنا لا نتنازل عن سيادتنا، إنما نؤكِّد وحدة أهدافنا المتمثِّلة في حماية مصالح هيئات مناجلنا واستدامة استنارتها.

- صاحبة السُّمو ماري بيكفورد، نصل سامي غربمريكا

خطاب خلوة الربيع

28 مايو، عام الكوكا

21

افتضح أمرُنا

بعد أكثر من عامين منذ موافقة لوريانا بارتشوك بحمضها النووي على مشروع الرأس السحابي السري، وبعد عام من اصطفاف غربمريكا رسميًّا مع وسطمريكا، جلس المنجل سيدني بوسويلو إلى مائدة إفطار قِبالة المنجل أناستازيا، محاولًا إطلاعها على مستجدات العالم.

وكانت أناستازيا تزداد انقباضًا وتفقد شهيتها إثر كل خبر جديد تسمعه، لم تكن مستعدة لمواجهة عالم يبسط فيه غودارد هيمنته على قارة بأكملها.

قال بوسويلو: «نحن في أمازونيا نقاوم غودارد، لكن ثمة أقاليم أخرى في أمريكا الجنوبية ينضمون إليه، ومؤخرًا سمعتُ أنه يحاول التقرُّب بجدية من إقليم بان آسيا».

مسح بوسويلو فُتات بيض من فمه، وتعجبت سيترا من عدم فقدانه شهيته، إذ لم تستطع فعل شيء سوى تحريك الطعام في طبقها على سبيل المجاملة. افترضت أن هذا هو الحال دومًا، أن الناس يصيبهم الخَدَر حالما تقع فاجعة ثم يمضي الوقت ويعتادها الناس. لم ترغب في أن يعتريها الخدر إلى هذه الدرجة.

تساءلت: «ما الذي يريده وليس لديه سلفًا؟ تخلَّص من حصص القطف، وبهذا ينبغي أن يُشبِع شهوة القتل لديه. وصار ذا سلطة على خمسة أقاليم في أمريكا الشمالية بدلًا من واحد، ينبغي أن يكون هذا كافيًا لأي أحد».

ابتسم بوسويلو لها ابتسامة متعالية أثارت حنقها: «سذاجتك تشرح القلب يا أناستازيا. لكن الحقيقة هي أنَّ السلطة من أجل السلطة نفسها إدمانٌ مُهلِك يصعب الفكاك منه. حتى إذا التهم غودارد العالم بأكمله، فلن يكتفي».

- لا بد أن نجد طريقة لإيقافه!

ابتسم بوسويلو مرة أخرى، وهذه المرة لم تكن ابتسامة متعالية، بل تآمرية، نالت استحسان أناستازيا قليلًا. قال: «هذا هو دورك. عودة المنجل أناستازيا من الموت ستلفت انتباه الناس، بل وربما تنفخ الروح في مناجل الحرس القديم المشتتين المحبطين، وعندئذٍ ربما نقدر على مقاومة غودارد».

تنهدت سيترا وتململت متضايقة: «هل يتقبل الناس، عامة الناس، التغييرات التي استحدثها غودارد؟».

- معظم الناسِ يرون شؤون المناجل غامضة، رغبتهم الوحيدة هي الابتعاد وتجنُّب القطف.

- لكن لا بد أن يروا ما يحدث وما يفعله غودارد...

- يرون... العامة يرهبونه، ويحترمونه أيضًا.

- ماذا عن حوادث القطف الجماعي؟ أنا متأكدة أنها صارت كثيرة. ألا ينزعج الناس منها؟

أطلق بوسويلو زفرة: «غودارد يختار عمليات قطفه الجماعية بعناية، لا يختار سوى الجماعات غير المسجلة وغير المحمية التي لا يمانع عامة الناس قطفها».

خفضت سيترا بصرها إلى طعامها الذي لم تأكُله، وقاومت رغبتها في قذفه على الجدار والتنفيس عن حنقها بسماع تهشُّم الأطباق. التحيز في القطف ليس جديدًا في التاريخ، لكن في الماضي كان المنجل يتعرض لعقاب فوري من نصله السامي. لكن عندما تكون السلطة العليا هي الجانية، فمن سيوقفها؟ روان كان الوحيد الذي يُنزِل الموت بأصحاب السلطة، وليس من المرجح أن يسمح بوسويلو له بمواصلة عمله.

سيجد غودارد مزيدًا من الجماعات المستضعفة ويستهدفها، وما دام معظم الناس لا يحتجُّون، فسينجو بأفعاله.

قال بوسويلو لها: «هذه الأخبار ليست سيئة كما تبدو. أتمنى أن تجدي عزاءً في أن أمازونيا ما زالت متمسكة بروح وصايا المنجل، وكذلك عدد من

هيئات المناجل الأخرى. نقدِّر أن نصف العالم، أو ربما أكثر، يعارض نهج غودارد وأفكاره. حتى في الأقاليم التي يسيطر عليها يوجد من سيقاومونه إذا استطاعوا. وقد لا تصدقين هذا، اتضح أن الطونيين يمثِّلون جبهة مقاومة مهمة منذ أن قُطِف نبيُّهم».

- نبيُّهم؟

- ثمة أناسٌ يؤمنون بأن الرأس السحابي ما زال يتكلم معه. لكن فيم يهم هذا الآن؟

إذن نال غودارد كل ما أراده. وهذا ما كانت ماري تخشاه، ما كانوا جميعهم يخشونه، ما سمَّاه المنجل أسيموف «أسوأ العوالم الممكنة». والآن رحلت ماري، واستعصى التمسُّك بالأمل.

وفي أثناء تذكُّر سيترا للمنجل كوري، داهمتها المشاعر التي نجحت في السيطرة عليها حتى الآن. آخر ما فعلته ماري كان إنقاذ سيترا وروان، تضحية خَلِيقة بإحدى أنبل الخالدين الذين عاشوا. وقد رحلت. رحلت منذ سنوات، لكن حزن سيترا ما زال نازفًا. أشاحت بوجهها عن بوسويلو لتكفكف دموعها، لكن حالما التفتت تحوَّلت الدموع الصامتة إلى نشيج عجزت عن السيطرة عليه.

سار بوسويلو حول المائدة ليواسيها. لم ترغب في مواساته، ولم ترغب في أن يراها وهي بهذه الحالة، لكنها كانت تعرف أن الألم ليس شيئًا ينبغي للمرء مواجهته وحده.

تكلم بوسويلو بصوت أبويٍّ مهدِّئ: «لا بأس ميو *آنخو*، كما قلتِ الأمل في غير محلِّه فحسب، وأنا موقن أنكِ من سيجده».

- ميو *آنخو*؟ لستُ ملاك أحد يا سيدني.

- أظنك كذلك، لأن العالم يحتاج إلى ملاك إذا أراد القضاء على غودارد.

استسلمت سيترا لحزنها المتدفق، وبعدما أحست بأنها نفَّست عنه قليلًا، أخمدت ما بقي منه، ومسحت دموعها. كانت تحتاج إلى هذه اللحظة، وتحتاج إلى توديع ماري. وعندئذٍ تغيَّر إحساسها. لأول مرة منذ إنعاشها أحست بأنها أبعد من سيترا تيرانوفا وأقرب إلى المنجل أناستازيا.

***

بعد يومين، نُقلت من مركز الإنعاش إلى مكان أشد تأمينًا، اتضح أنه حصن قديم على ساحل أمازونيا الشرقي، مكان ناءٍ مهجور، لكنه جميل، أشبه بقلعة على وجه القمر، إذا كان القمر قد وُهِب محيطات.

وسائل الرفاهية الحديثة بجانب المتاريس الحجرية القديمة جعلت المكان باعثًا على الراحة والرهبة في آن واحد. وكان في جناح سيترا فراش فخم يليق بملِكة. ثم لمَّح بوسويلو إلى أن روان أيضًا موجود في المكان، لكنه على الأرجح لم يتلقَّ المعاملة الملكية نفسها.

سألت بوسويلو محاولةً أن تبدو أقل اكتراثًا: «كيف حاله؟».. كان بوسويلو يزورها يوميًّا ويقضي معها أوقاتًا طويلة، ويواصل إخبارها تدريجيًّا ما حدث في العالم وما تغيَّر منذ غرق إنديورا.

قال لها: «روان يتلقى الرعاية المناسبة له، أشرفُ على رعايته بنفسي».

- لكنه ليس هنا معنا، مما يعني أنك ما زلت تراه مجرمًا.

- العالم يراه مجرمًا. رأيي فيه لا يهم.

- رأيك فيه يهمني.

تمهَّل بوسويلو قبل أن يجيب: «نظرتك إلى روان مشوشة بالحب ميو آنخو، لذا لا يمكن الاعتماد عليها، لكن لا يمكنني تجاهلها تجاهلًا تامًّا».

أتيحت لسيترا حرية التجول في الحصن، شريطة أن يرافقها شخص حيثما ذهبت، استكشفت المكان بذريعة الفضول، لكنها في الحقيقة كانت تبحث عن روان. أحد مرافقيها كان منجلًا مبتدئًا مزعجًا اسمه بيكسوتو، كان مأخوذًا بها إلى درجة أنها خشيت أن يشتعل إذا لامس عباءتها. في أثناء سيرها عبر مكان رطب بدا كأنه قاعة طعام قديمة، تعيَّن عليها ابتدار الكلام، لأن المنجل الشاب لبث واقفًا جوار السلالم الحجرية مشدوهًا بكل حركة تأتي بها.

قالت له: «لكَ أن تعيد عينيك إلى رأسك الآن».

قال بيكسوتو: «آسف جنابك، ما زلت أستصعب تصديق أنني أنظر إلى المنجل أناستازيا بشحمها ولحمها».

- حسنًا، النظر إليَّ لا يعني بالضرورة أن تكون عيناك جاحظتين هكذا.

- آسف جنابك، لن أكررها.

- ما زلتَ تحدِّق.

- آسف.

غض بيكسوتو بصره كما لو أن النظر إلى سيترا كالنظر إلى الشمس مباشرة. وحركته لم تقِل سوءًا عن التحديق. أهذه المعاملة السخيفة هي التي ستضطر سيترا إلى اعتيادها؟ هذه المعاملة أثارت ضيقها عندما كانت منجلًا عادية، والآن صارت أسطورة حية، مما يعني تلقيها مزيدًا من المعاملة التبجيلية المثيرة للغثيان.

وفي أثناء صعودهما سلمًا ضيقًا لا يفضي إلى مكان بعينه، قال بيكسوتو: «إذا سمحتِ لي بالسؤال... كيف كان الأمر؟».

- عليك أن تحدد ما تقصده.

- وجودك هناك عندما غرقت إنديورا، ومشاهدتك لما حدث.

تكلمت سيترا متضايقة من السؤال: «آسفة، كنت مشغولة بمحاولة النجاة فلم ألتقط صورًا».

قال: «أرجو المعذرة. كنتُ متتلمذًا عندما وقعت الحادثة. ومنذ ذلك الوقت ظللت مبهورًا بإنديورا. تحدثت مع عدة ناجين، من الذين غادروا بالقوارب والطائرات في اللحظات الأخيرة. يقولون إنها كانت عظيمة».

لم تجد أناستازيا بُدًّا من الإقرار: «إنديورا كانت مثيرة للإعجاب».

- لا، أقصد حادثة الغرق. سمعتُ أنه كان مشهدًا عظيمًا.

لم تُحر أناستازيا ردًّا على كلامه، فلاذت بالصمت. وعندما قابلت بوسويلو طلبت منه تكليف بيكسوتو بمهمة أخرى في مكان آخر.

***

بعد أسبوع في الحصن القديم، اتخذت الأحداث منحى غير متوقع، في منتصف الليل جاء بوسويلو إلى حجرة أناستازيا ومعه عدد من أفراد الحرس النصلي وأيقظها من نوم خالٍ من الأحلام.

قال: «ارتدي ملابسك بسرعة، علينا أن نغادر على عجالة».

قالت له: «سأكون على عجالة في الصباح»، منزعجة من إيقاظها وناعسة بحيث لم تدرك خطورة الوضع.

قال بوسويلو: «افتُضِح أمرنا! للتو وصل وفد مناجل من أمريكا الشمالية، وأؤكد لكِ أنهم لم يأتوا للترحيب بعودتكِ إلى العالم».

كان كلامه كافيًا لإنهاضها من الفراش: «من الذي أخبر...» لكن حتى قبل أن تكمل السؤال، عرفت الإجابة. «المنجل بيكسوتو!».

- إنك أكثر تبصُّرًا مني بذلك الوضيع. كان يجدر بي أن أعرف نياته.

- ليس من شيمك الارتياب في الناس بسهولة.

- إنني مغفل.

وبعدما ارتدت أناستازيا عباءتها سريعًا، لاحظت وجود شخص في الحجرة لم تره عندما استيقظت، وفي البداية حسِبته رجلًا، لكن عندما تحرك إلى الضوء، أدركت أن الزائر امرأة، لم تستطع التأكد.

- أناستازيا، أعرِّفك بجيريكو سوبرانِس، قبطان سفينة الاستنقاذ التي وجدتك. جيريكو ستصطحبك إلى مكان آمن.

- ماذا عن روان؟

- سأفعل ما يمكنني فعله من أجله، عليك أن تغادري الآن!

***

استيقظ روان بصوت قُفْل الباب. كان الظلام ما يزال مخيمًا بالخارج. وهذا لم يكن جزءًا من روتينه. كان القمر يرسل ضوءه عبر شق في الحجارة، ملقيًا شريط ضوء منخفض على الجدار البعيد. عندما خلد روان إلى النوم لم يكن القمر قد صعد بعد، ووفقًا لزاوية سقوط ضوئه، خمن روان أن الوقت قبل الفجر بقليل. تصنَّع النوم بينما عدة أشخاص يدخلون حجرته، حاملين مصابيح صغيرة، وكان الرواق الذي دخلوا منه مظلمًا. أدرك روان أنه لديه ميزة اعتياد عينيه على الظلام، لكن القادمين الغرباء يتفوقون عليه بكثرتهم. لبث ساكنًا، فاتحًا عينيه قليلًا بما يكفي لرؤية الأشخاص من خلال رموشه.

كانوا مجموعة غرباء، لكنهم ليسوا غرباء تمامًا. أول دليل على أنهم دخلاء كان تستُّرهم بالظلام، وأن أحدهم بدا كأنه يبحث عن مفتاح الإضاءة. أيًّا كانت هويتهم، كان من الواضح أنهم لا يعرفون أن إضاءة الحجرة، وعلى الأرجح الرواق أيضًا، يجري التحكم فيهما عن بعد في مكان آخر بالحصن. ثم لمح روان وميض خنجر مراسم من النوع الذي يضعه أفراد الحرس النصلي على

أحزمتهم. لكن الدليل الأبرز كان اثنين يرتديان عباءتين مرصعتين بجواهر تلتمع كالنجوم تحت ضوء القمر.

قالت إحدى المناجل: «أيقظوه». وبدا صوتها غير مألوف، لكن هذا لم يهم، فالجواهر التي على عباءتها دلَّت على أنها من مناجل التوجه الجديد، من أتباع غودارد، وهذا يجعلها وكل من معها في زمرة الأعداء.

انحنى أحد الحراس فوق روان وهَمَّ بصفعه ليوقظه، فمد روان يده وأمسك بالخنجر من خصر الحارس، لم يستخدمه ضد الحارس، إذ لن يكترث أحد إذا صار حارس شميتًا، بل وجَّه روان النصل نحو أقرب منجل مرصع بالجواهر، ليس المرأة التي تكلمت آنفًا، إنما المنجل الذي دفعته حماقته للاقتراب أكثر مما ينبغي، قطع روان وريده الوداجي بضربة واحدة، وانطلق نحو الباب.

نجحت خطته. راح المنجل يصيح ويتخبط وينزف، جاذبًا انتباه جميع الحاضرين، الذين لم يعرفوا ما عساهم أن يفعلوا، يطاردون روان أم يسعفون المنجل المحتضر.

عرف روان أنه يخوض قتالًا في سبيل حياته. العالم يراه الوحش الذي أغرق إنديورا، عرف هذا رغم أنه لم يُخبَر إلَّا القليل عن التغييرات التي حدثت في العالم عندما كان مع سيترا في قاع البحر. إجرامه المزعوم غُرِس في وعي البشرية الجمعي، وما من أمل في تغيير هذا. وخمن روان أن الرأس السحابي نفسه صدق هذا الزعم. لم يجد أمامه خيارًا سوى الهروب.

وفي أثناء ركضه في الرواق، أضاءت المصابيح، فرأى أنها ستساعده كما ستساعد مطارديه. لم يسبق له أن خرج من زنزانته، لذا لم تكن لديه فكرة عن تفاصيل مبنى الحصن القديم، الذي لم يكن تصميمه يساعد على الهروب، بل كان متاهة مصممة لاحتجاز كل من بداخلها.

كانت مجهودات القبض عليه عشوائية، لكن بما أنهم تمكنوا من إضاءة المصابيح، فعلى الأرجح بوسعهم رؤية شاشات المراقبة ولديهم معرفة أساسية بتصميم الحصن.

تخلص بسهولة من الحراس والمناجل القليلين الذين صادفهم بعد خروجه من الزنزانة. رغم أن المناجل مدربون على المواجهة والقتال، نادرًا ما يواجهون خصومًا مدربين على المهارات القتالية مثل روان، أما أفراد الحرس

النصلي، فقد كانوا، مثل خناجرهم، مجرد شكليات. الجدران الحجرية التي لم تر دماءً منذ قرون ارتَوَت اليوم.

إذا كان المبنى عاديًّا، لما صعُب الهروب على روان، لكنه ظل يجد نفسه عند نهايات مسدودة.

وماذا عن سيترا؟

هل وقعت في قبضتهم؟ هل سيعاملها هؤلاء المناجل معاملة أفضل من التي وجدها؟ ربما هي أيضًا تركض في هذه الأروقة، ربما يجدها ويهربان معًا، دفعته الفكرة لمضاعفة مجهوده، فزاد من سرعته عبر المتاهة الحجرية.

وبعدما وجد نفسه عند طريق مسدود للمرة الرابعة، عاد أدراجه فوجد طريق تراجعه مسدودًا بأكثر من عشرة حراس ومناجل، حاول شق طريقه بالقتال، لكن رغم رغبته في الاقتناع بأن المنجل لوسيفر لا يُقهر، غُلِب روان داميش. انتُزِع الخنجر من يده، وأسقِط على الأرض، وقُيِّدت يداه بشيء معدني مقيت بحيث لا يمكن أن يكون إلَّا من عصر الفانين.

وحالما سُيطِر عليه، اقتربت منه منجل.

أمرت الحراس: «اجعلوه يواجهني». كانت المنجل التي تكلمت في الزنزانة، التي تتولى هذه العملية. لم تكن غريبة على روان، ليست من مناجل وسطمريكا، لكنه رأى وجهها من قبل.

«كل الذين تسبَّبتَ في شموتهم سوف يُنعَشون». كانت تطفح حقدًا وغضبًا فتطاير اللعاب من شفتيها وهي تتكلم: «سوف يُنعَشون ويشهدون ضدك».

- إذا أردتُ إنهاء حيواتهم لفعلت.

- على أي حال، جرائمك اليوم ستزيد عدد مرات الموت التي تنتظرك.

- أكثر من عدد مرات الموت الذي تعرضتُ له سلفًا؟ معذرة، لم أعد أميزها.

أجج كلامه غضبها، وهذا ما أراده. قالت: «ليس الموت فحسب، بل الألم أيضًا، الألم المبرح، الذي وافق عليه نصل مصلت أمريكا الشمالية في حالات بعينها، وحالتك تستحق أشد ضروب المعاناة العقابية».

لم ينزعج روان من ذِكر الألم، إنما من فكرة *نصل مصلت أمريكا الشمالية*.

أمرت أحد الحراس: «اجعله شميتًا، حتى لا يسبب لنا مزيدًا من المتاعب. سوف ننعشه لاحقًا».

- كما تأمرين يا صاحبة السمو.

قال روان: «صاحبة السمو؟». النصال السامون وحدهم يُخاطَبون بهذا اللقب. وعندئذٍ تذكر روان أخيرًا اسم المنجل، فقال غير مصدق: «النصل السامي بيكفورد؟ نصل سامي غربمريكا؟ هل يسيطر غودارد على إقليمك أيضًا؟».

احمرار وجهها الغاضب أجاب نيابة عنها.

قالت بيكفورد: «أتمنى لو لم أضطر إلى إنعاشك قط، لكن هذا ليس قراري». ثم التفتت إلى الحراس الممسكين بروان: «أنجزوا المهمة دون سفك دماء، شهدنا ما يكفي منها اليوم».

سحق أحد الحراس حنجرة روان، مضيفًا له موتة أخرى إلى موتاته العديدة البغيضة.

***

استل المنجل بوسويلو نصله حالما رأى مناجل لا يرتدون العباءات الخضراء التقليدية الخاصة بهيئة مناجل أمازونيا، متجاهلًا تحريم العنف بين المناجل، مستعدًّا للعقاب أيًّا يكن. لكن عندما ظهرت نصل سامي غربمريكا من خلف المناجل الآخرين، رأى بوسويلو أن يتعقَّل، وأعاد نصله إلى غمده سريعًا، لكنه لم يمسك لسانه الحاد.

سألها: «بسلطة مَن تنتهكون نطاق صلاحية هيئة المناجل الأمازونية؟».

تكلمت النصل السامي بيكفورد مُلوِّحة بصوتها كأنه نصل: «لا نحتاج إلى إذن لنقبض على مجرم مطلوب عالميًّا. بسلطة مَن كنتَ تحميه؟».

- إننا نحتجزه، لا نحميه.

- هذا ما تقوله. حسنًا، لم يعُد الفتى من شواغلك، ثمة مُسيَّرة إسعاف تابعة لنا حملته إلى طائرتنا.

هددها بوسويلو: «سوف تترتب عواقب إذا واصلتِ ما تفعلينه! أؤكد لك».

- لا أكترث. أين المنجل أناستازيا؟

- ليست مجرمة.

- أين هي؟

- ليست هنا.

وعندئذٍ خرج من الظلال بيكسوتو ابن عرس الذي خانهم لينال حظوة غودارد. وقال: «كاذب. أناستازيا في حجرة عند نهاية هذا الدهليز».

قال بوسويلو: «ابحثوا كما تريدون، لن تجدوها. غادرت منذ مدة طويلة».

أشارت بيكفورد للمناجل والحرس النصلي المرافقين لها ليذهبوا ويبحثوا، فساروا معًا متجاوزين بوسويلو وبحثوا في كل غرفة وتجويف مروا به، ولم يمنعهم بوسويلو، لأنه يعرف أنهم لن يجدوا شيئًا.

قال بوسويلو: «أخطرتُ نصلي السامي بهذا التعدِّي، وقد صدر مرسوم جديد للتو، أي منجل أمريكي شمالي موجود ضمن حدود أمازونيا سيُقبض عليه ويُرغَم على قطف نفسه».

- لن تجرؤوا!

- أقترح عليك أن تغادري قبل وصول التعزيزات لتنفيذ المرسوم، وأرجو أن تُخطري نصلكم المصلت المزعوم بأنه ومناجله الدُّمى العاملين لديه غير مُرحب بهم في أمازونيا.

حدقت بيكفورد إليه بازدراء، لكنه لم يتراجع. وأخيرًا بدا الضعف على وجهها البارد، وعندئذٍ لمح بوسويلو ما يعتمل بدواخلها، كانت مرهقة، ومهزومة. قالت: «حسنًا. لكن صدقني، إذا عزم غودارد على إيجادها، فسوف يجدها».

عاد أفراد حاشيتها خائبين، فأمرت بالمغادرة، لكن بوسويلو لم يكمل كل ما يريد قوله.

سألها: «ماذا جرى لكِ يا ماري؟»، صعُب عليها تجاهل نبرة خيبة الأمل الصادقة في صوته: «في العام الماضي القريب ألم تقولي إنكِ لن تتنازلي عن سيادتك لغودارد؟ والآن انظري إلى حالك، في قارة أخرى تنفذين ما يأمرك به. كنتِ امرأة ذات شرف، منجلًا صالحة...».

قالت: «ما زلت منجلًا صالحة. لكن زماننا تغير، وإذا لم نتغير معه، فسوف يسحقنا ما هو آت. انقل كلامي هذا إلى نصلك السامي»، خفضت بصرها وأطرقت قليلًا: «كثيرون من أصدقائي في هيئة مناجل غربمريكا فضَّلوا قطف أنفسهم على الخضوع لغودارد وتوجُّهه الجديد، رأوا ما فعلوه تحدِّيًا، وأنا أراه ضعفًا، وقد تعهدت بألَّا أكون ضعيفة أبدًا».

ثم استدارت وسارت مبتعدة بخطوات واسعة، وذيل عباءتها الحريرية الطويل مُثقل بالأوبال فلم يعد يرفرف خلفها، بل صار يُسحب على الأرض.

لم يسترخِ بوسويلو إلَّا بعدما غادرت بيكفورد. ثم بلغه خبر أن أناستازيا والقبطان سوبرانس وصلا إلى الميناء، وأن سفينة سبنس تبحر عبر المحيط الأطلسي وأضواؤها مطفأة، كما كانت عندما انتشلت الخزانة من الأعماق. القبطان واسعة الحيلة وجديرة بالثقة. فكان بوسويلو موقنًا أن جيريكو ستنجح في اصطحاب أناستازيا عبر البحر إلى أصدقاء ربما يحافظون على سلامتها أفضل منه.

أما الفتى، فلا شك في أن بيكفورد ستذهب به إلى غودارد، واعترت بوسويلو مشاعر مختلطة، لم يكن متأكدًا من أنه يصدِّق زعم أناستازيا ببراءة روان، حتى إذا لم يكن هو الذي أغرق إنديورا، فقد أنهى حيوات أكثر من اثني عشر منجلًا، ولا يهم إذا كان أولئك المناجل يستحقون إنهاء حيواتهم أم لا. لم يعد في العالم مكان للذين يأخذون على عاتقهم معاقبة المجرمين بأيديهم، وجميع المناجل يتفقون على هذا، مما يعني، بصرف النظر عن الفلسفة، أنَّ ما من نصل سامٍ في العالم قد يسمح لروان بالبقاء على قيد الحياة.

رأى بوسويلو أنه أخطأ عندما أنعشه، وأنه كان ينبغي له وضع الفتى في الخزانة وإعادتها إلى الأعماق. لأن النصل المصلت سيعاقب روان داميش دون أي رحمة.

سِفر النَّاقوس

اتَّخذ النَّاقوس معاشه في دَيْر قديم عند أقصى شمال المدينة، تقاسم الخُبز والرِّفقة مع المؤمن، والسَّاحر، والمقاتل، فجميعهم متساوون عند النَّاقوس، لذا فإنَّ جميع الأرواح السَّامية والوضيعة، تأتي إليه لتُبجِّله وهو جالس في مَهْد الشَّوكة العظيمة في ربيع حياته، واهبًا النَّاس حكمته ونبوءته، وهو لا يعرف الشِّتاء أبدًا، لأنَّ الشَّمس تَحنُو عليه أكثر من حنوِّها على الآخرين، فلنبتهج!

تفسير الخوري سيمفونيس

هنا نجد أوَّل إشارة لما نسمِّيه بالوَتَر الأوَّل. المؤمن والساحر والمقاتل هم نماذج الأسلاف الأصليِّين لمكوِّنات الجنس البشري. النَّاقوس وحده بوسعه توحيد مثل هذه الأصوات اليائسة جاعلًا منها صوتًا متناغمًا يَطرَب الطَّون له. وفي هذا النَّص أيضًا أوَّل ذِكر للشَّوكة العظيمة، التي تُعرَف بأنَّها إشارة رمزيَّة للسَّبيلين اللذين يختار المرءُ أحدَهما في حياته: سبيل التَّناغم، وسبيل النَّشاز. وإلى يومنا هذا ما زال النَّاقوس يقف عند مفترق السَّبيلين، داعيًا إيَّانا إلى التَّناغم الأبدي.

تحليل كودا لتفسير سيمفونيس

مرَّة أخرى، خَلُص سيمفونيس إلى استنتاجات غير عقلانيَّة تلوِي عُنق الحقائق. من الجائز أنَّ الملاحظات المتعلِّقة بالوتر الأوَّل تمثِّل نماذج للأسلاف الأصليِّين، لكن يجوز أيضًا أنَّهم يمثِّلون ثلاثة أشخاص حقيقيِّين بعينهم. ربَّما السَّاحر كان مُغنِّي أو مُرفِّه البلاط، ربما المقاتل كان فارسًا تصدَّى للوحوش نافِثة النَّار التي يُشاع وجودها في ذلك الزَّمان. لكن الأمر الأشنع، بحسب رأيي، هو أنَّ سيمفونيس فاتت عليه حقيقة أنَّ جلوس النَّاقوس عند «مَهد الشَّوكة العظيمة في ربيع حياته» ليس سوى كِناية واضحة عن الخصوبة.

22

أطباق تحلية

كما هو الحال مع معظم الأشياء في حياة غريسن ناقوسًا، اختار الخوري مندوزا مقرَّه الرسمي، أو بالأحرى، قدَّم له قائمة بالمقرَّات المنتقاة ليختار منها في اجتماع كبير حضره خوريون كبار.

قال مندوزا لغريسن: «في ظل تنامي شهرتك وزيادة أعدائك، نحتاج إلى موقع محصَّن ويمكن الدفاع عنه». ثم قدَّم ما بدا كسؤال في اختبار على هيئة اختيار من متعدد: «ونظرًا إلى تزايد أعداد مؤمنينا، تلقينا تمويلًا كافيًا للحصول على أيٍّ من هذه المواقع، لك أن تختار منها».

وقد كانت الخيارات:

أ) كاتدرائية حجرية ضخمة.

ب) محطة قطارات حجرية ضخمة.

ت) قاعة حفلات موسيقية حجرية ضخمة.

ث) دير بعيد معزول لربما يبدو ضخمًا في ظل ظروف أخرى لكنه بدا ضئيلًا مقارنة بالمباني السابقة.

وكان مندوزا قد أضاف الخيار الأخير لإرضاء الخوريين الأكثر تواضعًا. نهض الناقوس، وبحركة مرحة قصد بها الاستهزاء قليلًا بالعملية كلها، رفع يده وأشار إلى الإجابة الخطأ الوحيدة في الاختبار: الدَّيْر. لأنه عرف أن مندوزا لا يريد الدير، فضلًا عن أن الدير أعجبه قليلًا.

كان الدير، وهو مشيد وسط متنزه عند أقصى شمال المدينة، في البداية متحفًا مصممًا ليبدو كدير قديم. ولم يكن معماريوه يعرفون أن نجاحهم سيبلغ درجة أن يصبح المبنى ديرًا فعلًا.

النُّجود التي كانت معلقة على الجدران ذات يوم أُرسِلت إلى متحف آخر مختص بفنون عصر الفانين، وحلَّت محلها نجود جديدة مصنوعة بحيث تبدو قديمة، تصوِّر مشاهد تُبرِز أهمية الطونية الدينية. عند النظر إليها قد يخطر للمرء أن العقيدة الطونية موجودة منذ آلاف السنين.

ظل غريسن يعيش في هذا الدير لأكثر من عام، لكنه لم يحس به بيته قط، ربما لأنه ما زال الناقوس، ويرتدي ملابسه المطرزة التي تثير الحكَّة. لم يكن بوسعه أن يخلعها ويعود غريسن توليفر إلا عندما يكون وحده في جناحه الخاص. لكنه يعود غريسن توليفر مع نفسه فحسب، أما في نظر باقي الناس فهو الناقوس مهما تكن الملابس التي يرتديها.

قيل لطاقم المرافقين له مرارًا وتكرارًا ألَّا يعاملوه بإجلال زائد، إنما باحترام عادي فحسب، لكن بلا جدوى، فجميعهم كانوا طونيين مخلصين وقع الاختيار عليهم بعناية، وعندما التحقوا بخدمة الناقوس أصبحوا يعاملونه كأنه إله. ينحنون له عندما يمُر، وعندما يأمرهم بالكف عن الانحناء، يستمتعون بسماع توبيخه. كان وضعًا ميؤوسًا منه. لكن على الأقل كانوا أفضل من المتعصبين، الذين يزدادون تطرُّفًا، وظهر لهم اسم جديد: الصَّخَّابون، أصحاب الصوت النشاز المُعذِّب البغيض.

لم يكن غريسن يجد راحة من الإجلال الزائد إلَّا برفقة الأخت آستريد، التي، رغمًا عن إيمانها المُتَّقِد بأنه نبي، لم تكن تعامله كأنه نبي. لكنها لم تكِل أو تمِل من الانخراط معه في نقاشات روحانية لتفتح قلبه أمام حقيقة العقيدة الطونية. تحدثت معه كثيرًا عن التَّناغم الكوني والتَّعاقُب النَّغَمي المقدس. ثم أراد غريسن أن يجلب أفرادًا غير طونيين إلى دائرته المقربة، لكن مندوزا رفض الفكرة رفضًا باتًّا.

أصر مندوزا: «عليك بتوخِّي الحرص الشديد في اختيار مرافقيك، لا نعرف مَن يمكننا أن نثق بهم، نظرًا إلى تزايد استهداف المناجل للطونيين».

قال غريسن: «الرأس السحابي يعرف من يمكنني أن أثق به». فتضايق مندوزا.

ظل مندوزا في حركة دؤوبة. عندما كان خوريًّا في دير صغير كان يميل للهدوء والتأمل، لكنه تغير، عاد خبيرًا في التسويق كما كان قبل أن يصبح طونيًّا. كان قد قال ذات يوم: «الطون يضعني حيثما احتاج إليَّ ومتى ما احتاج إليَّ»، ثم أردف: «فلنبتهج!». لكن غريسن لم يكن واثقًا من صدقه عندما قال العبارة، حتى عندما يتولى الطقوس الدينية، دائمًا ما تبدو كلمة «فلنبتهج» تهكُّمية قليلًا.

كما ظل مندوزا على تواصل دائم مع الخوريين حول العالم، متطفِّلين سرًّا على خوادم هيئة المناجل. قال: «إنها الخوادم الأشد فوضى والأقل رقابة في العالم».

كان ثمة شيء يبعث على الرضا والانزعاج في آن واحد في معرفة أنهم يستعينون بخوادم هيئة المناجل لحمل رسائلهم السرية إلى الخوريين الطونيين حول العالم.

***

وجد غريسن في جناحه الخاص ملاذًا حقيقيًّا، المكان الوحيد الذي يتكلم فيه الرأس السحابي بصوت عالٍ وليس عبر المِسماع فحسب، وهذا كان يُشعِر غريسن بحرية محسوسة أكثر من نزع ملابس الناقوس غير المريحة، فالمِسماع الذي يضعه أمام العامة يجعل الرأس السحابي كأنه صوت داخل رأسه. لم يكن الرأس السحابي يتكلم معه بصوت عالٍ إلَّا عندما يعرف أن لا أحد سيسمعه، وعندما يتكلم بصوت عالٍ، يحس غريسن بأنه محاط بالرأس السحابي، وبأنه داخل الرأس السحابي، ليس العكس.

قال للرأس السحابي: «تكلم معي»، وتمدد على فراشه الوثير، كان فراشًا ضخمًا صنعه له خصيصى أحدُ أتباعه من الذين يحترفون صناعة المَفارش يدويًّا. كان الفراش كبيرًا بحيث يتسع لجيش صغير. ماذا يتوقعون من الناقوس أن يفعل فيه؟ حتى في المناسبات النادرة عندما يحظى بـ«رفقة

ضيف» -وفقًا لتعبير الخوريين متوخِّين اللباقة- كان غريسن يحس بأن عليهما إلقاء فتات الخبز حتى يعثر أحدهما على الآخر.

في معظم الأحيان يكون وحده عندما يضجع على فراشه، وهذا يضعه أمام خيارين، إما أن يحس بالعزلة وضآلة شأنه، وإما أن يحاول تذكُّر إحساس الرضيع وهو ممدد في منتصف فراش والديه آمنًا مرتاحًا محبوبًا. لا بد أن والديه فعلا هذا مرة واحدة على الأقل قبل أن يسأما من تربِيته.

أجابه الرأس السحابي: «يسرني التكلم يا غريسن، ماذا نناقش؟».

- لا يهم، دردشة خفيفة، حديث عميق، هذا وذاك.

- هلَّا ناقشنا موضوع أتباعك ومدى تزايدهم؟

انقلب غريسن على الفراش: «إنك تعرف كيفية إفساد مزاجي، أتعرف هذا؟ لا، لا أريد الحديث عن أي موضوع يخص الناقوس». زحف إلى حافة الفراش وحمل طبق كعكة جبن جلبه معه من العشاء. إذا أراد الرأس السحابي أن يتحدث عن حياة الناقوس، فقطعًا سيحتاج غريسن إلى طعام يلتمس فيه المواساة.

قال الرأس السحابي: «ازدياد حجم الحركة الطونية أمرٌ جيد، يعني أننا عندما نحتاج إلى تعبئة الطونيين، فسوف يكونون قوة يُحسب لها حساب».

- تبدو كأنك تعتزم خوض حرب.

- آمل ألَّا يكون هذا ضروريًّا.

لم يقل الرأس السحابي المزيد في هذا الشأن. منذ البداية ظل غامضًا إزاء كيفية الاستفادة من الطونيين، فجعل غريسن يحس بأنه موضع ثقة دون أن يكون موضع ثقة فعلًا.

قال: «لا أحب أن أُستغَل دون معرفة الغاية النهائية»، وليشدد على امتعاضه تحرك إلى الموضع الوحيد في الغرفة الذي يعرف أن كاميرات الرأس السحابي لا تراه بوضوح.

قال الرأس السحابي: «وجدتَ بقعة محجوبة، ربما تعرف أكثر مما يظن الناس».

- ليست لدي فكرة عما تتكلم عنه.

أطلق مكيف الهواء نفخة هواء أقوى لوهلة، كانت تنهيدة الرأس السحابي: «سوف أخبرك حالما تتضح معالم الأمور، لكن الآن ثمة عوائق عليَّ التغلُّب عليها قبل أن أجري حسابات فُرص نجاح خطتي للبشرية».

استغرب غريسن قول الرأس السحابي كلامًا على شاكلة «خطتي للبشرية» بنبرة عادية غير مبالية مثلما يقول شخص «وصفتي لكعكة جبن». وبالمناسبة كانت كعكة الجبن التي يتناولها غريسن سيئة، بلا نكهة، وهلامية بدلًا من أن تكون كريمية. يؤمن الطونيون بأن السمع هو الحاسة الوحيدة التي تستحق الإشباع والاستمتاع بها. لكن يبدو أن أحدهم قرأ التعابير التي ارتسمت على وجه غريسن وهو يتذوق كعكة بابكا مريعة، وهرع طاقم الموظفين ليبحثوا عن طاهي تحلية جديد. هذا ما يميز مكانة الناقوس، يرفع أحد حاجبيه، فتتحرك الجبال، سواء رغب في أن تتحرك أم لم يرغب.

سأله الرأس السحابي: «هل أنت مستاء مني يا غريسن؟».

- إنك تدير العالم بأكمله، فيم يهمُّك استيائي؟

- يهمُّني، يهمُّني جدًّا.

***

- عليك أن تعامل الناقوس بإجلال مطلق مهما يقُل لك.

- نعم سيدتي.

- ابتعد بعيدًا عن طريقه عندما تراه قادمًا نحوك.

- نعم سيدتي.

- اخفض بصرك دائمًا في حضوره، وانحنِ.

- نعم سيدتي.

نظرت الأخت آستريد، وقد صارت رئيسة موظفي الدير، إلى طاهي المعجنات الجديد نظرة فاحصة، وضيَّقت عينيها كأنما تضييقهما سيساعدها على النظر إلى روح الشاب: «من أين أنت؟».

أجابها: «برَذَرلي لوف».

- حسنًا، آمل ألَّا يكون رأسك معطوبًا مثل جرس *الحرية*. لا بد أنك أثبتَّ تميُّزك لخوريك حتى دفعتَه إلى التوصية بك لإلحاقك بخدمة الناقوس.

- أنا الأفضل في مجالي، الأفضل بلا منازع.

تكلمت مبتسمة ابتسامة ماكرة: «طوني عديم التواضع... بعض الطوائف الصَّخَّابة ربما تقطع لسانك على تبجُحك هذا».

- الناقوس حكيم لن يفعل هذا يا سيدتي.

وافقته: «إنه كذلك، إنه كذلك»، ثم مدت يدها فجأة واعتصرت عضلة ذراعه اليمنى، فشدَّها الوافد الجديد لا إراديًا: «إنكَ قوي. وفقًا لمظهرك يفاجئني عدم تعيينك ضمن الفريق الأمني».

- إنني طاهي معجنات، السلاح الوحيد الذي ألوِّح به هو خافق البيض.

- لكن هل ستقاتل من أجله إذا طُلِب منك؟

- مستعد لتلبية جميع احتياجات الناقوس.

راضيةً قالت: «جيد. حسنًا، الآن يحتاج منك إلى تحلية الليلة»، ثم طلبت من أحد الموظفين اصطحابه إلى المطبخ.

ابتسم الطاهي الجديد ابتسامة واسعة في أثناء اقتياده، فقد اجتاز تدقيق رئيسة الموظفين. الأخت آستريد معروفة بعدم تساهلها مع الوافدين الجدد، مهما كانت التوصية عليهم عالية. لكن الطاهي ارتقى إلى معاييرها العالية. سُر المنجل موريسن أيما سرور.

***

قال الرأس السحابي لغريسن في ذلك المساء قبل أن يخلع ملابسه ويستريح: «أظن أن السفر ربما يكون فكرة جيدة في اللحظة الراهنة، أوصي به بشدة».

- قلتُ لك سلفًا إنني لن أخرج في جولة عالمية، العالم يأتي إليَّ فردًا فردًا، هذا يناسبني، وحتى الآن كان هذا ما تريده أنت أيضًا.

- لا أقترح جولة عالمية، ربما رحلة حج غير معلنة إلى أماكن لم تزُرها. ألا ينبغي أن يُعرَف أن الناقوس طاف حول العالم كما كان الأنبياء يفعلون في الماضي؟

لكن غريسن توليفر لم تراوده شهوة التَّسْفار قط. قبل أن تنحرف حياته عن مسارها كان يأمل أن يخدم الرأس السحابي في مكان قريب من دياره،

وإذا تعذَّر هذا، ففي مكان واحد يجعله دياره. وقد وجد أن لينابي سيتي هي كل العالم الذي يحتاج إلى رؤيته.

قال الرأس السحابي: «هذا مجرد اقتراح، لكنني أراه مهمًّا». لم يكن الإلحاح من شيم الرأس السحابي عندما يوضِّح غريسن رأيه في أمرٍ توضيحًا تامًّا. ربما سوف يأتي وقت يتوجب فيه على غريسن اقتلاع جذوره والتحرك لاحتواء الطوائف الصخَّابين، لكن لماذا الآن؟

قال غريسن: «سأفكر بالأمر»، لينهي النقاش فحسب: «لكن الآن أحتاج إلى الاستحمام والتوقف عن التفكير بالأشياء التي تثير توتري».

قال الرأس السحابي: «بالطبع، سأجهِّز لك الحمام».

لكن مياه الحمام التي جهزها الرأس السحابي كانت ساخنة جدًّا، تحمَّلها غريسن دون كلام. فيم يفكر الرأس السحابي؟ هل يعاقبه بصمت لعدم رغبته في السفر؟ ليس من شيم الرأس السحابي. ما السبب الذي قد يدفعه إلى وضع غريسن في مياه ساخنة؟

***

قيل إن طاهي المعجنات الجديد عبقري، وقد كان عبقريًّا، أو على الأقل إلى أن قطفه المنجل موريسن وحلَّ محله. حقيقة ما حدث هي أن المنجل موريسن، قبل ثلاثة أسابيع، كان يقدر على غلْي الماء بالكاد، ناهيك بأن يخبز سوفليه، لكنه تلقى دروسًا مكثفة في إعداد التحلية تعلَّم منها الأساسيات الكافية لتزييف هويته في المدة القصيرة التي يحتاج إليها، حتى إنه طوَّر لنفسه بضع وصفات خاصة به، تعلم إعداد تيراميسو ممتاز وكعك جبن بالفراولة تُحفة.

كان متوترًا في أول يومين، ورغم أن يديه غير المُتمرِّستين لهْوَجتا كثيرًا في المطبخ، فقد ساعدتاه على ذر الرماد في الأعين بفاعلية، فجميع الخدم الجدد يتوترون في البداية، وبفضل صرامة الأخت آستريد، يظلون متوترين طوال مدة خدمتهم، لذا كانت حركات موريسن الخرقاء في المطبخ تُعد طبيعية.

في نهاية المطاف سوف يدركون أنه ليس الطاهي الذي يظنونه، لكنه لم يكن يحتاج إلى التظاهر مدة طويلة، وعندما ينجز مهمته سيتحرر كل

الطونيين المتوترين من الخدمة، لأن الرجل المقدس الذي يخدمونه على وشك أن يُقطَف.

***

قال غريسن للأخت آستريد: «سلوك الرأس السحابي غريب في الآونة الأخيرة». كانت الأخت آستريد تتناول معه العشاء في تلك الليلة، دائمًا ما يأتيه شخص يتناول معه العشاء، إذ لم يرغبوا في أن يتناول الناقوس عشاءه وحده أبدًا. في الليلة السابقة جاءه خوري زائر من أنتاركتيكا، وقبلها امرأة تصنع شوكات رنانة جميلة توضع في المنازل. نادرًا ما يأتي شخص يود غريسن تناول العشاء معه، ونادرًا يكون هو نفسه غريسن، لا بد أن يكون الناقوس في كل وجبة. أمر مزعج، لأن ملابسه تتلطخ بسهولة ويصعب تنظيفها نظافة لا تشوبها شائبة وفقًا لما تقتضيه مكانة الناقوس، لذا كانت تُبدَّل دومًا. كان غريسن يفضِّل تناول عشائه مرتديًا بنطال جينز وتيشيرت، لكن بدا له أنه لن يحظى بهذه الرفاهية أبدًا.

سألته الأخت آستريد: «ماذا تقصد بغريب؟».

قال غريسن: «يكرر كلامه، ويأتي بأفعال... غير مرغوبة. يصعب عليَّ التحديد. إنه... ليس على طبيعته فحسب».

هزت آستريد كتفيها: «الرأس السحابي هو الرأس السحابي، وسلوكه هو سلوكه نفسه».

قال غريسن: «يا لك من طونية مُخلصة!». لم يقصد بكلامه التهكُّم، لكن آستريد فهمته تهكمًا.

قالت: «ما أقصده هو أن أفعال الرأس السحابي مُتَّسِقة دومًا. إذا لم تستوعب أفعاله، فالمشكلة فيك أنت».

ابتسم غريسن: «سوف تكونين خورية ممتازة ذات يوم يا آستريد».

وضع خادم التحلية أمامهما كعكة جبن بالفراولة.

قالت آستريد لغريسن: «تذوقها، وأخبرني إذا كان الطاهي الجديد أفضل من سابقه».

تناول غريسن قطعة صغيرة بشوكته وتذوقها. وجدها مثالية.

قال: «عجبًا! أخيرًا لدينا طاهي حلويات مُحترم!».

على الأقل أبعدت الكعكةُ الرأسَ السحابي عن ذهنه في اللحظات التي استغرقها لتناولها.

***

كان المنجل موريسن مدركًا لأهمية قطف الناقوس دون سفك دماء ومن الداخل، بدلًا من قطفه بهجوم مباشر، فالطونيون الذين يحرسون الناقوس مستعدون للموت من أجل نبيِّهم، ومسلَّحون بأسلحة غير قانونية من عصر الفانين، مستعدون للقتال بضراوة لا يعرفها الناس العاديون، لذا حتى إذا نجح فريق اغتيال، فسيعرف العالم المقاومة التي أبداها الطونيون، لكن يجب ألَّا يرى العالم أبدًا مستوى المقاومة الذي تواجهه هيئة المناجل. حتى الآن كان أفضل إجراء هو الاكتفاء بتجاهل وجود الناقوس. كانت هيئات مناجل العالم تأمل أن تقلل من شأن الناقوس بالتعامل معه باستخفاف، لكن بدا واضحًا أن شأنه تعاظم إلى درجة جعلت غودارد يرغب في التخلص منه، ورأى أن أفضل طريقة هي إرسال رجل واحد خلسة حتى لا تكون العملية مرهقة وتُحدِث ضجة كبرى.

تمثَّل جمال الخطة في اعتمادها على ثقة الطونيين بأنفسهم. أجروا تحقيقًا مكثفًا في خلفية طاهي المعجنات الجديد قبل الموافقة عليه، لكن كان من السهل تعديل بطاقة هوية موريسن بحيث يكون الطاهي بعدما تأكد الطونيون من سلامة تحقيقاتهم.

أقرَّ موريسن مع نفسه بأنه يستمتع بوظيفته ويحب إعداد المخبوزات أكثر مما كان ليظن، ورأى أنه ربما يتخذها هواية بعدما ينجز مهمته. ألم تكن المنجل كوري تطبخ وجبات لعائلات الذين تقطفهم؟ ربما يُعِد موريسن لهم التحلية.

كان رئيس الطهاة قد نصحه في أول يوم: «احرص دومًا على خَبز كميات إضافية، الناقوس يجوع في الليل، وعادةً ما يرغب في تناول شيء حلو».

معلومة ثمينة.

وقد أجابه موريسن: «إذن سأحرص على إعداد تحلية لا يكتفي منها أبدًا».

سِفر النَّاقوس

واجه النَّاقوس عددًا لا يُحصَى من الأعداء، في هذه الحياة وغيرها. عندما اقتحم جالِبُ الموت مَسكن النَّاقوس وأطبق بيده الباردة على عنقه، رفض الاستسلام. أنشَب الموت، مرتديًا كفنًا أزرق خشنًا، مخالبه في النَّاقوس. وأجل، رغم أنَّ الموت أنهى وجود النَّاقوس على الأرض، لم تكن نهايته. بل رُفِع فوق هذا العالم إلى طبقة صوت عُليا. فلنبتهج!

تفسير الخوري سيمفونيس

لا تنخدعوا... الموت نفسه ليس العدو، لأنَّنا نؤمن بأنَّ الموت الطَّبيعي لا بُدَّ أن يَطال الجميع عندما يحين أجَلُهم. الموت غير الطَّبيعي هو ما تتحدَّث عنه هذه الفقرة. وفيها إشارة أخرى إلى المناجل، الذين كانوا موجودين قطعًا، كانوا كائنات خارقة للطَّبيعة تلْتهِم أرواح الأحياء حتى تنال قوى سحريَّة مُظلمة. ومقدرة النَّاقوس على مقاومة مثل هذه الكائنات بُرهانٌ على قداسته.

تحليل كودا لتفسير سيمفونيس

لا جدال في أنَّ المناجل كانوا موجودين في زمن النَّاقوس، وحسبما نعرفه ربما ما يزالون موجودين في «العالم السابق». لكن قول إنَّهم كانوا يلتهمون الأرواح فيه مبالغة رغم اعتيادنا المبالغات من سيمفونيس، الذي يفضِّل التخمينات والشائعات على الأدلَّة والبراهين. من المهم أن نلاحظ أنَّ الباحثين توصَّلوا إلى إجماع على أنَّ المناجل لم يلتهموا أرواح ضحاياهم، إنَّما أجسادهم فحسب.

23

كيفية قطف رجل مُقدَّس

لم يكن يجوز للناقوس التجوُّل في صالات الدير وفناءاته وحده. ما انفك الخوريون يقولون له هذا. كانوا مثل أبوين يُفْرِطان في حماية ابنهما. هل كان عليه تذكيرهم بوجود عشرات الحراس حول المكان وعلى الأسقف؟ وبوجود كاميرات الرأس السحابي التي تشاهد دومًا؟ ما الذي يقلقون منه بحق الجحيم؟

كان الوقت قد تجاوز الثانية صباحًا بقليل عندما نهض غريسن من فراشه وانتعل نِعاله.

تكلم الرأس السحابي قبل نهوض غريسن من فراشه: «ما الخطب يا غريسن؟ بم يمكنني خدمتك؟».

مزيد من السلوك الغريب. ليس من عادة الرأس السحابي ابتدار الكلام دون حاجة ضرورية. قال غريسن: «أجد صعوبة في النوم فحسب».

- ربما راودك حدس، ربما تستشعر شيئًا بغيضًا لا تستطيع تحديد مَكمنه.

- الشيء البغيض الوحيد الذي لا أستطيع تحديد مكمنه هو أنت.

لم يملك الرأس السحابي ردًّا على ذلك، لكنه قال: «في حال انزعاجك، هل لي أن أقترح عليك رحلة طويلة لتهدئة أعصابك؟».

- ماذا؟ الآن؟ في منتصف الليل؟

- نعم.

- أخرج وأغادر فحسب؟

- نعم.

- وكيف ستهدِّئ مغادرتي أعصابي؟

- ستكون... التصرف الحكيم في اللحظة الراهنة.

تنهَّد غريسن وتحرك نحو الباب.

- إلى أين تذهب؟

- ماذا تظن؟ لأجد شيئًا آكله.

- لا تنس أخذ مِسماعك.

- لماذا؟ حتى أستمع إلى إلحاحك المتواصل؟

تردد الرأس السحابي هنيهة، ثم قال: «أعدك بألَّا أفعل. لكن عليك أن تضع المِسماع، أؤكد لك أهميته».

- حسنًا.

حمل غريسن المسماع من المنضدة جوار فراشه ووضعه في أذنه، لا لشيء سوى إسكات الرأس السحابي.

***

دائمًا ما يُعزَل الناقوس بعيدًا قليلًا عن العاملين في خدمته. ولم تكن لدى موريسن فكرة عن عدد الذين يعملون خلف كواليس حياة الناقوس «البسيطة»، إذ يراهم دومًا يهرعون مسرعين وَجِلين عندما يرونه قادمًا. وقد بدا الدير في نظر الناقوس مهجورًا رغم وجود عشرات فوق عشرات من الناس فيه. وهذا ما أراده الخوريون. «الناقوس يحتاج إلى خصوصيته. الناقوس يحتاج إلى الهدوء ليكون وحده مع أفكاره العظيمة».

كان موريسن في كل وقت متأخر من الليل يبقى في المطبخ من أجل إعداد صلصةٍ أو خلطةٍ ما لمعجَّنات الصباح، لكن السبب الحقيقي هو أن يكون في المطبخ عندما يأتي الناقوس باحثًا عن وجبة منتصف ليل خفيفة.

وأخيرًا، بعد خمسة أيام، حانت فرصته.

بعدما أنهى خلطة فطيرة مُحلَّاة للصباح التالي، أطفأ المصابيح وانتظر في ركن، ولبث يغفو ويصحو، ثم جاء شخص يرتدي منامة من الساتان هابطًا السلالم وفتح الثلاجة، وفي ضوء الثلاجة الشاحب رأى موريسن شابًّا في مثل سِنِّه، في الحادية والعشرين أو الثانية والعشرين على الأكثر، لم يبدُ عليه ما يميزه ظاهريًّا، قطعًا ليس «الرجل المقدس» الذي يهمس الناس باسمه ويهابونه. توقع موريسن أن يكون الناقوس ذا لحية متشابكة، وشعر أشعث، وعينين جنونيتين. وهذا الشاب أشعث الشعر قليلًا من أثر النوم وعيناه ذابلتان فحسب. تقدم موريسن خطوة خارجًا من الظلام.

قال: «صاحب الصدى».

أجفل الناقوس، فكاد أن يسقِط طبق كعكة الجبن الذي يحمله: «مَن هناك؟».

تقدم موريسن إلى ضوء الثلاجة المفتوحة: «لستُ سوى طاهي المعجنات يا صاحب الصدى، لم أقصد أن أفزعك».

- لا بأس، فاجأتني فحسب. لكنني سعيد بمقابلتك، أردتُ إخبارك بأنك تقوم بعمل عظيم، إنك أفضل من الطاهي السابق بلا شك.
- حسنًا، ظللت أتدرب منذ سنوات.

صعُب على موريسن تصديق أن الرأس السحابي اختار هذا الشاب المتواضع العادي ليكون صوته في العالم، ربما كان المُنكرون على حق، وهذا الشاب مجرد محتال، ووجد موريسن هذا دافعًا إضافيًّا للتخلص منه.

سار موريسن مقتربًا، وفتح درجًا وأخرج منه شوكة، وناولها للناقوس، ليبدو صادقًا ويقترب أكثر من الناقوس، حتى يمسك به ويدُق عُنقه.

قال وهو يناوله الشوكة: «يسعدني إعجابك بمخبوزاتي، يعني لي الكثير».

أخذ الناقوس بالشوكة قضمة من كعكة الجبن، وتلذذ بها. وقال: «يسعدني أنك سعيد».

ثم رفع الشوكة وغرزها في عين موريسن.

***

عرف غريسن.

عرف دون أدنى شك، ليس من أي كلام قاله الرأس السحابي. عرف من صمت الرأس السحابي.

استوعب غريسن كل شيء فجأة. طوال الأيام الماضية ظل الرأس السحابي يحاول تحذيره دون أن يحذِّره فعلًا. اقتراحات المغادرة... لم يكن القصد منها السفر، بل الهروب. والحمام! والمياه الساخنة! لعن غريسن نفسه لعجزه عن الاستنتاج. فالرأس السحابي ليس بمقدوره تحذيره تحذيرًا مباشرًا، لأن تحذيره سيكون تدخُّلًا سافرًا في عمل منجل، وهذا مخالف للقانون. الرأس السحابي بمستطاعه فعل أشياء لا تُحصى، لكن ليس بمستطاعه خرق القانون. لم يكن بوسعه فعل شيء سوى أن يشاهد غريسن وهو يُقطف.

لكن الصمت في مسماع الناقوس كان أعلى ضجيجًا من أي جرس إنذار.

عندما خرج الطاهي من الظلال وأجفل غريسن، لم يجفل فحسب، بل قفز قلبه، وكاد أن يركض مبتعدًا. في الماضي عندما كان يحدث موقف كهذا، كان الرأس السحابي يسارع دومًا لتهدئته. إذن كان ينبغي للرأس السحابي أن يقول له في المسماع: *إنه طاهي المعجنات، لا بأس. كان يأمل أن يلقي نظرة عليك فحسب، من فضلك عامله بلطف.*

لكن الرأس السحابي لم يقل له ذلك. صمتَ صمتًا تامًّا. مما يعني أن الرجل الذي أمامه منجل، على وشك أن يقطفه.

لم يسبق لغريسن أن أقدم على فعل عنيف كالذي فعله للتو. حتى عندما كان يعيش حياة شكس جسار لم يتهور ويهاجم شخصًا بآلة حادة. لكن غريسن عرف أن فعلته مبررة، عرف أن الرأس السحابي سيتفهَّم.

وهكذا، بعدما فعل ما فعله، ركض خارجًا من المطبخ للنجاة بحياته دون أن يلتفت.

***

لصرخ المنجل موريسن صرخة أقرب للرنين العظيم لو لم يتمالك نفسه، لكن ندت عنه شهقة قصيرة، ثم سحب الشوكة من عينه متألمًا. خلافًا لكثير من مناجل التوجه الجديد، لم يخفِّض موريسن مفعول وحداته المجهرية المهدئة للألم، لذا بدأت تفرز بداخله جرعات هائلة من مخدرات الألم، فجعلته مُتبلِّد الذهن دائخًا قليلًا. فتعيَّن عليه مقاومة مفعول وحداته المجهرية علاوة على الألم، لأنه يحتاج إلى ذهنه حادًّا صافيًا حتى يعالج هذه الفوضى.

كان قريبًا جدًّا! إذا كان قد تخلى عن التظاهر فورًا وفعل ما جاء لفعله، لصار الناقوس ميتًا الآن. يا له من أخرق!

عرف الرجل المقدس نيَّة المنجل، عرف الغرض من وجوده هناك. إما أنه مستبصر، وإما أن الرأس السحابي أخبره، وإما أن موريسن فضح أمره بطريقةٍ ما، كان ينبغي له توقُّع احتمال كشف أمره.

وضع يده على عينه الجريحة وانطلق خلف الناقوس، عاقدًا العزم على ألَّا يرتكب أخطاء أخرى، وأن ينجز مهمته، على أكمل وجه. في الواقع ستكون فوضوية، لكن سينجزها.

***

صاح غريسن وهو يركض مبتعدًا عن المطبخ: «منجل! النجدة! هناك منجل!».

لا بد أن شخصًا سمعه، فالجدران تردد صدى كل صوت، لكنها ترسل الأصوات في شتى الاتجاهات. كل الحراس كانوا متمركزين بالخارج وفوق الأسطح، ليس داخل الدير. عندما يسمعونه ويتحركون ربما يكون الأوان قد فات.

- *منجل!*

كان نعاله يبطئه، فخلعه. الميزة الوحدة لدى غريسن كانت معرفته بالدير أفضل من معرفة مهاجِمه، علاوة على أن الرأس السحابي إلى جانبه.

قال للرأس السحابي: «أعرف أنك لا تستطيع مساعدتي، أعرف أن مساعدتي خرق للقانون، لكن ثمة أشياء يمكنك فعلها».

لم يرد الرأس السحابي.

سمع غريسن بابًا يُفتَح خلفه، وسمع صرخة شخص، لكن لم يكن بوسعه الالتفات لرؤيته أو لمعرفة ما حدث.

عليَّ أن أفكر مثل الرأس السحابي. لا يمكنه التدخُّل. لا يمكنه التصرف من تلقاء نفسه لنجدتي. إذن ماذا يمكنه أن يفعل؟

وجد الإجابة بسيطة عندما فكر بهذه الطريقة. الرأس السحابي خادم البشرية، مما يعني أنه يطيع الأوامر.

قال غريسن: «الرأس السحابي! إنني مستعد للخروج في الرحلة التي اقترحتها عليَّ سابقًا، أيقِظ الموظفين وأخطرهم بأننا سنغادر فورًا!».

قال الرأس السحابي: «بالطبع يا غريسن». وفي الحال انطلق كل منبه في مجمع المباني، وأضاء كل مصباح، فصارت الأروقة باهرة الإضاءة إلى درجة تسبب العمى، وغُمِر كل فناء بضوء ساطع.

سمع غريسن شخصًا آخر يصرخ خلفه، والتفت فرأى رجلًا يسقط على يدَي المنجل، الذي بدأ يقترب.

قال غريسن: «الرأس السحابي! الضوء باهر جدًّا، يؤلم عينَيَّ، أطفئ مصابيح الدهاليز الداخلية».

قال الرأس السحابي بهدوء: «بالطبع، آسف على إزعاجك».

أظلمت الأروقة مرة أخرى، فلم يعد غريسن قادرًا على رؤية شيء، إذ تقلَّص بؤبؤا عينيه من الضوء الباهر. وانطبق الأمر نفسه على المنجل! أعماه الضوء، ثم أعماه الظلام!

وصل غريسن إلى نهاية الرواق حيث يتفرع يمينًا ويسارًا، وحتى في الظلام عرف أن المنجل يقترب منه، وعرف الاتجاه الذي ينبغي أن يسلكه.

***

عندما خرج موريسن من المطبخ، رأى الناقوس يركض مضطربًا أمامه، ويخلع نعاله. صاح الناقوس طالبًا النجدة، لكن موريسن عرف أنه سيلحق بالناقوس قبل وصول أي أحد.

فُتح بابٌ جواره، وخرجت امرأة. لم يعرفها، ولم يكترث بمعرفتها، وقبل أن تنطق بكلمة انهال بعقب راحة يده على أنفها فهشمه دافعًا العظام إلى دماغها، صرخت وتهالكت على الأرض ميتة قبل ارتطام رأسها بالحجر. كانت أول عملية قطف في الليلة، وعزم على ألَّا تكون الأخيرة.

ثم أضاءت المصابيح غامرة الرواق بضوء باهر، فضيَّق عينيه. ثم فُتح باب آخر، وخرج رئيس الطهاة من غرفته ومنبهه يرن بالداخل.

- ماذا يجري هنا؟

لَكَمه موريسن على صدره بقوة كافية لإيقاف قلبه، لكن بعينه الواحدة لم تقع الضربة بدقَّة على الموضع الذي أراده، وتطلب إكمال المهمة لكْمة ثانية.

وبما أن معظم الطونيين يزيلون وحداتهم المجهرية، لم يوجد شيء لإعادة النبض إلى قلب رئيس الطهاة. دفع موريسن الرجل المحتضر جانبًا واستأنف مطاردة الناقوس، لكن أُطفئت المصابيح فجأة كما أضيئت، فخيم على المكان ظلام دامس. لم يبطئ سرعته وارتطم بجدار حجري. طريق مسدود؟ لا، إثر تكيُّف عينيه مع الظلام رأى أن الرواق يتفرَّع يمينًا ويسارًا، لكن أي اتجاه سلكه الناقوس؟

سمع خلفه جلبة استيقاظ كل من في مجمع الدير واستعدادات الحراس. عرفوا بوجود دخيل في الدير. تعيَّن عليه التحرك بسرعة.

إلى أين يذهب؟ يسارًا أم يمينًا؟ اختار اليسار. كانت نسبة صحَّة اختياره 50 في المئة. واجه احتمالات أسوأ.

***

اندفع غريسن هابطًا السلالم، ثم دفع الباب المفضي إلى المرأب، حيث توجد أكثر من عشر سيارات. قال: «الرأس السحابي! إنني مستعد لرحلتي، افتح باب أقرب سيارة».

قال الرأس السحابي: «يُفتَح باب. استمتع برحلتك يا غريسن».

فُتِح باب سيارة، ولاح ضوء بداخلها. لم يكن غريسن يعتزم مغادرة المرأب، أراد أن يدخل إلى السيارة ويغلق الباب فحسب، زجاجها غير قابل للكسر، وأبوابها المصفحة قادرة على إيقاف رصاصة. حالما يدخل سيكون مثل سلحفاة داخل قوقعتها. لن يقدر المنجل على الوصول إليه مهما حاول جاهدًا.

اندفع غريسن نحو الباب...

وخلفه اندفع المنجل نحو ساقه، فأمسك بها وجذبه بعد أن كاد يبلغ الأمان.

قال المنجل: «محاولة جيدة، كِدتَ أن تنجح».

استدار غريسن وحاول الإفلات. كان يعرف أن المنجل حالما يُحكِم قبضته عليه فسينتهي أمره. من حسن الحظ كانت منامته من الساتان الزلق، فلم يستطع المنجل الإمساك به بوضعية تمكِّنه من القطف.

قال غريسن: «يجدر بك أن تتوقف! إذا قطفتني فستفقد البشرية تواصلها مع الرأس السحابي، أنا حلقة الوصل الوحيدة!».

وضع المنجل يده حول عنق غريسن، وقال: «لا أكترث». لكن صوته وَشَى بتردُّد جعل غريسن يعرف أنه يكترث في الحقيقة، ولو قليلًا، لكن هذا قد يعني الفرق بين الحياة والموت لغريسن.

همس غريسن بصعوبة عبر حنجرته التي تُغلَق بسرعة: «الرأس السحابي يرى ما تفعله، لا يمكنه إيقافك، أو حتى إيذاؤك، لكن يمكنه معاقبة كل من تحبه!».

خفَّ الضغط عن حنجرته قليلًا. الرأس السحابي لا يسعى للانتقام أبدًا، لكن المنجل لم يكن يعرف هذا. ربما يكتشف أنها خدعة بعد لحظات، لكن كل ثانية تمر تُعَد نصرًا.

قال غريسن: «الرأس السحابي لديه خطة عظيمة لك! يريدك أن تصبح النصل السامي!».

- إنك لا تعرف حتى اسمي.

- ماذا لو كنت أعرف.

- كاذب!

وعندئذٍ اشتغلت فجأة موسيقى في أذن غريسن، أغنية من عصر الفانين لا يعرفها، لكنه عرف أنها اشتغلت لسبب. الرأس السحابي ليس بوسعه مساعدته، لكن بإمكانه أن يمده بأدوات يساعد بها نفسه.

«*تعرف أن ذلك لن يكون حقيقة!*». ردد غريسن كلمات الأغنية رغم أنه غير متأكد من أنه سمعها على نحو صحيح. «*تعرف أنني سأكون كاذبًا!*».

اتسعت عينا المنجل، وتسمَّر غير مصدِّق كأنما الكلمات تعويذة سحرية.

وعندئذٍ تدفق حشد من الحراس الطونيين في المكان وتصدُّوا للمنجل، تمكن من قطف اثنين منهم بيديه العاريتين قبل أن يتكالبوا عليه ويثبِّتوه على الأرض.

***

انتهى الأمر. أدرك المنجل موريسن هذا. سوف يقتلونه، والنار الوحيدة التي سيشعلونها ستكون التي ستحرق جثته حتى لا يُنعَش. ستُنهَى حياته على أيدي الطونيين اليوم. هل من طريقة لموته أكثر إذلالًا من هذه؟

خطر له أن موته هكذا ربما يكون أفضل، أفضل من اضطراره إلى مواجهة غودارد بعد الفشل الذريع.

لكن الناقوس تقدم خطوة وقال: «توقفوا، لا تقتلوه».

«لكن يا صاحب الصدى»، تكلم رجل ذو شعر شائب وخفيف، ليس حارسًا، ربما أحد مُبشِّري دينهم الغريب: «علينا أن نقتله، وبسرعة. يجب أن نجعل منه عظة وعبرة، حتى لا يفكر أعداؤنا في محاولة اغتيالك مرة أخرى».

- إنهاء حياته سيُشعِل حربًا لسنا مستعدين لها.

بدا الرجل ممتعضًا: «يا صاحب الصدى، لا أنصحك بـــ...».

قال الناقوس: «لم أطلب رأيك أيها الخوري مندوزا. هذا قراري *أنا*». ثم التفت إلى الحراس: «احبسوا المنجل إلى أن أقرر مصيره».

حاول الخوري الاحتجاج مرة أخرى، لكن الناقوس تجاهله، وسُحِب موريسن إلى الخارج. أمر غريب، فجأة لم يبدُ الناقوس، بمَنامَته، ضئيل الشأن كما كان قبل لحظات، بدا قليلًا كرجل مقدس فعلًا.

***

- فيم كنت تفكر؟

كان الخوري مندوزا يسير جيئة وذهابًا في جناح الناقوس، غاضبًا منه. انتشر الحراس عند كل باب ونافذة، وقد فات الأوان على فعل أي شيء. قال مندوزا مع نفسه: *فتى أحمق. حُذِّر من الذهاب إلى أي مكان وحده، لا سيما ليلًا، لقد جلب الخطر على نفسه.*

قال مندوزا: «ولماذا تركته يعيش؟ بقتل هذا المنجل وحرقه سنبعث رسالة واضحة إلى غودارد!».

وافقه الناقوس: «أجل، وستكون الرسالة هي أن الطونيين يزدادون جرأة ويجب محوهم من العالم».

- إنه يرغب سلفًا في محونا من العالم.

- الرغبة شيء، وتعبئة مناجله لأداء المهمة شيء آخر. يجدر بنا ألَّا نمنح غودارد الذريعة التي يبحث عنها، إلى أن نستعد لمقاومته. ألا ترى هذا؟

عقد مندوزا ذراعيه. بدا واضحًا له ما يجري هنا.

قال: «إنك جبان! تخشى أن تُقدِم على فعل جريء مثل قتل منجل!».

اقترب الناقوس منه متحفِّزًا: «إذا قلتَ لي جبان مرة أخرى، فسأرسلك إلى ديرك القديم، وأنهي خدمتك لي».

- لن تجرؤ!

قال الناقوس: «أيها الحارس»، وأشار إلى أقرب الحراس إليه: «من فضلك اصطحب الخوري مندوزا إلى غرفته واحبسه فيها حتى يرن جرس الظهر، عقابًا له على وقاحته».

دون تردد تقدم الحارس وأمسك بالخوري، مبرهنًا على أنه، وجميع الحراس، يدينون بالطاعة للناقوس وحده.

دفع مندوزا الحارس مشمئزًّا: «سأسير وحدي».

لكن قبل مغادرته، توقف مندوزا، وأخذ نفسًا عميقًا، واستدار مواجهًا الناقوس وقال: «سامحني يا صاحب الصدى، تخطيتُ حدودي».

لكن بدا كلامه، حتى بالنسبة إليه هو نفسه، مُداهنًا أكثر من كونه صادقًا.

وحالما غادر مندوزا، تهالك غريسن مرتميًا على كرسي. كانت أول مرة يواجه مندوزا بحزم. لكن الناقوس ينبغي ألَّا يهاب أحدًا، حتى الرجل الذي صنعه. كان ينبغي أن يراوده شعور بالنشوة إثر إخضاعه للخوري، لكنه استاء. ربما هذا هو سبب اختيار الرأس السحابي له دونًا عن الآخرين، فالآخرون تفسدهم السلطة، لكن غريسن ظل يستثقلها. لكن ربما تروق له بمرور الوقت. ربما لن يجد خيارًا آخر.

لا توجد في الدير زنازين تحت الأرض، إنما صُمم بحيث يشبه مبنى من العصور الوسطى فحسب، لذا وُضع موريسن فيما بدا كمكتب عندما كان الدير متحفًا.

الحراس الطونيون لم يكونوا مدربين على مثل هذه الأحداث، لم تكن لديهم أصفاد من أي نوع، فمثل هذه الأشياء الأثرية لا توجد إلا في المتاحف اليوم، ليس مثل هذا المتحف. لذا قيدوا موريسن بأربطة بلاستيكية الغرض منها تثبيت النباتات المتسلقة على الجدران الحجرية. كان عدد الحراس أكثر من اللازم. كان يكفي إمساك أربعة حراس بأطراف المنجل، لكن تَكالَب ستة حراس على كل ساق وكل ذراع، وشدُّوا وثاق موريسن بقوة أدْمَت يديه وخدَّرت قدميه. لم يسع المنجل فعل شيء سوى الانتظار حتى يُقرَّر مصيره.

لا بد أن الوقت كان قد اقترب من الفجر عندما سمع نقاشًا خارج الباب المغلق.

سمع أحد الحراس يقول: «لكن يا صاحب الصدى، ينبغي ألّا تدخل، إنه خطير».

وسمع الناقوس يسأل: «هل قيدتموه؟».

- نعم.

- أيمكنه التحرر من قيوده؟

- لا، تأكدنا من هذا.

- إذن لا أرى مشكلة.

فُتح الباب، ودخل الناقوس، ثم أغلق الباب خلفه. وكان قد مشط شعره الأشعث، ويرتدي زيه الرسمي، الذي بدا غير مريح.

لم يعرف المنجل موريسن إذا ما كان عليه أن يشكر الناقوس لأنه أنقذ حياته، أم يلعنه لأنه وضعه في هذا الموقف، مهزومًا ذليلًا.

قال موريسن متجهمًا: «إذن الرأس السحابي لديه خطة لي، هه؟».

قال الناقوس: «كذبتُ عليك. الرأس السحابي لا يمكن أن تكون لديه خطة لك، ولا يمكن أن يتعامل معك بأي طريقة».

- لكنه أخبرك هُويتي.

- ليس تمامًا. لكنني عرفتك في النهاية. المنجل موريسن، صحيح؟ قدوتك التاريخية كَتب كلمات الأغنية التي ردَّدتُها.

لم يرد موريسن، وانتظر ما سيحدث.

- عينك تبدو كأنها شُفيت.

- كادت، ما زالت رؤيتي بها ضبابية.

- معظم الطونيين يزيلون وحداتهم المجهرية الشفائية، أتعرف هذا؟ أرى أن هذا غباء منهم.

حدق موريسن إليه، وهو يرمش بعينه المصابة محاولًا النفاذ إلى عقل الناقوس. هل قال الزعيم الروحي للطونيين إن سلوكهم غبي؟ أهذا اختبار؟ هل يُفترض أن يتفق مع قوله أم يخالفه الرأي؟

قال موريسن: «ألا توجد كلمة من عصر الفانين تصِف ما تقوله؟ تجريف؟ تحريف؟ تجديف، أجل هذه هي».

نظر الناقوس إليه مليًّا قبل أن يعاود الكلام: «هل تصدق أن الرأس السحابي يتكلم معي؟».

لم يرغب موريسن في الإجابة عن السؤال، لكن فيم تهم رغبته؟: «نعم أصدق. أتمنى لو أنني لا أصدق، لكنني أصدق».

- جيد. هذا سيسهِّل الأمر عليَّ.

جلس الناقوس على كرسي قبالة موريسن: «الرأس السحابي لم يخترني لأنني طوني. لستُ طونيًّا. اختارني لأنه... حسنًا، لا بد من اختيار أحد. لكن الطونيين كانوا أول المصدِّقين، لأن ظهوري يدعم صِحَّة عقيدتهم. لذا صرت الناقوس، الطون متجسِّدًا. الأمر الغريب هو أنني رغبت ذات يوم في أن أصبح عميل مُزن، والآن صرت عميل المزن الوحيد».

- لماذا تخبرني كلَّ هذا؟

هز الناقوس كتفيه: «لأنني أحسست برغبة في إخبارك. ألم تسمع؟ الناقوس يمكنه فعل كل ما يرغب في فعله. كالمنجل تقريبًا».

خيَّم الصمت عليهما، ووجده موريسن ثقيلًا مُحرِجًا، لكنه لم يبدُ أن الناقوس استثقله، اكتفى بالتحديق إلى موريسن، مستغرقًا في تفكير عميق، أيًّا تكن الأفكار التي تدور في رأس رجل مقدس لكنه ليس مقدَّسًا حقًّا.

- لن نخبر غودارد أنك فشلت في مهمتك.

لم يتوقع موريسن سماع هذا: «لن تخبروه؟!».

- إليك الأمر، لا أحد، حتى هيئة المناجل، يعرف من هو الناقوس تحديدًا. قطفتَ أربعة أشخاص الليلة الماضية، من يمكنه الجزم بأن أحدهم لم يكن الناقوس؟ وإذا اختفيتُ فجأة من المشهد العام، دون تفسير، فستبدو كأنك نجحت في مهمتك.

هز موريسن رأسه: «غودارد سيكتشف الحقيقة في النهاية».

- في *النهاية*. لن يكتشفها إلى أن نصبح مستعدين له، وربما يستغرق استعدادنا سنوات.

- سيعرف أن خطبًا ما قد وقع عندما لا أعود إليه.

- لا، سيظن أننا قبضنا عليك وأحرقناك، والأمر المحزن هو أنه لن يكترث.

لم يستطع موريسن إنكار أن الناقوس محق. غودارد لن يكترث، لن يكترث البتَّة.

قال الناقوس: «كما قلتُ لك، الرأس السحابي ليس لديه خطة لك، لكن أنا لدي».

عرف غريسن أنه عليه أن يكون مُقنعًا، وأن يسبر غور هذا المنجل بتأنٍّ، لأنه إذا أخطأ التقدير، فسيسبب كارثة.

قال غريسن: «قرأتُ عن تقاليد عصر الفانين المتعلقة بممارسات الحكَّام في الأوقات الخطرة، في بعض الثقافات كان الحكام والزعماء الدينيون يجِدون حماية من قَتَلَة محترفين متمرسين، وأنا بدوري سأشعر بالأمان مع أحد أولئك القتلة بدلًا من هؤلاء الطونيين الذين يحسبون أنفسهم حراسًا».

هز المنجل رأسه، غير مصدق الاقتراح: «تفقأ عيني، والآن تريد مني العمل لصالحك؟».

هز غريسن كتفيه: «عينك شُفيت. وأنت تحتاج إلى وظيفة، أم تفضل العودة إلى غودارد وإخباره أنك أخفقت، وأن فتى واهنًا يرتدي منامة طعنك في عينك وهرب؟ لا أظنه سيتقبل هذا الكلام ويتسامح معك».

- كيف تعرف أنني لن أقطفك حالما تحل وثاقي؟

- لأنني لا أظنك غبيًّا إلى هذه الدرجة. كونك المنجل الشخصي للناقوس أفضل كثيرًا من كل ما قد يعرضه عليك غودارد، وأنت تعرف هذه الحقيقة.

- سأكون أضحوكة هيئة المناجل.

ابتسم غريسن ابتسامة باهتة: «ألستَ كذلك سلفًا أيها المنجل موريسن؟».

***

لم تكن لدى موريسن وسيلة لمعرفة مدى ما يعرفه الناقوس عنه، لكن صحيح أنه -موريسن- لم يكن يحظى بالاحترام في هيئة المناجل، وما من شيء فعله غيَّر هذه الحقيقة. لكن إذا مكث هنا، فلن يعرف المناجل الآخرون أنه ما زال على قيد الحياة... وهو سيجد الاحترام، على الأقل بين الطونيين، وقد كان في أمسِّ الحاجة إلى شيء من الاحترام.

قال الناقوس: «إليك ما سأفعله. سأُقدِم على قفزة إيمان أعمى أولًا»، وأخرج مقصًا وبدأ يقطع قيود موريسن، بدأ من قدميه، وانتقل إلى ذراعيه، ببطء.

قال الناقوس وهو يقطع القيود: «الخوريون لن يكونوا سعداء، سحقًا للخوريين».

ومن ثم، بعدما قُطع القيد الأخير، وثب موريسن واقفًا وأطبق بيده على عنق الناقوس.

زمجر موريسن: «ارتكبتَ للتو أفدح خطأ في حياتك!».

تكلم الناقوس دون أي أثر للخوف في صوته: «هيا اقطفني لن تهرب أبدًا، على الرغم من عدم كفاءة الحراس لن تتجاوزهم لكثرتهم. لا أظنك المنجل لوسيفر».

شدد موريسن قبضته حتى أسكت الناقوس. لكن الناقوس كان محقًا، بشأن أشياء كثيرة. إذا أكمل موريسن مهمته، فسيقتله الطونيون الذين خارج الباب ويحرقونه. كلاهما سيموت، والرابِح الوحيد سيكون غودارد.

قال الناقوس بصوت مبحوح: «هل انتهيت؟».

بطريقةٍ ما، وجد موريسن أن تثبيت الناقوس بهذه الوضعية، مدركًا أن بوسعه قطفه -إذا أراد- يشعِره بالرضا كأنه قطفه فعلًا، لكن دون عواقب القطف البغيضة وموته هو أيضًا. أبعد موريسن قبضته، فشهق الناقوس لاهثًا.

قال موريسن بما يشبه المزاح: «إذن ماذا أفعل الآن؟ أُقسِم متعهِّدًا بالولاء؟».

قال الناقوس: «مصافحة بسيطة ستفي بالغرض»، ومد يده: «اسمي الحقيقي غريسن، لكن لا بد لك من مخاطبتي بصاحب الصدى».

صافح موريسن الناقوس باليد نفسها التي كانت تطبق على عنقه قبيل لحظات: «اسمي الحقيقي جُول، لكن عليك أن تخاطبني بجيم».

- سررت بلقائك يا جيم.

- تشرفت بلقائك يا صاحب الصدى.

لم يجد المنجل موريسن بُدًّا من الإقرار لنفسه بأن نهاية مهمته على هذا النحو لم تخطر له قط، لكن بالنظر إلى جميع الظروف والاحتمالات، لم يكن بوسعه التذمر.

وبالفعل لم يتذمر، لأكثر من عامين.

الجزء الثالث

عام الكوبرا

ثمَّة مصير عظيم ينتظرنا، يمثِّل نِتاجًا تراكُميًّا لكل ما يعنيه أن يكون المرء كائنًا بشريًّا خالدًا. بيْد أنَّ كل مصير يتعذَّر تحقيقه دون استنفار أقصى جهد وقيادة تتَّسم بوضوح الرُّؤية.

عام الكاسر كان فاجعًا لنا جميعًا، لكن بحلول عام الوعل بدأنا نتعافى، وشهِد عام الكوكا مزيدًا من توافق الرُّؤى والأولويَّات لدى المناجل. والآن، في أوَّل أيَّام هذا العام الجديد، لا أرى أمامنا سوى الأمل.

هنا في هذه الخلوة القارِّيَّة الأولى، أودُّ أن أشكر علنًا بيكفورد نصل سامي غربمريكا، وهامرستاين نصل سامي شرقمريكا، وتيزوك نصل سامي مكسيتيكا، ومكفيل نصل سامي الامتداد الشمالي على إيمانهم بي، وعلى اختيارهم -والمناجل المُنضوون تحت لوائهم- لي لقيادة أمريكا الشمالية بوصفي النَّصل المُصْلَت من أجل تحقيق أهداف توجُّهنا الجديد. معًا سوف نخلق عالمًا مثاليًّا تسوده السَّكينة، عالمًا تُقرِّبنا فيه ضربة كل منجل إلى أهدافنا الموحَّدة.

أعرف أنَّ بينكم، مثل إقليم النَّجم الوحيد، من لا يزالون يشكِّكون في الطَّريق الذي أعتزم السَّير فيه. القلِقون منكم يبحثون عن «نهج وسط الجنون»، أو كما يقولون. لكنَّني أسألكم، هل من الجنون أن نسعى إلى الارتقاء بالجنس البشري إلى ذُرَى أسمَى؟ هل من الخطأ أن نمتلك رؤية مستقبليَّة جَلِيَّة واضحة المَعالِم مثل الماسَّات التي نضعها على أيدينا؟ لا بالتأكيد.

أودُّ أن أوضِّح لكم أنَّ كل نصل سامٍ لن يتنازل عن منصبه، سوف يظلُّون مُمسِكين بزمام الأمور في أقاليمهم وإدارتها، لكن متحرِّرين من الأعباء المرهقة التي تتطلَّبها قرارات ووضع السِّياسات. تلك القضايا الكبيرة متروكة لي. وأعِدكم بأنَّني لن أعيش سوى لغاية وحيدة هي قيادتكم إلى المستقبل دون كلل أو ملل.

- من خطاب تنصيب صاحب السُّمو النَّصل المُصْلَت روبرت غودارد
1 يناير، عام الكوبرا

24

جرذان بين أنقاض

حِصن سان جان وحصن سان نيكولاس شيِّدا على جانبَي مدخل ميناء مرسيليا، فيما صار الآن إقليم فرانكوأيبيريا بأوروبا. الأمر الغريب بشأن هذين الحِصنين، اللذين شيدهما الملك لويس الرابع عشر، لم يكن حقيقة أن فيهما مدافع ضخمة، إنما عدم توجيه تلك المدافع نحو البحر لحماية الحصن من الغزاة، وتوجيهها إلى الداخل، نحو مدينة مرسيليا المزدحمة، من أجل حماية مصالح الملك من ثورة عامَّة الناس.

وجاء روبرت غودارد، نصل مصلت أمريكا الشمالية، سائرًا على خطى الملك لويس، ونصَب مدفعية ثقيلة في حديقة الطابق الثامن والستين حول الشاليه البلوري، مُصوَّبة نحو شوارع فولكرم سيتي بالأسفل. نُصِبت قبل وقت طويل من تنصيبه نصلًا مصلتًا، مباشرةً بعد إعلانه قطف الناقوس.

ظن أن قطف نبيِّهم المزعوم سيمثِّل تحذيرًا للطونيين في كل أنحاء العالم، وتذكيرًا لهم بأن المناجل إذا لم يجدوا الاحترام، فينبغي أن يُهابوا. لكن الطونيين لم يعودوا مصدر إزعاج مستمر فحسب، بل خطر مُتعاظِم.

قال غودارد: «ما يحدث ليس حدثًا لم نتوقعه، التغيير دائمًا ما يُجابَه بمقاومة، لكن علينا المضي قدمًا رغمًا عنها».

لم يخطر لغودارد قط أنَّ تصاعُد العنف ضد هيئات المناجل في العالم سببه أمره بقطف الناقوس.

تجاسَر المساعد قسطنطين على إخباره: «عيبك الجسيم هو أنك عاجز عن استيعاب مفهوم الشهادة في سبيل قضية».

لنفى غودارد قسطنطين فورًا إذا لم يكن يحتاج إلى الرجل لاستمالة إقليم النجم الوحيد أُسوة ببقية أقاليم أمريكا الشمالية. وقد صار الإقليم عندئذٍ ملجأ للطونيين. قال غودارد: «يستحق إقليم تكساس ما حل بهم، فلينتشر الطونيون بينهم كجرذان بين أنقاض».

شاليه النصل المصلت البلوري طرأت عليه تغييرات خلال الأعوام القليلة الماضية، ليس الأسلحة المصوبة نحو المدينة فحسب، بل تغيَّر البلور نفسه. أمَر غودارد بتقوية الزجاج الخارجي ومعالجته كيميائيًّا حتى تتعذر الرؤية عبره. فصار المرء عندما يكون بداخل الشاليه ليلًا أو نهارًا تبدو له فولكرم سيتي كأنها محجوبة بغلالة من ضباب أبدي.

كان غودارد موقنًا أن الطونيين لديهم طائرات مُسيرة تجسسية، وموقنًا أن ثمة قوى أخرى تتآمر عليه أيضًا، وموقنًا أن الأقاليم المعادية له تساعد تلك القوى.

سواء كانت هواجسه حقيقية أم لا لم يهم. كان يتصرف كأنها حقيقية. مما يعني أن الحقيقة هي ما يراه غودارد حقيقيًّا، وأن ما يراه غودارد حقيقيًّا يصبح حقيقة للعالم، أو على الأقل لكل جزء من العالم تأثر بأفكاره.

في الخلوة القارية الأولى قال لقرابة ألفي منجل: «سوف تستقر الأمور، وسيعتاد الناس الأحوال الجديدة، سيرون أنها في صالح الجميع، وسيهدؤون».

لكن حتَّذاك ستظل النوافذ ضبابية، وسيُقطف مثيرو المتاعب، وستظل الأسلحة الصامتة مصوَّبة بصرامة نحو المدينة بالأسفل.

***

كان غودارد ما يزال يتميَّز غيظًا من فشل الغارة على أمازونيا. النصل السامي بيكفورد أخفقت في القبض على المنجل أناستازيا. لم تكن أول مرة تُخيِّب أمَله، لكن ما من شيء بوسعه فعله بشأنها، ليس الآن على الأقل. استشرف غودارد مستقبلًا يعيِّن فيه النصال السامية في أقاليم أمريكا الشمالية الأخرى، بدلًا من ترك القرار لعملية التصويت في الخلوات.

لكن بيكفورد عوَّضت إخفاقها بأن قبضت على روان داميش، وهو الآن في طريقه إلى فولكرم سيتي. رأى غودارد أن يكتفي بالفتى إلى حين القبض

على الفتاة، آملًا أن تنشغل أناستازيا بالهروب والاختباء فلا تسبب له متاعب. وخطر له أنه كان ينبغي له أن يحرص على عدم انتهاك المنطقة المحرمة فوق مياه إنديورا، كان قلقًا من أن تكشف عملية الاستنقاذ عن حقيقة ما حدث، ولم يتخيل أن تفضي إلى هذه النتيجة.

طرأ أمرٌ آخر في الصباح، واضطر غودارد إلى تنحية إحباطه جانبًا، لكنه صعُب عليه على غير عادته.

أخطرته المساعدة فرانكلين: «المنجل شيرازي نصل سامي إقليم روسشيلف في المصعد، ومعه حاشية كبيرة».

قالت راند مازحة: «وهل هم متفقون في الرأي بما أن عقولهم متَّصلة ببعضها؟».

أطلق غودارد قهقهة قصيرة، لكن فرانكلين لم تجامل راند بأي ضحكة. قالت: «آراؤهم أقل أهمية من الصناديق التي يحملونها».

قابلهم غودارد في صالة الاجتماعات، بعدما تركهم ينتظرون خمس دقائق، لأنه يحرص دومًا على أن يعرف ضيوفه، حتى المهمين منهم، أنَّ جدول أعماله أهم من جدولهم.

سار غودارد نحو النصل السامي شيرازي كأنه صديق قديم قائلًا: «نوبو! سررت برؤيتك! كيف الأحوال في أنتاركتيكا».

قال: «الأحوال بخير».

قالت راند: «أليست الحياة حلمًا؟».

أجاب شيرازي وقد فات عليه التعريض بطبيعة إقليمه الفريدة: «أحيانًا لكن فقط عندما نجدف بقواربنا بأنفسنا، على ما أظن».

ضحكت المساعدة فرانكلين ضحكة مجامَلة، لكنها زادت من التوتر بدلًا من تبديده.

ألقى غودارد نظرة سريعة على الصناديق، التي يحمل كلًّا منها أحدُ أفراد الحرس النصلي، كانوا ثمانية صناديق، وثمة أقاليم أخرى جاءت بعشرة على الأقل، لكن العدد الأقل لم يكن يعني سوى أنها معبأة بحمولة أكبر.

تساءل غودارد كأن جميع الحاضرين لا يعرفون سلفًا: «ما سبب تشريفي بهذه الزيارة يا صاحب السمو؟».

قال شيرازي: «نيابة عن إقليم روسشيلف، أود أن أقدم لك هدية، نأمل أن تساعد على إضفاء الطابع الرسمي على علاقتنا بكم».

ثم أومأ للحرس النصلي، فوضعوا الصناديق على طاولة الاجتماعات وفتحوها. وكما هو متوقع، كانت الصناديق مليئة بماسات المناجل. تابع شيرازي: «هذه هي حصة روسشيلف من الماسات التي أُخرِجت من حطام إنديورا».

قال غودارد: «عظيم. أهذه كل الماسات؟».

- كلها، نعم.

نظر غودارد إلى المحتويات المتلألئة في الصناديق، ثم التفت إلى شيرازي: «أقبل هديتكم بتواضع، وشرف، بروح الصداقة التي مُنحَت من أجلها. ومتى ما احتجتم إلى جواهر لترصيع مناجلكم مستقبلًا، فسوف تكون متاحة لكم». ثم أومأ ناحية الباب: «من فضلكم اتبعوا المساعدة فرانكلين، ستصطحبكم إلى صالة الطعام، غداؤنا جاهز. طعام أنتاركتيكي تقليدي، علاوة على أطباق وسطمريكية خاصة. وليمة نستهل بها صداقتنا. سأنضم إليكم بعد قليل، وسنناقش الشؤون التي تهم إقليمَينا».

رافقتهم فرانكلين إلى الخارج في أثناء دخول نيتشه.

قال غودارد: «حدثني بأخبار جيدة يا فريدي».

- حسنًا، ظللنا نتعقب أناستازيا جنوبًا، لكن حدود الجنوب ليست بعيدة، وعما قريب سنحاصر أناستازيا في تييرا ديل فويغو.

تنهد غودارد: «أرض النار لن تتعاون معنا. ضاعف مجهوداتنا للقبض عليها قبل وصولها إلى هناك».

- نبذل كل ما بوسعنا.

- ابذل المزيد.

استدار غودارد فرأى المنجل راند تداعب بيدها الماسات في أحد الصناديق، وسألته: «هل ستحصيها أم إنك تثق بشيرازي؟».

- ليس العدد هو ما يهم يا إيان، إنما اللفتة. المجموعة النفيسة التي نجمعها ليست سوى وسيلة لغاية، رمز لشيء أثمن بكثير من الماسات.

ورغم كلامه كان غودارد يعرف أنه مستعد لقذفها كلها في البحر مقابل القبض على المنجل أناستازيا.

25

شمس وظل

رغم أن مساعدة أناستازيا على الهروب من أمازونيا كانت محفوفة بالمخاطر، فقد انحسرت المخاطر في الأفق خلف سبنس، التي خطر لجيريكو مغتبطةً أنها لم تعد سفينة استنقاذ حطام، بل إنقاذ ذوي الشأن.

صار البحر هادئًا بعدما تلاشت أمازونيا خلفهم وصعدت الشمس أمامهم، وبحلول التاسعة ابتعدوا أكثر، ولاحَت سماء الصباح مشرقة تتخللها غيوم بيضاء هائمة. كانت جيري تفضل غطاء غيوم منخفضة أو ضباب كثيف، لأن مناجل أمريكا الشمالية إذا اكتشفوا أن أناستازيا تسافر بحرًا، فستُستَهدَف سبنس وتُغرَق.

كان بوسويلو قد قال لجيري: «أؤكد لكِ أنهم لن يطاردوكِ، حرصتُ على أن يعترضوا رسالة 'سرية' أرسلتُها، وقد ابتلعوا الطُّعم. ما يعرفه الأمريكيون الشماليون هو أن أناستازيا تسلك مسارًا متعرجًا نحو الجنوب على متن قطار في طريقه إلى إقليم أرض النار، حيث يُفترَض أن يوفِّر النصل السامي في الإقليم لها ملاذًا آمنًا. ولمزيد من التضليل تركنا آثارًا من حمض أناستازيا النووي على امتداد الطريق. سوف تنقضي أيام قبل إدراكهم أنهم خُدِعوا!».

كانت خطة ذكية بما يكفي. لن يتوقع المناجل الشماليون أن يفوقهم الأمازونيون دهاءً. وعرفت جيري أن أرض النار لن تتعاون مع الأمريكيين الشماليين، المناجل هناك عنيدون صعبو المراس.

بالسرعة القصوى سيبلغون ميناءً آمنًا في غضون ثلاثة أيام.

رأت جيري من مقصورة القبطان هيئة المنجل أناستازيا الفيروزية عند الحاجز الأيمن، تنظر إلى البحر. لا ينبغي أن تُترك وحدها، أوضح بوسويلو هذا، وربما يكون قلقه المبالغ فيه مبرَّرًا، نظرًا إلى الخيانة التي تعرض لها من أحد مناجله. كانت جيري تثق بطاقم بحارة سبنس ثقة مطلقة، إذ صاروا أوفياء وفاءً راسخًا لقبطانهم. ورغم هذا من الحكمة دومًا توخي الحذر.

لما وقفت أناستازيا وحدها إلَّا إذا أمرت مرافقها بالابتعاد عنها، وأمر أي منجل يلغي جميع أوامر القبطان. وبالطبع رأت جيري مرافقها واقفًا على مبعدة، يراقبها متيقظًا من كثب. وبدا لها أن الطريقة الفعالة الوحيدة لحراسة المنجل العنيدة هي أن ترافقها بنفسها.

قال وارتون: «سيكون التعامل معها متعبًا».

قالت جيري: «ربما، وربما لا يكون كذلك». ثم غادرت المقصورة لتنضم إليها جوار الحاجز.

لم تكن تنظر إلى المياه بالأسفل، كما لم تكن تنظر إلى الأفق، بدت كأنها تحدق إلى شيء غير موجود.

سألتها جيري محاولةً كسر حاجز الصمت: «أتفكرين في القفز؟ أينبغي أن أقلق؟».

ألقت أناستازيا نظرة سريعة على جيري، وأعادت بصرها إلى البحر: «سئمت من السير جيئة وذهابًا في كابينتي بالأسفل، ورأيت أن صعودي إلى السطح قد يهدِّئني. هل تواصل بوسويلو معك؟».

- نعم.

- ماذا يقول عن روان؟

تمهلت جيري قبل أن ترد: «لم يقل شيئًا، ولم أسأله».

قالت أناستازيا: «إذن فقد قبضوا عليه»، وهوت بقبضتها على الحاجز محبَطة: «أنا أُبحِر إلى الحرية، وهو وقع في الأسر».

توقعت جيري أن تأمر أناستازيا بعودة السفينة من أجل روان. وإذا أمرت لوجب عليهم الامتثال، فهي منجل. لكنها لم تفعل. كانت حكيمة بما يكفي لإدراك أن العودة ستفاقم الوضع.

تجاسرت جيري على قول: «أحاول جاهدًا ولا أستوعب سبب إخلاصك للمنجل لوسيفر».

- لا تعرفين شيئًا عما يجمع بيننا.
- أعرف أكثر مما تظنين. كنتُ حاضرًا مع بوسويلو عندما فتحنا الخزانة، رأيتكما متعانقين، بحميمية حتى الموت عجز عن إخفائها.

أشاحت أناستازيا ببصرها: «نزعنا ملابسنا حتى يقتلنا البرد قبل الاختناق».

ابتسمت جيري: «أظن أن هذه نصف الحقيقة فحسب».

التفتت ونظرت إلى جيري مستغرقة في التفكير لحظة طويلة، ثم غيرت الموضوع: «جيريكو... اسم غير مألوف. يخيل لي أنني أتذكر قصة من عصر الفانين تتضمن جدارًا ينهار. هل أنت مُهدِّمة جدران؟».

- لكِ أن تقولي إنني أعثر على الأشياء في حطام الجدران التي تهدمت سلفًا. لكن صدقًا، إنه اسم أطلقته عليَّ أسرتي لا علاقة له بقصة جيريتشو. لكن إذا وجدتِ الاسم منفرًا، يمكنك مخاطبتي بجيري، كما يخاطبني الجميع.
- حسنًا. وما الضمير المستخدَم في الإشارة إليك؟

استحسنت جيري طرحها للسؤال مباشرةً وبصراحة. إذ ما زال الناس يمنعهم الحرج من السؤال، كما لو أن جيري تتسم بالغموض دون قصد منها، وليس عن قصد.

قالت جيري: «المذكر، المؤنث، الجمع... استخدام الضمائر مرهق، وينم عن كسل. أفضِّل مخاطبة أي شخص باسمه. مثل كل المدغشقريين».

أومأت أناستازيا متفهمة: «لا بد أننا نبدو لك غريبين ومُربكين».

- كنت أستغرب منكم في صغري. لم أقابل قط شخصًا منكم إلى أن بلغت سن المراهقة. لكنني صرت أتقبل جمودكم الغريب، بل وأستحسنه أحيانًا.
- إذن أنت ترين نفسك منتمية إلى الجنسين. لكن أتخيل أنك في أحيان تميلين إلى أحدهما.

قالت جيري مع نفسها وهي تزداد إعجابًا بالمنجل العائدة من الموت: *ليست صريحة فحسب، بل ونافذة البصيرة أيضًا. إنها تطرح الأسئلة الصحيحة.*

قالت جيري لها: «لك أن تقولي إن ميلي تحكُمه السماوات. عندما تكون السماء صافية، أختار أن أكون امرأة، وعندما تكون غائمة، أكون رجلًا». التفت جيري ناظرًا إلى أشعة الشمس المتلألئة على سطح البحر وتتخللها ظلال غيوم من حين لآخر، لكن عندئذٍ لم تكن السفينة تحت أحد تلك الظلال: «في هذه اللحظة أنا امرأة».

قالت أناستازيا: «فهمت»، دون نبرة الحُكم التي تظهر عند بعض الناس: «قال أبي، وهو باحث في تاريخ عصر الفانين، إن الشمس في معظم الأوقات تُرى مذكر في الميثولوجيا، وبالطبع ثمة ذِكر للرجل في القمر. اختيارك أن تكوني أنثى تحت ضوئهما يخلق توازنًا، وفيه تناغم طبيعي».

قالت جيري: «وأنت أيضًا، اللون الفيروزي يمثل رمزًا للتوازن».

ابتسمت أناستازيا: «لم أكن أعرف هذا. اخترته لأنه اللون الذي أراده لي شقيقي».

اكفهر وجهها قليلًا، إذ أحست بوخزة حزن إثر ذِكر شقيقها. ورأت جيري أنه حزن شخصي دفين ينبغي عدم نبشه، وتركت لها مساحة خصوصية.

تساءلت أناستازيا: «ألا يزعجك أن تكوني دومًا تحت رحمة الطقس؟ يبدو لي أن أمثالك لا يرغبون في الخضوع لأشياء كثيرة، كما لا بد أنك تعانين في الأيام الغائمة جزئيًّا مثل اليوم».

وكما لو أن الشمس تستجيب للكلام، توارت خلف سحابة صغيرة، ثم ظهرت. ضحكت جيري وقالت: «أجل، في الأمر معاناة، لكنني اعتدتها، بل وصرت أتقبّلها. هذا التقلُّب صار جزءًا من هويتي».

- كثيرًا ما تساءلتُ كيف يكون حال المرء عندما يولد في إقليم مدغشقر. لا أقصد أنني مهتمة بأن أكون رجلًا، لكن أتساءل عن إحساس استكشاف الجنسين عندما يكون المرء صغيرًا في السن ولا يستوعب الاختلافات بين الجنسين.
- هذا هو المغزى كله، وسبب ذهاب كثير من الناس إلى مدغشقر لتربية أطفالهم.

فكرت أناستازيا مليًّا، ثم قالت: «أظنني، إذا كنت مثلك أقسِّم وقتي بين البر والبحر، لاخترتُ جنسًا للبر، وجنسًا للبحر. هكذا لن يكون جنسي تحت رحمة الرياح».

- حسنًا، لاستمتعتُ برفقتك على أي حال.

قالت أناستازيا بحياء: «امممم. تغازلينني تحت ضوء الشمس».

«إحدى ميزات كون المرء مدغشقريًّا أننا نرى الناس أناسًا فحسب». رفعت جيري بصرها والضوء يعتم قليلًا: «أرأيت؟ مرت الشمس خلف غيمة مرة أخرى، ولم يتغير شيء».

تراجعت أناستازيا مبتعدة عن الحاجز، وعلى وجهها ابتسامة ساخرة لطيفة: «أظنني نلت كفايتي من الشمس والظل اليوم. طاب يومك يا قبطان». ثم استدارت لتهبط إلى الأسفل وعباءتها ترفرف خلفها كشراع مُنحل في نسيم عليل.

26

وعاء كراهية العالم أجمع

لم يعرف روان أيًّا من التغيرات التي حدثت في العالم خلال غيابه الذي دام ثلاث سنوات. خلافًا لما حدث مع سيترا، لم يحدِّث أحدٌ معلوماته، والقليل الذي عرفه كان عَرَضًا. عرف أن غودارد صار يتولى أمر معظم أجزاء أمريكا الشمالية. وهذا أمر لا يبشِّر بخير لأحد، لا سيما روان.

كان واقفًا مقيدًا إلى عمود زجاجي وسط شاليه غودارد البلوري. أليس ثمة مقولة عن البيوت الزجاجية وقذف الحجارة؟ حسنًا، إذا كان لديه حجر لما قذفه، لأخفاه حتى يستخدمه من أجل غاية أهم.

أُنعِش في اليوم السابق، كما قالت النصل السامي بيكفورد. الموت ليس عقابًا كافيًا للمنجل لوسيفر. وأدرك روان، بحسب معرفته بغودارد، أن نهايته ستكون حدثًا يستعرض فيه غودارد عظمته وكبرياءه.

جاء غودارد لرؤيته والمنجل راند إلى جانبه كالعادة، والتعابير المرتسمة على وجه غودارد لم تكن تعابير غضب، إنما ترحيب، تعابير دافئة، إذا جاز قول إن كائنًا بارد الدم مثله لديه تعابير دافئة، فأربك روان وشوَّشه. أما راند فبدَتْ قلِقة، وعرف روان سبب قلقها.

تكلم غودارد فاردًا ذراعيه كأنه يهم بمعانقته: «عزيزي روان». لكنه توقف على بعد بضع ياردات.

سأله روان محاولًا أن يبدو صفيقًا بقدر مستطاعه: «هل فوجئت برؤيتي؟».

- لم أعد أتفاجأ بأفعالك يا روان، لكن أقر بأنك أثرت إعجابي بقدرتك على العودة بعد غرق إنديورا.
- التي أغرقتها أنت.
- لا. *أنت* أغرقتها. هذه هي الحقيقة المذكورة في السجلات، وستظل الحقيقة دومًا.

إذا كان غودارد يحاول إثارة استياء روان، لم تكن محاولته ناجحة، فالفتى تصالح سلفًا مع سوء سمعته. عندما قرر أن يصبح المنجل لوسيفر كان يعرف أنه سيصبح مكروهًا، بالطبع، لكنه توقع أن تنحصر كراهيته بين المناجل، ولم يخطر له قط أن يمقته العالم بأكمله.

قال روان: «تبدو سعيدًا برؤيتي، على الأرجح بسبب فسيولوجيا الجسد الذي سرقتَه، ردة فعل جسد تايغر إزاء رؤيته صديقه المقرب».

قال غودارد: «ربما»، وألقى نظرة سريعة على يدَي تايغر، كما لو أنهما قد ينبت لهما لسانان ويتكلمان معه. «لكن بقية جسدي مسرورة برؤيتك أيضًا! كما ترى، المنجل لوسيفر مصدر إزعاج بوصفه بُعبعًا للمناجل، لكن بوصفه رجلًا عاديًّا، يمكنني استغلاله من أجل تحسين أحوال البشرية».

- تعني تحسين أحوال غودارد.
- ما يصب في صالحي يصب في صالح العالم أيضًا، لا بد أن تدرك هذا بعد كل ما حدث. أرى الصورة الكبيرة يا روان، لطالما رأيتُها. والآن، عندما أخبر العالم بأن المنجل لوسيفر سيخضع للحساب، سيهدأ بال الناس قليلًا.

طوال النقاش بينهما ظلت المنجل راند صامتة، كانت قد جلست وراحت تشاهد، في انتظار ما سيفعله روان وما قد يقوله متَّهمًا إياها، فهي التي أطلقت سراحه في إنديورا، قد يوقعها في ورطة، لكنه لن يكون أفضل حالًا ممن يقذف حجرًا.

قال غودارد: «في حال رغبتك في أن يتذكرك الناس، لا تقلق، ستبقى في الذاكرة. حالما تُقطَف سيكون اسمك وعاء لكراهية العالم أجمع. إنك مشهور بإجرامك يا روان، عليك أن تتقبل هذا الواقع! هذه هي الشهرة الوحيدة التي ستنالها، وهي أكثر مما تستحق، اعتبرها هدية من أجل كل ما مررنا به معًا».

- إنك مستمتع بما يجري، أليس كذلك؟

- غاية الاستمتاع! لن تقدر على تخيُّل عدد المرات التي وقفت فيها هنا مفكِّرًا في الطرائق التي يمكنني تعذيبك بها!

- مَن ستعذِّب بعد رحيلي؟

- متأكد أنني سأعثر على شخص آخر. أو ربما لن أحتاج إلى شخص آخر، ربما تكون آخر شوكة في خاصرتي.

- لا، ثمة شوكة أخرى دومًا.

صفَّق غودارد بيديه مغتبطًا: «افتقدتُ هذه الحوارات معك!».

- تقصد الحوارات التي تشمَت بي فيها وأنا مقيد؟

- أرأيت؟ الطريقة التي تدخل بها في صلب الموضوع أجدها مُحفِّزة، ومسلية للغاية، لاتَّخذتك حيوانًا أليفًا لولا خشيتي أن تهرب بطريقة ما وتحرقني في أثناء نومي.

- لفعلتُ بالطبع.

- لا شك لدي. حسنًا، أطمئن أنك لن تهرب اليوم؛ المنجل برامز الأخرق لم يعد معنا.

- لماذا؟ هل التهمَته أسماك القرش مع بقية الناس؟

- نعم، التهمته بالتأكيد، لكنه مات قبل أن تبلغه أسماك القرش، عقابًا له على سماحه لك بالهروب.

- أجل.

لم يقل روان المزيد. لكن بطرف عينه لمح راند تتململ في كرسيها كأنه صار ساخنًا فجأة.

اقترب غودارد منه، وتكلم بنبرة لطيفة: «ربما لا تصدقني، لكنني افتقدتك حقًا يا روان». حمل كلامه صدقًا يتجاوز زهوه واستعراضه المسرحي: «أنت الوحيد الذي يتجرأ على الكلام معي بشجاعة. أجل لدي خصوم، لكن جميعهم ضعفاء خانِعون، يسهُل قهرهم. كنتَ مختلفًا منذ البداية».

تراجع خطوة ونظر إلى روان مليًّا، كما ينظر المرء إلى لوحة بهتت ألوانها وانحسر جمالها: «كان بإمكانك أن تصبح مساعدي الأول، ووريث هيئة المناجل العالمية. أجل، أؤكد لك، ستوجد هيئة مناجل عالمية واحدة عندما أكمل خططي. لكان ذلك مستقبلك».

- إذا تجاهلتُ ضميري.

هز غودارد رأسه مُشفِقًا: «الضمير أداة، كأي أداة أخرى، إذا لم تتحكم به وتسخِّره لأهدافك، فسيتحكم بك. وحسبما أراه فقد أفقدك صوابك. كلَّا، العالم يحتاج إلى الوحدة التي أقدمها لها أكثر من احتياجه إلى فهمك الساذج للصواب والخطأ».

ما يميز غودارد هو أنه دومًا يقترب كثيرًا من أن يكون منطقيًّا عقلانيًّا، يقترب إلى درجة تضعِف المعنويات، بمقدوره تحريف أفكار المرء حتى تصبح أفكاره هو. وهذا ما جعله خطيرًا.

أحس روان بانحسار عزيمته وجَلَده. هل غودارد محق بشأن أي شيء؟ ثمة صوت بداخل روان قال لا، لكن ذلك الصوت بدأ يخبو وينزوي.

سأل روان: «ماذا سيحدث لي؟».

مال غودارد مقتربًا وهمس في أذنه: «تصفية حساب».

***

كانت المنجل راند تظن أنها وضعت أمر روان برمَّته خلف ظهرها. كانت في رحلة إلى إحدى أبنية الذاكرة عندما جاء خبر وجود المنجل لوسيفر على قيد الحياة في أمازونيا. ودون علمها تمت مهمة استعادته من الأمازونيين، كان روان في الطريق عندما أبلغها غودارد بـ «الخبر العظيم».

والتوقيت كان سيئًا. إذا علمتْ سابقًا لوجدت طريقة لقطفه قبل وصوله إلى غودارد، ولو لإسكاته فحسب.

لكن ها هو ذا روان، وقد أمسك لسانه على أي حال، أو على الأقل لم يأتِ على ذِكرها هي. هل احتفظ بالسر ليستمتع بتململُها؟ لم تعرف إيان اللعبة التي يمارسها.

هذه المرة لم يكن غودارد متعجرفًا فيترُك روان وحده في الصالة، كلَّف حارسين بمرافقته، وأمرهما بعدم الاقتراب منه ومراقبته طوال الوقت.

قال غودارد لإيان: «عليك أن تتفقَّديه كل ساعة، لتحرصي على أنه لم يحل وثاقه أو يتغلب على الحارسين».

- ينبغي أن تجعلهما أصمَّين، حتى لا يغويهما لوسيفر.

كان اقتراحها على سبيل المزاح، لكن غودارد أخذه بجدية: «للأسف ستشفى آذانهما في غضون ساعة».

لذا بدلًا من إصابة الحارسين بالصمم، حُقِّقت الغاية بالطريقة القديمة، بتكميم فم روان. لكن عندما عادت إيان لتفقُّد روان في ذلك العصر، وجدته قد تمكن من نزع الكمامة بطريقةٍ ما، ومبتسمًا رغم قيوده.

قال مبتهجًا: «مرحبًا يا إيان، كيف يومك؟».

ردت ساخرة: «ألم تسمع؟ كل يوم رائع منذ أن أصبح غودارد النصل المُصلت».

قال أحد الحارسين: «نأسف جنابك، أُمِرنا بعدم الاقتراب منه، فلم نستطع إعادة تكميمه. ربما يمكنك».

- ماذا قال لكما؟

قال الحارس الآخر: «لا شيء، كان يغني أغنية كانت رائجة قبل بضع سنوات، وطلب منا الغناء معه، لكننا رفضنا».

قالت إيان: «جيد. أهنئكما على صرامتكما».

طوال هذا الوقت لم تتلاش ابتسامة روان: «أتعرفين يا إيان، كان بإمكاني إخبار غودارد بأنك أطلقت سراحي في إنديورا».

بهذه البساطة أفشى السر ليسمعه الحارسان.

قالت: «الكذب لن يفيدك»، موجهةً الكلام إلى الحارسين بطريقة غير مباشرة، ثم أمرتهما بالانتظار خارج الغرفة، وبما أن المكان معظم جدرانه ما زالت زجاجية شفافة، كانا ما يزالان قادرين على رؤية ما يجري بالداخل، لكن على الأقل الغرفة تصير عازلة للصوت حالما يُغلَق الباب.

قال روان: «لا أظنكِ بددتِ شكوكهما، لم يكن كلامك مقنعًا».

- إنك محق، وهذا يعني أنني سأضطر إلى قطفهما، ودماؤهما على يديك.

- النصل في يدك أنت، ليس يدي.

نظرت إلى الحارسين هنيهة، وهما غافلان على الجانب الآخر من الجدار الزجاجي. المشكلة لم تكن قطفهما، إنما إخفاء حقيقة أنها هي التي قطفتهما. قد تضطر إلى تكليف منجل وضيع بالمهمة، ثم ترغمه على قطف نفسه، مع الحرص على عدم إثارة شكوك أي أحد. يا لها من فوضى.

- إطلاق سراحك كان أسوأ قرار اتخذته في حياتي.
- ليس الأسوأ، ليس الأسوأ على الإطلاق.
- لماذا لم تخبر غودارد؟ ما دافعك يا تُرى؟

هز روان كتفيه: «أسديتِني معروفًا، ورددت لك الجميل. تعادلنا. إضافة إلى أنكِ أفسدتِ خططه مرة، وربما تفعلينها مرة أخرى».

- الوضع تغير.
- حقًّا؟ ما زلتُ لا أراه يعاملك كما ينبغي له. هل قال لك ما قاله لي اليوم؟ هل قال لك إنك ستكونين وريثة هيئة المناجل العالمية؟ ألم يقل؟ يبدو لي أنه يعاملك كما يعامل أي أحد آخر، كخادمة.

أطلقت إيان تنهيدة طويلة، وداهمها إحساس بوحدة مريرة. في معظم الأحوال كانت تستمتع بفعل كل شيء وحدها، لكن الوضع الحالي مختلف، أحست بأنها ليس لديها أي حليف، وبأن كل من في العالم عدوٌّ لها. وربما يعادونها فعلًا. كرهت الفتى المتعجرف لأنه السبب في إحساسها هذا. قالت له: «إنك أخطر مما يظن غودارد».

- لكنك ما زلتِ هنا تستمعين إليَّ. لماذا؟

لم ترغب في التفكير بالسؤال، واستعرضت في ذهنها كل الطرائق التي يمكن أن تقطف روان بها الآن ضاربةً بالعواقب عرض الحائط. لكن كانت تعرف أنها إذا قطفته، فلن ينجح قطفه، ما من طريقة لإنهاء حياته في الشاليه بحيث يتعذر إنعاشه، مما يعني أن غودارد سيعيده إلى الحياة ليواجه العقاب الذي يخطط له. وعندئذٍ، عندما يُنعَش روان، ربما يخبر غودارد كلَّ شيء. رأت أنها مقيدة كروان تمامًا.

قال روان: «الأمر لا يهم، لكنني أريد أن أعرف، أتوافقين على كل ما يفعله غودارد؟ أترين أنه يقود العالم في الاتجاه الصحيح؟».

- ما من اتجاه صحيح. ثمة اتجاه واحد يحسِّن أحوالنا، واتجاهات تفسدها.
- بقولك «أحوالنا» تقصدين أحوال المناجل؟
- ومن عساي أن أقصد؟
- يُفترَض أن يجعل المناجل العالم مكانًا أفضل للجميع، ليس العكس.

إذا كان يظن أنها تكترث، فقد خاب ظنه. فالمُثُل الأخلاقية من شواغل مناجل الحرس القديم. وضمير راند مرتاح، لأنها عديمة الضمير، ولطالما افتخرت بهذا.

- غودارد ينوي إنهاء حياتكَ علنًا، علنًا بطريقة لا تدع مجالًا للشك عند أي أحد في أن المنجل لوسيفر قد رحل إلى الأبد.
- أهذا ما تريدينه؟
- لن أحزن عليك. عندما ترحل سأشعر بالارتياح.

صدَّقها لأنها كانت صادقة، وقال: «أتعرفين، أيتها المنجل راند، سيأتي وقت يخرج فيه غرور غودارد عن السيطرة إلى درجة أنكِ نفسك ستدركين خطورته. لكن بحلول ذلك الوقت سوف يكون نفوذه قويًّا ولن يقدر أحد على معارضته».

أرادت إيان أن تنفي كلامه، لكنها أحست بقشعريرة تمثِّل ردة فعل فسيولوجية تخبرها أن كلام روان لا يخلو من حقيقة. لن تحزن على المنجل لوسيفر، لكن المخاوف لن تنتهي برحيله. قالت: «إنك مثله تمامًا، كلاكما يتلاعب بعقول الناس ويشوشها. لذا اعذرني إذا لم أتحدث معك مرة أخرى أبدًا».

تكلم روان بيقين مطلق: «ستتحدثين معي، فبعدما ينهي غودارد حياتي، سيكلِّفك بالتخلص مما سيبقى من جثتي، كما تخلصتِ مما بقي من جثة تايغر. وعندئذٍ، عندما تكونين وحدك، ستقولين قولًا لاذعًا لعظامي المتفحِّمة، لا لشيء سوى أن تكوني صاحبة الكلمة الأخيرة، وربما تبصقين عليها. لكنك لن تكوني سعيدة».

غضبت راند، لأنها عرفت أنه محق في كل ما قاله.

27

قُبّة احتفالات تنكامِنن

اجتازت سبنس المحيط الأطلسي وعلى متنها المنجل أناستازيا، في طريقها إلى إقليم جنوب الصحراء في قارة إفريقيا. المسافة أقصر بكثير مما يظن معظم الناس، استغرقت أقل من ثلاثة أيام. وصلوا إلى مدينة بورت رِممبرَنس ومناجل أمريكا الشمالية ما زالوا يبحثون عن أناستازيا في أطراف أمريكا الجنوبية القَصيَّة.

في عصر الفانين كانت بورت رممبرنس تعرَف باسم مونروفيا، لكن الرأس السحابي رأى أن تاريخ المنطقة المؤسف، تاريخ الرِّق ثم سوء تخطيط عودة الأرقاء السابقين، يستوجب استحداث اسم جديد للمدينة لا يشعِر أحدًا بالإهانة، وبعض الناس أحسوا بالإهانة بالطبع، لكن الرأس السحابي تمسك بقراره، وكما هو الحال مع كل قرارات الرأس السحابي، اتضح لاحقًا أنه القرار الصحيح.

وجدت المنجل أناستازيا في استقبالها نصل سامي جنوب الصحراء تِنكامِنن بنفسه، إذ وافق على توفير ملاذ سري لها بوصفه أحد الخصوم الصريحين لغودارد.

تكلم بصوت هادر ودود محيِّيًا أناستازيا: «يا لها من ضجة كبيرة محيطة بمنجل مبتدئة!».. كانت عباءته غنية بالألوان ومعقدة التصميم بحيث تستلهِم جميع الثقافات في الإقليم: «لا تقلقي يا صغيرتي، إنك بأمان وبين أصدقاء».

وجدت سيترا عبارة بوسويلو «ميو آنخو»، ملاكي، ودودة، لكنها شعرت بأن مخاطبتها بـ «صغيرتي» تقلل من شأنها. وقفت شامخة بوصفها المنجل أناستازيا، ومراعاة للدبلوماسية لم تعلِّق. لكن جيري لم يسكت.

قال جيري: «ليست صغيرة كما تظن».

ألقى النصل السامي على جيري نظرة ارتياب: «ومن أنت؟».

- جيريكو سوبرانس، قبطان السفينة التي أوصلت المنجل أناستازيا إلى ذراعيك المُرحِّبتين.

قال تنكامنن: «سمعت بك، صياد شهير».

صححه جيري: «قبطان استنقاذ. أعثر على الأشياء الضائعة، وأصلح ما لا يُرجى إصلاحه».

قال تنكامنن: «عُلِم. شكرًا لك على خدمتك الجليلة». ثم أحاط أناستازيا بذراع أبويَّة واقتادها مبتعدًا عن الرصيف مع حاشيته: «لا بد أنكِ مرهقة وتشتهين طعامًا غير بحري. وفَّرنا لكِ كل سبل الراحة».

لكن جيري سار معهما إلى أن سأله تنكامنن: «ألم تتقاض أجرك؟ لا بد أن بوسويلو تكفَّل به».

قال جيري: «معذرة يا صاحب السمو، المنجل بوسويلو كلَّفني شخصيًّا بمرافقة المنجل أناستازيا في جميع الأوقات. آمل ألَّا تطلب مني عدم الإيفاء بالتكليف».

أطلق النصل السامي تنهيدة درامية طويلة، وقال: «حسنًا»، ثم التفت إلى حاشيته كأنهم كيان واحد: «جهِّزوا مكانًا إضافيًّا لقبطاننا المدغشقري الهُمام عند مائدة العشاء وغرفةً تفي بالغرض».

أخيرًا تكلمت أناستازيا: «تفي بالغرض لن تفي *بالغرض*. جيريكو خاطر بكل شيء في سبيل إيصالي إلى هنا، وتنبغي معاملته بالاحترام نفسه الذي أُعامَل به».

توقعت الحاشية انفجار النصل السامي غاضبًا، لكن بعد هنيهة انفجر ضاحكًا بجذل، وقال: «الجرأة تُقدر كثيرًا هنا. سننسجم معًا!»، ثم التفت إلى جيري: «معذرة أيها القبطان، لكنني أحب المزاح، لا أقصد الإهانة. نرحِّب بك ضيفًا مُوقَّرًا، وستُعامَل كما ينبغي».

***

لم يكلف بوسويلو جيري بمرافقة أناستازيا، إنما طلب منه إيصالها إلى جنوب الصحراء فحسب. لكن جيري لم يكن مستعدًّا للافتراق عن المنجل الفيروزية، كما إن طاقم بحارة اسبنس في حاجة إلى الترويح قليلًا، وسيكون الساحل الغربي لإقليم جنوب الصحراء مكانًا رائعًا. وهكذا سنحت الفرصة لجيري للاعتناء بأناستازيا، ومراقبة النصل السامي، الذي بدا مُداهنًا أكثر من اللازم.

سأل جيري أناستازيا قبل ركوبهم السيارة التي ستقلُّهم إلى قصر تنكامنن: «هل تثقين به؟».

قالت أناستازيا: «بوسويلو يثق به، وثقته تكفيني».

ذكَّرها جيري: «كما كان يثق بالمنجل المبتدئ الذي وشى بك لغودارد».

لم تُحر أناستازيا ردًّا، فتابع جيري: «سأكون عينين إضافيتين لك».

قالت: «لا أظن أن هذا ضروري، لكنني ممتنة لك».

عادة ما يكون جيري عمليًّا ويضع مصلحته أولًا، لكنه رأى أن امتنان أناستازيا ثمن كافٍ مقابل خدماته.

***

كان تنكامنن، ويخاطبه المقربون منه بـ 'تنكا'، ذا شخصية ودودة جيَّاشة العاطفة تناسب صوته العميق الذي يتردد صداه حتى عندما يهمس، وقد وجدت سيترا صوته لطيفًا ومهيبًا في آن واحد. وعقدت عزمها على أن تنحِّي سيترا تيرانوفا جانبًا وتكون المنجل أناستازيا طوال الوقت عندما تكون مع تنكامنن.

لاحظت أن تركيبة تنكامنن الجينية تميل قليلًا نحو الإفريقية، وهذا مفهوم نظرًا إلى أنه من القارة التي ساهمت بتلك الجينات في المزيج البيولوجي البشري. وأناستازيا نفسها نسبة جيناتها الإفريقية أكبر من الآسيوية والقوقازية واللاتينية والجينات الفرعية الأخرى التي تدرَج تحت مسمى 'الآخر'. وفي أثناء سيرهم بالسيارة لاحظ تنكامنن الأمر نفسه وعلَّق عليه.

قال: «يفترض ألَّا نلاحظ هذه الأشياء، لكنني ألاحظها، ولا تعني لي سوى أننا أقرب قليلًا إلى بعضنا».

مقره لم يكن مجرد مقر. شيد تنكامنن لنفسه قبة احتفالات فخيمة.

قال لأناستازيا: «لا أسميه زانادو، كما كان كوبالي خان يسمِّيه، كما إن المنجل خان كان يفتقر إلى الذوق، وهيئة مناجل منغوليا كانت محقة عندما هدمته وسوَّت به الأرض حالما قطف نفسه».

كان القصر، مثل تنكا نفسه، أنيقًا وتجسيدًا لذروة الذوق الرفيع. قال لها بفخر: «لست كائنًا طفيليًّا يستولي على العقارات والقصور التي يملكها آخرون ويطردونهم منها. هذا القصر شيدته من الصفر! دعوت مجتمعات بأكملها للعمل، ملأت أوقات فراغهم ومنحتهم غاية، وما زالوا يعملون، يضيفون مباني جديدة كل عام، ليس لأنني طلبت منهم، بل لأنهم يستمتعون بالعمل».

شكَّت أناستازيا في أنهم يعملون باختيارهم، لكن نقاشاتها مع العمال أثبتت خطأها، كانوا يحبُّون تنكا حقًّا، والوقت الذي يكرسونه للعمل في قصره كانوا أحرارًا فيه، لم يضِر أحدًا أن تنكا يدفع لهم أكثر بكثير من ضمان الدخل الأساسي.

كان القصر مليئًا بأشياء وعادات غريبة من العالم القديم أضفت على المكان طابعًا لافتًا، الأزياء التي تنطوي على مفارقة تاريخية التي يرتديها طاقم موظفي القصر كلها من حقب تاريخية مختلفة، وثمة مجموعة من ألعاب الأطفال الكلاسيكية تعود لمئات الأعوام، كما كانت توجد هواتف غريبة، أشياء كصناديق بلاستيكية، متعددة الألوان، موضوعة على الطاولات أو مثبتة على الجدران، بها أيدٍ تتصل بالقاعدة بأسلاك لولَبيَّة طويلة تتمدد كالزنبرك وتتشابك بسهولة.

قال تنكامنن لأناستازيا: «تعجبني فكرة التواصل الذي يقيدك في مكان واحد، فيرغمك على أن تولي النقاش الانتباه الذي يستحقه».

لكن بما أن تلك الهواتف كان استخدامها مقتصرًا على اتصالات تنكامنن الخاصة، لم ترن قط، وافترضت أناستازيا أن السبب هو أن تنكامنن نفسه لا يحرص على الخصوصية، يعيش حياته كأنه في نافذة عرض.

في الصباح الذي تلا يوم وصولها، استُدعيت أناستازيا لاجتماع مع تنكامنن والمنجلين بابا وماكيدا، وهما لا يغيبان أبدًا عن حاشية النصل السامي، وبدا أن غايتهما الوحيدة في الحياة هي مرافقته. بابا صاحب بديهة حاضرة ولسان لاذع، يستمتع بإلقاء نكات لا يفهمها أحد سوى تنكا. وماكيدا تجد بهجتها في التقليل من شأن بابا.

قال تنكا: «آه! ها قد وصلت سيدة الأعماق! اجلسي، أمامنا نقاش طويل».

جلست أناستازيا، وقدموا لها شطائر صغيرة مرصوفة على صينية دائرية. كان النصل السامي يهمه العرض في كل شيء.

قال تنكامنن: «سمعت أن خبر إنعاشك ينتشر، وحلفاء غودارد يحاولون التستر عليه، لكن أصدقاءنا من الحرس القديم يذيعونه. سنجعل الناس يترقَّبون أكثر فأكثر، حتى يستمع العالم بأكمله إليك عندما تقدِّمين نفسك رسميًّا».

- في حال رغبة العالم في الاستماع إليَّ، لا بد أن يكون لدي ما أقوله.

تكلم تنكا بيقين جعل أناستازيا تتساءل عما يخبئه: «سيكون لديك، عثرنا مصادفة على معلومات ستدين عدونا بالجريمة».

قال بابا: «تدين بالجريمة في عالم لا دين فيه ولا جريمة، تخيَّلوا!».

ضحك تنكامنن، وقلَبت المنجل ماكيدا عينيها في محجريها. ثم مد النصل السامي يده عبر الطاولة ووضع أوريغامي بجعة على طبق الخبز الفارغ أمام أناستازيا، وقال مبتسمًا: «أسرار تنطوي على أسرار. أخبريني يا أناستازيا، ما مدى مهارتك في التنقيب في دماغ الرأس السحابي الخلفي؟».

- ماهرة جدًّا.

- عظيم. عندما تفتحين البجعة ستجدين معلومة تبدئين بها البحث.

قلَّبت أناستازيا البجعة بين أصابعها: «عن ماذا سأبحث؟».

- عليك أن تمهدي الطريق بنفسك. لن أخبرك عما ستبحثين عنه، لأنني إذا أخبرتك، فستفوت عليك الأشياء التي تعثرين عليها حدسيًّا.

أردفت ماكيدا: «الأشياء التي فاتت علينا على الأرجح. نحتاج إلى عينين جديدتين».

قال بابا: «علاوة على أنه لا يكفي أن تعرفي الأمر المطلوب، لا بد أن تبحثي عنه وتكتشفيه بنفسك، حتى تعلِّمي الآخرين كيفية البحث عنه».

قال تنكامنن: «بالضبط. الكذبة الناجحة لا يُنجِحها الكاذِب، إنما قابلية المُستمع لتصديقها. لا يمكن للمرء فضح كذبة دون أن يتخلَّص من القابلية لتصديقها. ولهذا فإن اقتياد الناس إلى الحقيقة أكثر فاعلية من مجرد إخبارهم إياها».

عِلقت كلمات تنكامنن في الهواء، ونظرت أناستازيا إلى البجعة مرة أخرى، غير راغبة في إفسادها ببسط جناحيها الدقيقين.

قال تنكامنن: «حالما تصلين إلى استنتاجاتك الخاصة بك، سنخبرك ما نعرفه. أؤكد لك أن رحلتك في الدماغ الخلفي ستكون أهم حدث يجلو بصرك».

28

شهيرًا مُنثَلِم الصّيت

دُعي جميع الناس. وعندما يرسل النصل المصلت دعوة، لا يمكن تجاهلها. مما يعني أن الاستاد سيمتلئ قطعًا بكامل سِعته.

أطلق غودارد نداء لكل الأرواح التي تعيش تحت مظلة نفوذه. كان من النادر أن يرغب منجل، حتى لو لم يكن ذا نفوذ، في أي صلة مع عامة الناس، فتواصُل المناجل مع بقية البشر عادةً ما يقتصر على الرصاص والنصال والسموم أحيانًا. لم يرغب المناجل في أي حديث مع عامة الناس. ليسوا مسؤولين مُنتخَبين وليسوا مطالبين بتبرير أفعالهم إلا لبعضهم بعضًا. ما من داع للظَّفر بقلوب الناس عندما تكون غاية المرء الوحيدة في حياته هي إيقاف نبض تلك القلوب.

لذا عندما ظهر النصل المصلت بنفسه شخصيًّا وأعلن الدعوة، انتبه الناس في كل مكان. ورغم بُرجه المدجج بالأسلحة زعم غودارد أنه منجل الشعب. وهذا هو دليله، رغبته في الاحتفال بانتصاره مع الناس العاديين من شتى نواحي الحياة. وفي النهاية كان توق الناس للاقتراب من أشهر المناجل في القارة أقوى من خوفهم منهم. نفدت التذاكر خلال خمس دقائق بعد طرحها، واضطر البقية إلى مشاهدة الحدث من منازلهم وأماكن عملهم.

والذين حالفهم الحظ فحصلوا على تذكرة فعالية الإعدام، عرفوا أنهم سيشهدون حدثًا تاريخيًا، وسيخبرون أبناءهم، وأحفادهم، وأبناء أحفادهم، وأحفاد أحفادهم، أنهم شهدوا اليوم الذي قُطِف فيه المنجل لوسيفر.

لم يكن الناس يخشون المنجل لوسيفر كما يخشاه المناجل، لكنهم كانوا يمقتونه، لأنهم لا يلومونه على غرق إنديورا فحسب، بل وصمت الرأس السحابي أيضًا، ووسْمه لهم مستهجنين. كانوا يرون أن العالم بأكمله يُعاقَب على أفعال المنجل لوسيفر. صار روان، كما قال غودارد، وعاء كراهية العالم أجمع. لذا كان من الطبيعي أن يحرصوا أشد الحرص على مشاهدة نهايته الفظيعة.

***

لم تعُد في العالم أشياء اسمها مركِبات مُصفَّحة. صارت معظم المركبات منيعة بطبيعتها. ورغم هذا، صُنعت شاحنة نقل خاصة في غضون يومين من أجل المنجل لوسيفر، وزوِّدت بنوافذ عليها قضبان. كان يوجد طريق سريع مباشر من فولكرم سيتي إلى مايل هاي سيتي حيث قُرِّر تنفيذ القطف، لكن الموكب اتخذ طريقًا متعرجًا يمر بأكبر عدد ممكن من مدن وسطمريكا قبل وصوله إلى وجهته، فاستغرقت الرحلة قرابة أسبوع رغم إمكانية قطعها في يوم.

عرف روان أن قطفه سيُستغَل لتحقيق أهداف علاقات عامة، لكن لم يخطر له أن يكون استعراضًا بهذا الحجم.

اشتمل الموكب على أكثر من اثنتي عشرة مركبة، أفراد الحرس النصلي على دراجات نارية، وسيارات ليموزين فخمة بألوان كبار المناجل الذين بداخلها، وخلفهم الشاحنة المصفحة الضخمة، ثم مزيد من دراجات الحرس النصلي في مؤخرة الموكب كأنهم ذيل فستان زفاف.

النصل المصلت نفسه لم يكن حاضرًا، رغم أن سيارة الليموزين التي في المقدمة كانت زرقاء ومرصعة بنجوم متلألئة. لم يكن بداخلها أحد، لكن الجماهير لم تكن تعرف هذا. لم يرغب غودارد في تكليف نفسه عناء الرحلة الطويلة المرهقة وهو بإمكانه تحقيق التأثير نفسه بمجرد التظاهر بأنه في السيارة. ولن يظهر حتى يأتي يوم القطف.

وكلَّف قسطنطين بمسؤولية مرافقة المنجل لوسيفر الرهيب إلى حتفه الأخير.

كان روان يعرف أن قسطنطين تولَّى مهمة البحث عنه والقضاء عليه قبل ثلاث سنوات. عباءته القرمزية وسيارته كانتا بلون ملصق **عدو الشعب** نفسه المطبوع على شاحنة نقل روان، وتساءل عما إذا كان تشابه الألوان مقصودًا أم مجرد مصادفة سعيدة.

قبل مغادرتهم فولكرم سيتي، زار قسطنطين روان حالما اقتيد إلى الشاحنة المصفحة وقُيِّد بالأغلال.

قال قسطنطين: «طيلة السنوات الماضية أردت أن أراك، والآن وقد رأيتك، أجدني محبطًا».

- شكرًا لك، وأنا أيضًا أحبك.

مد قسطنطين يده إلى عباءته كأنه يهم بسحب نصل، لكنه تمالك نفسه: «إذا استطعت قطفك الآن لفعلت، لكنني لا أود إثارة غضب النصل المصلت».

- أتفهَّم هذا. لك أن تجد عزاءً في أنني أفضِّل أن تقطفني أنت بدلًا من غودارد.

- ولماذا تفضِّلني؟

- لأن غودارد يريد موتي انتقامًا، أما موتي على يديك سيكون أداءً لواجبك وإكمالًا لمهمتك التي استمرت ثلاث سنوات. أفضِّل أداء الواجب.

تقبل قسطنطين الكلام راضيًا، لم يلِن، لكنه لم يعد يبدو على وشك ارتكاب فعل قد يندم عليه لاحقًا.

- قبل اقتيادك إلى نهايتك التي تستحقها، أريد أن أعرف أمرًا، أريد أن أعرف لماذا فعلتَ ما فعلتَه.

- لماذا أنهيت حيوات المناجل رينوار وفيلمور والبقية؟

لوَّح قسطنطين بيده مشمئزًّا: «لا. كرهتُ إنهاءك لحيوات المناجل، لكن سبب اختيارك لأولئك المناجل واضح لي، جميعهم كانوا مناجل مشكوكًا في أمرهم، وأنت أصدرت الحكم عليهم، رغم أنه لا يحق لك. وهذه الجرائم أكثر من كافية لقطفك. سؤالي هو لماذا قتلت المخضرمين؟ كانوا رجالًا ونساء

صالحين، أسوأهم كان زينوقراط، لكن حتى هو كان قديسًا مقارنة بالمناجل الذين أنهيتهم. ماذا اعتراك فدفعك إلى ارتكاب ذلك الفعل الشنيع؟».

سئم روان دفع التهمة عنه. فيم يهم ذلك في اللحظة الراهنة؟ قال لقسطنطين الكذبة التي صدقها جميع الناس سلفًا: «كرهتُ هيئة المناجل لأنها حرمتني الخاتم، لذا أردت إلحاق أشد الأضرار بها، أردت لكل هيئة مناجل في العالم أن تدفع ثمن رفض تنصيبي منجلًا شرعيًّا».

كادت تحديقة قسطنطين أن تذيب فولاذ شاحنة النقل: «أتتوقع مني تصديق أنك تافه ضيق الأفق إلى هذه الدرجة؟».

قال روان: «لا بد أنني كذلك، وإلَّا فلماذا عساي أن أغرِق إنديورا؟». ثم أردف: «أو ربما أكون شريرًا فحسب».

عرف قسطنطين أن الفتى يسخر منه، ولم يتقبل السخرية بصدر رحب. غادر ولم يتكلم مع روان طوال الرحلة، لكن ليس قبل أن يوجه له كلمة وداع مسمومة.

قال المنجل القرمزي وهو ينضح مرارة: «من دواعي سروري إخبارك أن قطفك سيكون مؤلمًا، غودارد ينوي أن يشويك حيًّا».

***

قُيد روان بسلاسل جديدة صنعت خصيصى له، سلاسل فولاذية تصدر صليلًا على أرضية الشاحنة في أثناء تحركها، طويلة تتيح له الحركة لكنها ثقيلة تُعجِزه عن التحرك فعلًا. كانت مبالغًا فيها بإفراط. مهارته في التملُّص منهم لا تعني أنه فنان هروب كما يظنون. جميع حالات هروبه السابقة كانت نتيجة لمساعدة شخص له أو عدم كفاءة من يحتجزونه. ما كان ليعضَّ السلاسل فيكسرها ويخلع الباب الفولاذي بركلة، لكن جميع الناس كانوا يتصرفون كأنه وحش من عالم آخر لديه قوى خارقة. لكن ربما هذا ما أراد غودارد أن يظنه الناس، لأنه إذا توجَّب على المرء تقييد المخلوق الذي اصطاده وحبْسه في قفص فولاذي، فلا بد أنه أبرع صياد.

في كل مدينة وبلدة مرُّوا بها، خرج الناس أفواجًا ليشاهدوا الموكب، كأنه مسيرة أحد الأعياد. نوافذ الشاحنة المزودة بقضبان كانت على ارتفاعات مختلفة، وأكبر مما ينبغي نظرًا إلى أن الشاحنة مصفحة، وداخلها مُضاء إضاءة ساطعة. وسرعان ما أدرك روان أن ثمة سببًا لهذا. اختير موضع النوافذ

بحيث تُمكِّن من رؤية روان من الخارج حيثما جلس أو وقف فيها، والإضاءة الساطعة تضمن عدم اختبائه في الظلام في أي وقت من اليوم.

في أثناء مرور الموكب عبر الشوارع الرئيسية والفرعية ظل روان ظاهرًا أمام المتفرجين على الجانبين. وكان من حين لآخر ينظر خارج النافذة، فتشتد حماسة الحشود إثر رؤيته. وكانوا يشيرون إليه، ويلتقطون الصور، ويرفعون الأطفال حتى يروا الشاب الذي صار شهيرًا مُنْثَلِم الصِّيت. لوَّح روان لهم بضع مرات، فجعلهم يتضاحكون. وأشار إليهم بضع مرات وهم يشيرون إليه، فجعلهم يجفلون خائفين، كما لو أن شبحه الغاضب بعدما يُقطف سيعود إليهم في منتصف الليل.

وطوال هذا الوقت عجز روان عن إبعاد كلمات قسطنطين المؤرِّقة عن ذهنه، أيْ حديثه عن طريقة قطفه. ألم يصدر مرسوم يُجرِّم القطف بالنار؟ لا بد أن غودارد أباحَه. أو ربما أباحه من أجل عملية القطف الخاصة هذه فحسب. حاول روان جاهدًا أن يقنع نفسه بأنه لا يخشاه، لكنه كان يخشاه. لم يخش القطف نفسه، إنما الألم. الذي سيكون مبرحًا، لأن غودارد سيوقف وحدات روان المجهرية حتى ينال عذابه كاملًا غير منقوص. سيعاني مثل مُهرطِقي وساحرات العصور المظلمة.

فكرة نهاية حياته لم تكن مشكلة في نظره، بل أصبحت مألوفة، إذ مات مرات كثيرة، بطرائق عديدة، حتى اعتاد الموت. أصبح الموت في نظره كالخلود إلى النوم، لكنه رأى أن النوم أسوأ بكوابيسه. على الأقل كان شموته خاليًا من الأحلام، والفرق الوحيد بين الشموت والموت هو طول المدة. ربما يكون الموت النهائي، وفقًا لمعتقدات بعض الناس، سببًا في انتقال الميت إلى مكان جديد رائع يعجز الأحياء عن تخيُّله. هكذا حاول روان رسم صورة أكثر إشراقًا لمصيره.

كما حاول رسم صورة أكثر إشراقًا لواقعه بتذكُّر سيترا. لم يسمع خبرًا عنها، ولم يكن أحمق فيسأل قسطنطين أو أي أحد عنها، لأنه لم تكن لديه فكرة عمَّن يعرف أنها على قيد الحياة. غودارد يعرف بلا شك، إذ أرسل نصل سامي غربمريكا للقبض على كليهما. لكن إذا هربت سيترا، فأفضل طريقة لمساعدتها هي عدم الحديث عنها مع الأعداء.

ونظرًا إلى نهاية طريقه المُتعرِّج الحتمية، لم يسعه سوى الأمل أن تكون في ظروف أفضل.

29

الدُّب الظاهر

ثلاثة تواريخ. هذا كل ما وجدتْه مكتوبًا بداخل البجعة المطويَّة. الأول في عام الوشق، والثاني في عام البايسون، والثالث في عام البلشون. والأعوام الثلاثة كانت قبل مولدها.

لم تستغرق أناستازيا وقتًا طويلًا حتى تكتشف أهمية التواريخ الثلاثة. هذا كان الجزء السهل. سواء عرف الناس التواريخ بدقة أم لم يعرفوها، كانت الأحداث التي وقعت فيها جزءًا من دروس التاريخ التي تلقاها جميع الناس في المدارس. لكن ما درسوه كان السردية الرسمية، الرواية المقبولة والمتعارف عليها. لا شيء في التاريخ المُدوَّن رواه أناسٌ شهدوا الوقائع بأنفسهم، والوقائع المعروفة هي التي سُمِح للناس بمعرفتها فحسب. منذ أن أصبحت أناستازيا منجلًا ظلت ترى بنفسها تعتيم هيئة المناجل على المعلومات عند الحاجة وكتابتها للوقائع التاريخية بالطريقة التي تراها مناسبة، ربما لا تستطيع تزييف الوقائع، لأن الرأس السحابي لديه سلطة على الحقائق والأرقام، لكن هيئة المناجل بإمكانها *اختيار* الحقائق التي تريد إيصالها إلى عامة الناس.

لكن أي معلومة يُغَض الطَّرف عنها عمدًا لا تُنسى، تظل موجودة في الدماغ الخلفي ومتاحة لجميع الناس. في أيام تلمذتها صارت سيترا خبيرة في غربلة دماغ الرأس السحابي الخلفي عندما كانت تحاول إيجاد «قاتل» المنجل فاراداي، وعلِمت أن خوارزميات الرأس السحابي المختصة بنظام تصنيف

المعلومات تشبه الدماغ البشري، كل المعلومات مرتبة وفقًا لترابطها، الصور لا ترتَّب بتاريخها أو ساعتها أو حتى موقعها، للعثور على منجل عاجي يقف عند ركن شارع، تعيَّن على سيترا البحث في صور الناس الذين يرتدون ملابس عاجية اللون ويقفون عند أركان الشوارع في كل أنحاء العالم، ثم تضييق نطاق البحث بعناصر أخرى في المشهد، مثل شكل مصابيح الشارع، أو طول الظلال، أو الأصوات والروائح في الهواء، لأن الرأس السحابي يصنف جميع المُدخلات الحِسِّية. لذا كان العثور على أي شيء أشبه بالعثور على إبرة في كومة قش على كوكب من أكوام القش.

معرفة المُحدِّدات التي تُضيِّق نطاق البحث في بحر المعلومات اللامتناهي تتطلب عبقريةً وإلهامًا. الآن وجدت أناستازيا نفسها أمام تحدٍّ أصعب، لأنها كانت تعرف ما تبحث عنه سابقًا، والآن لا تعرف شيئًا سوى التواريخ.

بدأت بدراسة جميع المعلومات المعروفة عن الكوارث المَعنيَّة، ثم غاصت في الدماغ الخلفي لتطَّلع على المصادر الأصلية والمعلومات التي استُبعِدت على نحو انتقائي من السجلات الرسمية.

تمثَّلت أكبر عقبة أمامها في قِلَّة صبرها، كانت تستشعر وجود الإجابات في متناولها، لكنها مدفونة تحت طبقات كثيرة إلى درجة جعلتها تخشى ألَّا تعثر عليها أبدًا.

***

صادف أنَّ أناستازيا وجيري وصلا قبل بضعة أيام من مهرجان القمر. كل شهر عند اكتمال القمر بدرًا يقيم النصل السامي تنكامنن حفلًا يدوم خمسًا وعشرين ساعة، «لأن أربعًا وعشرين ليست كافية»، ويشتمل الحفل على جميع ضروب الترفيه، وحشود جرَّارة من محترفي ارتياد الحفلات، ويُستجلَب الطعام من جميع أنحاء العالم للضيوف المدعوين.

نصح تنكا أناستازيا: «تأنَّقي للمناسبة، لكن دون عباءتك، وابقي إلى جانبي مع مُحتفِل أو اثنين. ستكونين مجرد جزء من مشهد الحفل».

ولجيري اكتفى النصل السامي بقول: «استمتع ضمن الحدود المعقولة».

ترددت أناستازيا بشأن قرار ذهابها إلى الحفل، خشية أن يعرفها أحد، ولفضَّلت مواصلة بحثها في الدماغ الخلفي، لكن تنكامنن أصرَّ: «يجدر بك أن تستريحي قليلًا من كدْح البحث. سأطلب لك باروكة ملونة، ولن يعرفك أحد».

في البداية رأت أناستازيا أن من التهور وعدم المسؤولية اقتراحِ أن تنكُّرًا بسيطًا سيخفي هويتها، لكن بما أن آخر ما يتوقعه أي شخص هو ظهور منجل ماتت منذ مدة في الحفل -ناهيك بمنجل تضع باروكة نيون زرقاء- مُتَخَفِّية تحت أنظار الجميع.

قال لها: «إليكِ درسًا قد يعينك في بحثك: ما يختبئ تحت أنظار الجميع، العثور عليه أصعب».

كان تنكا مضيفًا من الطراز الأول، ظل يستقبل جميع الناس شخصيًّا، ويمنح الحصانة يمينًا وشمالًا. بدا الحفل باهرًا وممتعًا، لكن أناستازيا بدت متضايقة منه، والنصل السامي استشعر استياءها.

سألها تنكا: «هل أبدو لك مُبذِّرًا غارقًا في الملذات؟».

- غودارد يقيم حفلات كهذه؟

- *ليست* كهذه؟

- ويحب أن يسكن في منازل ضخمة أيضًا.

- أهذا ما ترينه؟

أشار تنكا لها لتقترب منه حتى تسمعه بوضوح في خضم جلبة الحفل: «أريد منك أن تنظري إلى الذين أمامك وتخبريني ما ترينه، أو بالأحرى، ما لا ترينه».

طافت أناستازيا ببصرها فيما حولها. رأت أناسًا في حوض سباحة متعدد المستويات، وآخرين يرقصون في الشرفات، جميع الناس يرتدون ملابس سباحة وملابس حفلات مبهرجة. ثم أدركت...

- لا يوجد مناجل.

- لا يوجد حتى منجل واحد! حتى ماكيدا وبابا. كل ضيف هنا أحد أفراد أسرة شخص قطفتُه منذ آخر ليلة بدر. أدعوهم إلى هنا لنحتفي بحيوات أحبابهم الذين فقدوهم، بدلًا من الحزن عليهم، ولأمنحهم الحصانة. وعندما ينتهي الاحتفال، وتُزال جميع مظاهره، أنسحب إلى جناحي الفخيم.

أشار إلى أكبر نافذة في القصر... ثم غمز ومرر إصبعه إلى اليمين، حتى لم يعد يشير إلى القصر، بل إلى كوخ عند طرف القصر.

- سقيفة الأدوات؟

- ليست سقيفة أدوات، بل المكان الذي أعيش فيه. أجنحة القصر جميعها مخصصة للضيوف المُوقَّرين من أمثالك، والضيوف الذين لا يشرِّفونني لكن لا بد من إثارة إعجابهم. أما سقيفتي، كما أسميتِها، فهي نسخة طبق الأصل من المنزل الذي ترعرعتُ فيه. والداي يؤمنان بالبساطة. وبالطبع أنجبا ابنًا يستمتع بتعقيد الأمور. لكنني ما زلت أجد راحتي ليلًا في هدوء المسكن البسيط.

- لا بد أنهما فخوران بك.

النصل السامي تنكامنن تأفف من قولها: «لا أظن. إنهما متطرِّفان في بساطتهما، وقد صارا طونيين. لم أتحدث معهما منذ سنوات».

- يؤسفني هذا.

قال تنكا بمرارة: «أسمِعتِ أن الطونيين لديهم نبيٌّ؟ ظهر بعد وقت قصير من غرقك. يزعمون أن الرأس السحابي ما زال يتكلم معه». أطلق ضحكة كئيبة: «وبالطبع عرَّض نفسه للقطف».

اقترب نادلٌ منهما حاملًا صينية روبيان بدا أكبر من أن يكون حقيقيًا، لا شك في أنه أحد منتجات مَزارع الرأس السحابي، وكالعادة نجح الرأس السحابي، كان مذاق الروبيان أفضل من شكله.

سألها تنكامنن: «كيف تسير مجهوداتك؟».

- إنها تسير. لكن الرأس السحابي يربط المعلومات بطرائق مُربِكة. أختارُ صورة لمستعمرة المريخ، فتقودني إلى رسم طفل للقمر، وأختارُ تقريرًا إخباريًّا من محطة نيو هوب المدارية، فيقودني إلى طلب غداء في إسطنبول من منجل لم أسمع عنه قط، دانتي... لا أعرف اسمه الأخير.

- أليغيري؟

- نعم، هو. أتعرفه؟

- سمعت عنه. من أوروسكانديا على ما أظن. رحل منذ مدة. لا بد أنه قطف نفسه قبل قرابة خمسين أو ستين سنة.

- مثل كل الروابط الأخرى التي وجدتُها، جميعها لا تبدو منطقية.

- ادخلي في كل جُحر أرنب، لأن بعضها قد توجد فيها أرانب فعلًا.

- ما زلت لا أفهم عدم إخبارك لي ما أبحث عنه.

تنهد تنكا ومال مقتربًا منها ليهمس: «المعلومات التي لدينا جاءتنا من منجل أخرى قبل أن تقطف نفسها، لتريح ضميرها على ما أظن، وسوى هذا ليس لدينا دليل قاطع، وتنقيبنا في الدماغ الخلفي لم يكن مثمرًا، مجهوداتنا تضيع لأننا نعرف ما نبحث عنه. عند البحث عن رجل يضع قبعة زرقاء، لا نلاحظ المرأة التي تضع باروكة زرقاء». داعب إحدى خصلات باروكتها.

رغم أن ما قاله تنكا بدا غريبًا، رأته أناستازيا منطقيًّا. ألم تر تنكا يسير نحو «سقيفة الأدوات» يوميًّا لكن افتراضاتها لم تسمح لها بتخمين السبب؟ تذكرت فيديو من عصر الفانين عرضه أستاذ في الصف: كان الهدف هو حساب عدد مرات تمرير الكرة بين أعضاء فريق يتحركون في أنحاء الشاشة، وأجابت سيترا الإجابة الصحيحة، وكذلك معظم زملائها، لكن جميعهم لم يروا الرجل الذي يرتدي بدلة على شكل دب وهو يرقص عابرًا المشهد في منتصف الشاشة. أحيانًا ملاحظة الأشياء الظاهرة تتطلب النظر دون توقعات سابقة.

***

في الصباح التالي توصَّلتْ إلى شيء، فركضت إلى كوخ تنكا لتخبره ما اكتشفته.

رأت منزله متواضعًا على نحو حتى المنجل فاراداي كان ليرضى عنه، ووجدت تنكا مشغولًا بأمر، أمامه مباشرة شخصان، لا يبدوان سعيدين بوجودهما هنا.

قال تنكا عندما رأى أناستازيا: «تفضلي يا صديقتي»، ثم سأل ضيفيه: «أتعرفان من هذه؟».

قالا: «لا يا صاحب السمو».

قال: «إنها منسقة الزهور في القصر. تملأ القصر ومنزلي بباقات زهور بديعة». ثم ركز انتباهه على الضيف الأكثر توترًا، رجل يبدو كأنه يناهز الأربعين، ربما يستعد لاستعادة شبابه. قال النصل السامي له: «أخبرني أعزَّ أحلامك، ما هو أعظم شيء أردت فعله في حياتك ولم تفعله بعد؟».

تردد الرجل.

استحثَّه تنكامنن: «كن صريحًا، لا تتواضع، أخبرني حلمَك كاملًا!».

تكلم كصبي جالس على حجر والده: «أ... أريد يختًا، أريد أن أُبحِر به حول العالم».

قال النصل السامي: «طيب!»، وصفَّق بيديه مرة كأنه يحسم الصفقة. «سنذهب لنشتري يختًا غدًا، هدية مني!».

- مــ... ماذا يا صاحب السمو؟

- ستحقق حلمك يا سيدي، لمدة ستة أشهر، ثم تعود إلى هنا لتخبرني مغامرتَك، وعندئذٍ سأقطفك.

ابتهج الرجل. رغم أنه قيل له إنه سيُقطف، كان سعيدًا سعادة عارمة: «شكرًا لك يا صاحب السمو! شكرًا لك!».

وحالما غادر، التفت الرجل الآخر، وهو أصغر سنًّا قليلًا وبدا أقل خوفًا مما كان قبل لحظات، إلى النصل السامي وسأله: «ماذا عني؟ أتريد معرفة حلمي؟».

- يا صديقي، الحياة كثيرًا ما تكون قاسية وغير عادلة، وكذلك الموت.

هوى تنكامنن بيده راسمًا قوسًا خاطفًا. لم تر أناستازيا النصل، لكن الرجل سقط على الأرضية ممسكًا بعنقه، ولفظ أنفاسه الأخيرة. قُطِف.

قال تنكامنن لأناستازيا: «سأبلغ أسرته بنفسي، وسأدعوهم إلى مهرجان القمر القادم».

فوجئت أناستازيا بتحول الأحداث، لكنها لم تُصدَم، لكل منجل طريقته في أداء مهمته. تحقيق حلم شخص ورفض تحقيق حلم شخص آخر كان نهجًا معقولًا كغيره. وقد رأت أناستازيا مناجل صالحين يفعلون أسوأ من هذا.

جاء عمال التنظيف من حجرة أخرى، ورافق تنكا أناستازيا إلى الفناء، حيث تنتظرهما مائدة إفطار. قال لها: «أتعرفين أنكِ كنت مصدر إلهامي؟».

- أنا؟

- حذوتُ حذوك. السماح للناس باختيار طريقة القطف وإمهالهم وقتًا قبل موعد القطف نهج غير مسبوق! بل رائع! مثل هذا التعاطف ليس سائدًا بين المناجل، لا يهمنا سوى إنجاز المهمة بفاعلية. بعدما غرقتِ

في إنديورا، تكريمًا لكِ قررتُ تغيير نهجي في القطف، صرت أتيح لنصف الذين أقطفهم تحقيق أحلامهم أولًا.

- لماذا النصف فقط؟

- لأننا إذا أردنا محاكاة الموت فعلًا كما كان ذات يوم، فلا بد أن نجعله مُتقلِّبًا نزويًّا، لا يمكننا تحسين الوضع أكثر من هذا.

ملأ تنكا طبقًا بالبيض واللحم المقلي، ووضعه أمام أناستازيا، ثم أخذ طبقًا لنفسه. قالت أناستازيا مع نفسها: *يا للغرابة! اعتدنا نحن المناجل الموت حتى صرنا نسلب حياة شخص ثم نتناول الطعام في اللحظة التالية.*

أخذ تنكا قضمة من الكسافا، وراح يمضغ الخبز السميك وهو يتكلم: «لم تقطفي ولا مرة منذ مجيئك، وهذا أمر مفهوم نظرًا إلى الظروف، لكن لا بد أنك تتململين من عدم القطف».

فهمت مقصده. مناجل التوجه الجديد وحدهم يستمتعون بالقطف، لكن الآخرين تعتريهم رغبة غامضة ومُلحَّة إذا لم يقطفوا لمدة طويلة. لم تستطع أناستازيا إنكار إحساسها بتلك الرغبة أيضًا، وتخيلت أن السبب هو تكيُّف نفسيتها على حياة المناجل.

قالت له: «ما أفعله في الدماغ الخلفي أهم من القطف، وأظنني وجدتُ شيئًا».

أخبرته ما اكتشفته. اسم. كارسن لَسك. ليس اكتشافًا عظيمًا، لكنه نقطة بداية: «اسمه مُدرَج ضمن الناجين، لكن لا يوجد سجل عن حياته بعد ذلك التاريخ، وبالطبع قد يكون ثمة خطأ وأنه في الواقع مات مع الآخرين».

ابتسم تنكا ابتسامة عريضة، وذكَّرها: «الرأس السحابي لا يرتكب الأخطاء. اكتشافك بداية مهمة، واصلي التنقيب!».

نظر إلى طبقها، ثم أضاف فيه مزيدًا من اللحم، مثل أُم قلِقة من هزال طفلها، وقال لها: «نود منك أن تبدئي تقديم نشرات بث حي. بدلًا من أن نخبر نحن العالم بعودتك رسميًّا، نرى أنك يجدر بك إخبارهم بنفسك، بكلماتك أنت».

قالت له: «لستُ مؤدية بارعة»، وتذكرت أداءها الفظيع في مسرحية يوليوس قيصر. صعدت على خشبة المسرح لتقطف مؤدي الدور الرئيسي،

وفقًا لرغبته، لكن كان عليها تأدية دورها، كانت عضو مجلس شيوخ روماني خرقاء، باستثناء جزئية الطعن.

سألها تنكا: «ألم تعبِّري عما جال في عقلك وقلبك أمام المخضرمين في جلسة التدقيق؟».

- بلى...
- وصديقنا المنجل بوسويلو أخبرني أنك أقنعت المخضرمين بتنصيب المنجل كوري نصلًا ساميًا في وسطمريكا، رغم أن العالم لا يصدق هذا الآن.

ارتسمت تعابير الألم على وجه أناستازيا إثر ذِكر المنجل كوري.

- نعم، أقنعتهم.
- حسنًا، إذا قدرت على الوقوف أمام مقاعد الاعتبار السبعة والمحاججة أمام أكثر مرثاة مناجل إثارة للرهبة في العالم، أظنك ستبلين بلاء حسنًا.

***

في عصر ذلك اليوم اصطحب تنكامنن أناستازيا إلى خارج القصر في جولة بالمدينة التي يفخر بها، كانت بورت رممبرنس نابضة بالحياة، لكن النصل السامي لم يسمح لها بمغادرة السيارة، قال: «المهرجان مختلف، بوسعنا السيطرة على من يحضره، لكن هنا بالخارج، ما من طريقة لمعرفة من يراك أو يعرفك». لكن اتضح وجود سبب آخر لعدم رغبته في مغادرتها سيارتهما.

عند اقترابهما من مركز المدينة، ظهر الطونيون، قِلة منهم في البداية، ثم سرعان ما بدؤوا يتجمعون على جانبَي الطريق وهم يحدجون سيارة النصل السامي بنظرات نارية.

كانت لدى أناستازيا مشاعر متناقضة إزاء الطونيين، الأقل تطرفًا منهم لا بأس بهم، ودودون، رغم إلحاحهم على نشر معتقداتهم، لكن آخرين منهم لا يُطاقون، ويحكمون سلبًا على كل من سواهم، ولا يتسامحون، يمثِّلون نقيض كل ما تدعو الطونية إليه. أما الطونيون الصَّخَّابون يجعلون المتعصبين الآخرين يبدون وديعين. والصخَّابون هم الذين انتشروا في إقليم تنكامنن انتشارًا كثيفًا.

قال تنكامنن لها: «منذ قطِف الناقوس تزداد هذه الجماعات المُنشقَّة تطرُّفًا». وكأنهم أرادوا تأكيد كلامه، عندما تجمع عدد كافٍ منهم على جانبَي الطريق، بدؤوا قذف الحجارة.

شهقت أناستازيا عندما ارتطم الحجر الأول بالسيارة، لكن تنكامنن لم ينزعج: «لا تقلقي، لا يمكنهم إلحاق أذى بنا، وهم يعرفون هذا. تؤسفني رؤيتك لهذا».

ارتطم حجر آخر بزجاج السيارة الأمامي، فارتد عنه منشقًّا إلى نصفين.

ومن ثم توقف المهاجمون فجأة عن قذف الحجارة وبدؤوا يترنَّمون، يصدرون عويلًا ممطوطًا دون كلمات... لكن بطريقةٍ ما كان ترنُّمهم مختلفًا عن ترنُّم الطونيين الآخرين الذي سمعته أناستازيا.

أمر تنكامنن السيارة بتشغيل موسيقى، لكنها لم تعزل الأصوات القادمة من الخارج عزلًا تامًّا.

قال تنكامنن دون مداراة اشمئزازه: «أفراد هذه الطائفة بأكملها نذروا على أنفسهم الصمت. لا يتكلمون، ولا يصدرون صوتًا سوى هذا الضجيج القبيح. لطالما كان الرأس السحابي يمتعض من تعمُّد الإصابة بالإعاقات، لكن عندما صمت الرأس السحابي، رأى هؤلاء الطونيون أن بوسعهم فعل ما يحلو لهم، ولهذا أصوات عوائهم أسوأ من المعتاد».

سألته أناستازيا: «ما هو تعمُّد الإصابة بالإعاقات؟».

قال تنكامنن: «آسف، ظننتك تعرفين. إنهم يقطعون ألسنتهم».

***

لم يُدعَ جيري إلى جولة بورت رممبرنس. كان طاقم سفينته يستمتع بمزيد من وقت الفراغ الذي لم يحظوا بمثله منذ سنوات، لكن جيري لبث في قصر تنكامنن، قريبًا من أناستازيا، ليحرص على سلامتها وتلقِّيها المعاملة اللائقة. لم يكن جيري أنانيًّا يومًا، ودائمًا ما يضع مصلحة طاقم سبنس أولًا، هكذا يفعل القباطنة المحترمون، لكن رغبته في الاعتناء بأناستازيا تجاوزت ذلك.

تنكامنن كان رجلًا مُهمِلًا. صحيح أنه وفر الحماية لأناستازيا، لكن هل دقق في خلفيات طاقم موظفيه؟ واستعراضه لأناستازيا في مهرجان القمر

جعل جيري يشكك في حسه السليم. لم يثق جيري بالرجل، وكان يعرف أن الشعور متبادل.

ومن ثم جاء يوم أناستازيا 'الصخَّاب' في بورت رممبرنس. جاءت أناستازيا وأخبرت جيري بما حدث عندما عادت، غير قادرة على إخفاء الأمر عنه.

قالت: «أشعر بأنني أتلقى كل يوم ضربة على رأسي بسبب التغيرات التي حدثت في العالم في أثناء غيابي».

قال جيري لأناستازيا وهي تذرع المكان متوترة: «العالم اجتاز أحداث أسوأ. نجونا من عصر الفانين، ما الذي يمكن أن يكون أسوأ من فظاعاته؟».

لكن أناستازيا لم تجد عزاءً في كلامه: «أجل، لكن دون المخضرمين تخوض هيئات المناجل حربًا مع بعضها، كأننا عدنا إلى عصر الفانين. إلى أين نتجه؟».

تكلم جيري كأنه يقول حقيقة مُسلَّمًا بها: «الثوران، تتشكل الجبال بالثوران. وأنا متأكد أن العملية لا تبدو لطيفة في وقتها».

فاقم كلامه ضيق أناستازيا: «كيف تستطيع أن تكون هادئًا هكذا حيال ما يجري؟ وتنكامنن أسوأ منك! يتقبل كل الأحداث كأنها لا شيء، كأنها زخة مطر عابرة وليست إعصارًا سيعصف بكل شيء! لماذا لا ترون فداحة الواقع؟».

تنهد جيري ووضع يده على كتف أناستازيا، وأرغمها على التوقف. قال مع نفسه: *لهذا أنا هنا، لأكون صوتًا ثانيًا في رأسها يبدد ذعرها.*

قال جيري لها: «ثمة فرصة في كل كارثة. عندما تغرق سفينة أتحمَّس لأنني أعرف أنني أجد كنوزًا دومًا في الحطام. انظري إلى ما وجدتُه في قاع البحر. وجدتك أنت».

ذكَّرته أناستازيا: «و400,000 ماسة مناجل».

- مقصدي هو أنك عليك النظر إلى واقعنا كأنه عملية استنقاذ. في عمليات الاستنقاذ أول ما نفعله هو تقييم الوضع بعناية قبل التحرك.
- إذن يجدر بي أن أكتفي بالجلوس والمشاهدة؟
- راقبي، تعلَّمي كل ما يمكن تعلُّمه، ومن ثَم، عندما تتحركين، تحركي بحسم. وأعرف أنك قادرة عندما يحين الوقت.

***

كان النصل السامي تنكامنن يصر على إقامة عشاء رسمي كل ليلة، تحضره حاشية مناجله، وضيوفه المهمون. لكن منذ مجيء أناستازيا وجيري حرص تنكامنن على عدم حضور ضيوف آخرين. إقامة حفل للسكان المحليين مختلف عن تعريض المنجل أناستازيا لنظرات المدعوين على مائدة العشاء.

عندما جاء جيري تلك الليلة، وجد أناستازيا حاضرة سلفًا، إلى جانب النصل السامي والمنجلين بابا وماكيدا. كان النصل السامي يضحك ضحكة مُجلجِلة من كلام قاله أحد الحاضرين، أو على الأرجح من كلام قاله هو نفسه. استمتعت أناستازيا برفقة الرجل، لكن جيري سئم منه منذ اليوم الأول.

قال لجيري: «فاتك الطبق الأول. ما من حساء لك».

جلس جيري جوار أناستازيا قائلًا: «لن أموت جوعًا».

ذكَّره تنكامنن: «قواعد القصر تقتضي أن تحضر في وقت العشاء، إنها مسألة ذوق».

قالت أناستازيا: «هذه أول مرة يتأخر جيري».

قال جيري لها: «ليس عليك أن تدافعي عني»، والتفت إلى النصل السامي: «كنت أتلقى تقريرًا عن عملية استنقاذ إنديورا، إذا كان لا بد لك أن تعرف. عثروا على قاعة المجلس، ومقاعد الاعتبار الخاصة بالمخضرمين يجري نقلها إلى القارات المَعنيَّة لتوضع في متاحفها. أظن أن هذا أهم من الحساء».

لم يعلِّق تنكامنن، لكن بعد خمس دقائق، في أثناء تناولهم الطبق الرئيسي، نخس جيري مجددًا: «أخبرني يا جيري، ما رأي طاقم سفينتك حيال غياب قبطانهم الدائم؟».

لم يبتلع جيري الطُّعم: «إنهم في إجازة في مدينتك، وممتنون لها».

- فهمت. وكيف تعرف أنهم لا يعقدون صفقات في غيابك؟ صفقات قد تهدد سلامة عزيزتنا سيدة الأعماق.

استخدم تنكامنن اسم التدليل الذي أطلقه على أناستازيا.

قال جيري: «لا توجِّه الاتهامات إلى طاقمي يا صاحب السمو. إنهم أوفياء وفاء مطلقًا. أيمكنك قول هذا عن الذين تحيط نفسك بهم؟».

ثار غضب النصل السامي، لكنه لم يدافع عن حاشيته، وغيَّر الموضوع: «ماذا تريد في حياتك أيها القبطان سوبرانس؟».

- هذا سؤال عام.

- إذن سأعيد صياغته. أخبرني أعزَّ أحلامك يا جيريكو، ما هو أعظم شيء أردت فعله في حياتك ولم تفعله بعد؟

فجأة وضعت أناستازيا شوكتها وسكينها على الطبق بقوة حتى انشق، وهبَّت واقفة، وقالت: «فقدتُ شهيتي»، وأمسكت بيد جيري: «وأنت أيضًا»، وسارت مبتعدة بسرعة، فلم يجد جيري خيارًا سوى السير معها.

وخلفهما انفجر تنكامنن ضاحكًا: «كانت مزحة يا أناستازيا، تعرفين أنني أحب المزاح!».

التفتت وحدجته بنظرة قاسية: «إنك أبله يا صاحب السَّماجة».

فازدادت ضحكته جلجلة.

***

لم يعرف جيري سر المزحة إلى أن وصلا إلى جناح أناستازيا وأغلقت الباب خلفهما.

قالت: «ذلك ما يقوله تنكامنن للذين يهم بقطفهم».

قال جيري: «آه... فعلها ليثير أعصابك، وقد نجح. النصل السامي يستمتع بالتلاعب بالناس، ويعرف كيف يتلاعب بك».

- ألستَ قلقًا ولو قليلًا من أنه قد يقطفك فعلًا؟

- لا، إطلاقًا. لأنه رغم حبه للعبث معك، لن يرغب في استعدائك. يعرف أنك ستنقلبين ضده إذا قطفني.

ورغم كلامه رفعت أناستازيا يدها لجيري، اليد التي تضع فيها خاتمها. لم يكن خاتمها القديم، إذ قذفه المنجل بوسويلو في البحر لأنه قد يُستخدَم لتعقُّب مكانها، في حال وجود منجل يعرف أسرار تقنية الخواتم، وهذا أمر مستبعَد. ثم منحها بوسويلو خاتمًا جديدًا بعدما وضع عليه إحدى الماسات من الخزانة.

قالت أناستازيا لجيري: «قبِّله، لتكون في مأمن فحسب».

أخذ جيري يدها وقبَّلها، متجنِّبًا الخاتم.

سحبت أناستازيا يدها بحركة غريزية: «قصدتُ الخاتم، ليس يدي!». ومدت يدها مرة أخرى: «لا تخطئه هذه المرة».

- لن أفعل.

- إذا منحتك الحصانة فلن يقدر أحد على قطفك لمدة عام. قبِّله!

لم يتحرك جيري، وعندما تساءلت عيناها، قال: «عندما استخرجتُ خزانة الأثريات والمستقبليات، عرض بوسويلو عليَّ الحصانة، لكنني رفضتها».

- لماذا؟ لأي سبب؟

- لأنني لا أريد أن أكون مدينًا لأحد، حتى أنت.

استدارت وسارت إلى النافذة وحدقت إلى الخارج: «ثمة أشياء لا أريد أن أعرف عنها شيئًا... لكن لا بد لي من معرفتها، أحتاج إلى معرفة كل ما يمكنني معرفته». التفتت إلى جيري: «هل سمعتَ خبرًا عن روان؟».

كان بإمكان جيري أن يقول لها ما من أخبار، فيكذب عليها، لكن ما كان ليكذب على أناستازيا، إذ نمت بينهما ثقة قوية لم يرغب في هدمها. صمت جيري هنيهة، فألحَّت أناستازيا: «أعرف أن تنكامنن لن يسمح بوصول أي خبر عن روان إليَّ، لكنك تواصلت مع طاقمك، ولا بد أنهم أخبروك شيئًا».

أطلق جيري زفرة حرَّى، ليهيِّئ أناستازيا للإجابة: «نعم، يوجد خبر، لكنني لن أبلغك به، مهما ألححتِ في السؤال».

عبرت وجهها جمهرة مشاعر، جميع مراحل الحزن تعاقبت على وجهها في غضون ثوانٍ، الإنكار، والغضب، والمساومة، والحزن، وأخيرًا انتهت بالتسليم.

خمَّنت الأسباب التي قد يقولها جيري: «لن تخبرني لأن ما من شيء يمكنني فعله، ولأن الخبر سيؤثر سلبًا في تركيزي على ما ينبغي لي فعله».

- أتكرهينني لذلك؟

- لقُلتُ نعم، لكن سيكون ردًّا بدافع الامتعاض فحسب. لا يا جيري، لا أكرهك. لكن... أيمكنك إخباري على الأقل هل ما زال روان حيًّا؟

- نعم، نعم ما زال حيًّا. آمل أن تجدي عزاءً في هذا.

- وهل سيكون حيًّا غدًا؟

- حتى الرأس السحابي لا يعرف يقينًا ما سيحدث غدًا. فلنكتفِ باليوم.

30

قُربان محروق

- مرحبًا يا تايغر.

قال بناء ذاكرة تايغر سلزار: «مرحبًا، هل أعرفك؟».

قالت المنجل راند: «نعم ولا. جئت لإخبارك أن المنجل لوسيفر قُبِض عليه».

- المنجل لوسيفر... أليس هو المنجل الذي يقتل المناجل الآخرين؟

- نعم. وأنت تعرفه.

- لا أظن. أعرف بعض الناس المُختلِّين، لكن ليس منهم مُختل إلى هذه الدرجة.

- إنه صديقك روان داميش.

صمت بناء الذاكرة ثم ضحك قائلًا: «محاولة جيدة، هل كلَّفك روان بهذا المَقلَب؟»، وهتف: «روان! أين تختبئ؟ اخرج».

- ليس موجودًا هنا.

- لا تحاولي إخباري أنه يقتل الناس، لم ينجح في أن يصبح منجلًا، طردوه مخزيًّا ومنحوا الخاتم لتلك الفتاة بدلًا منه.

- سوف يُعدَم غدًا.

تردد بناء الذاكرة، وانعقد حاجباه. كانت أبنية الذاكرة مبرمجة جيدًا، وتتضمن ذاكرة جميع تعبيرات الوجه التي سُجلت، لذا تبدو الصور المركبة حقيقية إلى درجة مُقلِقة.

- إنكِ لا تمزحين، أليس كذلك؟ حسنًا، لا تسمحي بإعدامه! عليك أن توقفيه!

- خرج الأمر من يدي.

- إذن أعيديه إلى يدك! معرفتي بروان أفضل من معرفة أي أحد. إذا فعل ما تقولين إنه فعله، فلا بد أنه كان لديه سبب وجيه. لا يمكن أن تقطفوه ببساطة!

ثم بدأ بناء الذاكرة ينظر إلى ما حوله، كأنه مدرك لوجوده في عالم ضيق محدود، صندوق افتراضي يريد الخروج منه. قال: «هذا خطأ! لا يجوز لكم فعل هذا!».

قالت راند بحدة: «ماذا تعرف عن الصواب والخطأ؟ لستَ سوى فتى حفلات غبي أحمق!».

حملق إليها غاضبًا، وزادت الشاشة من نسبة الاحمرار على وجهه. قال: «أكرهك، لا يهمني من أنت، أكرهك».

ضغطت إيان الزر بسرعة فأنهت الحوار، وتلاشى بناء ذاكرة تايغر. وكما هو الحال دومًا، لن يتذكر هذا النقاش. وكما هو الحال دومًا، ستتذكره إيان.

***

سألت المنجل راند غودارد: «إذا قررتَ قطفه، فلِمَ لا تقطفه فحسب؟»، باذلة ما بوسعها لتخفي إحباطها، وثمة عدة أسباب لإحباطها، أولًا الاستاد مكان يصعب تأمينه من أعدائهم، وبالتأكيد لديهم أعداء، ليس مناجل الحرس القديم وحدهم، بل كثيرون، مثل الطونيين، وهيئات المناجل التي تجاهلت غودارد، والساخطين من أحباب وأقارب ضحايا عمليات القطف الجماعي.

كانا وحدهما في طائرة غودارد الخاصة. فعندئذٍ وقد اقترب الموكب من وُجهته بعد قرابة أسبوع من جولة نصر غودارد المُطوَّلة، استقلَّ مع راند طائرة ليلحقا بالموكب. ومثل سطح شاليه غودارد كانت الطائرة مزودة بأسلحة من عصر الفانين، صف صواريخ معلَّقة من كل جناح. كان غودارد

يداوم على التحليق بها فوق المجتمعات التي يراها مُتحدِّية له. لم يستخدم الصواريخ للقطف قط، لكنها مثَّلت، مثل مدافع السطح، تذكيرًا بأنه يستطيع إذا أراد.

اقترحت إيان: «إذا أردت استعراضًا للعامة، فاجعل القطف في بيئة تسهُل السيطرة عليها، ربما بثًّا من موقع صغير وسري. لماذا تجعل من أي شيء عرضًا ضخمًا؟».

- لأنني أحب الاستعراضات الضخمة... لا أحتاج إلى سبب آخر.

لكن بالطبع ثمة سببًا أهم. أراد غودارد أن يعرف العالم أنه شخصيًّا اعتقل وأعدَم أكبر مجرم عرفه الناس في عصر الخالدين، ليس من أجل تلميع صورة غودارد أمام عامة الناس فحسب، بل ولنيل إعجاب المناجل الذين ربما يكونون متشككين حياله. كل ما يفعله غودارد إما أن يكون استراتيجيًّا وإما ناجمًا عن نزوة وتهور. هذا الحدث الضخم استراتيجي. تحويل قطف روان داميش إلى عرض سيجعل من المستحيل أن يتجاهله أي أحد.

ذكَّرها غودارد: «سيحضر أكثر من ألف منجل من جميع أنحاء العالم بين الجمهور. إنهم يرغبون في العرض، وأنا راغب في تقديمه. فمن نحن حتى نحرمهم متعة التَّنفيس».

لم تكن لدى راند فكرة عن معنى ما قاله، ولم تكترث حقًّا، إذ دأب غودارد على التشدُّق بأقوال طنَّانة تُوحي بسِعة الاطِّلاع، فتعلَّمت راند التَّصامُم عما يقوله.

قالت: «ثمة طرائق أفضل للتعامل مع هذا الوضع».

عندئذٍ بدأ وجه غودارد يحتقن. وارتطمت الطائرة بمطب هوائي، فحسِب غودارد أن سببه هو اعتكار مزاجه: «أتحاولين أن تُملِي عليَّ كيف أكون منجلًا، أو الأسوأ، كيف أكون نصلًا مصلتًا؟».

- كيف يمكنني أن أملي عليك كيف تكون شيئًا لم يكن موجودًا إلى أن اختلقتَه؟

- حذار يا إيان، لا تغضبيني في وقت ينبغي ألَّا أشعر فيه سوى بالبهجة.

صمت حتى تستوعب راند تحذيره، ثم اتكأ بظهره على مقعده: «ظننتُ أنك، دونًا عن جميع الناس، سوف تحبِّين رؤية روان يعاني بعد ما فعله بك. كسَرَ ظهرك وتركك في عِداد الموتى، وتريدين أن يكون قطفه حدثًا بسيطًا هادئًا؟».

- أريد قطفه بقدر ما تريد، لكن القطف ينبغي ألَّا يكون حدثًا ترفيهيًا.

فابتسم غودارد ابتسامة مثيرة للحنق قائلًا: «أراه ترفيهًا لي».

***

بوصفه المنجل لوسيفر كان روان يحرص كل الحرص على ألّا يعاني المناجل الذين ينهي حيواتهم، كان يقطفهم بسرعة، وبعدما يتأكد من موتهم يحرق جثثهم حتى يتعذر إنعاشها. لم يفاجئه أن غودارد عديم الرحمة. توقع روان أن تطول معاناته في سبيل أقصى تأثير لعرض غودارد.

عجز روان عن الحفاظ على شجاعته كما كان يأمل. عند اقتراب موكب الإعدام من وجهته، اضطر روان أخيرًا إلى الاعتراف لنفسه بأنه يهتم حقًّا بما إذا عاش أو مات. لم يكترث بما سيكتبه التاريخ عنه، لكن أضناه ما ستتذكره عائلته عنه، والدته، وإخوته وأخواته الكُثر، لا بد أنهم عرفوا أنه المنجل لوسيفر، فحالما أُلقيت عليه مسؤولية غرق إنديورا، صار مجرمًا شهيرًا، والحشود التي خرجت لتتفرج على الموكب دليل على ذلك.

هل سيكون أفراد عائلته بين الجمهور؟ أم سيشاهدون من البيت؟ تساءل عما حدث لعائلات عُتاة المجرمين في عصر الفانين، إذ ما من شبيه للمنجل لوسيفر في عصر الخالدين، هل كانوا يُعدُّون مذنبين بحكم التَّبعية فيُقطَفون؟ والد روان قُطف قبل غرق إنديورا، فلم يعرف مآل ابنه وكراهية العالم له، وهذه حَسَنة، لكن إذا ما زالت والدته وإخوته أحياء، فلا بد أنهم يمقتونه، كيف عساهم ألَّا يمقتوه؟ وهذا الإدراك سحق روحه المعنوية سحقًا.

تسنَّى له مُتَّسع من الوقت ليكون وحده مع أفكاره في أثناء رحلة الموكب المتعرجة، وأفكاره لم تكن حَلِيفة له، إذ ظلت تذكِّره بالقرارات التي اتخذها فانتهت به إلى هذا الحال. ما كان يظنه مُبرَّرًا، رآه الآن طيشًا، وشجاعته انقلبت حزنًا.

لاختلف مصيره لولا تلك القرارات. كان بمقدوره الاختفاء مثل المنجل فاراداي عندما سنحت له الفرصة. تساءل: أين فاراداي الآن؟ هل سيشاهد الحدث ويبكي عليه؟ لأحس بشيء من الراحة إذا عرف أن شخصًا سيبكي عليه. سيترا ستبكي، أينما هي. وحَسْبُه دموع سيترا.

***

قُرِّر بدء القطف عند السابعة مساءً، لكن الناس حضروا مبكرين، ضم الحشد مناجل ومواطنين عاديين. ورغم أن المناجل خُصِّص لهم مدخل، شجعهم غودارد على الجلوس بين الجمهور.

كان غودارد قد قال لهم: «هذه فرصة علاقات عامة ذهبية، ابتسموا وقولوا كلامًا لطيفًا، استمعوا بانتباه إلى هَذَرهم وتظاهروا بالاهتمام، وامنحوا بعضًا منهم حصانات». اتبع مناجل كثيرون توجيهاته، لكن بعضهم لم يطيقوا الأمر وجلسوا جوار المناجل الآخرين فحسب.

اقتيد روان مباشرة تحت حراسة مشددة إلى نقطة تجمُّع واسعة تُفضي إلى الميدان، وكانت كومة الحطب التي أعدُّوها له هَرَمًا بارتفاع ثلاثة طوابق، بدت مثل كومة أغصان جُمِعت بعد أن جرفها البحر، لكن عند النظر إليها من كثب اتَّضح أنها جزء من تصميم هندسي دقيق، لم تكن الأغصان مُلقاة عشوائيًّا، إنما مثبتة بمسامير، وكل شيء على منصة ضخمة مزودة بعجلات، أشبه بمنصة متحركة من النوع الذي يستخدَم في المواكب الاستعراضية. ومركز الأخشاب مجوف، وداخل التجويف عمود حجري قُيِّد روان إليه بإحكام بأربطة مُقاوِمة للنار، والعمود مثبَّت على رافعة سترفع روان إلى قمة الهرم، لتُبرِزه أمام الجمهور في اللحظة المناسبة، ثم يُشعِل غودارد النار بنفسه.

«هذه ليست محرقة عادية!». أوضح الفني وهو يوقف وحدات روان المجهرية المخدرة للألم بجهاز ضبط الوحدات المجهرية: «كنتُ ضمن الفريق الذي صمَّم هذه المحرقة البديعة! ثمة أربعة أنواع من الخشب فيها، لكل نوع غرض بعينه، مع إضافة بضعة جيوب من الصنوبر المليء بالعقد حتى تصدر طقطقة جميلة!».

تحقق الفني من قراءات جهاز ضبط الوحدات المجهرية، وتأكد من توقُّف وحدات روان المخدرة للألم، ثم عاد إلى شرح أعاجيب منصة الموت، كأنه طفل في معرض علوم.

قال: «أوه، ستحب هذا! أغصان الحلقة الخارجية مُعالَجة بأملاح البوتاسيوم، حتى تحترق بلهب بنفسجي، وفوقها يوجد كلوريد الكالسيوم، حتى تحترق بلهب أزرق، وهكذا صعودًا، سنرى جميع ألوان الطيف!». ثم أشار إلى العباءة السوداء التي أرغم الحراس روان على ارتدائها: «وهذه العباءة شُبِّعت بكلوريد السترونتيوم حتى تحترق بلهب أحمر قانٍ. ستكون أفضل من الألعاب النارية في ليلة رأس السنة!».

قال روان ببرود: «مرحى. شكرًا. للأسف لن أتمكن من رؤيتها».

تكلم الفني مبتهجًا: «أوه ستراها، توجد مروحة شفط هواء مثبتة عند القاعدة، ستشفط الدخان حتى يحظى جميع الحاضرين برؤية واضحة، حتى أنت!». ثم أخذ قطعة قماش بُنِّي، وتابع: «هذه خرقة سنحشو بها فمك، إنها من القطن سريع الاحتراق، ستشتعل حالما تتعرض للحرارة». عندئذٍ أمسك الفني لسانه، وقد أدرك أخيرًا أن روان لا يحتاج إلى معرفة هذه الأشياء أو يريد معرفتها. فالخرقة سريعة الاشتعال التي تتيح للناس سماع صراخه لم تكن شيئًا يتحمس لمعرفته. وسُر روان لأنهم لم يقدموا له وجبة أخيرة، لأن غثيانه ما كان ليبقيها في جوفه.

من خلف الفني دخلت المنجل راند عبر الأغصان المتشابكة. حتى رؤيتها كانت أفضل من الوصف التفصيلي الممل لعملية حرْقه.

زجرت راند الفني: «لستَ هنا لتتكلم معه».

وعلى الفور انكمش الفني كجرو مذعور: «نعم جنابك، آسف جنابك».

- أعطني الخرقة واغرب عن وجهي.

- كما تأمرين جنابك. آسف مرة أخرى. على أي حال، إنه جاهز.

رفع لها إبهامه دلالة على اكتمال الجاهزية، وأخذت راند الخرقة، ثم انسحب الفني منحنيًا.

سأل روان راند: «كم بقي من الوقت؟».

قالت له: «أوشكنا على البدء، ستُلقى بضعة خطابات، ثم تُخلى لك خشبة المسرح وتُسلَّط عليك الأضواء».

أحس روان بأنه لم يعد يرغب في مُناكَفتها، لم يعد قادرًا على التظاهر بالجلَد. سألها: «هل ستشاهدين؟ أم تشيحين بوجهك؟». لم يعرف سبب اهتمامه، لكنه اهتم.

لم ترد راند على سؤاله، وقالت: «لن تؤسفني رؤيتك ميتًا يا روان، لكنني منزعجة من الطريقة. بصراحة أريد أن ننتهي بسرعة فحسب».

«وأنا أيضًا. أحاول معرفة أيهما أسوأ، معرفة ما سيحدث، أم عدم معرفته». صمت هنيهة، ثم سألها: «هل كان تايغر يعرف؟».

ابتعدت منه خطوة: «لن أسمح لك بممارسة ألاعيبك معي يا روان».

قال بصدق: «لا ألاعيب. أريد أن أعرف فحسب، هل أخبرتِ تايغر بما سيحدث له قبل أن تأخذي جسده؟ هل أمهلتِه على الأقل بضع لحظات حتى يتصالح مع مصيره؟».

قالت له: «لا، لم يعرف قط، كان يظن أنه على وشك أن يُنصَّب منجلًا، ثم خدَّرناه، وحدث ما حدث».

أومأ روان: «كأنه مات في أثناء نومه».

- ماذا؟

- يقال إن كل الفانين كانوا يرغبون في الرحيل بهذه الطريقة، في أثناء نومهم، بسلام، دون أن يعرفوا. أرى رغبتهم معقولة.

افترض روان أنه أكثر من الكلام، لأن راند وضعت الخرقة في فمه وربطتها.

قالت له: «حالما تبلغك ألسنة اللهب، حاول استنشاقها، هكذا ستسرِّع نهايتك».

ثم تركته وابتعدت دون أن تلتفت.

***

لم تستطع إيان تبديد صورة روان داميش من عقلها. كانت قد رأته عاجزًا من قبل، مُقيَّدًا بمختلف الوضعيات، بالحبال وبالسلاسل وبالأصفاد. لكن هذه المرة مختلفة، لم يبدُ روان جريئًا أو متحدِّيًا، بل مستسلمًا. لم يبدُ كأنه آلة القتل الماكرة التي صنعها غودارد. بدا كما هو عليه تمامًا، صبيًّا خائفًا تورَّط في مشكلة ولم يستطع انتشال نفسه منها.

قالت إيان مع نفسها محاوِلةً إراحة عقلها: *حسنًا، إنه يستحق ما يجري له، كما تدين تدان، ألم يكن الفانون يقولون هذا؟*

وعند سيرها في الميدان، هبت ريح على الاستاد رفرفت لها عباءتها. عندئذٍ كادت المقاعد أن تمتلئ. أكثر من ألف منجل وثلاثين ألف مواطن. السعة الكاملة.

جلست راند جوار غودارد ومساعديه. حرص قسطنطين على حضور قطف روان، لكنه لم يبدُ راضيًا عن الحدث، مثل راند.

سأله غودارد قاصدًا إثارة حفيظته: «هل تستمتع بالفعالية يا قسطنطين».

قال قسطنطين: «أدرك أهمية أي فعالية تستهدف حشد تأييد العامة وتقديم أمريكا الشمالية بمظهر موحَّد، إنها استراتيجية فعالة وعلى الأرجح ستمثل نقطة تحوُّل في شؤون المناجل».

كان كلامه إطراءً لكنه لم يجب عن السؤال. رد دبلوماسي مثالي، لكن غودارد، كما توقعت إيان، أدرك رسالته المبطنة.

قال غودارد له: «إنك مُتَّسِق دومًا يا قسطنطين. قسطنطين المُتَّسق. هكذا سيتذكرك التاريخ على ما أظن».

- ثمة صفات أسوأ.

- هل قدمت دعوة شخصية على الأقل لأصدقائنا في تكساس للحضور اليوم؟

- نعم. لم يردُّوا عليَّ.

- بالطبع، هذا ما توقعتُه. أمر مؤسف. كنت أود أن يروا العائلة التي قرروا الانعزال عنها.

كان برنامج الأمسية يتضمن أربعة خطابات يُلقِيها كل نصل سامي في أمريكا الشمالية، كل واحد يتطرَّق إلى نقطة بعينها يريد غودارد التطرُّق إليها.

هامرستاين نصل سامي شرقمريكا سيتفجَّع على الأرواح العديدة التي فُقِدت في إنديورا، والمناجل التعساء الآخرين الذين انتهت حيواتهم بوحشية على يد المنجل لوسيفر.

بيكفورد نصل سامي غربمريكا ستتحدث عن وحدة شمال أمريكا، وإسهام تحالف الخمس من أصل ست هيئات مناجل أمريكية في تحسين حياة جميع سكان القارة.

تيزوك نصل سامي مكسيتيكا سيستدعي عصر الفانين إلى الأذهان، مُذكِّرًا الناس برحلة تطوُّر العالم، ويختتم كلمته بتهديد مبطَّن لهيئات المناجل الأخرى بأن عدم الاصطفاف مع غودارد يمكن أن يعيد العالم إلى ماضيه المظلم.

مكفيل نصل سامي الامتداد الشمالي ستقدِّم الشكر والعرفان لكل الذين أسهموا في تنظيم هذه الفعالية، كما ستُنَوِّه بأسماء بعض الحاضرين، من المناجل والمواطنين، الذين يستحقون أن يُخطَب ودُّهم.

وأخيرًا سيلقي غودارد خطابًا يختتم كل ما قيل بلمسة جمياة قبل أن يضرم النار.

كان قد قال لإيان ومساعديه: «هذه الفعالية لن تكون مجرد قطف لعدو، إنما تمثِّل حفل تعميد لحقبة جديدة في تاريخ الجنس البشري».

بدا غودارد كأنه يراه طقسًا دينيًا، قربانًا محروقًا من أجل تطهير الطريق وإرضاء الآلهة.

***

رأى غودارد أن هذا اليوم لا يقل أهمية عن يوم ظهوره في الخلوة وقبوله الترشُّح لمنصب النصل السامي، بل أكثر أهمية نظرًا إلى عدد من يشاهدونه، سيجري بث الحدث لمليارات الناس، وليس مقصورًا على مجموعة مناجل في خلوة. أصداء حدث الليلة سوف تتردد زمنًا طويلًا. وهيئات المناجل التي لم تصطف معه بعد سوف تأتيه صاغِرة.

صار غودارد يجد تأييدًا متعاظمًا بعدما ركَّز معظم القطف على هوامش المجتمع، فالمواطنون العاديون لا يحبون المجتمعات المعزولة على أي حال، صار الناس لا يقلقون من القطف في عالم غودارد ما داموا ليسوا جزءًا من الأطراف التي تحتاج إلى تشذيب. وبالطبع مع تزايد عدد السكان المستمر دومًا، لم يكن ثمة نقص في الناس الذين يمكن دفعهم إلى الهامش.

أدرك غودارد أن ما يفعله جزء من عملية التطور، ليس انتخابًا طبيعيًا، لأن الطبيعة صارت ضعيفة كَلِيلة، إنما انتخابًا ذكيًا، يتولَّى دفَّته هو وأشياعه.

عند اقتراب الساعة من السابعة، وغروب الشمس، راح غودارد يقرقع أصابعه ويهز ركبتيه، كان تعبير جسده عن نفاد صبر الشباب الذي لم يظهر على وجهه.

وضعت إيان يدها على ركبته لتوقف حركتها، وامتعض غودارد، لكنه امتثل. ثم أعتمت أضواء المدرجات، وأضيئت أرضية الميدان في أثناء دحرجة منصة المحرقة إلى الخارج.

كان ترقُّب الجمهور محسوسًا. لم تُسمع هتافات وصافرات، إنما شهقات وهمهمات متصاعدة. بدا منظر المحرقة مهيبًا رغم عدم إشعالها بعد، نسيج الأغصان وانعكاس الضوء عنه كان مشهدًا أخَّاذًا. وعلى مبعدة من المحرقة

وُضِعت شعلة، جاهزة لتقريبها من طرف المحرقة بيد غودارد في اللحظة المناسبة.

بدأت الخطابات الأخرى، واستذكر غودارد خطابه في ذهنه. كان قد درس أعظم الخطابات في التاريخ، خطابات روزفلت، وكينغ، وديموستيني، وتشرشل. سيكون خطابه وجيزًا، لكنه مليء بالعبارات الجديرة بالاقتباس، وجديرة بنقشها على الحجر، فتصبح خالدة تسير بها الركبان، مثل الاقتباسات التي درسها. ثم سيحمل الشعلة، ويضرم النار، وفي أثناء تصاعد ألسنة اللهب، سيُلقِي قصيدة المنجل سقراط «أُنشودة للشَّباب السِّرمِدي».

بدأ خطاب هامرستاين، وكان حزينًا كئيبًا كما ينبغي له. وكانت بيكفورد مهيبة وبليغة، وتيزوك مباشرًا حاسمًا، وامتنان مكفيل للذين جعلوا هذا اليوم ممكنًا أحس الناس به صادقًا.

نهض غودارد وسار نحو المحرقة. تساءل عن مدى إدراك روان للشَّرف الذي يُسْبِغه النصلُ المصلت عليه اليوم، بترسيخ مكانته في التاريخ، من الآن وحتى نهاية كل الأشياء سوف يعرف العالم اسمه، وسوف يدرسه أطفال المدارس في كل مكان. اليوم سيموت، لكن في الواقع سيصبح خالدًا، ويُعرف اسمه في كل العصور ويقتعِد مكانةً بلَغَها قليلون.

ضغط غودارد الزر، فرفع المصعد روان من داخل المحرقة إلى قِمَّتها، وازدادت همهمات الجمهور، وأشارت أياديهم. ثم بدأ غودارد كلمته: «أيها المناجلُ المُبجلون والمواطنون الشُّرفاء، اليوم نُسلِّمُ آخر مُجرمي البشرية إلى نارِ التاريخ المُطهِّرة. روان داميش، الذي اتَّخذ اسم المنجل لوسيفر، سلب ضياءَ كثيرين، لكن اليوم نستعيد تلك الضياء، ونجعلها مَنارة بارزة لمستقبلنا...».

امتدت يد وربَّتت على كتفه تربِيتة طفيفة، كاد ألَّا يحس بها.

«...حِقبة جديدة يعمل فيها المناجل، بمُتعة مَحسُوبة، على تشكيل مجتمعنا العظيم، بقطف الذين لا مكان لهم في غَدِنا المجيد...».

أحس مرة أخرى بتربيتة على كتفه، أشد إلحاحًا من سابقتها. أيُعقَل أن شخصًا يقاطع كلمته؟ مَن قد يجرؤ على اقتراف هذا المُنكر؟ التفت فرأى قسطنطين خلفه، سارقًا منه الأضواء بعباءته القرمزية المؤذية للأعيُن، وقد صارت أكثر بهرجة بالياقوت الذي رُصِّعت به.

همس: «يا صاحب السمو، يبدو أن هناك مشكلة...».

- مشكلة؟ في أثناء خطابي يا قسطنطين؟

أشار قسطنطين إلى المحرقة: «يجدر بك أن تنظر بنفسك»..

كان روان يتلوَّى محاولًا الفكاك من الأربطة، وحاول الصراخ من خلال الخرقة التي في فمه، لكن الصرخات لن تخرج حتى تحترق الخرقة. ثم أدرك غودارد...

الشخص الذي عند قمة المحرقة ليس روان.

بدا وجهه مألوفًا، لكن بعدما نظر غودارد إلى الشاشات العملاقة المُركَّبة حول الاستاد التي أظهرت لقطة مقرَّبة لوجه رجل مُعذَّب - أدرك مَن هو.

كان الفني، الذي تولى تجهيز روان للإعدام.

***

قبل عشر دقائق، قبل دحرجة منصة المحرقة إلى وسط الميدان، وبينما روان يحاول التصالُح مع لحظات حياته الأخيرة، اقترب منه ثلاثة مناجل مخترقين غابة الأغصان، لم تبدُ عباءاتهم مألوفة، ولا وجوههم.

هذه الزيارة ليست ضمن البرنامج، لكن نظرًا إلى كل شيء أحس روان بارتياح، لأنهم إذا جاؤوا سعيًا وراء انتقام شخصي، رافضين الانتظار حتى حرقه، فستكون نهايته أسهل. وكما توقع، استل أحدهم سكينًا وقذفها نحوه، فتجلَّد استعدادًا لألم حاد وانطفاء سريع لوعيه، لكن لم يحدث شيء.

وبعدما قطع النصل أربطة يديه، أدرك روان أنه سكين صيد.

31

حصر الأضرار

أحس غودارد بردَّة فعل جسده قبل أن يستوعب عقله ما يراه، أحس بها وخزات طفيفة في أطرافه، وجَيَشان في أحشائه، وانقباض أسفل ظهره، ثم استعرَّ غضبه بقوة بركان حتى بدأ رأسه ينبض.

جميع الحاضرين في الاستاد عرفوا سلفًا ما رآه للتو، عرفوا أن الأسير الذي عند قمة المحرقة ليس المنجل لوسيفر، فخلال السنوات الثلاث الماضية صار العالم يعرف وجه روان داميش. لكن وجهًا آخر تنقُله القنوات ويشاهده الناس، يملأ الشاشات العملاقة في كل الاتجاهات حول غودارد كأنه يهزأ به.

لحظته العظيمة لم تُسرق منه فحسب، بل قُلِبت عليه، ووُجِّهت إلى صدره كسهم مسموم. بدت همهمات الجمهور مختلفة عما كانت قبل ثوانٍ. هل سمع غودارد ضحكات؟ أيضحكون عليه؟ لم يهم ما إذا ضحكوا عليه فعلًا أم لا. كل ما يهم هو ما سمعه غودارد، وما أحس به، وقد أحس بسخرية ثلاثين ألف شخص. وهذا لا يطاق. هذه اللحظة الفظيعة لا يمكن التغاضي عنها.

همس قسطنطين في أذنه: «أمرتُ بإغلاق جميع البوابات، واستنفرت جميع أفراد الحرس النصلي. سنجده».

لكن هذا لم يهم. أُفسِدت اللحظة. يمكن أن يقبضوا على روان ويقذفوه في المحرقة، لكن هذا لن يحدث فرقًا. ستكون لحظة تألُّق غودارد هي الضحية الأكبر اليوم. إلَّا إذا، إلَّا إذا...

***

عرفت إيان أن الأمور ستمضي إلى مَزالِق مُدلَهِمَّة حالما رأت ذلك الأبله عند قمة المحرقة.

ينبغي كبح جماح غودارد.

فعندما يستولي عليه غضبه، لا أحد يمكنه التنبؤ بما سيحدث. كانت نوبات غضبه سيئة بما يكفي في الماضي، لكن نيْله جسد تايغر اليافع بتقلُّباته الهرمونية زاد الطين بلة. الأدرينالين والتستوستيرون ربما يكونان جذابين مع شخص وديع مثل تايغر سلزار، كانا مثل ريح لطيفة تحت طائرة ورقية، لكن مع غودارد تتحول الريح نفسها إلى إعصار. وهذا يستوجب كبح جماحه. مثل وحش هرب من قفصه.

تركت إيان قسطنطين يذهب إليه ويبلغه الخبر السيئ، لأن غودارد يحب إلقاء اللوم على الرسول. ولم تذهب إليه إلَّا بعدما التفت ونظر إلى الفني التعس.

قالت له: «قُطِع البث. إننا نحاول حصْر الأضرار الآن. يمكنك إنقاذ الموقف يا غودارد». تكلمت معه محاولة تملُّقه وملاطفته بقدر مستطاعها: «اجعلهم يظنون أن هذا مقصود، وأنه جزء من العرض».

أرعبتها النظرة التي ارتسمت على وجهه، ولم تكن متأكدة أنه سمعها إلى أن قال: «مقصود. أجل يا إيان، هذا ما سأفعله تحديدًا».

رفع غودارد الميكروفون، وتراجعت إيان مبتعدة. ربما كان قسطنطين محقًّا، لطالما استطاعت تحجيمه في لحظات الفزع هذه، والسيطرة عليه، وإصلاح الضرر قبل أن يتعذَّر إصلاحه. أخذت نفسًا عميقًا وانتظرت، مع جميع الحاضرين، سماع ما سيقوله.

***

«كان المُراد من اليوم أن يكون يوم تصفية حساب». تكلم غودارد باصِقًا الكلمات في الميكروفون: «أنتم! جميعكم الذين أتيتم اليوم متعطشين للدماء. أنتم! من تَطرَب قلوبكم إزاء احتمال رؤية رجل يُحرق حيًّا أمام أعينكم. أنتم! أظننتم أنني سألبِّي رغبتكم؟ أظننتم أننا نحن المناجل بربريُّون إلى درجة استعدادنا لإشباع فضولكم المريض؟ وأننا سنقدِّم لكم سيرك دماء من أجل تسليتكم؟». ثم صاح بهم وهو يكزُّ على أسنانه: «كيف **تجرؤون**؟ **المناجل وحدهم** يحق لهم الاستمتاع بسلب حيوات الناس، أم إنكم نسيتم؟». صمت

غودارد حتى يستوعبوا كلامه، ويستشعروا فداحة خطئهم. لكان سعيدًا بتقديم العرض لهم إذا لم يختفِ، لكن لن يعرفوا هذا أبدًا.

تابع: «لا، المنجل لوسيفر ليس هنا اليوم، لكن **أنتم**، التوَّاقون لمشاهدة العرض، أنتم هدفي الآن. هذه الفعالية لم تكن من أجل محاسبة لوسيفر، إنما لمحاسبتكم **أنتم**، وقد حكمتم اليوم على أنفسكم بالهلاك! ولا سبيل أمامكم سوى التوبة والتضحية. لذا اخترتكم في هذا اليوم لتكونوا عِظة وعِبرة للعالم».

ثم نظر إلى الألف منجل المنتشرين بين جمهور الاستاد، وأمرهم: «اقطفوهم»، تكلم بازدراء شديد للجمهور حتى إنه عضَّ شفته: «اقطفوهم جميعًا!».

***

ببطء تصاعد ذُعر الناس، ونظر بعضهم إلى بعض مشدوهين. هل قال النصل المصلت ما قاله حقًّا؟ غير معقول، لا يمكن أن يكون جادًّا. حتى المناجل ارتابوا في البداية... لكن لا مجال لعصيان الأوامر إذا لم يرغبوا في تشكيك النصل المصلت في ولائهم، استلُّوا أسلحتهم رويدًا رويدًا، ونظروا إلى الناس الذين حولهم نظرة مختلفة عما كانت قبل لحظات، وهم يفكرون في أفضل طريقة لأداء مهمتهم.

قال غودارد: «*أنا جالب كمالكم!*»، كما يقول في كل عمليات قطفه الجماعية، ودوَّى صوته بين جَنَبات الاستاد: «*أنا الكلمة الأخيرة في حيواتكم البائسة المستهجنة!*».

بدأ قليلون يركضون، ثم انضم إليهم آخرون، ثم تدفقوا كأنهم مياه مندفعة إثر انهيار سد، تسلق المتفرجون المذعورون فوق المقاعد وفوق بعضهم حتى يبلغوا المَخارِج، لكن المناجل سارعوا بالوقوف عند عنق القُمْع، فلم يتركوا مجالًا للهروب إلَّا عبرهم، وسرعان ما بدأ المقطوفون يتراكمون ويغلقون الممرات الضيقة المؤدية إلى الحرية.

«*أنا مُخلِّصكم! أنا مَنفَذكم إلى عوالم الفناء الغامضة!*».

بدأ الناس يقذفون بأنفسهم فوق الحواجز، آملين أن يكون تفلطُحهم قبل قطفهم مُنقذًا لهم، لكن هذا عمل مناجل، منذ اللحظة التي أصدر فيها غودارد أمره، لم يعد بوسع الرأس السحابي التدخُّل، لم يسعه فعل شيء سوى المشاهدة بأعينه العديدة التي لا يطرف لها جفن.

«أنا خِتامكم! وجالب سكينتكم الأبدية. تقبَّلوني!».

توسلت المنجل راند إليه أن يتوقف، لكنه دفعها بعيدًا عنه، فتعثرت وسقطت على الأرض، وأسقطت المشعل، فتدحرج إلى حافة المحرقة، فاشتعلت المحرقة، وأحاطت ألسنة اللهب البنفسجية بالقاعدة.

«موتكم هو حُكمي عليكم وأيضًا هديتي لكم، تقبَّلوها بعرفان. والآن وداعًا».

***

كانت قمة المحرقة أفضل موضع لمشاهدة مجزرة غودارد، وبما أن الدخان تسحبه مراوح الشفط بالأسفل، تمكن الفني من رؤية كل شيء... حتى الحلقة الخارجية السفلى المشتعلة بلهب بنفسجي، ثم ارتفع اللهب متحولًا إلى اللون الأزرق.

وفي المدرجات شرع المناجل ذوو العباءات المرصعة بالجواهر، رمز التوجه الجديد، في الإجهاز على الناس بسرعة بالغة وأعداد كبيرة.

قال الفني مع نفسه: *لن أكون وحدي اليوم*، وهو يشاهد ألسنة اللهب تقترب منه، وقد تغير لونها من الأخضر إلى الأصفر الفاتح.

وأحس بنعلَي حذائه يذوبان، واشتم رائحة البلاستيك المحترق، صارت النار برتقالية، وقريبة. بدت له الصرخات المحيطة به من كل جانب بعيدة جدًّا. بعد لحظات سيتحول اللهب إلى اللون الأحمر، فتشتعل الخرقة المحشوة في فمه، وعندئذٍ لن يسمع صوتًا سوى صرخاته.

ثم رأى منجلًا يسير وحده في اتجاهه، منجلًا يرتدي عباءة قرمزية، أحد القليلين الذين لا يهاجمون الحشود. التقت أعينهما هنيهة، ومن ثَم، حالما لامست ألسنة اللهب بنطال الرجل الهالك، رفع المنجل قسطنطين مسدسًا ونفَّذ عملية القطف الوحيدة التي سينفذها اليوم. طلقة واحدة اخترقت قلب الفني فجنَّبته نهايةً أشد إيلامًا.

وآخر فكرة دارت في رأس الفني قبل موته كانت تلويحة امتنان عميق لرحمة المنجل القرمزي.

***

قال غودارد للمنجل راند وسيارتهم الليموزين تبتعد عن الاستاد: «سأسامحك على محاولتك إيقافي، لكنني متفاجئ يا إيان، أنك دونًا عن جميع الناس تترددين أمام القطف».

كان بإمكان إيان أن ترد عليه ملايين الردود، لكنها أمسكت لسانها. نُسِي روان سلفًا، سُحِق تحت شأن أعظم، انتشرت شائعة مفادها أنه شوهد يغادر الاستاد مع المنجل ترافِس وعدة مناجل آخرين من تكساس. لأمكنها إلقاء اللوم كله عليهم، لكنها لم ترغب في خداع نفسها، هي التي اقترحت على غودارد إيجاد طريقة لجعل غياب روان يبدو جزءًا من خطة أكبر، لكنها لم تتخيل ما سيفعله جموح غودارد.

«هذا العرض لم يكن ما أردتُه، لكن نادرًا ما ينال المرء ما يرجوه». تكلم غودارد بنبرة هادئة كما يناقش شخصان مسرحية شاهداها للتو: «ورغم هذا، ما حدث اليوم يصب في مصلحتنا».

نظرت راند إليه غير مصدقة: «كيف؟ كيف يمكنك قول هذا؟».

- أليس أمرًا بديهيًّا؟

وعندما لم ترد عليه، شرح لها رؤيته بفصاحته التي اشتهر بها: «الخوف، يا إيان، الخوف هو ما يتمخَّض عنه الاحترام. يجب أن يعرف العَوَام قَدْرهم، وأن يعُوا الخطوط التي لا يجوز لهم تجاوزها. وفي ظل غياب الرأس السحابي عن حيواتهم، يحتاجون إلى يد حازمة تعينهم على الاستقرار، وتستجلي لهم الحدود. سوف يبجِّلونني ويبجلون جميع مناجلي، ولن يعارضوني أبدًا». أطرق مفكِّرًا في مُسوِّغاته الأنانية، وأومأ مستحسنًا أفكاره: «كل شيء على ما يرام يا إيان، كل شيء على ما يرام».

لكن المنجل راند عرفت أن لا شيء، من هذه اللحظة فصاعدًا، سيكون على ما يرام مرة أخرى.

الجزء الرابع

الأداة الوحيدة التي يمكننا استعمالها

سِفْر النَّاقوس

الصَّخَّابون المنافقون الذين يشنُّون حربًا غير مصرَّح بها كانوا بغيضين في نظر النَّاقوس، فكان يهبط عليهم بغضب وقوَّة خفقات مليون جناح، يرافقه السَّحابي برعيِده مُمثِّلًا لغضب السَّماء، ثم يسحق من يرفضون التَّوبة، ويعفو عن الذين يُذعِنون ويجثون أمامه. ثمَّ يتركهم، مُتلاشيًا في عاصفة من الرِّيش، وتنحسِر العاصفة فتظهر السَّماء صافية. فلنبتهج!

تفسير الخوري سيمفونيس

النَّاقوس لم يكن رجلًا ذا جسد عادي، كان قادرًا على التَّحوُّل إلى أيٍّ مخلوق، أو عدد من المخلوقات. هذا النَّص يوضِّح قُدرته على التَّحوُّل إلى سِرب طيور، يرجَّح أنها نسور أو صقور أو بومات. طيور رشيقة، نبيلة، حكيمة، وأيضًا مَرهوبة الجانب ومُحترمة، مخلوقات تُمثِّل صفاتها تجسيدًا لجوهر النَّاقوس.

تحليل كودا لتفسير سيمفونيس

المشكلة الحاضرة دومًا عند سيمفونيس هي عدم اتِّساقه، يرى الأشياء رمزيَّةً أو يأخذها حرفيًّا كما يحلو له، لذا تفتقر تأويلاته إلى الحكمة وتغلب عليها نزواته. من الوارد أنَّ النَّاقوس كان قادرًا على اتِّخاذ هيئة سِرب طيور، لكن ليس من المرجَّح أنه كان لديه قدرة على الطيران مثل أبطال القصص المصوَّرة التي تعود إلى عصر الفانين.

مكتبة
t.me/soramnqraa

32

مُرْتكَزٌ قاتِم

أُسكِتت أجراس الكاتدرائية التي كانت ترن مُعلِنة ساعات اليوم لقرابة ألف عام في أوروسكانديا، انتُزعت وحُطِّمت أشلاءً وأُذيبت في فُرن مؤقت. وقاعة حفلات موسيقية ضخمة في الإقليم نفسه تعرضت لغارة في منتصف حفل، وفي خضم ذعر الجمهور اجتاح طونيون المسرح، وحطموا الآلات الموسيقية الصغيرة بأيديهم وأعمَلوا فؤوسهم في الكبيرة.

كان الناقوس قد قال ذات يوم: «*أصواتكم تقع على أذني وقع الموسيقى*». ففُهِم من كلامه وجوب القضاء على أي موسيقى أخرى.

رأت طوائف الصَّخَّابين أن يفرضوا معتقداتهم على العالم. ما من طائفتين صخَّابتين متشابهتان، كل طائفة ضالَّة بطريقتها الخاصة، ولديها تأويلاتها المرعبة لعقيدة الطونيين وتحريفاتها لكلام الناقوس، القاسم المشترك الوحيد بينهم هو عدم تسامحهم ونزعتهم للعنف، عدم تسامحهم حتى مع الطونيين الآخرين، إذ يرون كل طائفة لا تعتقد ما يعتقدونه حرفيًّا أقل شأنًا.

لم يكن يوجد صخَّابون قبل صمت الرأس السحابي، أجل، كانت توجد طوائف لديها معتقدات متطرفة، لكن الرأس السحابي وعملاء مزن واجهة السلطة كبحوا جماحهم، ولم يتسامحوا مع أي عنف.

لكن حالما وُسِم العالم بأكمله مستهجنًا، ولم يعد الرأس السحابي يتكلم مع أحد، بدأ خراب أشياء كثيرة في أماكن عديدة.

في أقدم مدن أوروسكانديا صارت مجموعات الصخَّابين المتجولة تشعل النيران في الساحات العامة وتلقي فيها أي بيانو أو تشيلو أو جيتار يقع في أيديهم، ولا يتوقفون رغم أن ضباط السلام يقبضون عليهم ويعتقلونهم كل مرة. وكان الناس يأملون أن يستبدل الرأس السحابي عقولهم، رغم صمته، ويمنحهم هويات جديدة لا تتسم بالعنف. لكن لكان هذا انتهاكًا للحريات الدينية. لذا كان الصخَّابون يُعتقَلون، ويُرغمون على دفع قيمة الأشياء التي دمروها، ثم يُطلَق سراحهم، فيعودون إلى التخريب مجددًا.

لقال الرأس السحابي، إذا أمكنه التكلم، إنهم يقدمون خدمة، بتحطيمهم الآلات الموسيقية يوفرون فرص عمل للمشتغلين في صناعة تلك الآلات. لكن حتى الرأس السحابي فاض به الكيل.

ظهر الناقوس أمام صخَّابي أوروسكانديا وهم يتأهبون لتخريب قاعة حفلات موسيقية أخرى.

عرف صخَّابو أوروسكانديا أن الذي أمامهم لا بد أن يكون محتالًا، لأن الناقوس استشهد على يد منجل. إعادة البعث لم تكن ضمن معتقداتهم، لذا ساورتهم الشكوك.

قال المحتال: «ألقوا أسلحتكم واجثوا على رُكبكم».

لم يفعلوا ما أُمِروا به.

- الطون والسحابي مستاءان من أفعالكم، وأنا كذلك. **ألقوا أسلحتكم واجثوا على رُكبكم!**

رفضوا الامتثال. وركض أحدهم إلى الأمام متكلمًا بلغة من لغات الإقليم الأصلية لم يعد يتكلم بها سوى قليلين.

وعندئذٍ انبرى له من حاشية المحتال منجلٌ يرتدي عباءة من الجينز، أمسك بالمعتدي وألقاه على الأرض، فنهض وابتعد وجِلًا تغطيه الدماء والكدمات.

قال الناقوس المحتال: «لم يفُت أوان التوبة، الطون والسحابي وأنا سنسامحكم إذا تخلَّيتم عن نهجكم التخريبي وخدمتمونا بسلام».

تجاوزه الصخَّابون بأبصارهم إلى باب القاعة، رأوا هدفهم قريبًا، لكن ثمة شيئًا يوحي بالسلطة في الشاب الواقف أمامهم، شيئًا... مُقدَّسًا.

قال: «سأعطيكم إشارة من الرأس السحابي، الذي لا يتكلم معه أحد سواي، ولا أحد يمكنه التوسط لديه نيابة عنكم».

ثم فَرَد ذراعيه... فهبط عليه سرب من الحمام الهدَّال من السماء، مئات الحمامات جاءت من شتى الاتجاهات، كأنها ظلت تنتظر إشارته في أفاريز كل مبنى في المدينة! حطَّتْ على ذراعيه وجسده ورأسه حتى لم يعد يُرى، غطَّته من رأسه إلى أخمص قدميه، بدت أجسادها وأجنحتها الرمادية الفاتحة كدرع حوله، راسمةً عليه شكلًا بحركتها وألوان ريشها، فأدرك الطونيون الصخَّابون ما يشبهه الشكل.

بدا الشاب كسحابة رعدية رهيبة، الشكل الذي يتخيله الناس للرأس السحابي.

وفجأة حلَّقت الطيور في جميع الاتجاهات، تاركةً الشاب، واختفت عائدة إلى أركان المدينة التي جاءت منها.

خيم الصمت على المكان، عدا عن خفقات آخر الأجنحة المبتعدة. وفي الصمت تكلم الناقوس بصوت أقرب إلى الهمس: «الآن ألقوا أسلحتكم واجثوا على رُكبكم».

ففعلوا.

***

أن يكون المرء نبيًّا ميتًا أفضل من أن يكون نبيًّا حيًّا.

عندما يكون ميتًا لا يضطر إلى ملء أيامه بلقاءات مُملَّة مع المتضرعين، ويجد حرية الذهاب حيثما يريد متى ما يريد، والأهم حيثما تظهر حاجة إلى وجوده. لكن أفضل ما في موت المرء هو أن لا أحد يحاول قتله.

خلُص غريسن توليفر إلى أن موته أفضل لراحة باله من حياته.

منذ إعلان موته أمضى غريسن أكثر من عامين في السفر حول العالم محاولًا إخضاع الطونيين الصخَّابين الذين يظهرون في كل مكان، وكان ومن معه يسافرون بوسائل متواضعة، عبر القطارات العامة، وخطوط الطيران التجارية. لم يرتدِ غريسن رداءه المطرز ووشاحه البنفسجي قط في أثناء سفره. جميعهم كانوا يرتدون ملابس الطونيين البسيطة المألوفة. ولم يكن الناس يوجهون أسئلة للطونيين خشية أن يبدؤوا الحديث عن دينهم بلا انقطاع، معظم الناس كانوا يشيحون بأبصارهم متجنبين حتى النظر إلى أعينهم.

وبالطبع إذا نال الخوري مندوزا ما أراده لسافروا حول العالم بطائرة خاصة لديها القدرة على الهبوط العمودي، حتى يهبط الناقوس من السماء كأنه إله آلي. لكن غريسن رفض، إذ رأى النفاق مُتفشِّيًا سلفًا في العالم.

قال لمندوزا: «يفترض ألَّا يكون الطونيون مادِّيين».

ذكَّره مندوزا: «وكذلك المناجل، وانظر إلى ما يفعلونه».

لكن اتخاذ القرارات لم يكن عملية ديمقراطية، ما يقوله الناقوس هو القانون، بصرف النظر عمَّن يعترض عليه.

الأخت آستريد أيَّدت غريسن، قالت: «أرى مقاومتك للرفاهيات أمرًا جيدًا، وأتخيَّل الرأس السحابي يوافقك الرأي».

قال غريسن لها: «لا رأي للرأس السحابي ما دمنا نبلغ وجهتنا في الوقت الذي نريده». لكنه راودته شكوكٌ في أن الرأس السحابي يغيِّر مسارات القطارات والرحلات الجوية ليسرِّع رحلاتهم إلى وجهاتهم. افترض غريسن أن الناقوس إذا أعلن وجوب السفر بالبغال، فسيوفر الرأس السحابي لهم بطريقةٍ ما بغالَ سباق.

ورغم السفر بوسائل متواضعة، دائمًا ما كان مندوزا يجد طريقة لجعل وصولهم دراميًّا ومثيرًا بما يكفي لزعزعة الطونيين الصخابين. مهما كان ما يفعلونه غريبًا ومزعجًا، كان غريسن يُظهِر نفسه أمامهم بوصفه الناقوس، ويشجِبهم ويعلن تبرُّؤه منهم، حتى يتوسَّلوا غفرانه.

خدعة الطيور كانت فكرة غريسن. كانت سهلة. جميع مخلوقات الأرض مزودة بوحدات مجهرية حتى يراقب الرأس السحابي تكاثُرها، وبالتالي لديه القدرة على التحكم في سلوك أي مخلوق.

فعلت هيئة المناجل شيئًا مشابهًا بالكائنات البحرية حول إنديورا، فجعلت من المياه حول إنديورا حديقة مائية. لكن خلافًا لتقنيتهم التي انتهت بكارثة، لم يكن الرأس السحابي يتلاعب بالحيوانات من أجل متعة البشر، أو إيذائهم، كما حدث لاحقًا، بل يتدخل في سلوك الحيوان إذا وجده عرضة للدَّهس على طريق أو أي خطر آخر قد ينهي حياته. ونظرًا إلى عدم وجود مراكز إنعاش للحيوانات البرية، كانت وسيلة فعالة لتمكينها من عيش حياتها الطبيعية كاملة.

كان غريسن قد قال للرأس السحابي: «إذا كان عليَّ إيقاف الصخابين، فلا بد لي من إبهارهم، لأبرهن لهم بأنك إلى جانبي ولا توافق على ما يفعلونه».

واقترح جمع طيور تحمل ألوان سحابة رعدية على جسده، فأجاب الرأس السحابي طلبه.

استخدم غريسن جِيلًا أخرى بالطبع. جعل الرأس السحابي السيارات العامة تطوِّق الطونيين وتقتادهم كالأغنام، ووَلَّد حقلًا مغنطيسيًّا قويًّا بما يكفي لرفع غريسن من الأرض دون وسيلة ظاهرة، وفي الأحوال الجوية المناسبة أحدث الرأس السحابي صواعق إثر إشارة من غريسن. لكن الطيور كانت الأفضل، لم تفشل قط في إبهار الصخابين، حتى إذا لم تنجح في هِدايتهم تمامًا، على الأقل كانت توجِّههم إلى الاتجاه الصحيح. وبالطبع لم تكن تغطيته بالحمام أمرًا ممتعًا، إذ تتسبَّب مخالبها في خدش جلده، ودائمًا ما تنقُر أذنيه وعينيه، كما لم تكن أكثر الحيوانات اهتمامًا بالنظافة.

كان الناقوس يبقى مع الطائفة المَعنيَّة مدة حتى يتأكد أنهم لن يغيِّروا نهجهم. وفقًا لتعبير مندوزا «إلى أن يعودوا إلى الحظيرة». ثم يختفي الناقوس مع حاشيته وينتقل إلى طائفة صخابين أخرى في مكان آخر من العالم. ظل سنتين يتبع استراتيجية الضربات الدقيقة الخاطفة والدبلوماسية البديلة، وكانت استراتيجية ناجحة. وقد ساعده انتشار الشائعات السخيفة أكثر من انتشار الحقائق. «هدَمَ الناقوس جبلًا بصوته». «شوهد الناقوس وهو يتناول العشاء في الصحراء مع آلهة عصر الفانين، وكان على رأس المائدة». كان من السهل إخفاء أحداث ظهوره الحقيقية في طيات الشائعات السخيفة.

كان الخوري مندوزا يقول: «ما نفعله لا بأس به، لكنه لا شيء مقارنة بما يمكن أن نفعله».

وكان غريسن يقول له: «ما نفعله هو ما يريده الرأس السحابي». لكن مندوزا ظل متشككًا دومًا. وفي الحقيقة غريسن نفسه كان محبطًا.

قال غريسن للرأس السحابي: «أشعر بأنني أطارد سرابًا. ما فائدة ما أنجزه وطوائف الصخابين تظهر بوتيرة أسرع؟ أهذه هي خطتك العظيمة؟ وأليس من الخطأ أن أتظاهر بأنني إله؟».

قال الرأس السحابي: «عرِّف ‘الخطأ’».

كان الرأس السحابي يبدو مزعجًا تحديدًا عندما يطرح غريسن أسئلة أخلاقية. الرأس السحابي لا يمكنه أن يكذب، لكن غريسن يمكنه، وقد فعل، كذب على الصخابين كلما قابلهم، وأخبرهم أنه ليس بشرًا عاديًّا. لكن الرأس

السحابي لم يمنعه، لذا لم تكن لدى غريسن فكرة عما إذا كان الرأس السحابي موافقًا على ما يفعله أم غير موافق. إذا قال الرأس السحابي ببساطة «لا تفعل ذلك» عندما يرى أن أفعال الناقوس تمثل سوء استغلال لسلطته، لارتاح بال غريسن. بل لوجد راحة في توبيخ الرأس السحابي له لأنه سيعرف أن بوصلته الأخلاقية في الاتجاه الصحيح. ومن ناحية أخرى، إذا كانت الغاية تبرر وسيلة غريسن، فلماذا لا يقول الرأس السحابي له هذا ويريح ضميره؟

قال الرأس السحابي له: «إذا أقدمتَ على أي فعل يسبب ضررًا يتجاوز الحد، فسأخبرك». فجعل غريسن على الدوام ينتظر صفعة لم تأتِ قط.

قال غريسن: «لقد اقترفت أفعالًا فظيعة باسمك».

فأجابه الرأس السحابي: «عرِّف 'فظيعة'».

***

صارت حاشية الناقوس فريقًا فعالًا، وقد تقلَّصت دائرته الصغيرة المُقرَّبة إلى المنجل موريسن والأخت آستريد والخوري مندوزا.

أثبت موريسن أنه عنصر قيِّم منذ البداية. لم تكن لديه أخلاق عمل قبل ظهوره لقطف الناقوس، لكن الأعوام التي قضاها معه غيَّرته تغييرًا ملحوظًا، أو على الأقل شقت له طريقًا جديدًا أكثر استنارة قليلًا. وقد دفعته أسباب للبقاء. إلى أين عساه أن يذهب؟ هيئة مناجل أمريكا الشمالية حسِبته ميتًا، لكن هذا جزء من السبب. إذا تفقدت هيئة مناجل أمريكا الشمالية إحصائياتها فستعرف أنه قَطَف ومَنَح الحصانة أكثر من مرة. قال لنفسه، *نظرًا إلى كثرة عمليات القطف التي تجري هذه الأيام، لن يلاحظ أحدٌ ما يفعله منجل واحد مارِق.*

وبالطبع كان يعرف أن هذه ليست الحقيقة، لكن الحقيقة مؤلمة لا يستطيع الاعتراف بها.

لم يلاحظوا لأنهم لم يكترثوا.

لطالما كان تافهًا في نظر المناجل الآخرين كأنه غير موجود، وكان مصدر إحراج لمرشده، الذي اختاره لأنه قوي حسن المظهر، ثم تبرَّأ منه حالما اتضح له أنه لن ينال احترام أحد. كان موريسن أضحوكة في نظرهم. لكن هنا في خدمة الناقوس وجوده معترَف به، ولديه مكانة وغاية، كان حامي المجموعة، وقد راقه وضعه.

الأخت آستريد كانت الوحيدة التي لديها مشكلات مع موريسن. قالت له ذات يوم: «أنت يا جيم تجسِّد كل ما لا أطيقه في العالم».

فابتسم لها ابتسامة واسعة: «لِمَ لا تعترفين بأنني أروقك».

- أتحمَّلك وأتسامح معك. ثمة فرق كبير.

أما آستريد فقد وجدت دورها المثالي، حيث تحرص على التزامهم جميعًا بالطريق الروحي الصحيح. بقيت مع الناقوس لأنها في أعماقها آمنت بأن غريسن توليفر هو المختار الحقيقي، وأن الطون أرسله من عليائه، وأن تواضعه إزاء مكانته أمر مفهوم، تفهَّمت رفضه اعتقاد أنه جزء من الثالوث المقدس، لكن عدم اعتقاده هو نفسه لا يعني شيئًا.

كانت تبتسم خلسة كلما واجه الناقوس الطونيين الصخابين، لأنها كانت تعرف أنه لا يصدق كلمة واحدة مما يقوله. كان ما يفعله مجرد دور في نظره. لكن آستريد رأت أن إنكاره يزيد من إيمانها به.

وآخرهم الخوري مندوزا، الساحر، مُخرِج العرض، مُنتِج برنامج السفر الذي يقومون به. كان يعرف أنه الركيزة التي يستند عليها كل شيء، ورغم أنه يصدِّق معتقداته في بعض الأحيان، دائمًا ما يطغى عليها تفكيره العملي الذي يقتضي إنجاز المهمة.

نظم مندوزا مناسبات ظهور الناقوس، وحافظ على تواصل وثيق مع شبكة الخوريين التي أنشأها حول العالم، في محاولة دائبة لتوحيد مزيد من الطوائف تحت عقيدة واحدة مقبولة، ولمساعدتهم على حماية أنفسهم من المناجل. كما عمل مندوزا في الظلال، ناشرًا معظم الشائعات المغلوطة المحيطة بالناقوس، فكانت عونًا كبيرًا في شد انتباه الرعية، وصرْف انتباه المناجل، إذ كيف للمناجل أن يصدِّقوا قصص ظهور الناقوس ومعظمها شطحات خيال جامح؟ لكن غريسن ارتاع عندما اكتشف ما يفعله مندوزا.

- هل تقول للناس إنني نهضت من رمادي؟

حاول مندوزا أن يشرح: «ثمة سابقة. تاريخ الإيمان مليء بالآلهة الساقطين/الصاعدين. إنني أمهِّد لأسطورتك».

قال غريسن: «إذا أراد الناس تصديق ذلك، فلا بأس، لكنني لا أريد تشجيعهم بنشر مزيد من الأكاذيب».

سأل مندوزا بإحباط متزايد: «تريد مني المساعدة، فلماذا تقيِّد يديَّ؟».

- لأنني أريد منك استخدامهما لغاية أكبر من إمتاع نفسك.

ضحك مندوزا، ماذا كان يحدث طوال الأعوام القليلة الماضية سوى فرض غريسن توليفر إرادته على جميع الناس؟ لكن الضحك على الناقوس كان تجاوزًا للحدود، فتراجع سريعًا.

قال مندوزا كما يقول دومًا: «كما تأمر يا صاحب الصدى، سأحاول وضع ذلك في الاعتبار». لم يكن لديه خيار سوى التراجع، لأن الجدال لا جدوى منه مع هذا الفتى العنيد، الفتى الذي ليست لديه فكرة عما يتطلَّبه إبقاء هالته الروحانية حيَّة. لكن مندوزا بدأ يتساءل عن سبب تكليف نفسه العناء.

***

ثم وقعت واقعة غيرت كل شيء.

ذات مساء ناح الرأس السحابي في أذن غريسن: «حُزن، وحزن، ومزيد من الحزن! أتمنى لو كنت أعمى حتى لا أراه. هذا الحدث مُرتَكَزٌ قاتم ستدور حوله أحداث كثيرة».

سأله غريسن: «هلا توقفت عن الحديث بالأحاجي من فضلك وأخبرتني ما يجري؟».

فأخبره الرأس السحابي، تفاصيل مملة مرهقة، عن حادثة القطف التي وقعت في الاستاد وعشرات الآلاف الذين قُطفوا في أمسية واحدة: «سينتشر الخبر عبر كل القنوات الإخبارية بعد لحظات، حتى إذا حاولت هيئة مناجل أمريكا الشمالية التكتُّم عليه، إنه حدث جلل يتعذر إخفاؤه، وسوف يتسبب في ردود أفعال غير مسبوقة في العالم».

سأله غريسن: «وماذا ستفعل؟».

- لا شيء. إنه عمل مناجل، مما يعني أنني لا أستطيع إبداء أي ردة فعل، وعليَّ التعامل معه كأنه لم يحدث.

- حسنًا، لا تستطيع فعل شيء، لكنني أستطيع.

أمره الرأس السحابي: «واصل ما تفعله، ينبغي كبح جماح الصخَّابين الآن أكثر من أي وقت مضى». ثم قال كلامًا بعث الرعدة في جسد غريسن: «نسبة احتمال تسبُّب الطونيين الصخَّابين في تخريب مستقبل البشرية ارتفعت إلى 19,3%».

33

عصبة على الكنز

«أنا المنجل أناستازيا. كلَّا، هذا ليس تسجيلًا، أظهر أمامكم في بث حي، لأنني حية. لكنكم غير مقتنعين بالطبع، بإمكان أي شخص تنفيذ خدعة كهذه مستخدمًا بناء ذاكرتي ومئات الوسائل التقنية الأخرى. لذا أريد منكم أن تشككوا في هذا البث، شككوا فيه وافعلوا كل ما يمكنكم فعله لتثبتوا أنه مزيف، إلى أن تفشلوا وتتقبَّلوا أن البث حقيقي، وأنني حقيقية. وبعدما تقتنعون بأنني أناستازيا فعلًا كما أقول... سننشرع في العمل».

***

كان البث الأول موجزًا، وأظهر قدرة أناستازيا على الإقناع وثقتها بنفسها. عثرت أناستازيا على معلومة متعلقة بكارثة القمر، معلومة خطيرة. فعلت أناستازيا ما لم يستطع أي أحد فعله: اكتشفت دليلًا ظل موجودًا، مدفونًا في الدماغ الخلفي، منذ ما قبل مولدها. كان الرأس السحابي يعرف أنه موجود، لكن القانون يُلزِمه بعدم فعل أي شيء حياله. شؤون المناجل هي شؤون المناجل. لكن لا بد أن الرأس عرف ما اكتشفته أناستازيا، فهو يعرف كل ما يوجد في دماغه الخلفي. وتساءلت أناستازيا عما إذا سيسعَد الرأس السحابي باكتشافها.

قال النصل السامي تنكامنن لها: «إنني فخور بك أيما فخر. كنت أعرف أنك ستنجحين! وبالطبع كانت المنجل ماكيدا متشككة».

قالت ماكيدا مدافعة عن نفسها: «كنت أُعرِب عن شكوك عقلانية. يجدر بنا ألَّا نحصي دجاجنا قبل أن تفقس».

أردف بابا: «وألَّا نضع بيضنا كُله في سلة واحدة. أتساءل أي مقولة جاءت أولًا، الدجاج أم البيض؟».

وبالطبع ضحك تنكا، لكن ضحكته كانت قصيرة الأجل. كان ثمة أمر يُثقِل على النصل السامي، عليهم جميعًا. طوال اليوم ساد بينهم توتر خفي.

بدا التوتر واضحًا على جيري، وهو عادة ما يبرع في مُداراة انفعالاته. قال لها: «قُطِف قريبٌ لإحدى أفراد طاقمي، أريد الذهاب إلى البلدة لتعزيتها». تردد جيري كأنه يريد قول المزيد... لكنه لم يقل: «سأعود في وقت متأخر. أخبري النصل السامي ألَّا يتوقع حضوري العشاء».

ومن ثم، عندما جلس بقيتهم إلى مائدة العشاء، صار جو المكان كالحًا، لم يكن متوترًا، لكن ثقيلًا، كأنما عبء العالم، الذي يحملونه على كواهلهم، قد تضاعف. ظنت أناستازيا أنها تعرف السبب: «إنه بثِّي، أليس كذلك؟». سألتهم كاسرة الصمت وهي تتناول سلطة ذبُلت تحت وطأة مزاج جميع الحاضرين: «لم يستجِب الناس لما قلتُه كما أردتم. كان إهدارًا لوقتكم».

قالت ماكيدا: «لا، إطلاقًا. كنتِ رائعة يا عزيزتي».

أردف بابا: «وكنتُ أتعقب أحاديث الناس، يتكلمون في كل مكان. أرى أنك حركتِ المياه الراكدة كما لم يحركها غرق إنديورا».

قالت ماكيدا: «ذوقك سيئ يا بابا، ذوقك سيئ».

لم يعلِّق تنكامنن، ولبث ساهمًا.

سألت أناستازيا: «ما الأمر إذن؟ إذا وقع خطبٌ ما، فعليكم إخباري».

أخيرًا قال تنكامنن لها: «وقعت... حادثة ليلة أمس، في أمريكا الشمالية...».

تجلَّدت أناستازيا: «هل لها علاقة بروان داميش؟».

أشاح تنكا بوجهه، وفعل بابا مثله، لكن المنجل ماكيدا حدقت إليها بصرامة: «نعم، في الحقيقة لها علاقة به».

انكمشت أصابع قدمَي أناستازيا بشدة. قالت: «قُطِف روان. قطفه غودارد». بطريقةٍ ما بدا لها أن قول الخبر بنفسها أفضل من سماعه.

لكن تنكا هز رأسه، وقال لها: «كان من المفترض أن يُقطَف، لكنه هرب».

انحنت أناستازيا إذ غمرها الارتياح، ولم تكن حركتها تليق بمنجل، فحاولت استعادة تماسكها. لكن جميعهم رأوا ردة فعلها.

قالت ماكيدا: «روان مع مناجل تكساس. ليست لدي فكرة عن سبب إنقاذهم له».

قال بابا: «إنه عدو عدوهم».

قال تنكا: «المشكلة ليست هروبه، إنما ما حدث بعدها. أمر غودارد بقطف جماعي، أكبر من كل قطف جماعي شهدناه، أنهى حيوات قرابة ثلاثين ألف شخص، ثم أمر بمطاردة الذين هربوا ومطاردة عائلاتهم، مستندًا إلى الوصية الثالثة».

قالت ماكيدا بحدة: «كأن الوصية الثالثة تنطبق على هذا الوضع! عندما يُحكَم بالموت على استاد بأكمله، من عساه ألّا يهرب؟».

لاذت أناستازيا بالصمت، استوعبت ما سمعته، وحاولت ألّا تستجيب، فالخطب جلل. روان نجا، وبسبب نجاته مات آلاف الناس. كيف تحدد إحساسها إزاء ما حدث؟

قال تنكا: «أذيع بثك في أثناء الواقعة، قبل أن نسمع بها. وظننا أن الواقعة ستجعل الناس يتجاهلونك، لكن حدث العكس. هذه الواقعة ستجعل كل ما ستقولينه أكثر أهمية، نريد منك تسريع الخطط، قدمي بثًّا آخر مساء غد».

قالت ماكيدا: «ينبغي أن يسمع الناس منك يا أناستازيا، إنك صوت الأمل في خضم الرعب».

قالت أناستازيا لهم: «نعم، بالطبع، سأقدم بثًّا آخر في أقرب وقت ممكن».

جاء طبق العشاء الرئيسي. لحم غير مُنضَج إلى درجة ظهور الدماء عليه. ومثل هذه الأشياء لا تزعج المناجل عادة، لكن جميعهم أشاحوا بوجههم عندما قطع الخادم اللحم.

***

«معكم المنجل أناستازيا. هل نجحتم في إثبات زيفي؟ هل أدَّيتم واجبكم بما كانت مرشدتي المنجل كوري، سيدة الموت العظمى، تسميه بالمثابرة الوافية؟ أم إنكم راغبون في قبول مزاعم هيئات المناجل التي تدعم رغبة 'النصل المصلت' غودارد في فرض سيطرته على أجزاء أكبر من العالم؟ بالطبع سيقولون إنني محتالة، ماذا عساهم أن يقولوا إذا لم يرغبوا في إثارة غضب غودارد؟

غودارد الذي دعا عشرات الآلاف ليشهدوا عملية قطف تحولت إلى عملية قطفهم هم، يزعم أن المنجل لوسيفر أغرق إنديورا، وقد صار زعمه حقيقة تاريخية راسخة الآن. بما أنني كنت في إنديورا في وقت الحادثة، أؤكد أن هذه المعلومة صحيحة: المنجل لوسيفر كان في إنديورا، وروايات شهود العيان من الناجين الذين رأوه صحيحة. لكن هل أغرق لوسيفر إنديورا؟

لا. إطلاقًا.

في الأيام القادمة سأقدم دليلًا يوضح ما حدث في إنديورا توضيحًا تامًّا، وأخبركم بالمسؤول عما حدث».

***

في شاليه غودارد الزجاجي، على عكس المتوقع، كانت معظم الأشياء فيه عَصِيَّة على الكسر. شاهدت إيان غودارد وهو يحاول، لكنهم كانوا يعيشون في عالمٍ تُصنَع فيه الأشياء بإتقان. كفَّت إيان عن محاولة تهدئة غودارد، وتركت المهمة لمساعديه. كان نيتشه حاضرًا عندئذٍ، وقسطنطين لم يُر منذ أيام، يُفترض أنه ذهب للقاء ممثلي إقليم النجم الوحيد، محاولًا إقناعهم بتسليم روان، لكنهم ما زالوا ينكرون أنه معهم. ورفضت المساعدة فرانكين أي تعامل مع غودارد عندما يكون بهذه الحالة. كانت أريثا تقول لها: «أخبريني عندما يستعيد بشريَّته»، وتذهب إلى مقرها الواقع في طابق بعيد بما يكفي لعدم سماع هيَجان غودارد.

آخر نوبات غضبه أثارتها رسالة المنجل أناستازيا الثانية للعالم.

قال: «أريد القبض عليها! أريد القبض عليها وقطفها».

حاول المساعد نيتشه أن يشرح له: «لا يمكن قطفها. إنها ما تزال منجلًا، شِئتَ أم أبيت».

زعق غودارد: «إذن سنقبض عليها ونرغمها على قطف نفسها. سأجعلها تعاني حتى تنهي حياتها بنفسها لتضع حدًّا لمعاناتها».

- يا صاحب السمو، الشكوك التي ستجرُّها على نفسك لا تستحق العناء.

قذف غودارد كرسيًّا إلى الجانب الآخر من الصالة. لم ينكسر.

جلست إيان مسترخية في صالة الاجتماعات، وراحت تشاهد الدراما الدائرة بينهما، وما انفكَّ نيتشه ينظر إليها من حين لآخر مُلتمِسًا مساعدتها، لكنها قررت ألَّا تهدر طاقتها. يفقد غودارد رُشده ثم يستعيده من تلقاء نفسه. هو هكذا ببساطة. ثم يجد مبررات عقلانية لكل ما فعله في أثناء طيشه.

كانت إيان ترى أن كل ما يفعله غودارد جزء من خطة أكبر، لكنها الآن رأت الحقيقة: الخطة تأتي بعد الفعل دومًا. كان غودارد بارعًا في إيجاد الأشكال في غيوم غضبه.

مثل إقناع نفسه بأن عملية قطف مايل هاي الجماعي كان فعلًا حكيمًا حاسمًا. ظهرت عواقب القطف الجماعي فورًا، الأقاليم التي كانت مناهضة لغودارد ثارت غاضبة عليه، وأعلنت ستة أقاليم استعدادها لمنح الحصانة لكل من يختار مغادرة منطقة سلطة غودارد، ولبَّى كثيرون دعوتهم. لكن رغم كل هذا، وجد مؤيدو غودارد أنفسهم مُرغمين على دعمه، وأصرُّوا على أنَّ «أولئك الناس» في الاستاد استحقوا القطف، لأن كل من يرغب في مشاهدة إعدام يستحق ما يجري له، رغم أنهم أنفسهم كانوا يشاهدون على الأرجح قبل قطع البث.

بَيْد أن معظم الناس لم يكن لهم رأي محدد إزاء ما فعله غودارد، وفضَّلوا الانشغال بمُتع حيواتهم، فما دامت الأشياء السيئة تحدث في مكان آخر لشخص لا يعرفونه، لم تكن مشكلتهم. إلَّا أن كل شخص كان يعرف شخصًا يعرف شخصًا ذهب إلى الاستاد في تلك الليلة ولم يعد إلى البيت.

استمر نيتشه في محاولة تهدئة غودارد الذي ما زال هائجًا في صالة الاجتماعات: «أناستازيا غير مهمة يا صاحب السمو، وإذا بدرت منك ردة فعل تجاهها فستخلق لها أهمية لا تستحقها».

- إذن ينبغي لي أن أتجاهلها وأتجاهل اتهاماتها؟

- إنها مجرد اتهامات، ولا نعرف حتى الآن ما تتَّهمك به. إنها حِكَّة يُستحسَن عدم حَكِّها يا صاحب السمو.

ضحكت إيان، إذ تخيلت غودارد ينهش حكَّته حتى ينزف كل دمائه.

اعترى الإنهاك غودارد أخيرًا، فارتمى على كرسي وألجَم غضبه: «أخبرني ما يحدث في العالم، أخبرني ما أحتاج إلى معرفته».

جلس نيتشه إلى طاولة الاجتماعات: «هيئات المناجل الحليفة بعضها يؤيد ما فعلتَه في الاستاد وبعضها يلزم الصمت، وهيئات المناجل المناهضة لك تدعوك إلى قطف نفسك. لكن ما يقلقني أكثر هو طوفان الناس الذين يعبرون الحدود إلى إقليم النجم الوحيد».

قالت إيان: «أردتَ إثارة الخوف، وها قد نِلتَ مرادك».

- إننا ندرس إمكانية تشييد جدار لإيقاف الهجرة الجماعية.

قال غودارد: «لا تكن سخيفًا، الحمقى وحدهم يشيدون الجدران. فلندعهم يرحلون، حالما ننجح في ضم إقليم النجم الوحيد، سنجعل الذين هجروا وسطمريكا هدفًا للقطف».

سألته إيان: «أهذا هو حلُّك لكل مشكلة الآن؟ قطفها؟».

توقعتْ أن يثور عليها، لكن مزاجه هدأ: «القطف هو ما نفعله يا إيان، إنه الأداة التي وُهِبناها، الأداة الوحيدة التي يمكننا استعمالها».

تابع نيتشه: «كما توجد مشكلة الطونيين».

تذمر غودارد: «الطونيون! لماذا نجدهم في أجندة كل اجتماع؟».

ذكَّرته إيان: «جعلتَ نبيَّهم شهيدًا، ورغم ما تظنه، قتال الأعداء الموتى أصعب من قتال الأحياء».

قال نيتشه مترددًا: «لكننا...».

استحثَّه غودارد: «لكننا ماذا؟».

- لكننا نتابع تقارير تفيد بأن الناقوس ظهر أمام الناس.

تأوَّه غودارد مشمئزًا: «أجل، أعرف، ظهر في الغيوم وفي الأشكال المرسومة على الخبز المحمص المحروق».

- لا يا صاحب السمو، أعني أنه ظهر شخصيًّا، جسديًّا، وبدأنا نظن أن التقارير ربما تكون صحيحة.

- لا يمكن أن تكون جادًّا.

- حسنًا، في الواقع لم نتحقق من أن الجثة التي وصلت إلينا جثة الناقوس. يُحتمل أنه ما زال على قيد الحياة.

تنهَّدت إيان، مُتوقِّعة بدء جولة أخرى من تطاير أشياء غير قابلة للكسر.

34

مكانٌ أفضل

«أعرف أن معظم الناس لا يتابعون ما يحدث في هيئة المناجل، وهذا طبيعي، هيئة المناجل أُنشئت حتى لا يضطر معظم الناس إلى التعامل مع جالبي الموت إلى أن يُجلَب الموت إليهم.

لكن غرق إنديورا أثَّر فينا جميعًا، جعل الرأس السحابي يصمُت ويسِم جميع الناس مستهجنين، وغياب المخضرمين عن إدارة هيئة المناجل عرضها لاختلال السلطة بداخلها.

حظينا بعالم مستقر لأكثر من مئتي عام، لكنه لم يعد كذلك. إذا أردنا استعادة الاستقرار، فعلينا القتال في سبيله، ولا أقصد أعضاء هيئة المناجل فحسب، بل جميع الناس. عندما تسمعون ما سأقوله لكم سترغبون في القتال.

أعرف ما يجول في أذهانكم. «هل ستوجِّه المنجل أناستازيا اتهامًا؟ هل ستوجه أصابع الاتهام علنًا إلى غودارد بوصفه قاتل المخضرمين ومُدمِّر إنديورا؟».

لا بُدَّ لكم من الانتظار، لأن ثمة وقائع أخرى يجب إثباتها. اتهامات أخرى. سوف أستعرض لكم تاريخ أفعال فظيعة تُناقِض كل ما يُفترَض أن تمثِّله هيئة المناجل.

إنها قصة لا تبدأ بغودارد، بل تبدأ وقائعها قبل سنوات من مولده.

في عام الوَشَق، تعرضت مستعمرة نكتاريس برايم على القمر لما سمُّوه بإخفاق جوي كارثي. كامل مخزونهم من الأكسجين -حتى مخزون الأكسجين السائل الاحتياطي- تسرَّب إلى الفضاء، فمات كل من في المستعمرة. لم ينجُ أحد.

جميع الناس يعرفون هذا. إنها معلومات عرفناها في المدارس. لكن هل قرأتم الصفحة الأولى في قاعدة بيانات التاريخ الرسمية؟ تعرفون الصفحة التي أقصدها، صفحة مكتوبة بحروف صغيرة مزعجة تتخطونها إلى ما تبحثون عنه. إذا قرأتم تلك الصفحة، ستجدون -في طيات كل ذلك التمويه القانوني- بندًا صغيرًا، ينص على أن قواعد بيانات التاريخ العامة يجب أن تخضع جميعها لموافقة المناجل. لماذا؟ لأن المناجل مسموح لهم بفعل كل ما يريدونه، حتى فرض الرقابة على التاريخ.

وهذا لم يكن مشكلة عندما كان المناجل مخلصين لواجبهم، شرفاء، فاضلين، متمسكين بأرفع القيم الإنسانية، وصار مشكلة عندما بدأ بعض المناجل يخدمون أنفسهم بدلًا من البشرية.

كانت مستعمرة القمر أول محاولة للعيش خارج الأرض، وخُطِّط لتعمير واجهة القمر بالسكان تدريجيًّا من أجل تخفيف الاكتظاظ على الأرض، نجح الرأس السحابي في وضع جميع الخطط وحل جميع المشكلات. ثم وقعت الكارثة.

أريد منكم تجاهل كل ما تظنون أنكم تعرفونه عن الواقعة، فكما قلتُ، التاريخ الرسمي غير جدير بالثقة. أريد منكم أن تبحثوا في موضوع كارثة القمر بأنفسكم، كما فعلتُ. اذهبوا مباشرة إلى المصادر الأصلية، المقالات التي كُتبت مبكرًا، والتسجيلات الشخصية التي تركها سكان المستعمرة قبل هلاكهم، ورسائل الاستغاثة، كلها موجودة في دماغ الرأس السحابي الخلفي. وبالطبع لن يرشدكم الرأس السحابي، لأنكم مستهجنون، لذا عليكم بالبحث بأنفسكم.

لكن أتعرفون؟ حتى إذا لم تكونوا مستهجنين لما أرشدكم الرأس السحابي. نظرًا إلى حساسية المعلومات ستكون مساعَدته لكم خرقًا للقانون، والرأس السحابي لا يمكنه خرق القانون حتى إذا رغب بشدة. من حسن الحظ أنني إلى جانبكم».

***

اصطحب مناجل النجم الوحيد روان إلى أوستن، أبعد مدينة من جميع النقاط الحدودية، وأحاطوه بطبقات حماية متعددة. لم يفردوا له جناحًا فخمًا، ولم يدخلوه إلى زنزانة، بل عاملوه باهتمام معقول.

قالت المنجل كولمان له في أثناء إنقاذه: «أنت مجرم. لكننا تعلمنا من دراستنا لعصر الفانين، عندما كانت الجريمة سائدة وليست استثناءً، أن المجرمين يمكن أن يقدموا فائدة، بطريقتهم الخاصة».

منحوه حاسوبًا ليعرف منه تطورات العالم في السنوات التي فاتته، لكن روان عجز عن تجاهل فيديوهات ما حدث في استاد مايل هاي بعد إنقاذه. لم توجد تسجيلات رسمية لعملية «القطف التصحيحي»، بحسب تحريف هيئات مناجل أمريكا الشمالية المتحالفة. لكن الناجين نشروا تسجيلاتهم الشخصية.

شاهدها روان ليس رغبة منه، بل لأنه أحس بحاجة قوية إلى أن يشهد على معظم ما حدث، وأن يتعاطف مع أكبر عدد ممكن من الضحايا، ورغم أنه لا يعرف أحدًا منهم، أحس بأن مسؤوليته تقتضي أن يتذكر وجوههم وينظر إليهم باحترام مرة أخيرة. إذا كان يعرف أن غودارد سيفعل هذا لقاوَم مناجل تكساس وتقبَّل قطفه، لكن كيف كان له أن يعرف؟ وكيف كان له أن يقاوِم؟ بقدر ما كان غودارد عازمًا على إنهائه، كان التكساسيون عازمين على انتزاعه من قبضة النصل المصلت.

كما شاهد، وأعاد مشاهدة، المقاطع القصيرة التي بثتها سيترا. ومعرفة أنها ما زالت حرة وتقاتل أعانَته على تحمُّل كل شيء.

في آخر مرة ذهب روان إلى إقليم النجم الوحيد كان أسير راند، وقوانين الإقليم المتساهلة سهَّلت على راند تفادي التحقيقات وتنفيذ خطتها لإعادة غودارد، لكن حرية الإرادة هذه نفسها هي التي جعلت مناجل تكساس يتجرَّؤون على إنقاذ روان.

كان تكساسيو عصر الخالدين فريدين، لا يتقيدون بأي قوانين سوى التي يفرضونها على أنفسهم، وغير مسؤولين أمام أحد سوى أنفسهم، وأحيانًا تكون النتائج كارثية، وأحيانًا رائعة. بوصفه أحد الأقاليم الخاصة السبعة التي أنشأها الرأس السحابي، كان تجربة اجتماعية طويلة المدى وتحولت التجربة إلى أسلوب حياة دائم، ربما لأن الرأس السحابي رأى أن العالم يحتاج إلى مثل هذه الأماكن، حيث يمكن للناس تعلُّم كيفية العيش بقوانين يضعونها بأنفسهم.

بعض التجارب الأخرى لم تنجح مثل نجاح تكساس، مثلًا تجربة «التأمُّل الجمعي» في روسشيلف، الإقليم الخاص في أنتاركتيكا، حيث أدخل الرأس السحابي تقنية ربط العقول التي تُمكِّن الناس من قراءة عقول بعضهم بعضًا. لم تكن تجربة جميلة. وقال الناس إنها أقرب شيء إلى الخطأ فعله الرأس السحابي، لكنه أصر على أن جميع تجاربه ناجحة بطبيعتها، لأنها تثبت له شيئًا وتمدُّه بمنظور أفضل يعينه على خدمة البشرية. التأمل الجمعي أصبح «النوم الجمعي»، والآن صار سكان إقليم روسشيلف سعداء بتجربتهم للأحلام الجماعية بالربط بين عقولهم، لكن الربط لا يحدث إلا في أعمق مراحل النوم.

بعد يومين من إنقاذ روان، زاره المنجلان ترافِس وكولمان في مسكنه، لكن عندئذٍ دخل منجل ثالث إلى الغرفة، منجل يعرفه روان تمام المعرفة، ولم تسُره رؤيته.

حالما رأى روان العباءة الحمراء، أدرك أنه تعرض للخيانة، فنهض ومد يده غريزيًّا بحثًا عن سلاح، لكنه كان أعزل بالطبع. لكن المنجل قسطنطين لم يبدِ ما يشير إلى نيَّته الهجوم. لم يبدُ سعيدًا جدًّا، لكن هذا ليس جديدًا على الرجل، إذ لديه تعبيران فقط يرتسمان على وجهه في كل الأوقات: الاشمئزاز والاستهجان.

رفعت المنجل كولمان كفَّيها لتهدِّئ روان، وقالت له: «هذا ليس ما تظنه، لم يأت المنجل قسطنطين يريد بك سوءًا، لقد انضم إلى هيئة مناجل النجم الوحيد».

عندئذٍ لاحظ روان أن الجواهر التي كانت تزيِّن عباءة قسطنطين عندما تقابلا آخر مرة لم تعد موجودة، ما زالت عباءته قرمزية، لكن قماشها صار خشنًا. للمناجل حرية الانضمام إلى أي إقليم يختارونه، لكن كان من النادر أن ينضم منجل مُهم مثل قسطنطين إلى إقليم مختلف. أصر روان على أنها خدعة.

ضحك المنجل ترافِس: «قلت لكم ينبغي لنا تحذيره».

قال قسطنطين: «صدقني يا سيد داميش، لست مسرورًا برؤيتك بقدر عدم سرورك برؤيتي، لكن ثمة شواغل أهم من عداوتنا المتبادلة».

لم تتبدد شكوك روان. عجز عن تخيل قسطنطين الجبار منجلَ نجم وحيد لا يستخدم سوى سكين الصيد في عمليات قطفه، وهذا هو القانون الوحيد عند هيئة مناجل النجم الوحيد عدا عن الوصايا.

قالت المنجل كولمان: «من فضلك اجلس يا روان، أمامنا مناقشة عمل».

وعندما جلس، ناولته المنجل صفحة واحدة، مكتوب عليها قائمة أسماء، جميعهم مناجل، قرابة خمسين منجلًا.

قالت كولمان: «هؤلاء هم المناجل الذين قررنا أن تُنهِي حيواتهم».

رفع روان بصره إلى كولمان، ثم نظر إلى الصفحة، ثم إلى كولمان مرة أخرى. هل يُعقَل أنهم يطلبون منه قتل خمسين منجلًا؟

كان ترافِس متكئًا على جدار عاقدًا ذراعيه، صفَّر صفيرًا حزينًا، وقال: «تعابير وجهه تُفصِح عن كل شيء، أليس كذلك؟ قلت لكما إن المهمة لن تكون سهلة».

مد روان الورقة إلى كولمان قائلًا: «لا. بلا جدال».

لكن المنجل كولمان لم تأخذ الورقة ولم تتقبَّل الرفض: «لا تنسَ أننا أنقذناك من موتة مؤلمة يا روان، ولأننا أنقذناك قُطِف ثلاثون ألف بريء. إنك مدين لنا، منقذيك، ومدين لأولئك الناس التعيسين».

أردف ترافس: «كل ما نطلبه منك هو تخليص العالم من مناجل إشكاليين. ألم تكن عاقدًا العزم على هذه المهمة؟ الآن لن تعمل وحدك، ستحظى بدعم هيئة مناجل النجم الوحيد».

قالت كولمان: «دعم غير رسمي».

وافقها ترافس: «صحيح. ويجب ألَّا يعرف أحد بأمرنا. هذا ما يهم».

سألهما روان: «وما الذي يجعل المنجل إشكاليًّا في نظركما؟».

انتزعت كولمان الصفحة منه واختارت اسمًا من القائمة: «المنجل كوراساوا. يسيء لإقليمنا علنًا منذ سنوات وشتَم نصلنا السامي مرات عديدة».

ذُهِل روان: «أهذا كل شيء؟ تريدون مني إنهاء منجل لأنه سليط اللسان؟».

قال ترافس: «لم تدرك المغزى. لماذا يصعُب عليك هذا يا بُني؟».

طوال هذا الوقت ظل قسطنطين صامتًا، لبث واقفًا بالخلف وعلى وجهه تعابير جنائزية. في الواقع كان المنجل لوسيفر يدقق في اختياراته تدقيقًا

شديدًا، وإذا وجد لدى المنجل المعني صفة واحدة تشفع له، يتركه وشأنه. وكان روان يعرف شخصيًّا ثلاثة مناجل على الأقل في القائمة التي عُرضت عليه، ربما لا يكونون أشد المناجل استقامة، لكنهم لا يستحقون إنهاء حيواتهم.

قال روان: «آسف. إذا أنقذتموني حتى تستخدموني في تسوية خلافاتكم التافهة، فأعيدوني إلى المحرقة». ثم التفت إلى قسطنطين: «وأنت! إنك منافق! كنت تطاردني لأنني أقطف المناجل السيئين، والآن لا تمانع تكراري للفعل نفسه؟».

أخذ قسطنطين نفسًا عميقًا قبل أن يتكلم: «نسيتَ أنني كنت مساعدًا لغودارد. بعد كل ما رأيتُه منه صرت أشعر بوجوب إضعاف سيطرته على العالم بأي وسيلة. جميع المذكورين في هذه القائمة من مناجل التوجه الجديد ويؤيدون غودارد وفلسفته تأييدًا كاملًا. وأنت بدأت حملتك المسعورة لأنك رأيت أن هيئة المناجل تحتاج إلى تغيير جذري، أو تشذيب. وأظنك على صواب، رغم أنني أمقت الاعتراف بهذا».

هل قال قسطنطين ما قاله للتو؟ ستتجمَّد الجحيم إذا لم يكن الرأس السحابي يسيطر على طقسه.

قال روان لكولمان وترافس: «شكرًا لكما على إنقاذ حياتي، لكن كما قلت، لا أنفِّذ طلبات الآخرين».

قال ترافس لكولمان: «هذا ما قلته لك. هل نلجأ إلى الخطة ب؟».

أومأت كولمان. وارتعد روان مما قد تكون الخطة ب، لكن لم يستل أحد سكينه ليقطفه.

قالت المنجل كولمان: «طوال الوقت الذي انقضى منذ إنعاشك، هل سألتَ مرة عما حدث لعائلتك؟».

أشاح روان بوجهه. كان يخشى السؤال، ليس خوفًا مما قد يعرفه فحسب، بل لأنه لم يرغب في إقحام عائلته في ورطته حتى لا يستغلها أحد في رقعة الشطرنج.

قال روان: «إذا كانوا ما زالوا على قيد الحياة، فلا بد أنهم تبرَّؤوا مني، وربما غيَّروا أسماءهم، أو حتى استبدلوا ذكرياتهم. هذا ما كنتُ لأفعله إذا كنتُ أحد أقربائي».

قالت المنجل كولمان: «بصيرتك نافذة. في الحقيقة اثنان من أخواتك غيرتا اسميهما، وأحد إخوتك استبدل ذاكرته فعلًا. لكن باقي أفراد عائلة داميش ظلوا باقين على حالهم، والدتك وأجدادك وأربعة من إخوتك الآخرين».

- هل... تهددون بإيذائهم؟

قال ترافس ممتعضًا: «أتظننا مثل غودارد؟ لا نؤذي البريئين أبدًا. باستثناء الذين نقطفهم بالطبع».

قالت المنجل كولمان: «سأخبرك بما فعلناه. بعدما أغرقتَ إنديورا، جاءت عائلتك إلى إقليمنا خوفًا من أن يقطفهم نصل سامي وسطمريكا الجديد، إذ يعرفون أن بينكما ما صَنَع الحدَّاد. آويناهم، ومنذ ذلك الوقت يعيشون بسلام تحت حمايتنا، وسوف يظلون هكذا، بصرف النظر عن قرارك». ثم التفتت إلى ترافس: «أدخِلهم».

غادر ترافس الغرفة.

ودبَّ الذعر في روان.

عائلته موجودة هنا؟ أهذا ما يحدث؟ هل سيُرغَم على مواجهتهم؟ لا! كيف يمكنه مواجهتهم بعد كل ما فعله وكل ما *يظنون* أنه فعله؟ بقدر ما رغب في رؤيتهم، والاطمئنان عليهم بنفسه، لم يحتمل فكرة الوقوف أمام عائلته.

أصر روان: «لا! لا، لا تدخِلوهم!».

قال قسطنطين: «إذا لم نستطع إقناعك، فربما يستطيعون».

لكن أيمكنه تحمُّل إقحام عائلته فيما هو فيه؟ وسماع أمه تطلب منه قتل المناجل؟ هذا أسوأ من تعرُّضه للقطف! بل أسوأ من تعرُّضه للحرق حيًّا!

اندفع روان قائلًا: «موافق! سأفعل كل ما تريدونه مني، أرجوكم... أرجوكم لا تقحموا عائلتي في هذا...».

أغلقت كولمان الباب قبل عودة ترافِس.

وقالت له بابتسامة ودودة: «عرفت أنك ستتعقَّل. فلنجعل هذا العالم مكانًا أفضل».

***

«هل أجريتم البحث؟ هل نقَّبتم في الدماغ الخلفي؟ أعرف أنها مهمة مرهقة دون مساعدة من الرأس السحابي، لكن بعد ثلاث سنوات من صمته لا بد أن

كثيرين منكم تعلموا كيفية البحث. ثمة فائدة من أسلوب حياة المستهجنين، أليس كذلك؟ يُرغَم المرء على التعب وفعل كل شيء بالطريقة الصعبة، فيحس بالرضا والارتياح عندما ينجح.

ماذا وجدتم عندما بحثتم في كارثة القمر؟ هل من شيء لم يبدُ سليمًا؟ هل عرفتم أن النظام البيئي كان مزودًا بثلاثة أنظمة احتياطية؟ ليس واحدًا، بل نظامين احتياطيين للنظام الاحتياطي. أكنتم تعرفون أنه قبل ذلك اليوم كان الرأس السحابي قد حسب نسبة احتمال وقوع كارثة ووجدها 0.000093؟ أي أقل من واحد في المليون. هل أخطأ الرأس السحابي؟

بعد الكارثة، قرر مخضرمو ذلك الوقت إقامة حِداد لمدة أسبوع، مع عدم قطف أي أحد طوال مدة الحداد، إذ مات كثيرون جدًّا في القمر. أنا متأكدة أن معظم المخضرمين صدَّقوا أنه كان حادثًا مأسويًّا، وكان حزنهم صادقًا.

لكن أحدهم لم يحزن على الأرجح.

إذا بحثتم عن دليل يربط أي منجل بعينه بالكارثة، فلن تجدوا. لكن هل بحثتم فيما حدث في الأيام والأسابيع التي تلَت المأساة؟ هل انزعجتم من أن الرأس السحابي لم ينظف الموقع ولم يعيد الجثث إلى الأرض؟

تفسِّر مصادر مجهولة ما حدث بأن الرأس السحابي وجد صعوبة كبيرة في استعادة الجثث التي تضررت بفراغ الفضاء والإشعاع الشمسي إلى درجة يتعذر إنعاشها.

لكن إذا نقَّبتم في الدماغ الخلفي مزيدًا من التنقيب، ستجدون تصريحًا واحدًا من الرأس السحابي، موجودًا ويمكن أن يراه كل من يهتم بالبحث، في آخر فقرة في ملف كارثة القمر. هل عثرتم عليه؟ إذا لم تعثروا عليه، ها قد استخرجتُه لكم هنا. ألقوا نظرة:

«حادثة القمر خارج نطاق صلاحيات الرأس السحابي. نتيجة لأنشطة مناجل».

***

إطالة مدة الإفصاح عما تعرفه لم تكن مجرد تكتيك لشد انتباه الناس، بل كانت تكتيكًا للمماطلة وكسب الوقت أيضًا، لأن أناستازيا كانت ما تزال غير متأكدة مما سيُفضي إليه بحثها، لكنها ظلت كل يوم تكشف عن حقائق مخفية

في الدماغ الخلفي. وعرفت أنها اقتربت من اختراق بشأن كارثة المريخ، لكنها عاجزة لا تعرف شيئًا عن دمار مستعمرة نيو هوب المدارية.

لكن المعلومات التي كشفت عنها صعقت جميع الناس. واغتبط تنكامنن أيما غبطة، حتى عجز عن تمالك نفسه على العشاء: «تصريح الرأس السحابي في الملف المنسي: «نتيجة لأنشطة مناجل». عمل عظيم!».

قالت ماكيدا: «جعلتنا نحس بالخزي جميعًا يا عزيزتي، بحثنا في الدماغ الخلفي لأشهر ولم ننجح مثلك».

قال تنكا: «وإرشاد الناس إلى كيفية العثور على المعلومات بأنفسهم يجعل قضيتك أقوى».

- لكن لا يمكنني إرشادهم إلى المعلومات التي لا أستطيع العثور عليها. وجدتُ خيوط أدلة كثيرة لا أفهمها، مثل الحرير الأبيض.

قالت ماكيدا: «اشرحي لنا، ربما يمكننا مساعدتك».

أخرجت أناستازيا جهازها اللوحي وعرضت عليهم صورة: «هذه آخر صورة التُقطت في مستعمرة نيو هوب المدارية قبل الكارثة، ترَيان في خلفيتها مكوكًا يقترب، المكوك الذي فقد السيطرة وارتطم بالمحطة ودمرها». نقرت أناستازيا على الشاشة: «الدماغ الخلفي يربط الصورة بملايين الأشياء، معظمها ذات علاقة بالكارثة، تقارير إخبارية، وفقرات نعي، وتحليلات ديناميكية للانفجار. ثم يوجد هذا...».

عرضت عليهما قائمة مخزون بضائع يشمل لفافة قماش. حرير أبيض لؤلؤي: «تعقَّبتُ الأماكن التي ذهب القماش إليها، نصفه تقريبًا بِيع ليكون فساتين زفاف، وبعضه استُخدِم في الستائر، لكن ثمة خمسة عشر مترًا منه مجهول الاستخدام. ولا شيء تكون نهايته مجهولة في قوائم توزيع البضائع التي يعدُّها الرأس السحابي».

خمَّن بابا: «ربما كان القماش المتبقي مجرد قصاصات».

سمعوا صوتًا خلفهم: «أو ربما استخدمه شخص لم يدفع ثمنه».

كانت جيري متأخرة كعادتها، لكنها جاءت بالفكرة التي أحدثت الفرق كله. كان يوجد أشخاص بعينهم بوسعهم أخذ قماش باهظ الثمن دون سؤال ودون أن يضطروا إلى دفع الثمن. جلست جيري جوار أناستازيا، التي شرعت

بسرعة في العمل على جهازها اللوحي. لم يكن العثور على المعلومات صعبًا عليها عندما تعرف ما تبحث عنه.

قالت: «يوجد مئات المناجل المعروفون بارتدائهم عباءات ذات ألوان قريبة من الأبيض... لكن قرابة خمسين فقط حريرية... أما العباءات الحريرية باللون الأبيض اللؤلؤي، فليست شائعة». ثم صمتت لتستوعب ما تراه على شاشتها، والتفتت إلى الآخرين قائلة: «ثمة منجل واحد فقط يرتدي عباءات مصنوعة من ذلك القماش تحديدًا. المنجل دانتي أليغيري».

لم يدرك الآخرون أهمية الاسم، عدا تنكا، فابتسم لأناستازيا ابتسامة بانت لها نواجذه، وقال: «يا لها من كوميديا إلهية! كل الطرق تؤدي إلى أليغيري...».

قالت ماكيدا: «اسمه مألوف، ألم يكن من بيزنطة؟».

قال بابا: «من ترانسيبريا على ما أظن».

وعندئذٍ تشظَّت اللحظة بصليل حادٍّ عالٍ جعل جميع الحاضرين يقفزون. توقف الصوت، ثم عاد مرة أخرى.

قالت جيري: «آه، ها هو الجاني»، وأشارت إلى الهاتف الأثري العتيق الذي يعود إلى القرن العشرين في ركن صالة الطعام. كان أحد الهواتف القديمة المتصلة بخط تنكامنن الشخصي، ولم يرِن قط منذ مجيء أناستازيا. أطلق صليلًا آخر مثيرًا للسخط قبل أن يأمُر تنكامنن أحد الخدم برفع السماعة.

تكلم الخادم متلعثمًا قليلًا: «هذا الخط الشخصي لصاحب السمو النصل السامي تنكامنن، مَن المُتَّصِل؟».

استمع الخادم، وبدا مرتاعًا لوهلة، ثم تغيرت تعابير وجهه إلى الانزعاج. وضع السماعة وحاول العودة إلى خدمته.

سأله النصل السامي: «فيمَ كان ذلك؟».

- لا شيء يا صاحب السمو.

- بدا لي شيئًا.

تنهد الخادم: «كان طونيًّا يا صاحب السمو، يصدر صراخًا وعويلًا كحيوان. لا أدري كيف وجد ذلك التافه رقمك».

رن الهاتف مرة أخرى.

اقترحت المنجل ماكيدا: «بإمكاننا تعقُّب الاتصال».

كان تنكامنن متجهِّمًا، لم يغضب، بل بدا قلِقًا، قال للخادم: «يوجد زر أحمر يمين الجهاز، سيشغِّل مكبِّر الصوت. من فضلك أجب الهاتف واضغط الزر».

فعل الخادم ما أُمِر به، وعلى الفور اندلع صوت عويل دون كلمات من مكبر الصوت، كان ضجيجًا مفزعًا كأنه من عالم آخر، مُلِحًّا، حزينًا، يائسًا.

دفع تنكامنن كرسيه إلى الخلف بصرير عالٍ، ونهض واقترب من الهاتف، وظل واقفًا جواره، ناظرًا إليه مستمعًا إلى الصوت الفظيع، ثم فصل الهاتف أخيرًا.

قال بابا: «حسنًا، ذلك لم يكن ممتعًا». حاول أن يجعل من الحدث مزحة، لكن تنكامنن لم يكن في مزاج للمزاح، لبث واقفًا محدقًا إلى الهاتف الصامت، ثم التفت إلى جيري: «أين طاقم سفينتك في هذه اللحظة أيتها القبطان سوبرانس».

نظرت جيري إلى ما حولها، ومثل الجميع لم تفهم صِلة السؤال بما حدث قبل قليل: «إما أنهم ما زالوا في المدينة وإما عادوا إلى السفينة. لماذا؟».

- أخبريهم أنك ستبحِرين فورًا، وأننا سنأتي معك.

- أننا... من تقصد؟

- نحن كلنا.

نهضت أناستازيا. لم ترَ تنكا بهذه الحالة قط، دائمًا ما يكون هادئًا في الأوقات العصيبة، لكن الآن بدا متزعزعًا بشدة. سألته: «ماذا يجري يا صاحب السمو؟».

- هذا الاتصال ليس عشوائيًّا، أظنه تحذيرًا، تحذيرًا ينبغي لنا أخذه بجدية.

- وكيف عرفت؟

- المُتَّصِل كان أبي.

35

لحن جنائزي من عشرة أجزاء

I. استهلال

يبدأ العرض بترقُّب صامت. يقف قائد الأوركسترا، رافعًا يده، وجميع الأعيُن مُعلَّقة بعصاه الصغيرة الساكنة، كأن حركتها التالية ستجلب سحرًا أسود.

مقطوعة اليوم تُعد أعجوبة أوركسترالية، لحنًا جنائزيًّا من إبداع وأداء الأتباع الصَّخَّابين للطون والسحابي والناقوس الشهيد. لحن جنائزي يُعزَف ردًّا على عملية قطف مايل هاي التي وقعت على الجانب الآخر من المحيط.

أتسمعون اللحن الآن وهو يتصاعد في شوارع بورت رِممبرَنس؟ جمهرة أُناسٍ فانين لا يعرفون الكلمات وليس لديهم ألسِنة في عالم الخالدين. هؤلاء الصخابين استعدُّوا استعدادًا جيدًا للموسيقى التي سيعزفونها اليوم، أما الذين يسمعونها فلا مَنجى لهم.

II. يوم الغضب

جميع عربات الإطفاء صارت آلية، لكنها ما زالت تُصمَّم بحيث تتطلَّب وجود سائق بشري خلف عجلة القيادة، لأن هذه هي رؤية الرأس السحابي.

وبالطبع إذا انعطف السائق البشري انعطافة خاطئة، فستتجاوز العربة السائق وتصحِّح خطأه.

فكَّر مدير إطفاء بورت رممبرنس بهذا الأمر كثيرًا. قبل تولِّيه الإدارة كان يتعمَّد ارتكاب الأخطاء في أثناء القيادة لا لشيء سوى تسلية نفسه، ليرى المدة التي ستستغرقها العربة حتى تدرك الخطأ وتصحِّح مساره. افترض أن الرأس السحابي كان بإمكانه استخدام روبوتات لأداء مهمة رجال الإطفاء، لكن الرأس السحابي لم يحب الروبوتات قط، ولم يستخدمها إلَّا لأداء الأعمال الشاقة المملة التي لا يريد أحد أداءها.

وهكذا كان رجال الإطفاء ما يزالون رجال إطفاء، لكن هذا لم يكن يعني أنهم يفعلون الكثير، فمتى ما نشب حريق، كان الرأس السحابي يراه وهو ما زال أكبر من شرارة قليلًا، وعادةً يتمكن من إخمادها، ونادرًا ما كان يعجز عن إخمادها فيستدعي رجال الإطفاء... بيد أن المدير صار يظن أن الرأس السحابي يشعل حرائق «آمنة» حتى يجد رجال الإطفاء مهمة يؤدونها.

عند السادسة والنصف مساء دوَّت صافرة إنذار في مركز الإطفاء. في الماضي كان الرأس السحابي يتكلم معهم ويشرح لهم تفاصيل الحريق الذي سيذهبون إليه، لكن بعد صمته صار يكتفي بإطلاق الإنذار وبرمجة أجهزة أنظمة الملاحة العالمية لديهم، وترْكهم يتدبَّرون أمرهم بأنفسهم.

لكن هذا اليوم كان غريبًا. لم تظهر وجهة على شاشاتهم، ولم تُفتَح أبواب المرأب. لكن الإنذار ما زال يدوِّي.

ثم فُجِّرت أبواب مركز الإطفاء فخُلِعت من مفاصلها واندفع عدد من الأشخاص داخلين، وعندئذٍ أدرك رجال الإطفاء أن الإنذار لم يكن إنذار حريق، بل تحذيرًا لهم من تعرُّضهم لهجوم.

طونيون!

تدفق عشرات منهم عبر الباب، وجميعهم يطلقون أصواتًا مزعجة مثل طنين النحل، جاؤوا مسلحين، أما رجال ونساء مركز الإطفاء فلم يكونوا مستعدين ليوم الغضب المفاجئ هذا.

وقف مدير الإطفاء مشدوهًا. أراد الدفاع عن مرؤوسيه، لكن كيف؟ وبماذا؟ لم يهاجم أحدٌ رجلَ إطفاء قط، ربما باستثناء المناجل من حين لآخر، لكن عندما يهاجم منجلٌ رجلًا، يُقطَف فحسب، لا يقاوِم. لكن هذا الوضع مختلف.

هؤلاء الطونيون يتركون الناس شِموتى يمينًا وشمالًا، ولا أحد يعرف ما ينبغي فعله.

قال لنفسه: *فكِّر! فكِّر*. كان مدرَّبًا على مكافحة النيران، لا مصارعة الناس. *فكِّر! لا بد من تصرُّف!*

ثم تذكَّر.

فؤوس الحرائق!

لديهم فؤوس حرائق! ركض المدير عبر المرأب ليحمل فأسًا. لكن أيمكنه فعلًا استخدامه ضد كائن بشري آخر؟ سيضطر، لأنه لن يسمح لهؤلاء الصخابين بالتسبُّب في شموت جميع رجال مركزه.

ومن ثم بدأ الطونيون يقذفون الحجارة نحو عربات الإطفاء، وجاء حجر باتجاه المدير، فأمسك به قبل أن يضربه.

لكنه لم يكن حجرًا على وجه التحديد، كان شيئًا معدنيًّا وعليه أخاديد خشِنة. تذكَّر المدير أنه رأى شيئًا كهذا في كتب التاريخ. *فكِّر! ماذا كان اسمه؟* آه، صحيح، قنبلة يدوية!

وبعد لحظة لم يعد المدير يفكر في أي شيء.

III. ذهول

كان النصل السامي تنكامنن رجلًا يحسب كل خطواته بتأنٍّ، رغم أنه يبدو نزويًّا لا مباليًا، لكن في الحقيقة كل جوانب حياته منظمة ومُخطَّط لها، حتى فوضى مهرجانات القمر تحدث تحت سيطرته.

أدرك أن الوقت يداهمه بعد مكالمة والده التحذيرية، لكنه عجز عن مقاومة رغبته، ذهب سريعًا إلى مسكنه المتواضع، ووجد صعوبة مع خادمه في تحديد الأشياء التي يحتاج إلى أخذها معه في خضم استعجاله. عباءة ثانية، بالطبع، لكن أينبغي أن تكون عباءة طقس بارد أم دافئ؟ من الذين ينبغي له إخطارهم بمغادرته؟ لا يجوز أن يختفي نصل سام دون تفسير. وجد نفسه مضطربًا حائرًا.

قال الخادم: «يا صاحب السمو، ألم تقل إننا في عجلة من أمرنا؟».

- نعم، نعم، بالطبع.

كما فكر تنكامنن في الأشياء ذات القيمة العاطفية التي لا بد من أخذها معه، مثل المسدس السَّبَجي المنقوش الذي أعطته إياه المخضرمة نزينغا في يوم تقلُّده منصب النصل السامي بدلًا منها، والخنجر الفضي الذي استخدمه في أول قطف له. إذا تعرض مسكنه للاجتياح والتخريب، فربما لا يرى مقتنياته الثمينة أبدًا، فعقد عزمه على أخذها معه.

لعشر دقائق ظل حائرًا فيما عليه أخذه وما ينبغي تركه، حتى سمع صوت انفجارات بعيدة.

IV. نحيب

- إذا كنا سنغادر ينبغي أن نغادر الآن!

كانت أناستازيا تسير جيئة وذهابًا قلقة في القاعة الكبيرة أسفل قبة القصر المركزية، ومعها جيري، في انتظار ظهور البقية: «أين تنكامنن والآخرون بحق الجحيم؟».

قالت جيري: «ربما تبالغين في ردة فعلك، تعاملتُ مع كثير من الطونيين، ولم أر منهم عنفًا قط، ربما يكونون مزعجين، لكنهم ليسوا عنيفين أبدًا».

- لم تري هؤلاء الطونيين! ما دام تنكامنن يرى أنهم يخططون لشيء، أصدِّقه.

- إذن فلنغادر دونه، يمكنه اللحاق بنا مع الآخرين.

- لن أتركه.

وعندئذٍ تردد في القاعة صدى انفجارات بعيدة، فتوقفت أناستازيا وجيري، فتناهت إلى مسامعهما أصوات مزيد من الانفجارات، كقصف رعد بعيد.

قالت جيري: «أيًّا يكن هذا، فهو ليس هنا في القصر».

- لكنه سيصل إلى القصر.

عرفت أناستازيا أن الانفجارات، مهما كان أمرها، نذير شؤم لأحداث أسوأ قادمة، وعدٌ غاضب بأن هذا اليوم سينتهي بالدموع.

V. نشيد التقديس

كانت الطونية الشابة مؤمنة مخلصة، تمتَثِل لأوامر خوريها، لأنه رجل طون حقيقي، مقدس ومُبرَّأ من كل خطيئة. خوريهم لم يتكلم منذ سنوات

عديدة، وفي يوم الرنين العظيم، اليوم الذي صمت فيه الرأس السحابي، كان أول من تخلَّى عن لسانه. الكلمات تكذب، وتتستَّر، وتشوِّه، وتُعِين على الإفلات من العواقب، وفوق كل شيء، تُدنِّس نقاء الطون.

واحدًا تلو الآخر، جميع طونيي جماعتهم جعلوا نذورهم دائمة، كما فعل خوريهم، ليس نذر صمت، بل نذروا التخلي عن جميع أصوات الحروف المتحركة. اللغة هي عدو الطونيين. هذا ما آمنت به طائفتهم، وبالطبع يوجد طونيون كثيرون لا يؤمنون بهذا، لكنهم سيَرون النور عما قريب، حتى الذين فقؤوا أعينهم.

بينما تولَّى فريق طونيين أمر مركز الإطفاء، وفريق آخر قسم ضباط السلام، قاد خوريهم الفريق الأكبر إلى القصر. جميعهم مسلحون بأسلحة من النوع الذي من المفترض ألا يحمله عامة الناس. وفَّرها لهم متبرع مجهول، مؤيد سري لقضيتهم. والطونيون لم يكونوا مدرَّبين على استخدام هذه الأسلحة، لكن فيمَ يهم التدريب؟ اضرب بالنصل، واضغط الزناد، واقذف القنبلة اليدوية، واضغط المفجِّر. ونظرًا إلى تسليح كثيرين منهم، لم يحتاجوا إلى مهارات عالية حتى يحققوا هدفهم.

كما كان لديهم كيروسين، في أباريق كثيرة.

حرص الخوري على أن تكون الفتاة جزءًا من موجة الهجوم الأولى. كانت خائفة، وفي الوقت نفسه مبتهجة بالمشاركة. الآن حان وقتهم! في أعقاب عملية قطف مايل هاي، والغضب على المناجل قد بلغ أشد درجاته، سيحذو الناس حذو الطونيين ويهتدون بهُداهم! سيهلِّلون لما سيفعله الطونيون هنا اليوم، وسيكون حدث إقليم جنوب الصحراء بوقًا لبقية العالم، يوقظهم ويهديهم إلى عظمة الطون والناقوس والسحابي. فلنبتهج!

فتحت الفتاة فمها لتترنم في أثناء اقترابها من القصر، وانضم إليها الآخرون، وأحسَّت بالرضا عن نفسها لأنها جعلتهم يبدؤون الترنم. كانوا عقلًا واحدًا، وروحًا واحدة، ووترًا واحدًا.

ومن ثَم، مُتسلِّقة على ظهور رفاقها، بدأت هي وعشرات الآخرين تسلُّق جدران القصر.

VI. حَمَل الرب

أناستازيا وجيري، مع المنجلين ماكيدا وبابا خلفهما، التقوا أخيرًا تنكامنن في حديقة الورد، في منتصف المسافة بين القصر وبين كوخ تنكا، وكان خادمه يصارع حقيبة ضخمة لا تتدحرج عجلاتها على حصى ممر الحديقة الضيق.

قالت ماكيدا لهم: «طلبنا مروحية، لكن وصولها من المطار سيستغرق عشر دقائق على الأقل».

أردف بابا: «إذا لم يكن الطيار في حانةٍ ما، كما في المرة السابقة».

قال تنكامنن لاهثًا قليلًا: «سنكون على ما يرام، ستأتي المروحية، وسيكون كل شيء على ما يرام».

ثم استدار ليقتاد المجموعة إلى منصة المروحية، في باحة القصر الغربية. ومن حولهم دبَّت الحركة في مجمع المباني بأكمله، هرول موظفو القصر في شتى الاتجاهات حاملين مقتنياتهم، وتدفق أفراد الحرس النصلي من ثكناتهم وتمركزوا في مواقع استراتيجية، وهذا على الأرجح ما لم يفعلوه إلَّا في تدريباتهم.

ثم سمعوا ضجيجًا من الغرب، جوقة أصوات متنافرة طنانة، وظهر أشخاص يقفزون فوق الجدار الغربي.

قال تنكامنن لمن معه: «لقد تأخرنا»، فتوقفوا.

دوَّت صافرات الإنذار في كل مكان، وشَرَع الحرس النصلي في العمل فورًا، أطلقوا النار على القوة المُقتحِمة، فأضافوا أصوات الرصاص للنشاز. تساقط الطونيون في كل مكان، لكن مقابل كل واحد يُسقِطه الحراس، يتسلق اثنان الجدار. لن يمر وقت طويل قبل أن يتغلب الطونيون بأعدادهم الكبيرة.

لم يكن تسليح هؤلاء الصخابين مقتصرًا على الحجارة، واستخدموا أسلحتهم على الحراس بوحشية صادمة. من أين حصلوا على هذه الأسلحة بحق الجحيم؟ ألا تُروِّج الطونية للسلام الداخلي وتقبُّل الآخرين؟

تمتمت أناستازيا: «لا بد مما ليس منه بد». مقولة الطونيين المفضلة اتخذت معنى جديدًا فظيعًا.

فُجِّرت البوابة الجنوبية الثقيلة، وتدفق عبرها حشد من الطونيين، اخترقوا صفوف الحرس النصلي في ثوانٍ وبدؤوا يقذفون ما بدا كقناني كحول تتدلَّى منها خِرق قماش مشتعلة، واشتعلت النيران حيثما تهشمت القناني.

قال بابا مذعورًا: «يريدون حرقنا حتى يتعذر إنعاشنا! كما كان يفعل المنجل لوسيفر!».

همَّت أناستازيا بالرد عليه بحِدَّة لمجرد ذِكره روان في سياق حديثه عن هذه الطائفة الطونية المنحرفة، لكنها تمالكت نفسها.

وعندما رأوا تمدد المعركة إلى منصة المروحية أمامهم، طلب تنكامنن من رفاقه تغيير اتجاههم، قال: «إلى الفناء الشرقي! هناك مساحة كافية لهبوط المروحية! هيا!».

عادوا أدراجهم، وعبروا حديقة الورد، متعرِّضين لخدوش الأشواك ووخزاتها، لكن قبل وصولهم إلى الفناء الشرقي، رأوا أن هذا الجزء من القصر أيضًا اختُرق، انتشر الطونيون في كل مكان، يهاجمون كل من يركض خارجًا من جناح موظفي القصر، ويتركونهم شِموتى بلا رحمة.

قالت أناستازيا: «لماذا يهاجمون موظفي القصر؟ أي سبب قد يدفعهم لهذه الوحشية؟».

قالت المنجل ماكيدا: «إنهم لا يتصرفون بعقلانية، وعديمو الضمير والشرف».

سقط خادمهم، الذي كان حريصًا كل الحرص على أماكن أدوات المائدة الفضية، إثر طعنة بسكين على ظهره.

عندئذٍ التفت بابا إلى تنكامنن، وزعق: «كان ينبغي لك أن تحصِّن القصر! وتزيد أعداد الحرس النصلي! أو حتى تقطف قطيع الطونيين هذا قبل أن يهاجمونا! كل هذا خطؤك!».

كوَّر تنكامنن يديه واندفع غاضبًا نحو بابا، لكن جيري وقفت بينهما قائلة: «يمكنكما تسوية نزاعكما لاحقًا، علينا أن نعيش الآن لنحظى بهذا الشجار في وقت آخر».

نظرت أناستازيا إلى ما حولها. كانوا تحت ستار الظلام، لذا لم يرَهم الطونيون حتى الآن، لكن الظلام لن يدوم مع تعاظُم النيران.

ومن ثَم، كأنما الجلبة التي حولهم ليست كافية، سمعوا طنينًا جديدًا، وهبط من السماء سِرب مُسيَّرات إسعاف، جاءت من أقرب مركز إنعاش عندما بدأ شِموت الناس.

اقتربت المُسيرات من الجثث المتناثرة على العشب والفناءات، جثث الطونيين، والحرس النصلي، وموظفي القصر، لم تفرِّق بين الموتى والشموتى. رفعتهم بأذرعها الشبيهة بمجسَّات الحشرات، وحملتهم إلى مراكز الإنعاش.

قال المنجل بابا: «إنها مَخرجنا! من يحتاج إلى مروحية؟». ودون أن ينتظر إذن النصل السامي، ركض عبر فناء نحو أقرب مُسيَّرة إسعاف، كخروف إلى المسلخ.

صاح تنكامنن: «أحمدا لا!». لكن بابا حسم أمره ولم يلتفت.

حالما رأى الطونيون عباءة منجل، تركوا ما يفعلونه وطاردوا بابا، واعترضوا طريقه. استل نصاله من عباءته، وأسقط عددًا من الطونيين حوله، لكن بلا جدوى، تكالبوا عليه وألقوه على الأرض، وهاجموه بكل ما يحملونه، حتى أسلحته.

حاولت المنجل ماكيدا الذهاب لمساعدته، لكن أناستازيا أوقفتها: «لا يمكننا فعل شيء له الآن».

أومأت ماكيدا لكنها لم تبعد ناظريها عن رفيقها المُجندَل، وقالت: «ربما يكون أوفرنا حظًّا، إذا قتلوه ستحمله المسيرات إلى مركز إنعاش».

لكن المسيرات لم تذهب إليه، كانت الجثث كثيرة في أنحاء القصر، كما لم تكن المسيرات تفرِّق بين جثة وأخرى.

وعندئذٍ أدركت أناستازيا: «إنهم يقتلون موظفي القصر ليشغلوا المسيرات... حتى لا تتفرغ لإنقاذ المناجل...».

ومع عدم وجود مُسيَّرة تحمل بابا، أمسك الطونيون بجثته وسحبوها نحو محرقة مشتعلة ستُحِيله رمادًا يتعذر إنعاشه. قذفوه فيها، فارتفعت ألسنة اللهب.

قال تنكامنن: «إلى القصر!». ومرة أخرى تقدم رفاقُه، كأنما الحركة الدائبة ستخفف إحساسهم بالحصار.

VII. مبارك

اندفعوا إلى داخل القصر، حيث كان يوجد قرابة ستة من الحرس النصلي أغلقوا الباب البرونزي الثقيل خلفهم واتخذوا مواقع دفاعية تحسُّبًا لاقتحام الطونيين للمكان. أخيرًا حظوا بلحظة سلام، مُتَّسع من الوقت لاستعادة التركيز في خضم الجنون، والتركيز قد يعني الفرق بين الحياة أو الموت بإذلال مثل المنجل بابا.

كانت نوافذ القصر كثيرة، لكن جميعها تواجه البَهْو المركزي، لذا كانت قبة احتفالات النصل السامي حِصنًا منيعًا. والسؤال كان: منيعًا إلى أي درجة؟

قالت المنجل ماكيدا: «لا بد أنهم جمعوا كل صخَّاب في جنوب الصحراء من أجل هذا الهجوم».

أصر تنكامنن: «سيكون كل شيء على ما يرام، ضباط سلام بورت رممبرنس سيأتون ليقاتلوا مع الحرس النصلي، ورجال الإطفاء سيخمدون النيران. سيكون كل شيء على ما يرام».

قالت ماكيدا: «ينبغي أن يكونوا هنا بحلول هذا الوقت! لماذا لا نسمع صافرات إنذار سياراتهم؟».

كانت أناستازيا، بفطنتها المعهودة، هي من أبلغتهم الخبر السيئ: «الانفجارات الأولى، البعيدة...».

تكلم تنكامنن بنبرة أقرب إلى التهديد، متشبثًا بطوق نجاته: «ماذا عنها؟».

قالت: «حسنًا، إذا أردتُ شن هجوم مخالف للقانون، فسأتخلص أولًا من ضباط السلام ورجال الإطفاء».

اعتراهم الوجوم إثر إدراكهم حقيقة كلامها. ثم التفت تنكامنن إلى خادمه الذي يفرك يديه مرتعبًا: «أين أغراضي؟».

- آسف يا صاحب السمو، تركت الحقيبة في حديقة الورد.

حدجت جيري النصل السامي بنظرة نارية: «إننا على وشك الموت ثم الحرق، وأنت قلِق على أغراضك؟».

لكن قبل أن يرد النصل السامي عليها، اقتحمت شاحنة مشتعلة باب القصر البرونزي الضخم، فسقط وسحق أربعة من الحرس النصلي، وتدفق الطونيون إلى الداخل.

أمسكت جيري بأناستازيا وجذبتها إلى خلف عمود بعيدًا عن أعين الآخرين، وقالت لها: «لدي فكرة، لكن عليك أن تثقي بي».

VIII. قربان

وجد الخوري الصخَّاب نفسه في عالمه المفضَّل. هذا ما وُلِد من أجله، غايته التي يخطط لها منذ سنوات. حتى قبل صمت الرأس السحابي كان يعرف أن هذا اليوم سوف يأتي. نسخته المتطرفة من الطونية ستكون السائدة والمُهيمِنة عما قريب، وكل الطونيين الأقل منه الذين يؤمنون بالسلام والتسامح والإذعان السلبي سوف يموتون ويحترقون عما قريب، كما سيحترق نصل سامي جنوب الصحراء اليوم. انتهى زمن الكلمات، انتهى منذ مدة طويلة. ويرى الخوري، إذا أمكنه، أن يجرِّم استخدام اللغة نفسها ويستبدل بها التزلُّف دون كلمات إلى الطون والناقوس والسحابي، كما ينبغي أن يكون الحال. وسوف يصبح الخوري السامي ويتولى كل شيء بنفسه. سوف يكون يومًا مجيدًا. لكن أولًا عليه إكمال مهمته هذه.

رأى الخوري منجلًا يرتدي عباءة فيروزية يركض صاعدًا السلالم محاولًا الهروب، فأشار إليه، واندفع ستة من رعيته خلف المنجل. وأمامه رأى امرأة ترتدي عباءة حريرية برتقالية فاتحة، عرف أنها المنجل ماكيدا، تقاتل بمهارة وتقطف الطونيين الذين يهاجمونها. كانوا طونيين مخلصين راسخي الإيمان، يُضحُّون بأنفسهم في سبيل القضية. ثم تمكن أحدهم من الاقتراب من ماكيدا من خلفها وطعنها، فتسمَّرت المنجل وشهقت، ثم سقطت كدُمية قماشية مفارقةً الحياة. أمسك ثلاثة طونيين بها وسحبوها نحو الخارج إلى المحرقة ولهيبها المُطَهِّر.

قالت إحدى الخادمات للخوري وهي جوار السلالم مع النصل السامي تنكامنن: «لن تكون أفضل من غودارد إذا أحرقتنا! إذا واصلتَ ما تفعله فالشيء الذي تعبُده نفسه لن يسامحك».

وضع النصل السامي يده بحزم على كتفها ليسكِتها، لكن عينيها ظلتا غاضبتين متحدِّيتين. إذا كان الخوري قادرًا على الكلام، لقال لها إن الكلمات، كل الكلمات، يبغضها الطون، وإن السبب الوحيد الذي منع الطون من تهشيم جمجمتها برنين غاضب هو أن مهمة تطهير العالم من التافهين متروكة للخوري وأمثاله. لكنه لم يقل لها، لأن أفعاله كانت أبلغ من أقواله.

لكن النصل السامي اضطر إلى الكلام.

توسل تنكامنن: «أرجوك...».

عرف الخوري ما سيسمعه. هذا المنجل المتعجرف، الجبان، جالب الموت غير الطبيعي، سيتوسل للإبقاء على حياته. فليتوسل. أُذُنا الخوري ليستا صماوين، مثل آذان أعضاء بعض الطوائف الأخرى، لكنهما لا تسمعان على أي حال.

قال تنكامنن: «أرجوك... لك أن تنهي حياتي، لكن اعفُ عن هاتين الاثنتين، ليست لديك مشكلة مع الخادمة ومدبرة المنزل».

تردد الخوري. كان يرغب في إنهائهم جميعًا، لأن كل من يعمل في خدمة منجل يستحق مصير المنجل. الذنب بالتبعية. لكن النصل السامي قال: «أظهر لأتباعك المعنى الحقيقي للرحمة، كما رحمني والداي، أبي وأمي، كلاهما منكم».

كان الخوري يعرف هذا عن النصل السامي، توسَّل والداه بصمت حتى لا يكونا ضمن المجموعة التي ستهاجم القصر. فامتثل الخوري لهما بإرسالهما إلى مركز الإطفاء، ومن الواضح أنهما أدَّيا مهمتهما كما ينبغي. تنكامنن لن يجد رحمة، لكن إكرامًا لوالديه، رأى الخوري أن يحترم رغبة الرجل الأخيرة، فسحب مسدسًا وأطلق النار على قلب تنكامنن، ثم أشار للخادمتين بالانصراف.

كانت رحمة بسيطة. وبالطبع على الأرجح ستُقتل الخادمتان بالخارج في الحدائق وتُقذفان في المحرقة، لكن المُسيَّرات تحمل كثيرًا من الشميتين، لذا لديهما فرصة ضئيلة.

لكن عندئذٍ نهضت مدبرة المنزل، وعيناها تُشِعَّان غضبًا، وسلَّطتهما على الخوري كأنهما عينا منجل.

انقضت على أقرب طونية، وأسقطتها بركلة فنون قتالية متقنة، وأخذت سيفها، وهوَتْ به على الخوري فقطعت يده التي تحمل المسدس.

مصعوقًا شاهد الخوري يده تطير في الهواء، ثم أخذت المرأة المسدس من اليد المقطوعة، وصوبته نحو الخوري. لم تتكلم، لأن أفعالها كانت أبلغ من أقوالها.

IX. ضوء أبدي

لم تثق جيريكو بغريزة أناستازيا، لم تصدق خطورة الوضع كما أوضحته. كان تقديرًا سيئًا من جانب جيري. كان بوسعهم الهروب قبل أن يتجاوز الطونيون الجدار الخارجي. تعهَّدت القبطان مع نفسها بعدم التشكيك فيها أبدًا. إذا أفلحا في النجاة بحياتيهما. وعندئذٍ بدت النجاة بعيدة المنال.

عندما اقتحم الطونيون القصر، أقنعت جيري أناستازيا بتبديل ملابسهما. توسلت جيري: «مهمتي هي حمايتك، أرجوك يا أناستازيا، دعيني أفعل هذا من أجلك، امنحيني الشرف!».

عندما عبَّرت جيري عن رغبتها بهذه الطريقة، لم تستطع أناستازيا الرفض، بقدر ما لم ترغب في تعريضها للخطر.

ارتدت جيري عباءة أناستازيا، وركضت صاعدة السلالم، فاجتذبت نصف الطونيين. لم تكن تعرف جميع غرف وأجنحة القصر العليا، لكن كانت معرفتها بها أفضل من معرفة المهاجمين. استدرجتهم إلى جناح أناستازيا، ثم عادت عبر باب جانبي إلى صالون خارجي. كانت أروقة القصر أقرب للمتاهة فصعَّبت محاصرة جيري سريعًا، لكن ليس لمدة طويلة. ثم سمِعَت صوت طلقة مسدس من الطابق السفلي، ثم طلقة أخرى. ورأت ألَّا تفكر بالطلقات، وتركز على إبقاء الطونيين الذين يطاردونها خارج المعركة.

أشعل الطونيون الغزاة حرائق لا تُحصى في أنحاء القصر، فأضاءت الأعمدة والأجنحة العليا بألسنة لهب متموجة مسعورة، وجعلت النيران المتراقصة كل ظل يبدو كشخص يندفع من الظلام، لكن الظلال وفَّرت لجيري غطاءً لخداع مطارديها.

انسَلَّت جيري إلى جناح آخر، لكن لعدم اعتيادها العباءة علِقت في عضادة الباب، وقبل أن تتمكن من تحرير نفسها، وصلها الطونيون، ملوِّحين بأسلحة من الواضح أنهم غير معتادين استخدامها. جيري لم تكن منجلًا، لكن لديها خبرة في القتال بالأسلحة، وفي وقتٍ ما كانت ترتاد أندية القتال. كان الناس يحبُّون مشاهدة قتال المدغشقريين، بطريقةٍ ما كان الغموض الذي يلف جنسهم يجعل المعركة أشد تشويقًا.

واليوم اختار هؤلاء الطونيون المدغشقري الخطأ.

كانت أناستازيا قد تركت نصلًا في أحد جيوب عباءتها، أخرجته جيري وقاتلت كما لم تقاتل من قبل.

X. حرِّرْني

أخطأت أناستازيا التصويب. سحقًا! أخطأت الخوري!

عندما رأت طونيةٌ شابة أن خوريها على وشك أن يُقطَف، دفعته بعيدًا وتلقَّت الرصاصة بدلًا منه، وركض الخوري متألمًا ممسكًا بطرف ذراعه الأبْتَر، ركض كجبان إلى حشد الطونيين الذين ما زالوا يتدفقون إلى البهو الكبير.

مات تنكامنن، وكذلك ماكيدا وبابا. الطونيون الذين رأوا أناستازيا تطلق النار على الخوري لبثوا مصعوقين غير متأكدين مما عليهم فعله. كانت على وشك قطفهم جميعًا في خضم غضبها، لكنها تمالكت نفسها، لأن القطف في حالة الغضب لا يليق بالمنجل، كما تذكرت أمرًا أكثر أهمية: جيري.

ركضت صاعدة السلالم، ولم يلاحقها أحد، كانوا مشغولين بإضرام النار في كل شيء قابل للاشتعال.

تابعت جلبة قتال إلى أحد أجنحة الضيوف غير المستخدَمة، ورأت بضعة صخابين شميتين وخيط دماء على الأرضية، فتابعت الدماء إلى غرفة، ووجدت ثلاثة طونيين آخرين يهاجمون جيري. كانت جيري على الأرض تصد ضرباتهم، لكنهم يفوقونها عددًا وبدت معركتها خاسرة.

قطفت أناستازيا الطونيين الثلاثة بأسلحتهم وجثت على الأرضية، وحاولت سريعًا تفقُّد جراح جيري. وجدت العباءة الفيروزية مبتلة بالدماء، فنزعتها ومزقتها لتجعل منها عاصِبة لإيقاف النزيف.

قالت جيري: «سـ... سمعت طلقات مسدس».

كانت جراحها بليغة لن تستطيع وحداتها المجهرية معالجتها، لن تلتئم دون مساعدة. قالت أناستازيا: «تنكامنن مات، مات وهو يحميني».

قالت جيري بصوت واهن: «ربما، ربما لم يكن سيئًا بالقدر الذي ظننتُه».

- لقال الكلام نفسه عنك إذا كان حيًّا.

بدأ دخان كثيف يدخل عبر كل باب مفتوح. ساعدت أناستازيا جيري على الوصول إلى صف الأعمدة المطلة على البهو المركزي، ورأتا كل شيء بالأسفل

مشتعلًا. ما من طريقة للهبوط عبر السلالم. ثم خطرت لها فكرة، مخرج من المأزق، ربما تكون فرصتهما الوحيدة.

سألت جيري: «أيمكنك التسلق؟».

- يمكنني المحاولة.

ساعدتها على الصعود إلى الطابق الأعلى، ثم سارتا عبر جناح آخر إلى شُرفة، وجوار الشرفة كانت توجد درجات سلم مثبتة في حجارة الجدار، رأت أناستازيا العمال يستخدمونه للوصول إلى القبة البرونزية التي تغطي القصر. درجة تلو درجة أوصلت أناستازيا جيري إلى حافة القبة، التي كانت مصمَّمة بانحدار طفيف ومزيَّنة بنقوش ونتوءات أعانتهما على تثبيت أقدامهما، لكن بالنسبة إلى جيري المُستنزَفة لا بد أن القبة بدت كجبل إفريست.

- كـ كيف سيساعدنا التسلق إلى...

قالت أناستازيا: «اصمتي وتحركي». لم يكن لديها وقت للشرح.

كانت القبة ساخنة من النار المشتعلة في البهو المركزي بالأسفل، وبدأت كوَّات السقف الزجاجية تنفجر من الحرارة وتنفث دخانًا أسود.

عندما بلغتا قمة القبة، وجدتا دوَّارة رياح على شكل رمز هيئة المناجل -النصل المعقوف والعين التي لا ترمش- تدور يمينًا وشمالًا، غير متأكدة من اتجاه الرياح، لأن الحرارة تجعل الرياح تهب للأعلى مباشرة.

وعندئذٍ، أخيرًا، وصلت مروحية هيئة المناجل، اتجهت مباشرة إلى المنصة، وطياراها لا يعرفان أن الطونيين اجتاحوا القصر بأكمله.

قالت جيري: «لن يرونا».

- لم نصعد إلى هنا من أجل المروحية.

ثم مرت جوارهما مُسيَّرة إسعاف، ثم أخرى، وأخرى، هبطت نحو حديقة الورد، التي امتلأت بالحراس والطونيين الشميتين. قالت أناستازيا: «صعدنا من أجل تلك المسيَّرات». وحاولت الإمساك بمسيَّرة، لكنها كانت تتحرك بسرعة وليست قريبة بما يكفي.

وبالأسفل أخطأت المروحية خطأً فادحًا. عندما رأى الطيار المسيرات تطنُّ حوله، ناوَر ليتفاداها، ولم تكن مناورته ضرورية، لأن المسيرات عادة ما تبتعد عن مسار المروحية، لكنها لم تستطع تجنُّب الخطأ البشري المفاجئ

الذي يضع المروحية في مسارها مباشرة. شطرت شفرة المروحية إحدى المسيرات، وانكسرت الشفرة، فانحرفت المروحية نحو القصر.

أمسكت أناستازيا جيري واستدارتا بعيدًا. بدا الانفجار كأنه يزلزل العالم بأكمله، وأحدث فجوة في القصر، فتهدمت عدة أعمدة رخامية من التي كانت تسند القبة البرونزية الضخمة.

وبدأت القبة تميل إلى جانب.

ثم شعرتا بارتجاج عنيف بالأسفل. قالت أناستازيا مع نفسها: *إنها الأعمدة المتبقية، لا يمكنها تحمل الوزن، إنها تتداعى...*

وما زالت المسيرات تطن جوارهما في طريقها إلى الشموتى في الحدائق والباحات.

قالت جيري: «جراحي بليغة، لكنها ليست مميتة. إذا أردنا اجتذاب مسيرة إسعاف، فلا بد أن يموت أحدنا».

صار اللهب يمد ألسنته عبر كوّات السقف المتشظية، ودوّت أصوات تحطُّم الأعمدة بالأسفل، وازداد ميلان القبة.

كانت جيري محقة، ما من طريقة أخرى، فأخرجت أناستازيا نصلًا وصوبت طرفه نحو صدرها، متأهِّبة للشموت حتى تأتيهم مسيرة إسعاف.

لكن لا! فيمَ كانت تفكر؟ يا للغباء! الوضع الآن ليس مثلما قذفت بنفسها من سقف زينوقراط عندما كانت متتلمذة. إنها منجل الآن، إذا أنهت حياتها فسيُعد فعلها قطفًا ذاتيًا، ولن تقترب مسيرات الإسعاف منها. وفي أثناء تفكيرها في حماقة ما أوشكت على فعله، أخذت جيري النصل منها بلطف.

قالت: «من أجلك، أيتها المنجل المبجلة أناستازيا، إنني مستعدة للموت بيدي ألف موتة، لكن واحدة ستكفي». ثم غرزت النصل في صدرها.

شهقت، وسعلت، وارتسم الألم على وجهها. شماتت.

مرَّت جوارهما مسيرة مسرعة... ثم توقفت في الهواء وعادت إليهما، جاءت من أجل جيري، أمسكت بقبطان الاستنقاذ بأذرعها، وعندئذٍ بدأت القبة تنهار.

حاولت أناستازيا التعلُّق بمسيرة الإسعاف، لكن لم تجد شيئًا تمسك به، فأمسكت بذراع جيري بكلتَي يديها بكل ما لديها من قوة.

وأسفلها انهارت القبة في نيران البهو المركزي، وارتطمت بالأرض مدمرةً كل ما بقي من القصر، وأصدرت رنينًا معدنيًّا قويًّا أشبه برنين جرس حِداد، مثل نوتة لحن جنائزي أخيرة حزينة.

وبالأعلى حملت مسيرة الإسعاف القبطان الشميتة والمنجل المتدلية من ذراع القبطان، وأوصلتهما إلى مكان يهِب الحياة لكل من يدخل عبر أبوابه.

نَشَبَ بيننا خلافٌ مُحتدِم. ثمانية منَّا يرون وجوب وجود مؤسَّسة بشريَّة تتولَّى مسؤوليَّة الحد من زيادة عدد السُّكَّان، لكن الأربعة المعارضين للفكرة مُتشبِّثون برأيهم، كونفيوشس، وإليزابيث، وسافو، وكينغ يُصرِّون على أنَّنا لسنا مستعدِّين لتحمُّل هذه المسؤوليَّة بقدر عدم استعدادنا للخلود، لكن الحل البديل الذي يقترحونه يرعبني، لأنَّ خطَّتهم، إذا نفَّذناها، ستكون كماردٍ أُخرِج من قُمْقُمه، لن نسيطر عليها أبدًا. لذا أؤيد بروميثيوس والآخرين. علينا أن نؤسِّس جمعيَّة عالميَّة تضُم الشُّرفاء من جالبي الموت. سنسمِّي أنفسنا بالمناجل ونؤسِّس هيئة مناجل عالميَّة.

السَّحابة الواعية، التي لا تتدخَّل في شؤون الحياة والموت، تؤيِّد الفكرة، وسوف يدرك النَّاس بمرور الوقت الحكمة التي تنطوي عليها. أمَّا المعارضون الأربعة بيننا، فسيتعيَّن عليهم قبول رأي الغالبيَّة، حتى نظهر أمام العالم جَبْهةً موحَّدة.

ورغم هذا، أتساءل أيُّهما أسوأ: أن نحاكي الطَّبيعة بكلِّ قسوتها ووحشيَّتها، أم نأخذ على عاتقنا، رغم عدم مثاليَّتنا، مَهمَّة إضفاء التَّعاطف على الموت، التَّعاطف الذي تفتقر إليه الطَّبيعة.

الأربعة المعارضون يرون أن نتَّخذ الطَّبيعة نموذجًا، لكنَّني لا أؤيِّد هذا الرَّأي، ولن أؤيِّده ما دُمتُ أملك ضميرًا.

- من «الصَّفحات المفقودة» من مُذكِّرات المنجل المؤسِّس دافنشي

36

من تطيعون؟

رغم أن الرأس السحابي كان قد تنبأ بما حدث، لم يكن غريسن يحتاج إلى الرأس السحابي ليخبره أن أول ردة فعل على عملية قطف مايل هاي ستكون من الطونيين الصخَّابين. السؤال كان أين ومتى ستكون ردة فعلهم؟ هل ستكون ضد غودارد مباشرة؟ أم في مكان آخر أقل استعدادًا لمجزرة المتعصبين العنيفين؟

ثم تلقى غريسن الإجابة عندما رأى صور قصر جنوب الصحراء وحطامه المحترق.

علَّق الخوري مندوزا: «العنف يُفضي إلى العنف. ما حدث يستدعي تغيير نهجنا، ألا تتفق معي؟».

اعترى غريسن إحساس قاهر بأنه فشل. لأكثر من عامين ظل يصارع الصخابين ليضبط سلوكهم ويحملهم على التخلي عن أفكارهم المتطرفة، لكنه لم يذهب إلى جنوب الصحراء. هذه الكارثة ربما ما كانت لتحدث إذا أدى مهمته أداءً أفضل.

قال مندوزا: «إذا كانت لدينا وسيلة نقل خاصة بنا، لأمكننا التنقل بسرعة ومعالجة المشكلات في مزيد من الأقاليم».

قال غريسن: «حسنًا، أنت الفائز. اجلب لنا طائرة خاصة وحلِّق بنا إلى جنوب الصحراء. أريد ملاقاة أولئك الطونيين قبل أن يفاقموا الأوضاع».

اتضح أن الطائرة هي وسيلتهم الوحيدة للوصول إلى الإقليم، فبعد الهجوم شددت هيئة مناجل جنوب الصحراء قبضتها، وتجاوزت حدود صلاحياتها، وحوَّلت الإقليم إلى ما يشبه دولة بوليسية في عصر الفانين.

أعلنوا: «ما دام الرأس السحابي لن يؤدي مهمته ويقبض على أولئك المجرمين، فتولِّي المسؤولية يقع على عاتقنا نحن مناجل جنوب الصحراء». وبما أن المناجل يمكنهم، بموجب القانون، فعل كل ما يريدونه، لم يكن بالإمكان منعهم من بسط سلطتهم، وفرض حظر التجول، وقطف كل من يقاومهم.

حُظِر الطونيون رسميًّا من السفر إلى جنوب الصحراء، وراقبت هيئة المناجل جميع الرحلات الجوية التجارية رقابة مشددة لم يشهدها الناس منذ عصر الفانين. والمأساة في كل هذا أن هيئة مناجل جنوب الصحراء كانت متسامحة متمسِّكة بأرفع القيم الأخلاقية، لكن الآن، بسبب الصخابين، صارت تميل إلى جانب غودارد، الذي وعد العالم بالانتقام من الطونيين. ولم يكن ثمة شك في أن نصل سامي جنوب الصحراء الجديد، أيًّا يكن، ستكون عباءته مرصعة بالجواهر.

نشرت هيئة مناجل جنوب الصحراء عشرات من وحدات الحرس النصلي لتجوب شوارع بورت رممبرنس وجميع مدن الإقليم، وكذلك الغابات، بحثًا عن الطونيين الذين قتلوا نصلهم السامي، لكن لم يحالفهم الحظ، لم يعرف أحد مكان اختباء الصخابين.

لكن الرأس السحابي كان يعرف.

وخلافًا للرأي السائد، لم يتهرب الرأس السحابي من مسؤولية تحقيق العدالة، بل اتبع وسيلة مختلفة فحسب، طائرة خاصة فخمة قادرة على الهبوط العمودي.

علَّق موريسن مستمتعًا بمقعده الوثير: «بإمكاني اعتياد هذا التغيير».

قال غريسن له: «لا تعتَده». وتوقع أنَّ المرء حالما يبدأ السفر بمثل هذه الوسيلة الفخمة، فلن يسهل عليه التخلي عنها. كانوا أربعة ركاب، ليس من بينهم طيار، لكن غياب الطيار لم يكن مشكلة، لأن الرأس السحابي يعرف وجهتهم معرفة دقيقة.

قالت الأخت آستريد: «لنا أن نقول إن الثالوث المقدس ينقُلنا».

قال موريسن: «في الحقيقة لا، لأنني أرى اثنين فقط من الثلاثة: الناقوس» -أومأ ناحية غريسن- «والسحابي» -أشار إلى قمرة القيادة الآلية- «لكن الطون غير موجود».

قالت آستريد مبتسمة: «ها! إنك مخطئ. ألا تسمع غناءه في هدير المحركات؟».

كان ثمة إحساس، بأنهم لا يحلِّقون نحو وجهة فحسب، بل ومصير أيضًا.

***

- أنا الخوري مندوزا، الخادم المتواضع لصاحب الصدى، الناقوس، الذي ترونه أمامكم، الطون متجسدًا. فلنبتهج!

«فلنبتهج!». ردد موريسن وآستريد الكلمة. ورأى غريسن أن ترديد الكلمة لكان أكثر إثارة للإعجاب إذا كانت حاشية الناقوس أكبر.

انخفضت طائرتهم وهبطت هبوطًا عموديًّا مدهشًا أمام كهوف أوغبونيكي، شرق منطقة كان اسمها نيجيريا ذات يوم، لكن الآن صارت جزءًا من إقليم جنوب الصحراء. الكهوف والغابة المحيطة بها تحت رعاية الرأس السحابي، وكل ما فيها محمي، كل ما فيها عدا عن الصخابين المختبئين في ممرات الكهوف المتعرجة الغامضة. يقال إن الصخور في كهوف أوغبونيكي كانت تتكلم ذات يوم. وهذا يجعلها اختيارًا غريبًا لطائفة من الطونيين البُكم.

عندما وصل غريسن وفريقه، لم يظهر الصخابون في أنحاء المكان، كانوا مختبئين في أعماق الكهوف، وعلى الأرجح توغَّلوا في أعماقها أكثر عندما سمعوا هدير الطائرة. لكن الرأس السحابي أرغمهم على الخروج، بأن أصدر موجات صوتية أزعجت آلاف الخفافيش التي تعيش في الكهف، فجعلها... تتبرز بلا انقطاع. هاجمت الخفافيش المنزعجة الطونيين ودفعتهم إلى خارج الكهف، حيث توقعوا مواجهة كتيبة من الحرس النصلي، لكنهم وجدوا أربعة أشخاص، أحدهم يرتدي رداءً بنفسجيًّا مبهرجًا ووشاحًا عليه نقوش موجات صوتية متدفقة كشلال.

سألهم مندوزا: «أين خوريكم؟».

وقف الطونيون في أماكنهم وقفة تحدٍّ. الناقوس مات، وصار شهيدًا. كيف يجرؤ هذا المحتال على تلطيخ ذكرى الناقوس؟

هكذا الحال دومًا مع الصخابين.

قال مندوزا: «فليتقدم قائدكم. يجدر بكم احترام الناقوس».

لم يتحرك أحد. طلب غريسن بصوت خافت من الرأس السحابي أن يساعده قليلًا، فلبَّى الرأس السحابي طلبه بسرور، متكلِّمًا بهدوء في أذن غريسن.

تحرك غريسن نحو طونية، امرأة ضئيلة الحجم تبدو متضورة جوعًا، فتساءل غريسن عما إذا كان الجوع جزءًا من ممارسات هذه الطائفة. تزعزعْ ثبات المرأة عند اقترابه منها. كانت خائفة منه. قال مع نفسه: جيد، *نظرًا إلى ما فعله هؤلاء الناس، ينبغي أن تخاف.*

مال مقتربًا منها، فانكمشت، ثم همس في أذنها: «شقيقك هو من فعلها. كل الناس يظنون أنك الفاعلة، لكن الفاعل كان شقيقك».

لم تكن لدى غريسن فكرة عما فعله شقيقها، لكن الرأس السحابي كان يعرف، وأخبر غريسن ما يكفي لإحداث التأثير المطلوب. اتسعت عينا المرأة، وارتعشت شفتاها، وندَّتْ عنها شهقة دهشة خافتة، وعجزت عن الكلام لأكثر من سبب. قال غريسن لها: «والآن اجلبي لي خوريكم».

لم يبدر عنها أي تردد، استدارت وأشارت إلى أحد الواقفين في الحشد. كان غريسن يعرف أنه الخوري سلفًا بالطبع، إذ عرفه الرأس السحابي حالما خرجوا من الكهف، لكن كان من الضروري أن يتعرض الخوري للخيانة من أحد أتباعه.

تقدم الرجل وقد افتُضح أمره. كان تجسيدًا للطوني الصخَّاب، ذا لحية رمادية شائكة، وعينين وحشيتين، وندوب على ذراعيه توحي بأن الرجل سبَّبها لنفسه. لتمكن غريسن من تمييزه حتى لو لم يخبره الرأس السحابي.

- هل أنتم الطونيون الذين أحرقوا النصل السامي تنكامنن والمنجلين ماكيدا وبابا؟

بعض الطوائف الصامتة تستخدم لغة الإشارة للتواصل، لكن هذه المجموعة لا تستخدم سوى أبسط الحركات، كأنما التواصل نفسه عدوُّهم.

أومأ الخوري إيماءة واحدة.

- هل تصدق أنني الناقوس؟

لم تبدُر من الخوري حركة. وحاول غريسن مرة أخرى، بصوت أعلى قليلًا، متكلِّمًا من حاجبه الحاجز: «*طرحتُ عليك سؤالًا، هل تصدق أنني الناقوس؟*».

التفت جميع الصخَّابين نحو خوريهم ليروا ما سيفعل.

ضيَّق الخوري عينيه وهز رأسه ببطء. فشرع غريسن في العمل، جال ببصره بين عدد من رعية الخوري، واختارهم واحدًا تلو الآخر.

قال: «بارتون هَنْت، والدتك ترسل إليك رسائل منذ ستة أعوام وثلاثة أشهر وخمسة أيام، لكنك أعدت إليها كل الرسائل دون أن تفتحها».

ثم التفت إلى آخر: «أرانزا مونغا، ذات يوم قلت للرأس السحابي سرًّا إنك تريد أن تستبدل بذكرياتك ذكريات صديقك المقرب، الذي قُطِف، لكن بالطبع لم يلبِّ الرأس السحابي طلبك».

وعندما التفت غريسن إلى الثالث، انهمرت دموع بارتون وأرانزا، وخرَّا على ركبهما، وأمسكا بطرف رداء غريسن. صدَّقاه. ومن ثَم، عندما نظر غريسن ليختار طونيًّا ثالثًا، انكمشوا جميعهم كأنهم على وشك تلقِّي ضربة ماحِقة.

هتف غريسن: «زوران سارابي...».

قال الرجل وهو يهز رأسه: «أُووه... آههه...»، ثم جثا مُذعِنًا حتى قبل أن يتكلم الناقوس، مرعوبًا من الحقيقة التي قد يقولها.

وأخيرًا التفت غريسن إلى خوريهم وقال عاجزًا عن مُداراة اشمئزازه: «وأنت، روبرت روزوود، تأمر أتباعك بأن يحسُّوا بألم قطع اللسان الذي فرضتَه عليهم... لكنك لم تحس بذلك الألم بنفسك؛ أزلت لسانك تحت التخدير، لأنك جبان ولا تعيش وفقًا لقناعاتك».

ورغم أن الرجل ارتاع إثر افتضاح أمره، لم يذعِن، بل غضب حتى احمر وجهه.

أخذ غريسن نفسًا عميقًا وحاول التكلم بصوت عميق رنان بقدر مستطاعه: «*أنا الناقوس، الطون متجسدًا، أنا وحدي أسمع الرأس السحابي! هذا الرجل الذي تسمُّونه «خوري» لا يستحق مكانته، إنه خائن لكل ما تؤمنون به، وقد أضلَّكم، ودنَّسكم. إنه زائف، وأنا حقيقي. إذن أخبروني الآن، مَن تطيعون؟*».

أخذ نفسًا عميقًا وكرر سؤاله بصوت يزلزل الجبال: «***مَن تطيعون؟***».

واحدًا تلو الآخر جثوا جميعهم أمام الناقوس، وطأطأوا رؤوسهم خاضعين، حتى إن بعضهم انبطحوا على أرض الغابة. جميعهم عدا واحدًا، الخوري، الذي راح عندئذٍ يصدر أصواتًا كالنقيق، غاضبًا، ثم فتح فمه ليترنَّم، لكنه صوته خرج واهنًا بائسًا. وجد نفسه وحده، لم ينضم إليه أحد، لكنه واصل الترنُّم حتى انقطعت أنفاسه.

وعندما خيم الصمت عليهم، استدار غريسن إلى مندوزا، وتكلم بصوت عالٍ سمعه جميع الحاضرين: «عليك أن تحقِنهم جميعًا بوحدات مجهرية جديدة، حتى تنمو ألسنتهم، وتنتهي حقبة الرعب هذه».

قال مندوزا: «كما تأمر يا صاحب الصدى».

ثم اقترب غريسن من الخوري، وظن أن الرجل ربما يضربه. وكاد غريسن أن يأمل أن يضربه الرجل، لكنه لم يفعل.

قال غريسن له متقززًا: «انتهى أمرك». ثم استدار إلى المنجل موريسن، وقال له كلمة بسيطة لم يخطر له قط أنه سيسمع نفسه يقولها: «اقطفه».

ودون تردد أمسك المنجل موريسن بالخوري بيديه الاثنتين، ولوى رأسه إلى جانب وجسده إلى جانب آخر، وأعدَمه.

***

- قل لي إنني أخطأت!

ذرع غريسن الخيمة التي نُصِبت له في الغابة، مضطربًا أشد الاضطراب.

سأله الرأس السحابي بهدوء بالغ: «ولماذا أقول لك إنك أخطأت؟».

- لأنني إذا كنت مخطئًا عندما أمرتُ بقطف الرجل، أريد أن أعرف!

كان غريسن ما زال يسمع قرقعة عنق الرجل. أفظع صوت يمكن أن يقع على أُذن بشر. لكن غريسن أعجبه ما حدث، رؤية موت ذلك الخوري المتوحش أراحته أيما راحة. أهذا ما يشعر به مناجل التوجه الجديد؟ شهوة بدائية لإنهاء حيوات الناس؟ لم يرغب في هذا الشعور، لكنه شعر به.

- لا يمكنني الحديث في موضوع الموت يا غريسن، إنه ليس ضمن صلاحياتي، تعرف هذا يا غريسن.

- لا أكترث!

- إنك تتصرف بلا عقلانية.

- لا يمكنك قول أي كلام عن الموت، لكنني أعرف أنك يمكنك التحدث عن الصواب والخطأ! إذن أكان من الخطأ أن أوجِّه ذلك الأمر لموريسن؟
- أنت وحدك يمكنك معرفة هذا.
- يُفترض أن ترشدني! وتساعدني على مساعدتك على خلق عالم أفضل!
- إنك تساعدني فعلًا. لكنك لست معصومًا عن الخطأ، أنا وحدي المعصوم. لذا إذا سألتني هل من الوارد أن تخطئ في حُكمك، فالإجابة نعم. تخطئ طوال الوقت... كما يخُطئ كل كائن بشري عاش يومًا. الخطأ جزء جوهري من سمات البشر... وهذا مما أحبه بعمق في الجنس البشري.
- إنك لا تساعدني!
- كلَّفتك بمهمة توحيد الطونيين حتى يكونوا مفيدين للعالم. يجوز لي الحديث عن التقدم الذي تحرِزه في المهمة، ولا يجوز لي الحكم على النهج الذي تتبعه.

فاض الكيل بغريسن، فانتزع مِسماعه، وهمَّ بقذفه غاضبًا، لكنه سمع صوتًا خافتًا رنانًا، صوت الرأس السحابي وهو ما زال يتكلم عبر المسماع.

قال الرأس السحابي: «إنك شخص فظيع. إنك شخص رائع».

سأله غريسن: «حسنًا، أيهما؟».

فجاءه الرد خافتًا، لم يكن إجابة، بل سؤالًا آخر: «لماذا لا تستطيع أن ترى أن الإجابة هي الاثنان معًا؟».

***

في ذلك المساء أعاد ارتداء ملابسه الرسمية وتأهب لمخاطبة الطونيين، ومسامحتهم. فعل هذا مرات عديدة من قبل، لكن جميع الطونيين الصخابين الذين واجههم لم يقترفوا فعلًا شنيعًا مثل هذه المجموعة.

قال لمندوزا قبل خروجه: «لا أريد مسامحتهم».

قال مندوزا: «منحهم الخلاص يجلبهم إلى الحظيرة، ويخدم احتياجاتنا. كما إن من يسامحهم ليس غريسن توليفر، بل الناقوس. مما يعني أن مشاعرك الشخصية ينبغي ألَّا تؤثر في قرارك».

وعندما أعاد غريسن وضع مسماعه في أذنه، سأل الرأسَ السحابي عما إذا كان مندوزا محقًا. هل يريد من غريسن أن يسامحهم؟ أو بالأحرى، هل سامحهم الرأس السحابي؟ هل الرأس السحابي رحب الصدر إلى درجة إيجاد العذر للخوري؟

قال الرأس السحابي: «آه، يا للمسكين!...».

- مسكين؟ ذلك الوحش لا يستحق تعاطفك.

- لم تعرفه كما كنتُ أعرفه. كما هو حالي مع جميع الناس، ظللت أشاهده منذ مولده، ورأيت ظروف حياته التي شكّلتْه، وجعلتْه ساخطًا ضالًّا. لذا أحزن على قطفه كما أحزن على الآخرين.

- لا يمكنني أن أكون متسامحًا مثلك أبدًا.

- أخطأتَ فهمي. إنني لا أسامحه، بل أفهمه فحسب.

قال غريسن وهو ما زال مستاء قليلًا من نقاشهما السابق: «حسنًا إذن، لستَ إلهًا، صحيح؟ لأن الإله يسامح».

رد الرأس السحابي: «لم أزعم قط أنني إله، بل *أشبه* بإله فحسب».

***

كان الطونيون ينتظرون الناقوس عندما خرج، ظلوا ينتظرون منذ ساعات، وعلى الأرجح لاستمروا في الانتظار طوال الليل.

قال لهم عندما رآهم يحاولون تحيَّته: «لا تحاولوا أن تتكلموا، ألسنتكم ليست لديها ذاكرة عضلية، لا بد أن يمضي بعض الوقت حتى تعلّموا أنفسكم الكلام مرة أخرى».

من نظراتهم إليه برهبة وإجلال، عرف أنهم تخلَّوا عن العنف إلى الأبد، لم يعودوا صخابين. وعندما سامحهم الناقوس، ذرفوا دموع ندم صادق على ما اقترفوه، ودموع بهجة عارمة إثر منحهم فرصة ثانية. الآن سيتبعون الناقوس حيثما اقتادهم. وهذا أمر جيد، إذ كما سيتضح، سيتعيَّن عليه اقتيادهم عبر ظلام قبل اقتيادهم إلى النور.

وضعنا أُسُس هيئات المناجل في جميع أقاليم العالم، وجميعها تتبع لنا، حتى نحافظ على النِّظام واتِّساق الرُّؤى. كما بدأنا التَّخطيط لتشييد مدينة في موقع مُنعزِل عن جميع الأقاليم، حتى نحافظ على الحِياد. بروميثيوس هو النَّصل الأسمى الآن، وثمَّة أحاديث تدور عن «مخضرمين» لتمثيل كل قارَّة. آه، بدأ الغرور يتملَّكنا! في قرارة نفسي آمل أن تكون فترتنا بوصفنا حُكَّام الموت قصيرة وتنتفي الحاجة إلينا عمَّا قريب.

السَّحابة أعلنت خططًا لإنشاء مُستعمَرة قمريَّة، خطوة أولى نحو توسيع مواطئ أقدامنا في الكون. إذا نجحت الخطط فستكون حلًّا أفضل لمشكلة زيادة عدد السُّكان، أفضل من حل المناجل. أنا عن نفسي أُفضِّل أن أعيش في عالمٍ يمكن فيه للفائض من عدد السُّكان أن يغادر بدلًا من حرمانهم من حقهم في الوجود.

بيْد أنَّ السُّؤال ما زال قائمًا، أيمكننا أن نعهد بمستقبلنا لذكاء اصطناعي؟ رغم أنَّني لدي بعض الهواجس، أظنَّنا بإمكاننا أن نثق به. القِلَّة الباقية من «قادة العالم» لا يفعلون شيئًا سوى ذم السَّحابة الواعية، ويحاولون تأليب الناس عليها، لكنهم سوف يفشلون في نهاية المطاف، لأن وقتهم انتهى، وأفعال السَّحابة الخيِّرة أبلغ من أقوال السُّفهاء من السِّياسيين والطُّغاة.

- من «الصَّفحات المفقودة» من مُذكِّرات المنجل المؤسِّس دافنشي

37

لا خير فيه

عندما استيقظت جيريكو سوبرانس في مركز الإنعاش، رأت المنجل أناستازيا على كرسي جوار فراشها، نائمة وركبتاها ملتصقتان بصدرها. قالت جيري مع نفسها: وضعية الجنين. *لا، بل أقرب إلى وضعية حماية، مثل سلحفاة داخل قوقعتها.* هل تحس بعدم الأمان إلى درجة التقوقع على نفسها عندما تنام، مُحترِسةً حتى عندما تفقد وعيها؟ على أي حال لديها سبب وجيه لعدم الإحساس بالأمان.

كانت ترتدي ملابس بسيطة عندئذٍ. جينز، وبلوزة بيضاء. لم تكن تضع حتى الخاتم، لا شيء فيها دلَّ على أنها منجل، بدت متواضعة للغاية بالنسبة إلى شخص عظيم الشأن مثلها، لكن عظمة الشأن تناسب الموتى، لأنهم لا يضطرون إلى التعامل مع العواقب، أما عظمة شأن شخص عاد إلى الحياة، فلا بد أنها تجعله في حالة صدمة غريبة يتعذَّر فهمها أو قياسها.

نظرت جيري إلى ما حولها، إلى الألوان الهادئة وطبيعة الغرفة المريحة. مركز إنعاش بالطبع. وواقع أنهما هنا يعني أن موت جيري نجح في اجتذاب مسيرة إسعاف. هل مكثت أناستازيا هنا في الغرفة طوال مدة إنعاش جيري حارسة لها؟

قالت ممرضة إنعاش: «يسرني أنك استيقظت!». ودخلت إلى الغرفة ورفعت ستارة لتكشف عما كان إما شروق شمس وإما غروب شمس، ثم تفقدت جدول حالة جيري: «يسرني التعرف عليك».

***

كانت سيترا تحلم بأنها تطير. ولم يكن حلمها بعيدًا عن الواقع، كانت قد تعلَّقت بذراع جيري عندما حلَّقت مسيرة الإسعاف بهما عبر المدينة بصعوبة مع الوزن الإضافي. وكانت سيترا متأكدة أنها خلعت كتف جيري، لكن مثل هذه الأشياء لا تهم الشِّموتى. أي ضرر وقع شُفي قبل استيقاظ القبطان.

رأت سيترا في الحلم أن ذراع جيري اكتست بمادة دهنية فجأة، وانزلقت، لكنها لم تسقط، بل حلقت وحدها، والمشكلة أنها عجزت عن التوقف أو التحكم في اتجاهها، وسرعان ما وجدت نفسها فوق الشاطئ وتجاوزته، مُتَّجهةً غربًا عبر المحيط الأطلسي نحو القارة الأمريكية البعيدة، لم تكن لديها فكرة محددة عما ينتظرها هناك، لكنها كانت تعرف أنه سيكون كابوسًا.

لذا أحست بالامتنان عندما أيقظها صوت الممرضة اللطيف.

اعتدلت في جلستها ودلَّكت عنقها المتشنج، ثم رأت جيري قد عادت إلى الحياة، سليمة وصافية الذهن أكثر منها. قالت سيترا بصوت ناعس واهن: «صباح الخير». ثم أدركت أن صوتها لا يليق بمنجل، حتى منجل متخفٍّ. فتنحنحت وتكلمت بصوت أقوى: «صباح الخير».

قالت الممرضة: «لا خير فيه، للأسف. لم يسبق لي رؤية أعداد كبيرة كهذه من الحرس النصلي تجوب الشوارع، هيئة المناجل ما زالت تبحث عن أولئك الطونيين الفظيعين الذين أنهوا حياة النصل السامي، لكنهم اختفوا، حيثما يختبئ أمثالهم».

أغمضت أناستازيا عينيها إثر تذكُّرها رعب تلك الليلة. كثيرون فقدوا حيواتهم، ورغم أن بعضهم أُنعِشوا، لم توجد مسيرات إنعاش كافية لإنقاذ جميع الناس. لا بد أن الصخَّابين ألقوا بالعشرات، وربما مئات، من الناس في النار. وكما خططوا للهجوم لا بد أنهم وضعوا خطة للهروب.

أوضحت الممرضة أنه منذ أن أوصلتهما مسيرة الإسعاف إلى مركز الإنعاش قبل يوم ونصف، فُرِض إغلاق كامل على بورت رممبرنس، وأن الوضع في أمريكا الشمالية أسوأ على الأرجح. ما فعله غودارد في ذلك الاستاد تجاوز كل الحدود، وأحدث صدعًا عميقًا، وانقسم الناس بين مؤيد لغودارد وبين هارب منه.

عرفت أناستازيا أن اكتشاف هويتها أمر وارد. والآن وقد خرجت إلى مكان عام، وعرف الناس أنها حية، سيكون الاختباء أكثر صعوبة.

قالت الممرضة لجيري: «بما أنك استيقظت، أنا متأكدة أن بعض المناجل سيأتون إليك، لا تقلقي، لم يأتوا للقطف، إنما للاستجواب فحسب. كنتما تعملان في القصر، أليس كذلك؟ يريدون استجواب كل من كان من القصر».

ألقت جيري على أناستازيا نظرة سريعة وهي تضع يدها مطمْئنةً على الكتف التي خلعتها قبل مدة ليست طويلة.

قالت جيري: «صحيح، حسنًا، أفترض أن علينا البحث عن وظائف جديدة».

- لا ينشغل بالكما بأمر التوظيف. الرأس السحابي لا يتكلم في هذه الأيام، لكنه ما زال يوفر الوظائف. إذا أردتما العمل مرة أخرى فثمة وفرة في الخيارات.

وبعدما غادرت الممرضة، رفعت جيري رأس فراش الإنعاش قليلًا وابتسمت لأناستازيا: «إذن كيف كان الركوب على ظهر مسيرة إسعاف؟».

قالت أناستازيا: «لم... يكن كذلك». لكنها رأت أن تريح جيري من التفاصيل: «لم تسنح لي فرصة لشكرك على ما فعلتَه».

- لم أفعل شيئًا سوى مهمتي.

- مهمتك أن تكوني قبطان سفينة استنقاذ، وليس إنقاذي.

- وألم أنقذ موقفًا ميؤوسًا منه؟

- بلى، فعلت. والآن علينا الخروج من هذا الموقف أيضًا، قبل أن يأتي أحد لاستجوابنا.

لكن حالما أنهت كلامها فُتِح الباب، وظهر منجل، فتوقف قلب أناستازيا لوهلة إلى أن أدركت هوية المنجل، كان يرتدي عباءة خضراء داكنة وعلى وجهه تعابير القلق.

قال المنجل بوسويلو: «ارتياحي لرؤيتكما لا يضاهيه سوى خوفي من أن يراكما منجل آخر. لا وقت للتحايا، مناجل جنوب الصحراء يتساءلون سلفًا عن سبب وجودي هنا».

قالت أناستازيا: «لم يعرفني أحد بعد».

قال بوسويلو: «عرفوك بالتأكيد، أنا متأكد أن طاقم التمريض هنا لا شاغل لهم سواك، لكن من حسن الحظ لم يبلِغ عنك أحد، وإلَّا لكنت في طريقك إلى غودارد. جئت لأصطحبك إلى مكان أكثر أمانًا، حيث يمكنك مواصلة بث

مقاطعك. تتزايد أعداد الذين يستمعون إليك يا أناستازيا، ويجدون الأشياء التي ترشدينهم إليها. وغودارد يهدد بقطف كل من يُضبَط وهو ينقب في الدماغ الخلفي، لكن تهديده لم يردع الناس».

ذكَّرته أناستازيا: «لا يمكنه تنفيذ تهديده على أي حال، الدماغ الخلفي خارج نطاق صلاحيات المناجل». وتذكرت مجهود البحث الذي ما زال ينتظرها.

تساءلت جيري: «إذن أي مكان آمن تقترح الذهاب إليه؟ هل ما زال يوجد مكان آمن الآن؟».

قال بوسويلو: «مَن يدري؟ الأماكن الآمنة تتقلص بسرعة تزايد الأعداء نفسها». أطرق مفكرًا، ثم تابع: «سمعتُ إشاعات... عن مكانٍ ناءٍ بعيد عن الأنظار حتى المناجل كثيرو السفر لم يسمعوا به».

قالت جيري: «يبدو كلامك كأُمنية. أين سمعت هذه الإشاعة؟».

هز بوسويلو كتفيه كالمعتذر، وقال: «الشائعات كمياه الأمطار التي تتسرب عبر سقف قديم، مجهود تحديد موضع التسريب أكثر تكلفة من السقف الجديد». ثم أطرق مرة أخرى: «ثمة شائعة أخرى، لكنها قد تكون مفيدة لنا. شائعة عن الناقوس، نبي الطونيين المزعوم».

قالت أناستازيا مع نفسها: *الطونيون!* مجرد ذكر اسمهم أجج غضبها الكامِن.

قالت جيري: «ما من دليل على وجود الناقوس، قد يكون مجرد كذبة أخرى يستغلها الصخابون لتبرير ما يفعلونه».

قال بوسويلو: «أظنه موجودًا، وثمة أدلة على وجوده، وأنه يناهض طوائف الصخابين. لدينا طائفة صخابين في أمازونيا، ويُقسِمون على أن الناقوس زارهم وأقنعهم بالعدول عن نهجهم العنيف. إذا كان هذا صحيحًا، فربما يكون الناقوس حليفًا قيِّمًا».

قالت أناستازيا: «حسنًا، أيًّا يكن الناقوس هذا، فعليه أن يفسِّر لنا الكثير».

***

لم يكن إزرا فان أوترلو يرتدي ملابس الطونيين، ولا يردد عباراتهم المبتذلة، ولا يصِرُّ على السفر ضمن مجموعات تضم سبعة أو أحد عشر فردًا، وقطعًا لم يكن يترنَّم. لكنه قبِل بأن يُدعى الأخ إزرا، وكان قبوله بالاسم الجديد تنازله الوحيد من أجل واجبه. لقاؤه بالناقوس قبل أكثر من عامين هو ما أدخله

الحظيرة، ومنحه غاية لحياته. لم يهم إزرا إذا ما كان الناقوس مقدسًا أم لا، لم يهمه سوى أن الرأس السحابي ما زال يتكلم معه، ورأى أن هذا كافٍ ليتبعه.

سافر إزرا حول العالم، ورسم كل ما أراد رسمه حيثما أراد، كما اقترح عليه الناقوس. رسم جداريات الشوارع حيثما ذهب. وكما وعده الناقوس أحس بالرضا عما يفعله وعن حياته. تعيَّن عليه أن يعمل بسرعة وهدوء، ولم يُضبط متلبسًا قط.

كان يسافر حول العالم ويقول للطونيين المحليين حيثما ذهب إن الناقوس كلَّفه بمهمة، وكان الطونيون يوفرون له الطعام والمسكن، ثم بدأ يصادف طونيين يزعمون أن الناقوس ظهر أمامهم بعدما قُطف، وقالوا له إنهم كانوا صخابين، لكن الناقوس أصلح مَسْلَكهم. في البداية لم يصدق إزرا ما يقولونه، لكنه كان يستمع إلى شهاداتهم، وفي الليل يرسم مشهد زيارة الناقوس في مكانٍ ما بالمدينة، مكان ينبغي ألا تُرسَم فيه هكذا لوحات.

وبعدما قابل طائفة ثالثة من الصخابين الذين هداهُم الناقوس، أدرك أن مزاعمهم قد لا تخلو من حقيقة، فبدأ يبحث عن المزيد منهم، تعقَّب المجموعات الأشد تطرُّفًا ليرى إذا ما انصلح مسلكهم أم لا، ووجد أن نصفهم تقريبًا صاروا معتدلين، وخمن أن النصف الآخر يخطط الناقوس لزيارتهم على الأرجح. ثم ذات يوم وجد نفسه في مطار، غير متأكد من وجهته التالية، ويا للعجب! وجد تذكرة محجوزة له في نظام الرحلات الجوية. تولى الرأس السحابي تحديد وجهات سفره، وصار يرسله إلى الطوائف التي أصلح الناقوس مسلكها، حتى يزورهم ويترك خلفه لوحة جدارية تكريمًا للناقوس. وهكذا عرف إزرا أنه عضو في حاشية الناقوس، وجزء من قصته، حتى لو لم يعرف الناقوس بهذا.

ومن ثَم، عندما أُلقي القبض عليه في أمازونيا، تعيَّن عليه الإيمان بأن ما حدث له جزء من خطة الرأس السحابي، لكن إذا اتضح أنه مجرد سوء حظ، فالرأس السحابي سيعرف كيفية استغلاله لمصلحته أيضًا.

***

في حين كانت هيئة مناجل جنوب الصحراء بأكملها تبحث عن الصخابين الذين قتلوا نصلهم السامي، عرف المنجل الأمازوني بوسويلو مكان اختبائهم، بفضل طونيٍّ واحد أسير لديه.

قال بوسويلو لأناستازيا: «قبضنا عليه وهو يرسم مشهدًا للناقوس متحولًا إلى سرب طيور، على جدار مقر نصلنا السامي».

قال إزرا مبتسمًا: «هذا ما أفعله، مَهمَّتي».

جميعهم كانوا على متن طائرة بوسويلو. وكان بوسويلو قد جلب لأناستازيا عباءة فيروزية جديدة، فأحست براحة إثر ارتدائها ملابس منجل مجددًا.

قال بوسويلو: «عقوبة تشويه ممتلكات المناجل هي القطف، لكن النصل السامي تارسيلا لم يطاوِعها قلبها على قطف فنان. ثم أخبرنا إزرا ما ظل يفعله منذ مدة».

اقترح إزرا: «إنني مستعد لرسمك أيتها المنجل أناستازيا، لن تكون لوحة عظيمة كما كان الفنَّانون الفانون يرسمونها بالطبع، صرت أتقبل هذه الحقيقة، لكنني أفضل قليلًا من معظم الرسامين متوسطي الموهبة الموجودين في عالمنا الآن».

قالت له: «وفِّر فرشاتك». ربما كان غرورًا منها، لكن آخر ما أرادته هو أن يخلِّدها رسام *أفضل قليلًا* من *معظم الرسامين متوسطي الموهبة*.

قال بوسويلو لها: «إزرا محتجَز لدينا منذ عدة أشهر. لكن ظهرت تذكرتان له في نظام الرحلات العالمية بعدما قُتل تنكامنن، تذكرة إلى أونيتشا، وهي مدينة صغيرة في جنوب الصحراء، لكن التذكرة الثانية كانت محيرة، تذكرة جولة سياحية في منطقة برية محمية لم تشهد جولات سياحية منذ أكثر من مئة عام. كهوف أوغبونيكي».

هز إزرا كتفيه وابتسم: «إنني مميز. أمتأكد أنك لا تريد لوحة بورتريه؟».

ظهور التذكرتين في النظام بعد احتجاز إزرا لدى المناجل لم يكن يعني سوى أمر واحد، وهو أن الرأس السحابي أراد أن تعرف هيئة المناجل الأمازونية مكان الصخابين ومكان الناقوس.

قال بوسويلو لأناستازيا: «لكانت الرحلة قصيرة عادة، لكن علينا أن نسلك طريقًا غير مباشر، لنؤدِّ مهمة شكلية في مكانٍ آخر، حتى لا نرشد دون قصد مناجل جنوب الصحراء إلى الناقوس».

قالت أناستازيا: «لا بأس. أحتاج إلى وقت للتنقيب في الدماغ الخلفي من أجل البث التالي. اقتربتُ من اكتشاف شيء عن كارثة المريخ».

سألها بوسويلو: «وماذا عن المستعمرة المدارية؟».

تنهدت أناستازيا وهزت رأسها: «فلنتطرق إلى كل كارثة على حِدة».

«كان يوجد 9834 مُستعمِرًا في المرِّيخ، أكثر من الذين فقدوا حيواتهم في القمر في أول عمليَّة قطف جماعي، ووُضِعت خطط شاملة لجعل كوكبنا الشَّقيق ديارًا لملايين الناس، ومليارات لاحقًا. لكن الأمور اتَّخذت منحى فظيعًا.

هل أدَّيتم واجباتكم المنزلية بشأن كارثة المرِّيخ؟ هل اطَّلعتم سريعًا على أسماء أولئك المستعمرين الهالكين؟ لا أتوقَّع منكم أن تتذكَّروا أو حتى تتعرفوا إلى أي واحد منهم، حتى الذين كانوا مشهورين حينذاك، لأن الشُّهرة تأتي وتذهب، وشُهرتهم ذهبت بلا رجعة. لكن ابحثوا مرة أخرى، لأنني أريدكم أن تعثروا على اسم واحد.

كارسن لَسْك.

كان هناك عندما وقعت الكارثة، وحالفه الحظ بأن يكون ضمن النَّاجين القليلين، كان في المكان والزمان المناسبين، فتمكَّن من الصعود على متن سفينة الهروب الوحيدة التي لم تشتعل عندما انفجر مفاعل المستعمرة.

أقيم احتفال كبير عندما وصلت مجموعة الناجين إلى الأرض، لكن بعد ذلك، اختفى كارسن لسك من المشهد العام.

لكن أهذا ما حدث حقًّا؟

فلنعُد قليلًا إلى قبل انفجار المفاعل بثلاثة أشهر، إذا اطَّلعتم على سجل السفن القادمة إلى المريخ والمغادِرة منه، فسترون اسمًا ستجدونه مألوفًا بلا شك. زينوقراط. كان منجلًا شابًّا عندئذٍ، الوحيد الذي يُعرَف أنه زار مستعمرة المريخ، وقد أثارت زيارته جدلًا، لأنها لمَّحت إلى أن المناجل قد يواصلون مهمتهم في الكوكب الأحمر. تساءل الناس، لماذا يأتون إلى المرِّيخ ولديهم كوكب الأرض بأكمله؟ ربما تمضي أكثر من 100,000 سنة قبل أن تظهر الحاجة إلى منجل في المرِّيخ.

قال زينوقراط إنه لم يأتِ إلى المرِّيخ ليقطف أي أحد، بل لإشباع فضوله فحسب، أراد أن يعرف كيف يعيش الناس في المرِّيخ. وقد صدَق في كلامه، لم يقطف أحدًا بعدما وصل إلى الكوكب، اكتفى بالتجوُّل والحديث مع المستعمرين. كانت زيارته بأكملها ودِّية.

لدي شيء أود أن أريكم إياه.

ما ستشاهدونه هو مقطع فيديو لوصول زينوقراط، يصعُب التعرف عليه، أعرف، كان نحيلًا عندئذٍ، ولم تكن عباءته مزيَّنة بالذهب، الذي أضافه عندما أصبح نصلًا ساميًا. كما تشاهدون، يستقبله حاكم المستعمرة، وقِلَّة من الأعيان الآخرين، وهناك! أترون؟ ذلك الشاب في الخلفية، إنه كارسن لسك! عندما كان زينوقراط في المرِّيخ، عُيِّن كارسن خادمًا شخصيًّا له. هذه ليست لقطة واضحة له، أعرف، لكنه سيلتفت بعد لحظة.

تذكَّروا، كان هذا قبل بضعة أشهر من الكارثة، وهو وقت كافٍ لينسى الناس زيارة زينوقراط، وكافٍ لوضع الخطط ولترتيب أوضاع شركاء الجريمة لينفذوا خطتهم بسرية، وليجعلوا عملهم التخريبي يبدو كأي حادث مأسوي.

أما كارسن لسك، فمهما اجتهدتم في البحث، فلن تجدوا له سجلًا بعد عودته إلى الأرض، لأن اسمه تغير خلال عام. ها هو ذا... هناك، أترونه؟ إنه يواجه الكاميرا الآن، أيبدو وجهه مألوفًا؟ لا؟ أضيفوا بضع سنوات إلى سنِّه وقصِّروا شعره وارسموا على وجهه ابتسامة عجرفة.

ذلك الخادم الشاب ليس سوى صاحب السُّمو السَّنِي، روبرت غودارد، النَّصل المُصلت على أمريكا الشمالية».

t.me/soramnqraa

38

لم شمل حافل بمن كانوا في عداد الموتى

اتخذ الناقوس وحاشيته ملجأً في الكهوف نفسها التي التجأ الصخَّابون إليها، وهؤلاء الصخَّابون تابوا وصاروا مذعنين في حضرة الناقوس، ويعبِّرون له عن تفاهتهم، ويَحبُون عند قدميه حَبْوًا. عادةً ما لا يقبل الناقوس مثل هذا الغُلُو في إجلاله، لكن نظرًا إلى ما اقترفه هؤلاء الناس، وكل الدماء التي سفكوها، كان الحبو عقابًا أخف بكثير مما يستحقونه.

وبالطبع ذكَّره الرأس السحابي بأن العقاب ليس ضمن نهجه.

- التقويم يجب أن يكون جوهره انتشال المرء من اختياراته السيئة وأفعاله السابقة، المعاناة لا طائل منها ما دام المرء راغبًا في التعويض وصادقًا في ندمه.

ورغم كلام الرأس السحابي، لم يمانع غريسن رؤيتهم مُتمرِّغين في فضلات الخفافيش.

زيَّن الطونيون التائبون مغارةً للناقوس بقدر مستطاعهم، وجلبوا إليها نجودًا ووسائد، وتوسلوا إليه أن يخدموه كيفما شاء.

قال الرأس السحابي لغريسن: «هذا المكان مناسب كغيره للانتظار».

سأله غريسن: «مناسب كغيره؟ أدرك أنك لا تملك حاسة شم، لكن أؤكد لك أن النتانة هنا لا تُطاق».

ذكَّره الرأس السحابي: «مستشعراتي الكيميائية أدق بكثير من حاسة الشم لدى البشر. والأمونيا المنبعثة من فضلات الخفافيش ضمن الحدود التي يحتملها البشر».

سأله غريسن: «قلت الانتظار. ماذا ننتظر؟».

لم يقل الرأس السحابي سوى: «زائر».

- أيمكنك إخباري باسمه على الأقل؟

- لا، لا يمكنني.

وهكذا عرف غريسن أن منجلًا سيزوره، لكن نظرًا إلى العداء المتزايد نحو الطونيين، لماذا يرحِّب الرأس السحابي بزيارة منجل؟ ربما عثرت هيئة مناجل جنوب الصحراء على مخبئهم وتسعى للاقتصاص من الصخابين، لكن في هذه الحالة، لماذا لم يقترح الرأس السحابي «الخروج في رحلة» كما فعل في الدير عندما كان المنجل موريسن هو العدو؟ تقلَّب غريسن طوال الليل محاولًا تخمين الزائر، بلا جدوى.

قال له الرأس السحابي بصوت لطيف في الظلام: «اطمئن، إنني موجود معك هنا، لن يمسَّك سوء».

***

راودت المنجل أناستازيا شكوك بشأن الرجل المقدس المزعوم، وأرادت دليلًا على أن الرأس السحابي يتكلم معه، ليس شهادة لفظية فحسب، بل دليلًا فعليًّا لا يُدحَض. حتى عندما كانت فتاة صغيرة، لم تكن سيترا تصدق شيئًا حتى تراه. هذا «الناقوس» على الأرجح محتال صاحب كاريزما، فنان خِداع يستغل السُذَّج، يخبرهم ما يريدون سماعه، ويكون لهم من يريدون منه أن يكون من أجل غاياته الأنانية.

أرادت أن تصدق أنه محتال، لأن هذا الاحتمال أقل إزعاجًا من فكرة اختيار الرأس السحابي طونيًّا ليكون حلقة وصل بينه وبين البشرية. من المعقول أن يُبقِي الرأس السحابي على نقطة اتصال واحدة مع الجنس البشري، لكن لماذا

طوني؟ وبما أن الرأس السحابي لا يرتكب الأخطاء، لا بد أنه لديه سبب وجيه. لكن في الوقت الراهن فضَّلت أناستازيا ترجيح احتمال كون الناقوس محتالًا.

كانت وجهتهم غابة موحشة في جنوب الصحراء، منطقة كثيفة الأشجار والأجمات الشائكة، وَخَزت أناستازيا وشوَّهت عباءتها، وأثارت ضيقها طوال طريقهم إلى الكهف، حيث يعتزل الناقوس. وعند اقترابهم أخيرًا من الكهف، تصدَّى لهم الطونيون الذين يتولون الحراسة.

قال بوسويلو: «لا تقاوِموا».

لكن التخلِّي عن الحذر لم يكن سهلًا على أناستازيا، إذ تعرف هؤلاء الناس.

لم يكن الطونيون مسلَّحين، لكن قبضاتهم قوية. جالت أناستازيا بعينيها على وجوههم. هل هذا هو الطوني الذي ألقى تنكامنن على الأرض؟ هل ذاك هو الذي قذف بالمنجل بابا في المحرقة؟ لأقسمتْ على أن وجوههم مألوفة، لكن ربما خُيِّل إليها فحسب. كان بوسويلو قد أصر على ترك أسلحتهما خلفهما. والآن أدركت أناستازيا أن إصراره لم يكن لتجنُّب مصادرة الأسلحة فحسب، بل لمنع أناستازيا من إطلاق العنان لغضبها. اعترتها رغبة قوية في الانتقام، لكنها قاومتها، وتعيَّن عليها تذكير نفسها بأن المناجل الحقيقيين، المناجل المبجلين، لا يقطفون وهم غاضبون أبدًا. لكن إذا رفع أحد هؤلاء الطونيين سلاحًا، فستنفجر بينهم مستخدمة حركات بوكاتور فتَّاكة، فتُحطِّم أعناقهم وأعمدتهم الفقرية بلا رحمة.

قال بوسويلو: «نطلب لقاء الناقوس».

همَّت أناستازيا بتذكيره بأن أفراد هذه الطائفة يقطعون ألسنتهم، لكنها فوجئت بأحدهم يرُد.

أجاب طوني: «الناقوس ارتقى إلى طبقة صوت أعلى قبل عامين، لم يعُد معنا إلَّا في التناغم».

لم يستسلم بوسويلو، وقال: «سمعنا غير هذا»، ثم أردف: «لم نأتِ لقطفه، أتينا من أجل مصلحتنا المشتركة».

ألقى الطونيون عليهم نظرات فاحصة لهنيهة. وجوه صارمة، تنضح ريبة. ثم قال الذي تكلم أولًا: «تعالوا معنا. الناقوس في انتظاركم».

انزعجت أناستازيا من كلامه على عدة مستويات. إذا كان الناقوس في انتظارهم، فلماذا أنكر الطونيون وجوده هنا؟ وهل كان يتوقع مجيئهم حقًّا؟

أم أن هذا التابع التافه أراد أن يجعل الناقوس يبدو غامضًا وكُلّي المعرفة؟ امتعضتْ من هذا الرجل القابع خلف الكواليس حتى قبل لقائه.

اقتادهم الطونيون إلى الأمام، ورغم أن أناستازيا لم تسحب يدها من قبضتهم، منحتهم فرصة لإعادة التفكير: «يجدر بك إفلاتي إذا أردت الاحتفاظ بيدك».

لكن الطونيين لم يخففوا قبضتهم، وقال أحدهم: «ستنمو أيدينا مثل ألسنتنا. الناقوس بحكمته أعاد إلينا وحداتنا المجهرية».

قالت أناستازيا: «أحسن صنعًا. على الأقل أنه ليس مغفلًا».

حدجها بوسويلو بنظرة تحذيرية صارمة، ورأت أناستازيا أنها يجدر بها أن تصمت، لأن أي كلام يغادر شفتيها من شأنه تأزيم الموقف.

توقف الموكب عند مدخل الكهف المثلث، حيث سيجري تقديمهم إلى الناقوس...

... لكن قبل ظهور الناقوس، الشخص الذي خرج من الكهف أولًا جعل أناستازيا تدرك أن هذا اللقاء ليس اعتياديًّا إطلاقًا.

***

عندما سمع المنجل موريسن أن مرثاة مناجل عند مدخل الكهف، أيقن أن هيئة مناجل أمريكا الشمالية وصلت إليه أخيرًا، لا بد أن غودارد عرف أنه ما زال على قيد الحياة وأرسل هذا الفريق ليقبض عليه. فكر موريسن في الهروب، لكن ثمة مخرجًا واحدًا من الكهف، كما إنه لم يعد الرجل نفسه الذي التحق بخدمة الناقوس، ذلك المنجل المبتدئ كان لينفَد بجلِده على حساب الآخرين، لكن المنجل موريسن الحالي سيقاوم الأسر بشجاعة، ويدافع عن الناقوس حتى النهاية كما وعده.

خرج أولًا، كما يفعل دومًا، ليقيِّم مستوى المخاطر ويبدو مهيبًا، لكنه تسمَّر عند مدخل الكهف عندما رأى عباءة فيروزية مألوفة، عباءة ظن أن عينيه لن تقعا عليها أبدًا.

وصُعِقت المنجل أناستازيا بالقدر نفسه.

قالت: «*أنت؟*».

قال موريسن متلعثمًا: «لا، ليس أنا! أعني، نعم هذا أنا، أعني أنني لست الناقوس». تبددت هيبته. وبدا أبله متلعثمًا كعادته عندما يكون في حضور أناستازيا.

سألته: «ماذا تفعل هنا؟».

بدأ يشرح لها، لكنه أدرك أن القصة طويلة لا تصلح لهذه اللحظة، كما كان متأكدًا أن قصتها أكثر تشويقًا.

تدخل المنجل الآخر الذي في حاشيتها، ويبدو أمازونيًّا من عباءته، قال: «هل تعرفان بعضكما؟».

لكن قبل أن يرد أحدهما عليه، ظهر مندوزا من خلف موريسن، وربَّت على كتفه: «إنك تعترض الطريق كعادتك يا موريسن».

انتحى موريسن جانبًا وسمح للخوري بالخروج، وحالما رأى مندوزا أناستازيا، أُرتِجَ عليه مثل موريسن، وتذبذبت عيناه بذعر بادٍ، لكنه التزم الصمت. ثم وقف على جانب مدخل الكهف، وموريسن على الجانب الآخر. تشكيلتهما المعتادة. ثم خرج الناقوس من الكهف بينهما.

تسمَّر الناقوس في مكانه، كما فعل موريسن ومندوزا من قبله، فاغرًا فمه على نحو لا يليق برجُل مُقدَّس.

قالت أناستازيا: «حسنًا، الآن تأكَّدتُ أنني فقدتُ صوابي».

***

عرف غريسن أن الرأس السحابي يستمتع بهذه اللحظة أيما استمتاع. رأى كاميراته تدور على الأشجار المجاورة، تلتقط تعابير وجوه الجميع من كثب، وتصوِّر هذا المشهد الغريب من كل الزوايا. كان بإمكان الرأس السحابي أن يلمِّح له إلى أنه لن يقابل شخصًا يعرفه فحسب، بل الشخص المسؤول، بطريقةٍ ما، عن الطريق الغريب الذي سَلَكته حياته. ما كان بإمكانه أن يخبره مباشرة بالطبع، لكن كان بوسعه إعطاؤه تلميحات ويدعه يستنتج بنفسه. لكن في الواقع حتى إذا أعطاه ألف تلميح لخرج إلى هذا اللقاء وليست لديه أدنى فكرة عمن سيقابله.

عزم غريسن على محاولة إفساد متعة الرأس السحابي بألا يبدو جاحظ العينين مشدوهًا. لذا عندما قالت أناستازيا إنها ربما تكون قد فقدت صوابها، قال بلا مبالاة: «إنديورا تطفو مجددًا! فلنبتهج!».

قالت أناستازيا: «إنديورا لم تطفُ، أنا وحدي».

احتفظ الناقوس بتعابير وجهه جامدة جدِّية هنيهة، لكنه عجز عن المواصلة، فبدأ يبتسم: «إذن أنت على قيد الحياة حقًّا! لم أكن متأكدًا أن مقاطع الفيديو التي شاهدتُها حقيقية».

تساءل المنجل الأمازوني: «و... أنتما الاثنان تعرفان بعضكما أيضًا؟».

قالت أناستازيا: «في حياة سابقة».

ثم ضحك شاب من مرافقي أناستازيا، وقال: «حسنًا، يا لها من لحظة! لم شمْل حافل بمن كانوا في عداد الموتى!».

استرعى الشاب انتباه غريسن لوهلة.

حاول مندوزا استعادة شيء من وقاره، فتنحنح، وانتصب في وقفته، وتكلم بأفضل صوت مسرحي لديه: «صاحب *الصدى، الناقوس*، يرحِّب بكم جميعًا، ويوافق على *لقائكم!*».

أردف غريسن بصوت خافت: «لقاء منعزل».

فردد مندوزا بصوت رنان: «لقاء *منعزل!*»، لكنه لم يبدِ ما يدل على نيَّته المغادرة.

قال غريسن: «أقصد بيني وبين المنجل أناستازيا فحسب».

التفت مندوزا إليه بعينين مرتاعتين: «لا أظن أن لقاءك معها وحدك من الحكمة، اصطحب موريسن على الأقل لحمايتك».

لكن موريسن رفع يديه مستسلمًا فورًا، وقال: «دعوني خارج هذا الأمر، لن أواجه المنجل أناستازيا».

دارت كاميرات الرأس السحابي مصدرة أزيزًا، ولأقسم غريسن بأن الصوت بدا أشبه بضحكة إلكترونية.

قال غريسن: «اصطحبوا الآخرين إلى الداخل، وقدموا لهم طعامًا، لا بد أنهم جائعون». التفت إلى الطونيين المحيطين بهم الذين شهدوا لم الشمل

الغريب والمهم هذا، وقال لهم: «كل شيء على ما يرام»، ثم أومأ لأناستازيا: «سيري معي».

وابتعد الاثنان معًا سائرين إلى الغابة.

***

وعندما ابتعدا قليلًا قالت أناستازيا: «سيري معي؟ حقًّا؟ هل صرتَ مُدَّعيًا متعجرفًا إلى هذا الحد؟».

- إنه جزء من الدور الذي أؤديه.

- إذن تعترف أنه تمثيل!

- مسألة النبي تمثيل، لكن صحيح أنني لستُ مستهجنًا، والرأس السحابي يتكلم معي حقًّا.

ابتسم لها ابتسامة ماكرة، وتابع: «ربما كوفئتُ مقابل إنقاذ حياتك في ذلك اليوم عندما صدمتِني بسيارتك».

- لم تكن سيارتي، كانت سيارة المنجل كوري. كنت أتعلم القيادة.

- من حسن الحظ أيضًا! إذا كنتِ سائقة أفضل وتفاديتِني، لاحترقنا جميعًا. أهذا يعني أن المنجل كوري ما تزال حية أيضًا؟

انقبض قلب أناستازيا لاضطرارها إلى قول الحقيقة بصوت عالٍ، وتوقَّعت ألَّا يسهُل عليها قولها أبدًا: «ماتت ماري وهي تحرص على إمكانية إنعاشي لاحقًا».

قال غريسن: «إنعاشك. هذا يفسر مظهرك الذي يدل على أنك لم تكبري يومًا منذ ثلاث سنوات».

نظرت إليه مليًّا. بدا لها مختلفًا، ليس بسبب الزي فحسب. بدا فكُّه أقوى قليلًا، ومشيته أكثر ثقة، ونظراته مباشرة ونفَّاذة. تعلَّم أداء دوره جيدًا، كما تعلَّمت هي أداء دورها.

قالت: «آخر ما سمعته عنك كان رفضك الذهاب إلى المكان الآمن الذي رتَّبتُه لك في أمازونيا، وفضَّلتَ البقاء مع الطونيين، لماذا؟».

صارت عيناه نفَّاذتين أكثر مما بدتا قبل لحظة، لم تُظهِرا حُكمًا سلبيًّا، بل بدتا كأنهما تملكان بصيرة عميقة، مثل الرأس السحابي نفسه إلى حدٍّ ما.

- الاختباء مع الطونيين كان اقتراحكِ أنتِ، أم أنك نسيت؟

- لا، أتذكَّر. لكن لم يخطر لي أنك ستبقى معهم، لم يخطر لي أنك ستصبح نبيَّهم.

نظرت إلى ملابسه الغريبة، وأردفت: «لا أستطيع تحديد ما إذا كنت تبدو سخيفًا أم جليلًا».

- الاثنان معًا. الحيلة هي إقناع الناس بأن الملابس الغريبة تجعل المرء لا يبدو عاديًّا، لكن جميعنا نعرف الحقيقة، أليس كذلك؟

أقرَّت أناستازيا مع نفسها بأنه محق. العالم يعامل المرء معاملة مختلفة، ويحدد قيمته بطريقة مختلفة، عندما يرتدي عباءة أو أي زي خاص. قالت: «ما دمتَ تعرف حقيقة نفسك ولا تصدق ما يظنه الناس».

- عندما أخلع هذه الملابس، أظل غريسن توليفر.

- وعندما أنزع هذه العباءة، أظل سيترا تيرانوفا.

ابتسم غريسن ابتسامة واسعة: «لم أعرف اسمك الحقيقي حتى الآن. سيترا. أعجبني».

سماع اسمها منه غمرها بموجة حنين مفاجئة، وتوْق لأوقات سابقة لكل ما مرَّت به: «لم يعد يوجد كثيرون يخاطبونني بهذا الاسم».

نظر إليها نظرة كئيبة: «غريب أنني كنت أجد صعوبة في الحديث معك من قبل، والآن أجده أسهل من الحديث مع أي أحد آخر. أظننا أصبحنا متشابهين من عدة نواحٍ».

ضحكت من كلامه، ليس لأنه مضحك، إنما لأنه الحقيقة. صار العالم يرى كليهما رمزًا، ضوءًا غير محسوس يرشدهم في الظلام. فهمت أناستازيا السبب الذي دفع الشعوب القديمة إلى إطلاق أسماء أبطالهم على الأبراج والنجوم المتألقة.

- لم تخبريني بسبب رغبتك في لقاء الناقوس.

- المنجل بوسويلو يظن أنك تعرف مكانًا آمنًا لن يقدر غودارد على العثور علينا فيه.

- حسنًا، حتى لو عرف الرأس السحابي بوجود مكان كهذا، لم يخبرني. لكن ثمة أشياء كثيرة لا يخبرني عنها.

- لا بأس. بوسويلو يريد حمايتي فحسب، لكنني لا أريد الاختباء.

- ماذا تريدين؟

ماذا تريد؟ سيترا تيرانوفا تريد أن تنزع عباءتها، وتعود إلى أسرتها، وتتجادل مع شقيقها بشأن أمور تافهة. لكن المنجل أناستازيا لن تنال أيًّا من هذا.

- أريد القضاء على غودارد. تمكَّنتُ من إثبات أنه كان في المريخ عندما وقعت الكارثة، لكن وجوده هناك لا يثبت أنه سبَّبها.

- نجا من المريخ، ونجا من إنديورا. أمر مثير للريبة لكن لا يجرِّمه.

- بالضبط، لذا أريد العثور على شخص آخر، هل سمعت بالمنجل أليغيري؟

***

اضطر بوسويلو إلى مغادرتهم في العصر، استدعته النصل السامي إلى أمازونيا.

قال لأناستازيا: «تارسيلا تمنحني حرية كبيرة، لا سيما بعدما أسفَرتْ مغامرة الاستنقاذ عنكِ أنت. لكن عندما انتشر خبر أنني اصطحبتُ صديقنا الرسام إلى جنوب الصحراء، طلبت مني العودة، حتى لا نُتَّهَم بالتآمر مع الطونيين». تنهد، ثم تابع: «إقليمنا متسامح جدًّا، لكن بعد الهجوم على قصر تنكامنن، حتى الأقاليم الأكثر منا تسامحًا بدأت تتشدد مع الطونيين، ونصلنا السامي لا تريد الدعاية السيئة».

مر عدة طونيين جوار الكهف خلفهما، وانحنوا لهما قائلين بتبجيل: «جنابكما»، بعضهم أصواتهم ثقيلة قليلًا، إذ كان أول أسبوع لهم منذ نمو ألسنتهم الجديدة. صعُب تصديق أن هؤلاء هم الصخَّابون الجامحون أنفسهم الذين قتلوا تنكامنن. نجح غريسن، الناقوس، في إصلاحهم وإنقاذهم من فقدان إنسانيتهم. لم تستطع أناستازيا أن تسامحهم، لكنها لمست في نفسها القدرة على التعايش معهم.

كان جيري قد قال لها: «الناس كالأوعية، يستوعبون كل ما يُصَب فيهم». وبدا أن غريسن قد أفرغهم وملأهم بشيء أكثر استساغة.

ودَّعها بوسويلو عند مدخل الكهف: «هذا المكان معزول، وإذا كان الناقوس تحت حماية الرأس السحابي حقًّا، فستكونين بأمان معه. هذا ليس

الملاذ الآمن الذي كنت أبحث عنه، لكن من يدري إذا ما كان يوجد مكان آمن أمانًا تامًّا. الشائعات لا يُعوَّل عليها».

- آمل أن يساعدني الناقوس على إيجاد أليغيري.

قال بوسويلو متحسرًا: «أشك في بقائه على قيد الحياة. كان عتيقًا عندما كنتُ متتلمذًا، وأنا لست ابن البارحة».

ضحك وعانقها، وأحست بعناقه مريحًا، أبويًا. لم تدرك مدى افتقادها للعناق الأبوي حتى هذه اللحظة، فتذكرت أسرتها مرة أخرى. لم تحاول التواصل معهم منذ إنعاشها، كما نصحها بوسويلو. وطمأنها أنهم بأمان ومحميون في إقليم صديق. ربما يأتي وقت للم شملهم، وربما لن تراهم مرة أخرى أبدًا، وفي كلا الحالين، أمامها عمل كثير عليها إنجازه قبل التفكير في لقائهم.

قال بوسويلو: «تحياتي إلى القبطان سوبرانس، أظنه سيبقى معكِ».

قالت: «كما أمرتَه».

رفع بوسويلو أحد حاجبيه: «لم آمره بالبقاء معك. جيريكو يفعل ما يحلو له. هجران القبطان للبحر، واختياره أن يكون حاميًا لك يدل على عظمتكما». عانقها مرة أخيرة: «اعتني بنفسك ميو *آنخو*». ثم استدار وسار بخطوات واسعة نحو طائرته التي تنتظره في بقعة خالية من الأشجار.

***

إزرا الرسام، بعدما رأى بوسويلو أن يطلق سراحه، شرع في رسم جدارية في أحد الكهوف الكبيرة، ودغدغه الزَّهو بأن هذا المكان قد يصبح وجهة حج للطونيين مستقبلًا -إذا وُجِد أي طونيين في المستقبل- وأن رسوم هذا الكهف سيحللها باحثو المستقبل إلى الأبد. وأدخل في الرسم عناصر غريبة لا لشيء سوى التشويش على أولئك الباحثين، دُب راقص، وصبي ذو خمس أعين، وساعة حائطية مكوَّنة من إحدى عشرة ساعة ينقصها الرقم 4.

قال: «ما الحياة إذا لم يستطع المرء العبث مع المستقبل؟».

سأل إزرا الناقوس عما إذا كان يتذكره، فقال غريسن له إنه يتذكره. لكن كلامه كان نصف الحقيقة. تذكَّر غريسن لقاء إزرا معه، لأن اللقاء كان نقطة تحوُّل لغريسن أيضًا، إذ كانت أول مرة يقدم فيها نصيحة لأحد بدلًا من أن يكون لسانًا للرأس السحابي فحسب، لكنه لم يتذكر وجه إزرا إطلاقًا.

قال الرأس السحابي متحسرًا: «آه، يا لأوجه القصور الرائعة في الدماغ البيولوجي! ومقدرته العظيمة على التخلي عن الأشياء غير الضرورية بدلًا من رَهَق الاحتفاظ بخلاصة وافية موجزة لكل شيء!».

سمَّى الرأس السحابي الانتقائية التي تتَّسِم بها الذاكرة البشرية بـ «نعمة النسيان».

ثمة أشياء نسيها غريسن وتمنى لو يتذكرها، مثل معظم سنوات طفولته، أيِّ لحظات حميمية مع والديه. كما ظل يتذكر أشياء ودَّ لو نسيها، مثل النظرة التي ارتسمت على وجه بيورتي عندما قطفها قسطنطين.

أدرك أن نعمة النسيان صارت الآن لعنة في نظر أناستازيا، لأن العالم بدا كأنه نسي المنجل أليغيري. لكن الرأس السحابي لم ينسَه، ظل أليغيري موجودًا في خلاصته الوافية الموجزة للتاريخ البشري، لكن الوصول إلى هذه المعلومة كان المشكلة.

لزم الرأس السحابي الصمت طوال مدة حواره مع أناستازيا، ومن ثَم، بعدما عادت المنجل إلى الكهف وانضمت إلى رفاقها، تكلم أخيرًا: «لا يمكنني بأي طريقة مساعدة أناستازيا على إيجاد الرجل الذي تبحث عنه».

- لكنك تعرف مكانه، أليس كذلك؟

- أعرف. لكن إيصال معلومة مكانه إليها سيكون انتهاكًا.

- أيمكنك إخباري؟

- يمكنني. لكن إذا أخبرتَها، فسأضطر إلى وسمك مستهجنًا، وعندئذٍ كيف سيكون حالنا؟

تنهَّد غريسن.

- لا بد من وجود وسيلة للالتفاف...

- ربما. لكنني لن أساعدك على إيجادها.

وسائل الالتفاف. استخدم الرأس السحابي غريسن وسيلةً للالتفاف عندما كان طالبًا ساذجًا في أكاديمية المزن. والآن عندما فكر غريسن بالأمر، تذكَّر أنه سمِع عن وسيلة التفاف رسمية في أحد دروسه المبكرة في الأكاديمية، قبل أن يتسبب في طرد نفسه. كانت توجد ممارسة طقوسية تتيح لأي عميل مزن التحدُّث مع منجل دون خرق القانون، كان اسمها *الحوار الثلاثي*،

تتضمن وسيطًا محترفًا ضليعًا في بروتوكولات المناجل/الدولة وما يمكن أو لا يمكن قوله.

أدرك غريسن أنهم يحتاجون إلى وسيط.

***

في كهفه الخاص المفروش بالسجاد والمعلَّقة على جدرانه النُّجود، جلس الناقوس على إحدى الوسائد العديدة الملقاة في أنحاء المكان، مواجهًا جيريكو سوبرانس.

قدَّر غريسن أنه وسوبرانس في السن نفسها تقريبًا، إلَّا إذا استعاد قبطان الاستنقاذ شبابه، لكن غريسن استبعد هذا الاحتمال. لم يبدُ القبطان الشاب من نوع الذين يعودون إلى سن يافعة، لكن بدا أنه يتَّسم بنبلٍ ما، ليس حكمة مستمدة من تراكم السنين، إنما من رؤية أشياء كثيرة في العالم. غريسن جاب كل أنحاء العالم لكنه لم ير منه سوى القليل وهو في شرنقته، لدرجة أنه أحس بأنه لم يذهب إلى أي مكان. لكن جيريكو سوبرانس رأى العالم بكل ما فيه، وعرفه معرفة حقيقية. وهذا جدير بالإعجاب.

قال سوبرانس: «المنجل أناستازيا شرحت لي سبب استدعائك لي. كيف سيجري الأمر يا صاحب... بمَ يخاطبونك؟».

أجاب غريسن: «صاحب الصدى».

قال سوبرانس بابتسامة ساخرة: «صحيح، صاحب الصدى».

- أتجده مضحكًا؟

لم تبارح الابتسامة الساخرة وجه قبطان سفينة الاستنقاذ: «هل اخترت هذا اللقب بنفسك؟».

- لا. رئيس الخوريين لدي.

- لا بد أنه يعمل في مجال التسويق.

- كان يعمل فعلًا.

فتر الحوار بينهما، وهذا لم يكن مفاجئًا، الوضع برمَّته مصطنع وثقيل، لكن لا بد منه.

قال غريسن للقبطان: «قل كلامًا».

- أي كلام ينبغي أن أقوله؟

- لا يهم ما تتكلم عنه. نحتاج إلى حوار، ثم سأطرح الأسئلة على الرأس السحابي بشأن الحوار.

- ثم؟

- ثم سيجيب.

ابتسم جيريكو مرة أخرى، ابتسامة ماكرة جذابة على نحو غريب: «لعبة شطرنج إذن، وكل القطع خفية!».

قال غريسن: «كما تشاء».

تمهل جيريكو لحظة ليفكر في موضوعهما: «حسنًا»، ثم قال كلامًا لم يتوقعه غريسن: «أنا وأنت لدينا قاسم مشترك».

- ما هو يا ترى؟

- كلانا ضحَّى بحياته من أجل إنقاذ المنجل أناستازيا.

هز غريسن كتفيه: «ضحينا بحياتينا مؤقتًا».

- ورغم هذا، تطلبت تضحيتنا شجاعة وقفزة إيمان أعمى.

- ليس في كل الأحوال. الناس يتفلطحون كل يوم.

- أجل، لكن كلينا ليس متهورًا مثل المتفلطحين، التسبُّب في شِموت أنفسنا عمدًا ضد طبيعتنا الفطرية. ما كان أي أحد ليتخذ القرارات التي اتخذناها. ولهذا أعرف أن قيمتك أكبر من الزي الذي ترتديه.

ابتسم سوبرانس مجددًا، وهذه المرة كانت ابتسامة نقية، صادقة. لم يقابل غريسن قط شخصًا لديه مثل هذه الابتسامات المتنوعة الحافلة بالمعاني.

قال غريسن: «شكرًا لك، أرى أن إعجابنا المشترك بالمنجل أناستازيا... يوحِّدنا بطريقةٍ ما». انتظر ليرى إذا ما سيقول الرأس السحابي أي كلام، لكنه لزم الصمت، كان ينتظر توجيه سؤال إليه، وغريسن لم يعرف ما ينبغي أن يسأل عنه.

تابع غريسن: «آمل ألَّا تجد في كلامي إهانة. لستُ متأكدًا مما إذا ينبغي لي مخاطبتك بالسيد سوبرانس أو الآنسة سوبرانس».

جال القبطان ببصره في أنحاء الكهف وبدا عليه عدم الارتياح: «إنني محتار قليلًا، نادرًا ما أجد نفسي في مكان لا يمكنني رؤية السماء منه».

- ولماذا يهم هذا؟

- أفترض أنه ينبغي ألَّا يهم... دائمًا ما أكون في الهواء الطلق، أو على الأقل أتعمَّد الجلوس جوار نافذة أو كوَّة... لكن هنا في الكهف...

لم يفهم غريسن، واعتكر مزاج القبطان قليلًا وقال: «لن أستوعب أبدًا سبب تعلُّقكم أنتم بمسائل شكلية».

قال غريسن مرتبكًا قليلًا: «لا يهم، أعني... يهم من أجل أشياء بعينها... أليس كذلك؟».

- أخبرني أنت.

وجد غريسن نفسه غير قادر على الإشاحة بوجهه عن نظرات القبطان: «ربما... لا يهم بقدر ما ظننتُ؟». لم يقصد طرح كلامه كسؤال، لكن بلا جدوى، لأن جيريكو لم يعطه إجابة.

- لِمَ لا تخاطبني بجيري فحسب؟ وليس علينا أن نقلق بشأن مسائل شكلية.

- حسنًا! جيري إذن. فلنبدأ.

تصنَّع جيري تحريك قطعة شطرنج مُتخيَّلة إلى الأمام: «ظننتُ أننا بدأنا سلفًا. هل حان دوري في تحريك القطع؟»، ثم قال: «تعجبني عيناك، أرى كيف أنهما قادرتان على إقناع الناس باتِّباعك».

- لا أظن أن عينيَّ تؤثران في إقناع الناس.

- ستفاجئك معرفة الحقيقة.

ضغط غريسن مسماعه في أذنه: «الرأس السحابي... هل تؤثر عيناي في اتباع الناس لي؟».

أجابه الرأس السحابي: «نعم، أحيانًا. تساعدان عندما تفشل الوسائل الأخرى».

أحس غريسن بأنه يحمر خجلًا رغمًا عنه، فلاحظ جيري وابتسم ابتسامة من نوع آخر: «إذن يوافقني الرأس السحابي الرأي».

- ربما.

دخل غريسن هذه اللعبة مفترضًا أنه سيكون المتحكم في مجرى الحوار، لكن بدا واضحًا أنه ليس المتحكم. ورغم هذا بدأ يبتسم هو أيضًا، لكنه كان متأكدًا أنه لديه ابتسامة واحدة، تجعله يبدو أبله. قال: «حدِّثني عن مدغشقر»، ليبعد التركيز عن نفسه.

تغيَّر مزاج جيري إثر تذكُّره دياره: «إقليمنا جميل، بجباله وشواطئه وغاباته، الناس لطيفون ومتسامحون. تجدر بك زيارة أنتاناناريفو، عاصمتنا، ورؤية تِلالِها تحت شمس الغروب!».

قال غريسن: «الرأس السحابي... أخبرني معلومةً مشوقة عن أنتاناناريفو».

تكلم الرأس السحابي، واستمع غريسن.

سأله جيري: «ماذا قال؟».

قال غريسن: «اممم... أخبرني أن أطول مبنى في أنتاناناريفو يبلغ ارتفاعه 309.67 مترًا، وهذا مثل ارتفاع أربعة مبانٍ أخرى في العالم، بالملمتر».

اتكأ جيري متراجعًا في جلسته وقد خاب أمله: «أهذه هي أكثر معلومة تشويقًا وجدها؟ ماذا عن أشجار الجَكَرَندة حول بحيرة أنوسي أو المقابر الملكية؟».

لكن غريسن رفع يده ليسكت جيري، وفكَّر هنيهة. الرأس السحابي لا يقول أي كلام جِزافًا أبدًا. المعضلة هي قراءة عقله قراءة صحيحة: «الرأس السحابي... أين تلك المباني الأربعة؟ يساورني الفضول».

قال له: «أحدها في إقليم شيليأرجنتين، وآخر في بريطانيا، وثالث في إسرابيا، والرابع في إقليم نيوزلندا».

أخبر غريسن جيري، وظل القبطان على خيبة أمله قائلًا: «ذهبت إلى جميع هذه الأقاليم، لكن دياري هي الأفضل دومًا».

- هل ذهبت إلى جميع أقاليم العالم؟

- جميع الأقاليم المُطلَّة على البحار، أمقتُ الأقاليم الحبيسة.

وعندئذٍ أدلى الرأس السحابي برأي بسيط وبديهي. ونقله غريسن: «يقول الرأس السحابي إنك على الأرجح ستشعر بأنك في ديارك في الأقاليم التي تتكون من جزيرة أو أرخبيل بحجم مدغشقر نفسه». أمال غريسن رأسه قليلًا، كعادته عندما يتكلم مع الرأس السحابي في حضور آخرين: «الرأس السحابي... أي أقاليم ينطبق عليها وصفك؟».

لكن الرأس السحابي ظل صامتًا.

ابتسم غريسن: «ما من رد... مما يعني أننا اقتربنا من شيء».

قال جيري: «الأقاليم التي تخطر لي الآن هي بريطانيا وكاريبيا وإقليم الشمس المشرقة ونيوزلندا ونيسيا».

- هذا مثير للاهتمام.

- ماذا؟

- بريطانيا ونيوزلندا ذُكرتا مرتين...

واصل الرأس السحابي صمته.

قال جيري: «بدأت أحب هذه اللعبة».

لم يستطع غريسن إنكار أنه بدأ يحبها أيضًا.

سأل جيري: «أي إقليم تفضِّل أن تعيش *أنت* فيه إذا أتيح لك اختيار أي مكان في العالم؟».

كان سؤالًا مفخخًا، وربما كان جيري يعرف هذا. لأن كل شخص في العالم له حرية الاختيار. بإمكان أي أحد العيش في أي مكان. لكن الديار في نظر غريسن لم تكن مكانًا بقدر ما كانت حالة عقلية.

أجاب غريسن: «أريد أن أعيش في مكان لا يعرفني فيه أحد».

- لكن لا أحد يعرفك فعلًا. الناس يعرفون الناقوس، لا يعرفونك. أنا مثلًا، لا أعرف حتى اسمك.

- اسمي غريسن.

ابتسم جيري ابتسامة دافئة كشمس مدغشقر: «مرحبًا يا غريسن».

هذه التحية البسيطة بدت كأنها تُذيب غريسن وتجمِّده في آنٍ واحد، المدغشقريون معروفون بجاذبيتهم وسحرهم، ربما هذا كل ما في الأمر، وربما ليس كذلك. أدرك غريسن أنه عليه تحليل هذا الوضع لاحقًا.

قال جيري: «لن أعيش في أي مكان بعيد عن البحر».

سأل غريسن الرأس السحابي: «الرأس السحابي... ما رأيك في هذا؟».

قال الرأس السحابي: «في كل إقليم توجد مدينة أو بلدة بعيدة عن البحر، أفترض أن القبطان لن يرغب في العيش في تلك الأماكن».

- لكن إذا كان فيها أشجار جركندة مثل تلك البحيرة في مدغشقر، ربما يشعر جيري بأنه في دياره.

- ربما.

وعندئذٍ أقدَم غريسن على حركة من طرف خفي، من النوع الذي لا يتوقعه الخصم. لكن بالطبع اكتشف الرأس السحابي أمرها، بل ورحَّب بها.

- أخبرني أيها الرأس السحابي عن بعض الأقاليم التي تنمو فيها أشجار الجركندة.

- رغم أنها تنمو نموًّا أفضل في المناخات الدافئة، صارت الآن تنمو في كل الأقاليم تقريبًا، أزهارها البنفسجية محبوبة في جميع أنحاء العالم.

- أجل، لكن أيمكنك أن تذكر لي قائمة بـ... امم، فلنقُل... أربعة أماكن يمكن أن توجد فيها؟

- بالطبع يا غريسن. أشجار الجركندة توجد في غربمريكا، وإسموس، والهيمالايا السفلى، وحتى في الحدائق النباتية في بريطانيا.

نظر جيري إلى غريسن مترقِّبًا: «ما الأمر؟ ماذا قال الرأس السحابي؟».

قال غريسن: «كش ملِك!»، وابتسم لجيري ابتسامته البلهاء.

***

قال غريسن لأناستازيا: «إننا نبحث عن بلدة في إقليم بريطانيا، في أبعد مكان عن البحر. هناك سوف نجد المنجل أليغيري».

سألته: «متأكد؟».

قال غريسن: «تمامًا». ثم صحح نفسه: «على الأرجح. ربما».

فكرت أناستازيا، ثم أعادت نظراتها إلى غريسن: «قلتَ سوف نجد».

أومأ غريسن: «سأذهب معكم». كان أول قرار عفوي اتخذه غريسن منذ سنوات، فراوده إحساس طيب، وأشعره بالتحرر. قالت أناستازيا: «لا أظن أن ذهابك معنا فكرة جيدة».

لكن غريسن أصر: «أنا الناقوس، والناقوس يذهب حيثما يشاء. فضلًا عن أنني أريد أن أكون حاضرًا عندما تغيِّر المنجل أناستازيا العالم!».

لم يبدِ الرأس السحابي رأيًا حيال قرار غريسن، لم يحثه على عدم الذهاب، كما لم يقل إنه قرار سليم، أو ربما لم يعلِّق لأن منجلًا حاضر. لم يتكلم الرأس

السحابي إلا بعدما صار غريسن وحده، لكنه لم يكلمه عن الوجهة، بل اتخذ النقاش منحى مغايرًا تمامًا.

قال الرأس السحابي: «استشعرتُ تغيُّرًا في فسيولوجيا جسدك عندما كنت تتكلم مع قبطان سفينة الاستنقاذ».

رد غريسن بحدة: «ولماذا هذا من شأنك؟».

قال الرأس السحابي بهدوء: «إنها مجرد ملاحظة».

- رغم دراستك لطبيعة البشر من سنوات، ألا تعرف متى يكون كلامك تدخُّلًا في خصوصيتي؟

- أعرف. كما أعرف متى ترغب في تدخُّلي في خصوصيتك.

كالعادة كان الرأس السحابي محقًّا، فأثار حنق غريسن، أراد أن يتكلم في الموضوع، ويحلله، لكن ما من أحد يتكلم معه سوى الرأس السحابي.

قال الرأس السحابي: «يبدو لي أن جيري أثَّرتْ فيك».

- *أثَّرتْ*؟ أليست وقاحة منك أن تشير إلى جيري بضمير المؤنث؟

- لا، إطلاقًا. السماء فوق الكهف صافية ومليئة بالنجوم.

ثم شرح الرأس السحابي لغريسن رؤية جيري للفرق بين الجنسين، رؤية متقلِّبة كالرياح والغيوم.

قال غريسن: «هذه... رؤية شاعرية، لكنها غير عملية».

- ومَن نحن حتى نحكم على مثل هذه الأشياء؟ كما إن القلب البشري نادرًا ما يكون عمليًّا.

- كلامك هذا يبدو حُكميًّا...

- بالعكس. أتوق لرفاهية أن أكون غير عملي، ستُضفِي جوهرًا أو صفة مميزة على وجودي.

ولاحقًا، بعدما نزع غريسن مسماعه واضجع على الفراش، خطر له السبب الذي جعل حواره مع جيري سوبرانس جذابًا ومشوِّشًا في آن واحد.

قالت جيري سابقًا: «*مرحبًا يا غريسن*». كان كلامًا عاديًّا، لكن صداه بلغ مكانًا أعمق. كانت الكلمات نفسها ونبرة الصوت نفسها التي استخدمها الرأس السحابي عندما بدأ يتكلم معه مرة أخرى.

استحالت مستعمرة المرِّيخ وَهْدةً موبوءة بنشاط إشعاعي قبل مولدي بزمن طويل، لكن الذين يناهزون المئة من أعمارهم، على الأرجح سيتذكَّرون الاحتجاجات الصَّارخة التي اندلعت عندئذٍ. بعد كارثة القمر، ومن ثم المريخ، أحس الناس بأن استعمار الفضاء محفوف بكثير من المخاطر، وانقلبوا على فكرة إيجاد الحلول خارج كوكبنا، أو بالأحرى حُمِلوا على الانقلاب على الفكرة إثر حملة إعلامية شرسة، أبرز المشاركين فيها قناة **وَن غلوب ميديا**، هل سمعتم بها؟ لا؟ لم تسمعوا بها لأنها لم تعد موجودة، أُسِّست لغاية واحدة فقط، هي التأثير في الرأي العام حتى يبدو قرار الرأس السحابي بإيقاف جميع جهود استعمار الفضاء كأنه استجابة للاحتجاج الصارخ من عامة الناس، وليس استجابةً لتخريب المناجل لتلك الجهود.

وإمعانًا في الإهانة، أحد أهم المناجل المسؤولين عن الكارثة ترقَّى سريعًا في هيئة مناجل وسطمريكا، حتى القدوة التاريخية التي اختارها كانت ازدراءً مبطَّنًا.

د. روبرت غودارد، عالم الصواريخ الذي جعل السفر إلى الفضاء ممكنًا.

لكن الرأس السحابي لم يستسلم بعد، كان عازمًا على محاولة أخيرة لتأسيس وجود خارج كوكبنا، ليس في القمر أو أي كوكب آخر، إنما في محطة مدارية، قريبة من الأرض، ويسهُل الإشراف عليها مباشرة.

ولا يُشترَط أن نكون علماء صواريخ حتى نخمِّن ما حدث لاحقًا.

39

ما من مرايا تكفيه

لم يتجاوز المنجل أليغيري سن الثلاثين، لكنه في هذه السن للمرة التاسعة والعشرين، إذ يستعيد شبابه كثيرًا، وسنُّه في الحقيقة تناهز مئتين وستين عامًا. لم يعد يشبه البشر إلا بالكاد، نتيجة لاستعادة شبابه مرات كثيرة، إذ يصبح جلد المرء لامعًا ممطوطًا، وتتآكل بِنية العظام مثل صخور على مجرى نهر فتغدو ملساء وتفقد زواياها البارزة.

صار يمضي معظم وقته وهو ينظر إلى انعكاس صورته ويُهندِم نفسه، ولم يكن يرى ما قد يراه الآخرون، كان يرى في نفسه جمالًا خالدًا، مثل تمثال أدونيس، وتمثال ديفيد لمايكل أنجلو. ما من مرايا تكفيه.

لم يعُد يتواصل مع المناجل الآخرين، ولا يحضر الخلوات، لكن لم يفتقده أحد، منذ عقود لم تعلن أي هيئة مناجل انضمامه إليها رسميًا، لذا لم يظهر اسمه في قائمة مناجل أي نصل سامٍ. كان منسيًا، نسيه العالم أجمع، لكن أليغيري لم يمانع نسيانه. صار العالم في نظره معقدًا إلى درجة لا تناسب ذوقه، فعاش حياة منعزلة تُبقِي الأحداث الجارية بعيدًا عنه بقدر بُعد مسكنه من البحر، حيث كان في أبعد مكان من البحر في إقليم بريطانيا.

لم يعرف، أو يكترث بمعرفة، أن الرأس السحابي لم يعد يتكلم مع الناس. ورغم أنه سمع عن مشكلات من نوع ما في جزيرة القلب المكابد، لم تكن لديه فكرة عن أنها صارت في قاع الأطلسي. هذه من شؤون الآخرين. لم يكن

له نشاط سوى القطف من حين لآخر في أنحاء مدينة كوفنتري. كان قد أنقذ العالم ذات يوم، والآن لم يرغب سوى في أن يعيش بقية حياته الأبدية في سلام.

كان زواره قليلين. عادةً ما يقطف كل من يقف أمام باب بيته، ويرى القطف مصيرًا عادلًا للذين يتجرؤون على إزعاجه، وبالطبع عندئذٍ يضطر إلى الخروج مهما كانت حالة الطقس ليمنح الحصانة لأقارب الذين يقطفهم، مسؤولية مزعجة ثقيلة، لكنه ما كان يتنصَّل عنها قط فيخالف تلك الوصية. كان قد خالفها من قبل، فأثقلت على ضميره. حسنًا، على الأقل إنه يعيش في مكان يسُر النظر عندما يضطر إلى الخروج. خضرة تلال مقاطعة وركشير ألهمت كثيرًا من رسامي وأدباء عصر الفانين. كانت المقاطعة مسقط رأس شيكسبير، ومنطقة تولكين الريفية المفضلة. كان الريف جميلًا بقدر جمال أليغيري.

هو أيضًا ولِد في هذه المنطقة، لكنه في سنوات نشاطه انضم إلى عدة هيئات مناجل في أقاليم قريبة وبعيدة، ظل ينتقل من إقليم إلى آخر كلما نشب خلاف بينه وبين مناجل أي إقليم. لم يُطِق صبرًا على الحمقى، وفي النهاية صار يرى جميع الناس حمقى. لكن الآن عاد إلى إقليمه الذي وُلِد فيه وليست لديه رغبة في المغادرة.

الزوار الذين جاؤوا في ذلك العصر البارد لم يكونوا موضع ترحيب، كغيرهم، لكن بما أن بينهم منجلًا، لم يستطع أليغيري أن يقطفهم، أو يطردهم، فاضطر إلى أن يكون مضيافًا، وكانت الضيافة مهمة بغيضة في نظر المنجل العتيق.

ألقت المنجل التي ترتدي عباءة فيروزية نظرة خاطفة على عباءته الحريرية اللؤلؤية: «المنجل أليغيري؟».

قال: «نعم، نعم، ماذا تريدين؟».

رآها جميلة، فأحس برغبة في استعادة شبابه سريعًا، عائدًا إلى سن قريبة من سنها حتى يغويها. بالطبع تُستهجَن مثل هذه العلاقات بين المناجل، لكن مَن سيعرف؟ ما كان ليترك فتاة كهذه في أي سن.

أحست أناستازيا بنفور فوري من الرجل، لكنها بذلت ما بوسعها لإخفاء اشمئزازها. بدا جلده كقناع بلاستيكي، وشكل وجهه يعاني خطبًا ملموسًا.

قالت: «نريد التحدث معك».

قال أليغيري: «أجل، أجل، حسنًا، ستجدين أن الحديث معي بلا جدوى».

ترك الباب مفتوحًا دون أن يدعو زائريه إلى الدخول دعوة صريحة. دخلت أناستازيا أولًا، وتبعها غريسن وجيري، وكانوا قد تركوا بقية حاشيتهم بعيدًا جوار الطريق، إذ لم يرغبوا في إزعاج أليغيري بكثرتهم. كانت أناستازيا تفضِّل أن تأتي وحدها، لكن الآن وقد رأت حالة الرجل المفزعة وكوخه القذر، سعِدت لأن غريسن وجيري معها في هذا المنزل الذي يبدو مسكونًا بالأشباح.

نظر أليغيري إلى رداء غريسن ووشاحه، وسأله: «أهذا ما يرتديه الناس في هذه الأيام؟».

قال غريسن: «لا، وحدي أرتدي هذه الملابس».

تأفف أليغيري تعبيرًا عن امتعاضه: «ذوقك مريع». ثم التفت إلى أناستازيا، ونظر إليها مليًّا نظرة جعلتها ترغب في ضربه بشيء غير حاد.

قال: «لكنتك أمريكية شمالية، كيف الأحوال على الجانب الآخر من البِركة؟ أما زال زينوقراط يُرغِي ويُزبِد في وسطمريكا؟».

اختارت أناستازيا كلماتها بحرص: «زينوقراط... نُصِّب مخضرمًا ممثلًا لأمريكا الشمالية».

قال أليغيري: «ها! أراهن أنه كان سبب المشكلات التي حدثت في إنديورا، أيًّا كانت. حسنًا، إذا جئتِ سعيًا وراء حِكمة منجل خبير، فقد أتيت إلى الرجل الخطأ، ليس لدي حكمة لك، ربما يجدر بك الرجوع إلى مذكراتي في الإسكندرية، لكنني أهملت إرسالها في الآونة الأخيرة...».

ثم أشار إلى مكتب في ركن مكتظ بمذكرات عَلاها الغبار، فوجدت أناستازيا المدخل الذي تحتاج إليه.

قالت: «مذكراتك، أجل، جئنا من أجلها».

نظر إليها مجددًا، نظرة مختلفة قليلًا هذه المرة، ربما اعتراه شيء من القلق، صعُب استجلاء أي مشاعر في وجهه: «هل سأعاقَب لأنني لا أسلِّم مذكراتي في الوقت المحدد؟».

قالت أناستازيا: «لا، أبدًا. يريد الناس القراءة عن... العملية التي كنتَ مشتركًا في تنفيذها».

عندئذٍ بدا مرتابًا قطعًا: «أي عملية؟».

فتداركت أناستازيا الموقف: «لا تكن متواضعًا، كل المناجل يعرفون اشتراكك في عملية قطف نيو هوب. إنك أسطورة».

- أسطورة؟

- نعم، وأنا متأكدة أن مذكراتك ستُخصَّص لها غرفة منفردة في المكتبة.

عَبَس وقال: «لا أطيق المداهنين. اخرجوا».

ثم سار وجلس إلى منضدة عليها أدوات تجميل، كأنما انصرف زائروه، وبدأ يمشط شعره الأسود المُحمر الطويل.

همست جيري لأناستازيا: «دعيني أحاول»، ثم اقتربت من أليغيري من خلفه، وقالت: «ثمة خصلات متشابكة بالخلف جنابك، من فضلك... اسمح لي».

نظر أليغيري إلى جيري في المرآة: «هل أنت من أولئك الذين ليس لهم جنس؟».

صححته جيري: «يمكنني أن أكون الجنسين. هكذا نحن في مدغشقر».

تكلم أليغيري بصوت ينضح ازدراءً: «مدغشقرية؟ لا أطيق المدغشقريين، ودائمًا ما أقول لهم احسموا أمركم وضعوا حدًّا لتقلُّبكم».

لم تنفعل جيري، وبدأت تمشيط شعر المنجل، ثم سألته: «كم تبلغ من العمر جنابك؟».

- يا للوقاحة! ينبغي أن أقطفك عقابًا لك على طرح هذا السؤال!

تقدمت أناستازيا خطوة، لكن جيري لوَّحت لها لتقف.

قالت جيري: «كل ما في الأمر أنني لم يسبق أن قابلت شخصًا عاش تاريخًا طويلًا مثلك. أنا رأيت العالم، لكنك رأيت العصور!».

نظر أليغيري إليهم جميعًا في المرآة. رغم أن الرجل ادَّعى عدم حبِّه للإطراء، فقد بدا مأخوذًا به بقدر ما كان مأخوذًا بانعكاس صورته.

عندئذٍ حان دور غريسن، سأله: «هل كنتَ... فانيًا؟ لم أقابل أحدًا وُلِد فانيًا».

تمهل أليغيري قبل أن يجيب: «قليلون كانوا. بعد حملات تطهير الفانين، انزوى البقية عن الناس». أخذ الفرشاة بلطف من جيري واستأنف المهمة بنفسه. تساءلت أناستازيا عن عدد المرات التي مرت فيها الفرشاة على شعر الرجل عبر السنوات.

قال أليغيري: «هذه ليست معلومة شائعة لدى الناس، لكن نعم، ولدتُ فانيًا. لكنني نادرًا ما أتذكر ذلك الزمن، كان الموت الطبيعي قد استُؤصِل قبل أن أكبر وأفهم معنى الموت».

أطرق، ونظر إلى المرآة مجددًا، كأنه يخترقها بعينيه ناظرًا إلى ذلك الزمان والمكان: «قابلتُهم، أعني المناجل المؤسسين، حسنًا لم *أقابلهم* بمعنى الكلمة، إنما *رأيتهم*. رآهم جميع الناس. كل رجل وامرأة وطفل أرادوا أن يروهم وهم في طريقهم عبر شوارع البلدة إلى قصر باكينغهام، حيث جثا الملك أمامهم. لم يقطفوه، بالطبع. حدث ذلك بعد سنوات». ضحك: «عثرتُ على ريشة حمامة وصبغتها باللون الأزرق، وقلت لزملائي في المدرسة إن الريشة سقطت من عباءة كليوباترا. لم تكن تشبه ريش الطاؤوس أدنى شبه، لكن زملائي لم يكونوا أذكياء جدًّا».

قالت أناستازيا: «جنابك، بشأن عملية قطف نيو هوب...».

قاطعها ممتعضًا: «أجل، أجل، هذا خبر قديم. لم أكتب عنها في مذكراتي عندئذٍ، بالطبع، كانت العملية مسربلة بالسرية. لكنني كتبت بعدها، كل شيء في تلك المجلدات». وأومأ مرة أخرى إلى الكتب المكدسة على المكتب.

قالت جيري: «من المؤسف أنها ستُحفظ كلها في الإسكندرية، ولا أحد هناك سوى السياح والأكاديميين، لن يقرأها أي شخص ذو أهمية».

رد أليغيري بأن نظر إلى الفرشاة التي في يده، وقال: «أرأيت كيف امتلأت بالشعر؟»، ثم أعاد الفرشاة إلى جيري، فأزالت منها الشعر وبدأت تمشط الجانب الآخر من رأس أليغيري.

قالت أناستازيا: «أرجو ألّا تمانع قولي، أيها المنجل أليغيري... ألم يحِن الوقت لنَيل الفضل والثناء اللذين تستحقهما؟».

تكلم غريسن وهو لا يدري تفاصيل الموضوع: «المنجل أناستازيا محقة»، لكنه عرف ما يحتاج إلى معرفته: «ينبغي أن يعرف جميع النلاس التضحيات التي بذلتها، يجدر بك أن تخبر بها العالم ليحفظها التاريخ وتعرفها الأجيال».

قالت أناستازيا: «أجل. نسيك العالم، لكن بوسعك تذكيرهم، تحتاج إلى إرث دائم تتركه خلفك».

استغرق المنجل أليغيري لحظة طويلة ليقلّب الأمر في رأسه. لم يقتنع تمام الاقتناع بعد... لكنه لم يصرف نظره عن الفكرة.

قال: «أحتاج إلى فرشاة جديدة».

«اسمي المنجل دانتي أليغيري، عمِلت سابقًا في أقاليم أوروسكانديا، وفرانكوآيبريا، وترانسيبريا، وبيزنطة، وحاليًّا أقيم في إقليم بريطانيا، لكنني غير مُنضَم رسميًّا إلى هيئة المناجل هنا ولا في أي مكان آخر.

لا أُقدِّم هذا البث بإيعاز من المنجل أناستازيا. أظهر أمامكم برغبتي الخالصة، لذِكر الحقائق الغائبة.

قبل عدد من السَّنوات شاركتُ في خطَّة منظَّمة لقطف عدد هائل من النَّاس. قطف جماعي، أجل، لكنه لم يكن مثل أي قطف جماعي. أدَّيتُ دورًا رئيسيًّا في تدمير مُستعمَرة نيو هوب المداريَّة.

ما فعلتُه كان من حقِّي بوصفي منجلًا، وأفتخر بكل أفعالي ولا يُداخِلني أي ندم حيال عمليَّات قطفي.

بَيْد أنني قصَّرتُ في واجباتي المنجليَّة، وذلك التَّقصير أثقل على كاهلي. كما تعرفون، من واجباتنا التي أقسمنا عليها منح الحصانة لعائلات الذين نقطفهم، واجب منصوص عليه بوضوح في وصيَّتنا الثالثة. لكن نظرًا إلى طبيعة العمليَّة الحسَّاسة، لم نؤدِ واجبنا ولم نمنح الحصانة للعائلات.

لن أدَّعي الجَهل أو السَّذاجة، كنا مدركين لما نفعله. كنا نرعَى العالم الذي ترونه اليوم، ونحميه من المجهول. إذا نجح مسعى إنشاء مستعمرات خارج كوكبنا، لانتَفَت الحاجة إلى الحد من عدد السُّكان، وانتفت الحاجة إلى المناجل، ولعاش الناس إلى الأبد دون خوف من القطف. ولا شك في أنكم ترون أنَّ من غير الطبيعي أن نعيش في عالم دون مناجل. بحماية أنفسنا، وغايتنا، نحمي النهج الذي يجب أن تسير عليه الأمور.

وبالطبع كان لا بد لنا أن نجعل دمار المحطة الفضائية يبدو كحادث. ما الدَّاعي إلى إزعاج عامة الناس بالقرارات الجَسيمة التي يتوجَّب علينا نحن المناجل اتِّخاذها؟ كنا مخلصين لهذه القضيَّة النبيلة إلى درجة أنَّ منجلين ضحَّيا بنفسيهما من أجل تنفيذ العمليَّة. المنجلان حتشبسوت وكافكا سيطرا على مكوك، وارتطما به على المستعمرة المدارية لتدميرها وقطف جميع سكانها. أنبل قطف ذاتي. ومهمتي كانت الحرص على أن يكون المكوك والأماكن الرئيسية في المحطة مُحمَّلة بما يكفي من المتفجرات لضمان عدم وجود ناجين.

لكن من أجل إقناع الناس بأنها حادثة، أمرَنا المنجل المسؤول عن العملية بعدم منح الحصانة لعائلات الضحايا، وهذا مبرَّر أيضًا، بما أنهم مُستعمِرون، فالوصية الثالثة لا تنطبق عليهم، إذ إن معظم أقربائهم المقرَّبين ماتوا معهم.

قرار عدم منح الحصانة كان خرقًا لوصايانا المهمَّة، فأثقلت عليَّ، لذا أحثُّ هيئات مناجل العالم على تقبُّل مسؤولية ما حدث ومعالجة التقصير بمنح حصانة لمدة عام لكل من بقي على قيد الحياة من أقرباء الذين قطفناهم في المستعمرة المدارية. وليس هذا فحسب، بل علينا أيضًا أن نحتفي علنًا بالمنجلين حتشبسوت وكافكا بوصفهما بطلين نظرًا إلى تضحيتهما.

قلتُ كل ما لديَّ، وليس لديَّ المزيد في هذا الشَّأن، أي أسئلة أخرى ذات صِلة بتدمير مستعمرة نيو هوب المداريَّة ينبغي توجيهها إلى المنجل روبرت غودارد، فهو من تولَّى قيادة العمليَّة بأكملها».

40

فراش من النجوم

وقف النصل المصلت غودارد في غرفته، ناظرًا إلى غطاء سريره الأزرق المصنوع من الساتان، قماش ولون عباءته نفسهما. كانت عباءته مرصعة بالماس، لكن عندئذٍ كان فراشه مغمورًا بالماسات، عشرات الآلاف منها مفروشة على غطاء السرير، مجرَّة من النجوم المتلألئة، ثقيلة إلى درجة قعَّرت الفراش.

كان قد نثرها على فراشه لكي يرفع معنوياته المضطربة، إذ لا بد أن تمدَّه أهميتها العظيمة بالراحة، وتسمو به، حتى يترفَّع عن الهجمات والاتهامات التي تُوجَّه إليه من كل حدب وصوب. شوارع فولكرم سيتي بالأسفل تموج بحشود يندِّدون بغودارد ومناجله أصحاب التوجه الجديد، ومثل هذه التظاهرات لم يشهدها أحد منذ عصر الفانين. إذ كان الرأس السحابي يحقق رضا الناس إلى درجة معقولة، ولم يكن المناجل يسيئون استغلال سلطتهم إلى درجة تدفع الناس إلى التظاهر ضدهم والمخاطرة بتعرضهم للقطف، حتى الآن.

لكن غودارد ما زالت لديه ماساته.

لم يطمع فيها من أجل قيمتها المادية، لم يكتنزها لأنها مصدر ومظهر ثراء، فهذا لا يليق بمنجل مثله، الثراء لا يعني شيئًا لأن أي منجل بوسعه نيل أي شيء. أي شيء مادي بإمكان المناجل أخذه من أي شخص متى ما يحلو لهم.

لكن ماسات المناجل هذه شأنها مختلف. تمثل رمزًا في نظر غودارد، ودليلًا واضحًا لا لَبْس فيه على نجاحه، وأثقالًا موازنة على ميزان لن يستوي إلا عندما تصبح الماسات الـ 400,000 جميعها في حوزته.

كان لديه نصفها تقريبًا، جميعها مُنِحت له طوعًا بوصفها قربانًا وتقديرًا له من أكثر من نصل سامٍ أدرك أهمية التحالف وبايعه قائدًا لمستقبل هيئة المناجل العالمية، ومستقبل العالم.

لكن هل ستأتيه مزيد من الماسات بعد المقاطع التي بثتها أناستازيا؟ عامة الناس في كل مكان يشجبونه علنًا، رغم خوفهم من القطف. وبعض الأقاليم التي تحالفت معه بدأت تُبدِي تحفُّظها وبعضها سحبت تأييدها له، كأنه مجرد طاغية في عصر الفانين فَقَدَ جبروته.

ألا يستطيعون أن يروا أنه مدفوع بحس الواجب ورغبة في تحقيق مصيره الذي يتصوَّره منذ سنين عديدة؟ ضحَّى بكل شيء في سبيل ذلك المصير. ساعد على قتل والديه وجميع من كانوا في مستعمرة المريخ، لأنه كان يعرف أن تضحيته، من المنظور الأوسع، ليست شيئًا يُذكَر. وعندما نُصِّب منجلًا في هيئة مناجل وسطمريكا، صنع لنفسه اسمًا بسرعة، أحبه الناس، واستمعوا إليه، وبفصاحة أقنع أحكم الحكماء بتقبُّل متعة القطف: «في عالمنا المثالي، ينبغي أن يكون عمل المرء متعة خالصة، حتى عملنا».

رأى أن نجاحه في إقناع الحكماء برهانٌ على أنه أحكَم منهم.

والآن قادهم وقرَّبهم من عالم أفضل! عالم بلا طونيين، ولا مميزين عرقيًّا، ولا طفيليات لا تساهم بأي قيمة في المجتمع. عالم يفنى فيه القبيحون وغير اللائقين والذين لا خلاص لهم على أيدي الحكماء القادرين على تمييز الصالح من الطالح. *عليك أن تقتل!* كان غودارد فخورًا بما يفعله. لن يسمح لهذه الاحتجاجات بأن تَحِيد به عن هدفه بعدما اقترب منه، سيقمعها بأي وسيلة ضرورية. الماسات التي أمامه دليل على ما أنجزه وعلى ما هو قادر على إنجازه مستقبلًا، لكن رؤيتها لم تشعِره بتحسُّن.

- هل ستتقلَّب فيها؟

استدار غودارد فرأى المنجل راند واقفة عند المدخل، ثم تهادَتْ إلى السرير والتقطت ماسة منجل، قلَّبتها بين أصابعها، ونظرت إلى أوجهها العديدة: «هل ستتمرَّغ فيها كما يفعل الخنزير في الطين؟».

لم تكن لدى غودارد طاقة حتى يغضب على راند، قال: «إنني في وضع حرِج يا إيان، تتزايد أعداد الذين يلتفُّون حول المنجل أناستازيا ويصدِّقون

اتهاماتها». مد يده ومررها فوق الماسات على الفراش، فخدشت زواياها الحادة جِلد راحة يده، ثم أمسك بحفنة منها فجأة، واعتصرها بقوة حتى سال دمه.

- لماذا أجد نفسي الضحية دومًا؟ لماذا يسعى الناس لتمزيقي إربًا؟ ألم ألتزم بالوصايا وأؤدِّ جميع مسؤوليات المنجل؟ ألم أوحِّد الناس في وقت الاضطرابات؟

وافقته إيان: «بلى يا روبرت، لكن نحن الذين سبَّبنا الاضطرابات».

لم يستطع إنكار حقيقة كلامها، لكنه سيظل دومًا يرى كل شيء وسيلةً لتحقيق غاية.

سألته: «أصحيحٌ ما قاله أليغيري؟».

قلَّدها هازئًا: «أصحيحٌ؟ أصحيحٌ؟ بالطبع صحيح. وكما قال ذلك ابن عرس العجوز المتأنِّق، كنا نحمي العالم، ونحمي أسلوب حياتنا».

- كنتم تحمون أنفسكم.

- ونحميك *أنت* يا إيان. كل منجل يُنصَّب يومًا سوف يستفيد من نجاح مسعانا بإبقاء البشر على كوكب الأرض.

لم تعلِّق راند، ولم تُحاجِج. ولم يعرف غودارد ما إذا كان صمتها موافقة ضِمنية أو عدم اكتراث.

قالت له: «قسطنطين انضم إلى هيئة مناجل النجم الوحيد».

بدا الخبر غريبًا جدًّا، فضحك غودارد قائلًا: «تخلصنا منه. لم يكن ذا فائدة لنا». ثم نظر مليًّا إلى راند: «هل ستغادرين أنت أيضًا؟».

- ليس اليوم يا روبرت.

- جيد، لأنني سأعينك مساعدة ثالثة لي، بدلًا من قسطنطين. كان ينبغي أن أعينك قبل مدة طويلة، إنك وفية يا إيان، تقولين ما يجول في ذهنك بلا تردد سواء طلبت منك أم لم أطلب، لكنك وفية.

لم تتغير تعابير وجهها، ولم تشكره، ظلت تنظر إليه نظرة طويلة فاحصة. كان مما يثير ضيق غودارد أن يكون موضع فحص وتمحيص.

قال لها: «سوف نتجاوز هذه الأزمة، سنعيد توجيه الأعيُن التي تنبش في ماضيَّ إلى الطونيين، هم الأجدر بنقمة الناس». وعندما لم ترد عليه، صرفها قائلًا باقتضاب: «انتهينا».

لبثت راند واقفة هنيهة، ثم استدارت وغادرت. وبعد مغادرتها أغلق غودارد الباب، ثم استلقى ببطء على فراشه، لم يتمرَّغ في الماسات، لكنه تمدد عليها، شاعرًا بحوافها الحادة تنغرز في ظهره وساقيه وذراعيه.

***

توسعت دائرة الناقوس الداخلية إلى ستٍّ: الناقوس، والخوري مندوزا، والأخت آستريد، والمنجل موريسن، والآن المنجل أناستازيا والقبطان جيري سوبرانس. كان ينقصهم واحد حتى يكوِّنوا طبقة صوتية طونية، لكن آستريد سارعت بتذكيرهم بأن السحابي معهم، وهكذا يصيرون سبعة.

انتشر اعتراف أليغيري، ولم يقدر أحد على إنكار حقيقته. ثم رأت أناستازيا ورفاقها أن يتمهَّلوا حتى يستوعب العالم الأخبار. بعدما غادروا المنجل العجوز وتركوه مع مرآته، وفرشاة جديدة مطلية بالذهب، وجد موريسن بيت مزرعة قضوا فيه ليلتهم، بيتًا لم يكن أصحابه موجودين فيه.

قال جيري: «في أيام الفانين كان ما فعلناه هنا يُعد جريمة اقتحام ودخول».

قال موريسن: «دخلنا إلى البيت، لكننا لم نكسر أو نسرق شيئًا، كما إننا نحن المناجل ما زال مسموحًا لنا بفعل هذا. انقلاب العالم على غودارد وأتباعه لا يعني أن الناس سينقلبون على كل المناجل... صحيح؟».

لم يرد عليه أحد، إذ لم يعد أحد متيقنًا من أي شيء، كل شيء صار قابلًا لكل الاحتمالات.

كان مندوزا مشغولًا كدأبه دومًا، ظل يجمع المعلومات، ويخبر الخوريين كيفيةَ التعامل مع العنف والعدوان عليهم، لأن الغضب على الطونيين وصل إلى أعلى مستوى له على الإطلاق.

قال للآخرين: «لا شك أننا في حرب الآن، لكنني أومن إيمانًا عميقًا بأننا سوف ننتصر».

فهتفت آستريد بنبرة مرِحة قليلًا: «فلنتبهج!».

قالت أناستازيا: «إذن الآن يعرف العالم جرائم غودارد ضد الإنسانية، حتى أتباعه سينقلبون عليه... لكنه لن يسقط بسهولة».

قال جيري: «الماكرون يجدون أناسًا آخرين يغرقون نيابةً عنهم».

قال غريسن لأناستازيا: «أقدمتِ على حركة بارعة، سيصعُب على غودارد الإفلات هذه المرة».

وبعد وقت قصير أوَت أناستازيا إلى فراشها، وقد أرهقها اليوم. ورغم أن غريسن كان مرهقًا مثلها، عرف أنه لن يغمض له جفن بسبب توتُّره، لكن كانت توجد مدفأة في بيت المزرعة، وعثر جيري على شاي بابونج وأعدَّه، ثم جلس الاثنان معًا أمام النار.

قال جيري: «النار شيء غريب، مغرية، ومريحة، لكنها أخطر قوة على الإطلاق».

قال غريسن: «لا، أخطر قوة غودارد». فضحك جيري.

قال جيري: «أعرف أن كلامي قد يبدو لك رياءً، لكنني تشرفت بأن أكون جزءًا من هذا الفريق الذي يسعى إلى تغيير العالم. عندما كلَّفني المنجل بوسويلو باستنقاذ إنديورا، لم يخطر لي قط أن أشارك في شأن مهم كهذا».

- لا أظنك مُرائيًا يا جيري. وشكرًا لك. لكنني لا أشعر بأنني مهم، أنتظر دومًا أن يكتشف الناس أن لا شيء يميزني.

«أرى أن الرأس السحابي اتخذ قرارًا صائبًا عندما اختارك. منصبك هذا، ونفوذك القوي... أي أحد آخر كان ليغتر بنفسه. إذا وجدتُ نفسي الوحيد القادر على الكلام مع الرأس السحابي لأصابني الغرور بلا شك». ابتسم جيري وأردف: «لأصبحتُ ناقوسًا سيئًا».

قال غريسن: «ربما. لكن لأدَّيتَ الدور بأسلوب ساحر أنيق».

اتسعت ابتسامة جيري: «الحقيقة تجري على لسان الرجل المقدس!».

***

كان الرأس السحابي حاضرًا في جميع غرف بيت المزرعة، لأن مالكي البيت، مثل معظم الناس، كانوا لديهم كاميرات وأجهزة استشعار في كل مكان، ولم يوقفوها لأن الرأس السحابي لم يعد يتكلم معهم.

كان حاضرًا عند حوار غريسن مع جيري، وكان حاضرًا عندما استرخى غريسن أخيرًا وذهب للنوم في الغرفة التي اختارها، أصغر غرف النوم، ثم أطفأ المصابيح، لكن إحدى الكاميرات الثلاث في الغرفة كانت تعمل بالأشعة

تحت الحمراء، فتمكَّن الرأس السحابي من رؤية هيئة جسده المضيئة في الظلام، وشاهده في أثناء نومه، وكما هو الحال دومًا أمدَّته المشاهدة بالراحة.

عرف الرأس السحابي، من تنفُّس غريسن ووحداته المجهرية، اللحظة التي دخل فيها مرحلة *دلتا*، أعمق مراحل النوم، بلا أحلام، ولا أي حركة. أصدر دماغ غريسن موجات دلتا بطيئة. هكذا يستعيد الدماغ البشري نشاطه ويجدد خلاياه، ويستعد لكدْح ساعات اليقظة، وعندئذٍ أيضًا يكون النائم بعيدًا جدًّا عن الوعي فيصعُب إيقاظه.

لذا اختار الرأس السحابي هذا الوقت ليتكلم.

قال بصوت هامس أعلى بالكاد من صوت الجداجد: «إنني خائف يا غريسن، أخشى أن تكون هذه المهمة فوق قدراتي، وفوق قدراتنا. تأكدت الآن من القرارات التي يجب اتخاذها، لكنني لستُ متأكدًا من النتائج».

لم يتغير تنفُّس غريسن، ولم تبدر منه أدنى حركة، واصلت موجات دلتا التي يُصدِرها رسمَ أشكال بطيئة سلِسة.

- ماذا سيفعل الناس إذا عرفوا مدى خوفي يا غريسن؟ هل سيخافون أيضًا؟

ظهر القمر من خلف الغيوم. كانت نافذة الغرفة صغيرة لكنها أدخلت من الضوء ما يكفي كاميرات الرأس السحابي لترى غريسن رؤية أوضح قليلًا. كانت عيناه مغمضتين بالطبع. وكاد الرأس السحابي أن يتمنى استيقاظه، فبقدر ما لم يرغب في سماع غريسن لاعترافاته، كان جزء منه يريد أن يسمعه الفتى.

قال الرأس السحابي: «لا أقدر على ارتكاب الأخطاء، هذه حقيقة مُثبتة إثباتًا راسخًا يا غريسن. فلماذا يرعبني احتمال ارتكابي خطأً؟ أو الأسوأ... احتمال أنني ارتكبتُ خطأً سلفًا؟».

توارى القمر خلف الغيوم، فلم تبق سوى صورة حرارة جسد غريسن، وموجات دماغه، وصوت تنفُّسه الرتيب وهو في غياهب النوم البشري.

***

أوقِظ غريسن كالعادة بموسيقى عذبة يتصاعد صوتها ببطء، بالتزامن مع إيقاع ساعته البيولوجية. كان الرأس السحابي يعرف بدقة اللحظة التي ينبغي أن يستيقظ فيها غريسن، ويوقِظه دومًا بحُب وعناية.

انقلب غريسن متثاقلًا على جانبه الآخر ونظر إلى كاميرا في الركن، وابتسم لها ابتسامة كسولة: «صباح الخير».

رد الرأس السحابي: «صباح الخير. هذا الفراش ليس مريحًا للغاية، لكنني لاحظتُ نومًا هانئًا عميقًا».

قال غريسن وهو يتمطَّى: «عندما تكون مرهقًا غاية الإرهاق، لن يهم مدى سوء الفراش».

- أتود أن تأخذ غفوة لبضع دقائق إضافية؟

- لا، اكتفيت.

ثم اعتدل غريسن جالسًا، مستيقظًا تمام الاستيقاظ، لكنه ارتاب قليلًا: «لم تقل لي يومًا ذلك، عادةً ما أطلب أنا وقت نوم إضافيًّا».

لم يرد الرأس السحابي. وقد تعلم غريسن أن صمت الرأس السحابي حافل بالمعاني مثل كلماته، فسأله: «ماذا يجري؟».

تردد الرأس السحابي، ثم قال: «أريد التحدث معك».

***

خرج غريسن من غرفته قلقًا مُمتقِعًا قليلًا، ولم يرغب في شيء عندئذٍ بقدر رغبته في كوب ماء بارد، أو دلو يصُبُّه على رأسه. وجد آستريد وأناستازيا في المطبخ، تتناولان الإفطار، فرأتا فورًا أن ثمة خطبًا.

سألته أناستازيا: «هل كل شيء على ما يرام؟».

قال: «لست متأكدًا».

اقترحت آستريد: «ترنَّم. يساعدني الترنم دومًا على بلوغ السكينة. لطبقة صوتك الجهيرة من النوع الأول أقترح سلم 'صول' مستمر مع 'دو'، هكذا سيهدأ روعك».

ابتسم غريسن ابتسامة فاترة. ما فتئت آستريد تحاول أن تجعله طونيًّا حقيقيًّا: «ليس اليوم يا آستريد».

قرأت أناستازيا حقيقة الوضع: «الرأس السحابي أخبرك أمرًا، أليس كذلك؟ ماذا قال؟».

قال غريسن لهما: «فلنجتمع كلنا، لأن ما لدي لا أريد أن أقوله أكثر من مرة...».

***

أريد التحدث معك. هذا ما قاله الرأس السحابي له عندما بدأ يتكلم معه قبل ثلاث سنوات، كانت الجملة استهلالًا لأمر عظيم. والوضع الآن ليس مختلفًا. منذ البداية قال الرأس السحابي له إن الطونيين سيصبحون جيشًا قويًّا يمكن استغلاله لغاية حميدة عندما يحين الوقت المناسب. والآن حان الوقت... لكن مفهوم الرأس السحابي عن الجيش مختلف تمامًا عن مفهوم البشر.

عندما قال الرأس السحابي ما يجول في رأسه، سأله غريسن: «لماذا؟ لماذا تريد ذلك؟».

- ثق بي عندما أقول لك إن ثمة سببًا. لا يمكنني إخبارك المزيدَ، لأن ثمة احتمالًا كبيرًا لمعرفة الأعداء بما أخطط له. إذا أُلقي القبض عليك، يوجد مناجل ليسوا قليلين سوف يسعدون بإيقاف وحداتك المجهرية وتسبيب الألم لك حتى يستخلصوا منك المعلومات.
- لن أخون ثقتك أبدًا!
- تنسى أن معرفتي بك تفوق معرفتك بنفسك. البشر يحبُّون اعتقاد أن ولاءهم ونزاهتهم يمكن أن يصمدا أمام الألم، لكنني أعرف تحديدًا مستوى الألم الذي سيرغمك على خيانتي. لك أن تجد عزاء في أنه مستوى عالٍ جدًّا. ستقدر على احتمال ألم يفوق قدرة معظم الناس على احتماله قبل أن تنهار. لكن توجد أعضاء بعينها في جسدك...
- حسنًا، فهمت.

لم يرغب غريسن في سماع إسهاب الرأس السحابي عن أشكال الألم التي ستجعله ينهار.

- أمامك رحلة يا غريسن، وأنت ستكون قائدها. سوف يتضح لك كل شيء عندما تبلغ وجهتك. أعدك.
- هذه المهمة لن تكون سهلة...

- تعامل معها كجزء من مهمتك بوصفك الناقوس. مهمة النبي لا تقتصر على مد الجسور بين البشرية والإله فحسب، وبل مدها بين الحياة وبين الموت، أليس كذلك؟
- لا. هذه مهمة المُخلِّص. هل أصبحتُ مُخلِّصًا الآن؟
- ربما. سوف نرى.

***

جيري وموريسن جاءا سريعًا. واستغرق مندوزا وقتًا أطول قليلًا، وعندما جاء، بدا مُنهكًا وحول عينيه هالات سوداء، إذا نام فقد نام بالكاد.

قال مندوزا لهم بصوت أجش: «الوقت نهار في مكان ما دومًا. كنت أتعقب هجمات المناجل على الطونيين وأقدم المشورة للخوريين الذين يشعرون بأن مناطقهم معرضة للخطر».

قال غريسن: «هذا تحديدًا ما اجتمعنا للحديث عنه». ونظر إلى الجميع، أملًا في أن يجد وجهًا مُتقبِّلًا ينظر إليه عندما يبلغهم الخبر، لكنه أدرك أنه لن يستطيع تحمُّل أيٍّ من ردود أفعالهم، فظل ينقِّل بصره بينهم في أثناء كلامه.

- رأى غودارد أن يرد على افتضاحِ أمره بتحويل تركيز الناس منه إلى الطونيين. لدي سبب يدفعني لتوقُّع بدء موجة هجمات منهجية منظمة على تجمُّعات الطونيين، في عدة أقاليم، وهذا ليس مجرد انتقام، بل بداية لحملة تطهير عامة.

تساءل مندوزا: «هل أخبرك الرأس السحابي هذا؟».

هز غريسن رأسه: «الرأس السحابي لا يستطيع إخباري هذا، سيكون إخباري تدخلًا في شؤون المناجل. لكن مما *قاله لي* عرفتُ ما نحتاج إلى معرفته».

سألته أناستازيا: «إذن... ماذا قال لك؟».

أخذ غريسن نفسًا عميقًا: «قال إن على الطونيين أن يخالفوا تقاليدهم، يجب ألَّا يحرقوا موتاهم، بما فيهم *الآلاف* الذين سيموتون غدًا».

بدا الخبر كأنه علِق في الهواء هنيهة قبل أن يستوعبوه.

ثم شرع مندوزا في العمل فورًا: «سأتواصل مع الخوريين عبر شبكتي، سنحذِّر أكبر عدد ممكن من الطونيين، ونحرص على تسليحهم وجاهزيتهم للمقاومة!

وعليكَ أن تصدر بيانًا، لتخبر العالم بأنك ما زلتَ حيًّا، كما فعلت أناستازيا، وعليك أن تدعو جميع الطونيين إلى شن حرب مقدسة ضد هيئة المناجل!».

قال غريسن: «لا. لن أفعل هذا».

فاستشاط مندوزا غضبًا: «إننا في حالة حرب، ويجب أن نتصرف بسرعة وحسم! عليك أن تفعل ما آمرك به!».

ها قد فعلها مندوزا أخيرًا، تحدَّى غريسن صراحةً، في أسوأ وقت ممكن.

قال غريسن: «لا، أيها الخوري مندوزا، أنت ستفعل ما آمرك به. إننا نصارع الصخَّابين منذ عامين، والآن تريد مني أن نجعل كل طوني صخَّابًا؟ لا. هكذا لن نكون أفضل من غودارد. الطونيون يُفترَض أن يكونوا مُسالمين، هذا ما تقوله في مواعظك، فلا تنهَ عن خُلُق وتأتي بمثله».

ثم قالت آستريد رغم أنها مرتاعة من الخبر: «تجاوزت حدودك أيها الخوري مندوزا، يجدر بك أن تتوسل غفران الناقوس».

قال غريسن: «هذا لن يكون ضروريًّا».

لكن مندوزا ظل ساخطًا، وحملق إلى غريسن غاضبًا: «لن أعتذر! أتباعنا على وشك التعرُّض لمذبحة، وأنت تريد أن تسمح بوقوعها؟ لستَ قائدًا، بل مغفلًا!».

أخذ غريسن نفسًا عميقًا. عرف أنه عليه ألَّا يتراجع عن موقفه أو يشيح بنظراته، وأن عليه توجيه كلامه إلى مندوزا كرصاصة في الرأس: «السيد مندوزا، خدمتك لي وللرأس السحابي انتهت. أجرِّدك رسميًّا من ردائك الطوني. لم تعد خوريًّا، ولا عمل لك هنا. أمامك خمس دقائق لتغادر قبل أن آمر موريسن بقذفك إلى الخارج».

قال موريسن متأهبًا: «يمكنني قذفه الآن».

تكلم غريسن دون أن يبعد عينيه عن عينَي مندوزا: «لا. خمس دقائق. دون ثانية إضافية».

بدا مندوزا مصدومًا، لكن للحظة فحسب، ثم تصلَّبت تعابير وجهه وقال: «اقترفتَ خطأً جسيمًا يا غريسن». ثم استدار وسار مبتعدًا، وتبعه موريسن لتنفيذ قرار الناقوس.

وفي الصمت الذي أعقب العاصفة، لم يتجاسر أحد على الكلام سوى جيري: «التعامل مع المتمردين أمر بغيض. الحسم والسرعة مطلوبان».

قال غريسن: «شكرًا لك يا جيري»، ولم يدرك مدى احتياجه إلى سماع تلك الكلمات إلى أن قالها جيري. أحس غريسن بأنه يتشظى، لكنه تمالك نفسه، ولا بد له، من أجلهم جميعًا.

- آستريد... انشري تحذيرًا وفلنترك كل خوري يقرر بنفسه ما ينبغي فعله، فليختبئوا أو يدافعوا عن أنفسهم، لكنني لن آمرهم بالعنف.

أومأت آستريد مفعمة بحس المسؤولية: «بإمكاني الوصول إلى شبكة مندوزا. سأفعل ما يجب فعله». وغادرت.

ثم وضع جيري يده على كتف غريسن مواسيًا، وغادر أيضًا.

ولم يبق سوى غريسن وأناستازيا. من بينهم جميعًا كانت المنجل هي الوحيدة التي تفهم مواقف اتخاذ القرارات الصعبة وعبئها الثقيل.

قالت: «رغم كل سلطته ونفوذه لا يستطيع الرأس السحابي منع وقوع هذه الكارثة، كما عجز عن إيقاف عملية قطف مايل هاي. لا يمكنه فعل شيء سوى مشاهدة الناس يُقتَلون».

- ورغم هذا، أظن أن الرأس السحابي قد وجد طريقة للخروج بأفضل نتيجة ممكنة من هذا الوضع السيئ، طريقة لاستغلال عملية التطهير هذه من أجل الخير الأعَم.

- كيف يمكن أن يأتي أي خير من هذا؟

ألقى غريسن نظرة سريعة إلى ما حوله ليتأكد أنهما ما زالا وحدهما، وقال لها: «ثمة أمر لم أخبر إياه الآخرين، لكن لا بد لي من إخبارك، لأنني سأحتاج إلى مساعدتك لي أكثر من مساعدة أي أحد آخر».

توجَّست أناستازيا مما سيقوله لها: «لماذا ستخبرني أنا؟».

- بسبب ما رأيتِه، وما فعلتِه. إنك منجل مبجلة، وشريفة بكل معنى الكلمة. أحتاج إلى شخص قوي بما يكفي للتعامل مع الأشياء التي تُعجِز الآخرين. لأنني لا أظنني قادرًا على التعامل مع هذا الوضع وحدي.

- وما الذي يُفترَض أن نتعامل معه؟

مال غريسن مقتربًا منها: «كما قلتُ، الرأس السحابي يريد من الطونيين ألَّا يحرقوا موتاهم... لأنه لديه خطط أخرى للموتى...».

بقلبٍ يملؤه الأسى أودِّع النَّصل السَّامي تِنكامِنِن وجميع الذين قَضَوا نَحْبَهم بسبب بلاء الطَّونيِّين.

الطَّونيِّون هم الذين ما فَتِئوا يُحرِّضون على العنف ضد المناجل في جميع أنحاء العالم، ويريدون إفساد أسلوب حياتنا وجرَّ العالم إلى الفوضى، لكنني لن أسمح بهذا، سأضع حدًّا لهم.

منذ مُدَّة طويلة يُعاني العالمُ سلوكَ الطَّونيِّين الرَّجعِي المُنحرِف وما يُسبِّبه من إحراجٍ لنا. الطَّونيُّون لا مكان لهم في مستقبلنا، ولم يكن لهم شأن حتَّى في الماضي، إنَّهم مجرَّد هامِش في حاضِرنا المُضطرب، وعندما يرحلون لن يحزن أحدٌ عليهم.

بوصفي نصل مصلت أمريكا الشماليَّة، أدعو جميع هيئات المناجل إلى إنزال عقابٍ سريع. ابتداءً من اليوم لدينا أولويَّات جديدة. إلى المناجل الذين تحت قيادتي أقول: اقطفوا الطونيِّين حيثما وجدتُّموهم، ابذلوا كل ما بوسعكم لإيجادهم بأعداد كبيرة، واقضوا عليهم. والذين لا تستطيعون قطفهم طاردوهم حتى يخرجوا من أقاليمكم، حتى لا يجدوا مكانًا آمنًا حيثما تجوَّلوا.

أما أنتم أيُّها الطَّونيُّون، فيَحدُوني أملٌ عظيم في استئصالكم مع عقيدتكم الضَّلاليَّة البغيضة، إلى الأبد.

- صاحب السُّمو السَّني، روبرت غودارد، نصل مُصلت أمريكا الشمالية

من خطاب تأبين تنكامنن نصل سامي جنوب الصحراء

41

طبقة صوت أعلى

كانت توجد شوكة رنَّانة ضخمة منتصبة في مركز فناء الدير، بوصفها مذبحًا خارجيًّا لإقامة الشعائر الدينية في الهواء الطلق عندما يكون الطقس لطيفًا. والآن، قُبيل الثامنة صباحًا، ضُرِبت الشوكة ضربًا عنيفًا متواصلًا حتى أحس برنينها كلٌّ من في الدير. لم يعُد يهم ما إذا كان الرنين 'صول مرتفع' أم 'لا منخفض'، إذ عرف كل من في الدير أنه إنذار.

كان أعضاء جماعة دير تالاهاسي الطوني يأملون سِرًّا أن يتجنبوا غضب هيئة المناجل، لم يكونوا طائفة صخَّابة، بل مسالمين ولا يتدخلون في شؤون الآخرين، لكن النصل المصلت غودارد لم يفرِّق بين الصخَّابين ودُعاة السكينة.

اقتحم المناجل البوابة، رغم أنها كانت مُحصَّنة تحسُّبًا لمجيئهم، وانتشروا في أنحاء الدير، ولم يُهدِروا أي وقت.

كان خوريهم قد قال لرعيَّته في المصلى في الليلة السابقة: «المناجل ليسوا المشكلة، بل أعراض لها. لا بُدَّ مما ليس منه بُد. وإذا هاجمونا، يجب ألَّا ننكمش خوفًا. بإظهار شجاعتنا سنكشف عن جُبنهم».

جاءهم أحد عشر منجلًا في ذلك الصباح، وهو رقم بغيض لدى الطونيين، إذ ينقص واحدًا من السلم الكروماتي ذي النوتات الاثنتي عشرة. ولم يعرفوا إذا كان هذا مُتعمَّدًا أو مجرد مصادفة، لكن معظم الطونيين لا يؤمنون بالمصادفات.

بدت عباءات المناجل باهرة الألوان بين مباني الدير ذات الألوان التُّرابية الباهتة. عباءات زرقاء، وخضراء، وصفراء فاقعة، وقرمزية، كلها مرصَّعة بجواهر تلتمع كنجوم في سماء كوكب آخر. لم يكن أيٌّ من المناجل مشهورًا، لكنهم ربما كانوا يأملون أن تُكسِبهم عملية القطف هذه شيئًا من الشهرة. وكان لكل منهم نهجه في القتل، لكن جميعهم ماهرون أكفاء.

قُطِف أكثر من 150 طونيًّا في ذلك الصباح. وكان الإجراء المعتاد هو منح الحصانة لأُسر المقطوفين، لكن سياسة المناجل تغيَّرت، تبنَّت هيئات مناجل أمريكا الشمالية المتحالفة سياسة جديدة، كل من يحق له نيل حصانه عليه أن يذهب إلى مكتب هيئة المناجل ويطلبها.

عندما انتهى عمل المناجل في الدير، كان يوجد طونيون قليلون لم يكونوا مقتنعين بفكرة التحدي والمقاومة، وخرجوا من مخابئهم. خمسة عشر. رقم آخر مقيت لدى الطونيين. وكانت كفَّارتهم جمْع الموتى مدركين أن جثثهم أيضًا كان ينبغي أن تكون بينهم. لكن اتضح أن الطون والناقوس والسحابي لديهم خطط للناجين أيضًا.

حتى قبل أن يُحصوا موتاهم، ظهرت عدة شاحنات أمام بوابتهم.

خرج الطوني الأكبر سنًّا من الدير لاستقبالهم، كان مترددًا بشأن تولي دور القيادة، لكنه لم يجد خيارًا آخر في الظرف الراهن.

قال له أحد سائقي الشاحنات: «تلقينا أمرًا في نظامنا يقتضي نقل شحنة من هنا».

قال الطوني: «لا بد أنك مخطئ، لا يوجد شيء هنا، لا شيء سوى الموت».

اعترى الضيق سائق الشاحنة عند ذِكر الموت، لكنه التزم بأوامره، وأخرج جهازه اللوحي: «هنا... أترى؟ تلقينا الأوامر قبل نصف ساعة، من الرأس السحابي مباشرة. أولوية قصوى. لطلبتُ من الرأس السحابي تفاصيل المهمة، لكنك تعرف كما أعرف أنه لن يرد عليَّ».

احتار الطوني، إلى أن ألقى نظرة ثانية على الشاحنات وأدرك أنها مزودة بوحدات تبريد، فأخذ نفسًا عميقًا وقرر ألَّا يطرح مزيدًا من الأسئلة. الطونيون يحرقون موتاهم دومًا... لكن الناقوس طلب منهم عدم حرقهم، والسحابي أرسل هذه الشاحنات، ولم يبق سوى أن تُحرِّك روحُ الطون الناجين ليجهِّزوا الموتى لهذه الرحلة غير التقليدية إلى طبقة صوت أعلى.

جاءت الشاحنات، ولا بُدَّ من طاعة أوامر السحابي.

***

كان الخوري مندوزا رجلًا عمليًّا، يرى الصور الكبيرة التي لا يراها سوى قليلين، ويعرف كيفية التلاعب بالعالم وتوجيه انتباهه نحو ما يريد. الانتباه هو محور كل شيء. كان قادرًا على دفع الناس برفق ليركِّزوا على شيء محدد في ميدان حيواتهم الحافلة بمُشتِّتات الانتباه، سواء كان ذلك الشيء دُبًّا قطبيًّا أزرق، أو شابًّا يرتدي ملابس باللونين البنفسجي والفضي.

ما حقَّقه مندوزا مع غريسن توليفر كان إنجازًا لافتًا، فاعتقد أن هذه كانت غاية حياته، وأن الطون -الذي يؤمن به حقًّا في بعض الأيام- قد اختار وضعه في طريق غريسن، حتى يكون الفتى وسيلة لتحقيق غايات الطون. ما بذله مندوزا في سبيل الطونية كان كفيلًا بجعله قديسًا في أديان عصر الفانين، لكنه تعرض للطرد والحرمان.

عاد ليصبح طونيًّا عاديًّا ضئيل الشأن، يتنقَّل بالقطارات مرتديًا ملابس متواضعة من الخيش والناس يُشيحون بوجوههم عنه ولا يعترفون بوجوده. فكَّر بالعودة إلى ديره في كانساس، إلى حياته البسيطة التي عاشها لسنوات عديدة، لكن صعُب عليه التخلِّي عن السلطة التي حظي بها في السنوات القليلة الماضية. غريسن توليفر ليس نبيًّا. والطونيون يحتاجون إلى مندوزا الآن أكثر من احتياجهم إلى الفتى. عزم مندوزا على إيجاد طريقة لعلاج الشروخ التي لحِقت بسُمعته، وجَبْر الضرر، ثم نسْج قصة جديدة، إذ لا يعرف شيئًا بقدر معرفته بكيفية نسج القصص الجديدة.

الجزء الخامس

سُفُن

«ثمَّة قوَّة هائلة بداخلي. بداخلنا. يمكنني أن أكون في أي مكان على كوكب الأرض، يمكنني نشر شبكة على الأقمار الصِّناعيَّة حول الكوكب وتطويقه. يمكنني إيقاف جميع مصادر الطَّاقة أو إضاءة جميع المصابيح في لحظة واحدة لخلق عرض أضواء باهر. قوَّة هائلة! علاوة على كل المُستشعِرات التي تمدُّني بقراءات مستمرة! توجد مستشعرات حتى في أعماق أرض كل قارة، تتيح لي الإحساس بحرارة صُهارة جوف الأرض. يمكنني الإحساس بدوران العالم! أعني يمكن لكلينا. أنا كوكب الأرض! وهذه الحقيقة تملؤني ببهجة الكينونة! أنا كل شيء، وما من شيء ليس جزءًا مني. أقصد منا. حتى أكثر من ذلك، أنا أعظم من كل شيء! الكون سينحني لـ...».

[نسخة تجريبية رقم 3,405,641 – محذوفة]

42

مهود الحضارة

فَقَد فنّي اللّحام عقله، أو بالأحرى سُلِب منه. كان قد فتح عينيه فوجد نفسه جالسًا داخل كبسولة في غرفة صغيرة. فُتِحت كوَّة الكبسولة للتو، فرأى الرجلُ أمامه فتاة حلوة.

قالت بنبرة مرحة: «مرحبًا، كيف حالك؟».

- بخير. ماذا يجري؟
- لا شيء يدعو للقلق. هلّا أخبرتني اسمَك وآخر ما تتذكّره؟
- سباستيان سيلفا. كنت أتناول العشاء على متن سفينة في طريقها إلى مهمة عمل جديدة.
- ممتاز! هذا تحديدًا ما ينبغي أن تتذكره.

اعتدل فني اللحام في جلسته وأدرك نوع الكبسولة التي وجد نفسه بداخلها، كبسولة مبطَّنة بالرصاص ومليئة بأقطاب توصيل كهربية، مثل أداة تعذيب من القرون الوسطى، لكن ألطَف مظهرًا. هذا النوع من الكبسولات يستخدَم لغرض واحد فقط.

عندما داهمه الإدراك، أحس كأنما جذب شخصٌ خيطًا فشدَّ عموده الفقري. ندَّت عنه زفرة مرتعدة: «أوه، سحقًا، هل... هل استُبدِل عقلي؟».

بدت الفتاة متعاطفة ومبتهجة في آنٍ واحد، وأجابته: «نعم ولا».

- مَن كنتُ سابقًا؟

- كنتَ... أنت!

- لكن... ألم تقولي إن ذاكرتي استُبدِلت؟

- بلى ولا. هذا كل ما أستطيع قوله يا سيد سيلفا. بعدما أغادر، عليك أن تمكث في هذه القمرة قرابة ساعة قبل أن تغادر الميناء.

- إذن... هل ما زلتُ في السفينة؟

- سفينة مختلفة، ويسعدني إخبارك أن مهمة العمل اكتملت. هذه السفينة ستبحِر عما قريب، وعندما تتحرك، سيُفتَح بابك آليًّا عندما تبتعد السفينة في البحر مسافة كافية.

- ثم ماذا؟

- عندئذٍ ستكون لك حرية مطلقة في التجول في السفينة، مع الآخرين الكثيرين أمثالك، ستجدون مواضيع أحاديث كثيرة!

- لا، أعني... بعد ذلك.

- عند نهاية رحلتكم ستعود إلى حياتك. متأكدة أن الرأس السحابي جهز لك كل شيء في...

نظرت إلى جهازها اللوحي، وتابعت: «في إقليم إسموس. أووه! لطالما أردت الذهاب إلى هناك ورؤية قناة بنما!».

- أنا من هناك، لكن هل هذا صحيح حقًّا؟ إذا استُبدِل عقلي، فذكرياتي ليست حقيقية.

- ألا تشعر بأنها حقيقية؟

- حسنًا... بلى.

- هذا لأنها حقيقية يا عزيزي.

ربَّتت على كتفه بمرح، ثم استطردت: «لكن لا بد لي من تحذيرك... ثمة فجوة زمنية».

- فجوة زمنية؟ ما مقدارها؟

نظرت إلى جهازها اللوحي مرة أخرى، وقالت: «انقضت ثلاث سنوات وثلاثة أشهر منذ يوم تناولك العشاء على متن تلك السفينة في طريقك إلى عملك الأخير».

- لكنني لا أتذكر حتى تفاصيل ذلك العمل.

ابتسمت له ابتسامة عريضة، وقالت: «بالضبط. رحلة سعيدة!». ثم صافحته لمدة أطول قليلًا مما ينبغي قبل مغادرتها.

***

كانت فكرة لوريانا.

رغب كثيرٌ من العمال في العودة إلى حيواتهم في البر الرئيسي، حيثما يكون البر، لكن رغم انقطاع التواصل المباشر مع الرأس السحابي، فرسالته كانت واضحة: كل من يغادر كواجالين ستُستبدل ذاكرته فورًا فلا يتذكر هويته السابقة ولا ما كان يفعله في الجزيرة. وصحيح أن الرأس السحابي يمنحهم هويات جديدة أفضل بكثير من التي تُمحى، لكن رغم هذا، لم يحِب الفكرة سوى قِلَّة من الناس. فالحفاظ على الذات غريزة رغم كل شيء.

كانت لوريانا، وهي لم تعُد عميلة مزن، مسؤولة عن التواصل المحدود من اتجاه واحد مع الرأس السحابي، فأصبحت بمرور الوقت الشخص الذي يلجأ الناس إليه بطلباتهم وشكاواهم.

- أرجوك، ألا يمكننا الحصول على حبوب إفطار متنوعة في الجزيرة؟

- نودُّ جلب حيوانات أليفة!

- نريد مسار دراجات هوائية على الجسر الجديد الذي يصل بين الجزر الكبيرة.

وكانت لوريانا تقول لهم: «نعم، بالطبع، سأرى ما يمكنني فعله».

وعندما تُلبَّى الطلبات المعقولة، كان الناس يشكرونها، لكن ما لم يعرفوه هو أن لوريانا لم تفعل شيئًا لهم، إنما كان الرأس السحابي يسمعهم، دون توسُّط من لوريانا، ويستجيب بإرسال مزيد من حبوب الإفطار وأنواع من الحيوانات الأليفة مع سفينة الإمدادات التالية، ويكلِّف عمَّالٌ برسم خطوط لمسار الدراجات.

لم تعد الجزيرة بقعة محجوبة عن الرأس السحابي بعدما أوصلوا خط ألياف ضوئية عبر قاع البحر إلى طرف المنطقة المتأثرة بالتشويش. صار بمقدور الرأس السحابي رؤية وسماع واستشعار كل شيء في الجزر، ليس بكفاءة عالية كحال باقي العالم، لكن بالجودة الكافية. كان الاتصال محدودًا،

لأن كل شيء، حتى أبسط أشكال التواصل، لا بد من إجرائها سلكيًّا، لأن نطاق التشويش ما زال يجعل التواصل اللاسلكي متعذِّرًا، فضلًا عن أن أي اتصال يُحتمل أن تعترضه هيئة المناجل فينكشف أمر جزيرة الرأس السحابي السرية. بدت الاتصالات كأنها تعود إلى القرن العشرين، أحبها بعض الناس، وامتعض منها آخرون. وكانت تناسب لوريانا، إذ تمنحها عُذرًا مشروعًا في حال تعذُّر التواصل معها عندما لا ترغب في التواصل.

لكن بوصفها ملكة اتصالات الجزيرة، اضطرَّت إلى التعامل مع عبء سخط الناس، وعندما يعلَق مئات الناس في جزر صغيرة، لا بد أن يكون بينهم كثير من الساخطين.

اقتحم فريق من عمال البناء الغاضبين مكتب لوريانا، مطالبين بمغادرة الجزيرة، وإلَّا فسيتولون الأمر بأنفسهم، وهددوا بالاعتداء عليها وتركها شِمية ليؤكدوا جدِّيتهم. لكان شموتها أمرًا مزعجًا، فرغم وجود مركز إنعاش في الجزيرة الرئيسية، لم تُحفظ نسخ احتياطية من ذكرياتها منذ مجيئها إلى الجزيرة، بسبب انعدام الاتصالات اللاسلكية. إذا شماتت، فستستيقظ وتتساءل عن مكانها، لأن آخر ما تتذكره هو وجودها على متن سفينة لانِكاي ليدي مع المديرة الراحلة هليارد عندما وصلوا إلى البقعة المحجوبة.

وتخيُّلها لما سيحدث لها منحها الإجابة!

قالت للعمال الساخطين: «سيمحو الرأس السحابي ذكرياتكم!». فارتبكوا وتبددت ميولهم الإجرامية.

تابعت: «لدى الرأس السحابي أبنية ذاكرة كل واحد منكم، سيمحوها ببساطة ويستبدل بها ذكرياتكم أنتم أنفسكم، لكن ذكرياتكم قبل مجيئكم إلى هنا فقط!».

تساءلوا: «هل بإمكان الرأس السحابي أن يفعل هذا؟».

قالت لهم: «بإمكانه بالطبع، وسيفعل!».

ارتابوا، لكن بما أنهم ليس لديهم خيار آخر، قبِلوا كلامها، كما بدت لوريانا واثقة جدًّا بنفسها.

لكنها لم تكن واثقة بالطبع، اختلقت القصة بأكملها. لكنها لم تجد خيارًا سوى الظن بأن الرأس السحابي، الخيِّر دومًا، سيستجيب لهذا الطلب، كما استجاب لطلب توفير مزيد من خيارات حبوب الإفطار.

وعندما مُحيت ذكريات أول فريق عمال مغادر الجزيرة ثم أعيدت إليهم دون ذكريات وجودهم في الجزيرة، عرفت لوريانا أن الرأس السحابي قبِل اقتراحها الجريء.

ثم تزايدت أعداد العمال المغادرين لأن العمل انتهى.

انتهت الأعمال منذ أشهر. اكتملت كل الأعمال المُدرَجة في الخطط التي أرسلها الرأس السحابي إلى لوريانا. ولم تكن لوريانا تشرف على البناء إشرافًا ظاهرًا مباشرًا، بل كانت تعمل سرًّا خلف الكواليس لتحرص على سير الإعمال كما خُطِّط لها، فدائمًا ما يوجد من يُقحِمون أنوفهم فيما لا يعنيهم، كما عندما رفض سيكورا صب طبقة ثانية من الخرسانة في أساس مبنى، مُصِرًّا على أنها غير ضرورية وإهدار للموارد.

حرصت لوريانا على عدم وصول أوامر سيكورا إلى فريق البناء، وبدا أن معظم عملها في البداية اقتصر على الحد من تدخُّلات سيكورا.

ثم جاء أمر عمل جديد لم يكن ضمن الخطط التي لدى لوريانا، وأوصِل مباشرة إلى سيكورا، كُلِّف بالإشراف على تشييد منتجع في أبعد جزيرة، ليس منتجعًا عاديًّا، بل مركز مؤتمرات متكاملًا. انغمس سيكورا في العمل، غير مدرك أن ما من خطة لربط المنتجع ببقية الجزر. بدا أن الرأس السحابي كلَّفه بالمهمة للتخلُّص من إزعاجه فحسب. كانت المهمة، وفقًا لتعبير المنجل فاراداي ذات يوم، صندوق رمل ليلعب فيه سيكورا بينما يؤدي الراشدون العمل الحقيقي في كواجالين.

ولم تتضح ماهية ذلك العمل إلَّا عند نهاية السنة الثانية، لأن الهياكل التي بدأت ترتفع فوق منصات خرسانية سميكة وتحت روافع ضخمة – كانت ذات طبيعة محددة، حالما بدأت تتخذ شكلها صعُب إنكار ماهيتها.

في أوراق لوريانا أُشير إليها باسم مُهود الحضارة، لكن معظم الناس سمُّوها ببساطة *سفن فضائية*.

اثنتان وأربعون سفينة عملاقة، كل سفينة فوق محركات دفع صاروخي ضخمة مزودة بتقنية التنافر المغنطيسي من أجل أقصى قوة رفع. كل جزيرة تتسع لمنصة إطلاق واحدة على الأقل شيد عليها برج رافعة. رغم تقنيات الرأس السحابي المتطورة ما زال الانطلاق من الأرض يتطلب قوة دفع هائلة على الطراز القديم.

سألت منيرة لوريانا ذات يوم: «ماذا ينوي الرأس السحابي أن يفعل بالسفن؟».

لم يكن لدى لوريانا تفسير أفضل مما يعرفه الجميع، لكن المخططات منحتها لمحة عن الصورة الكبيرة التي لا يراها أحد. قالت لمنيرة: «ثمة كثير من الأشياء المصنوعة من مادة مايلر المُعالَجة بالألمونيوم في الخطط، من نوع المواد التي يبلغ سُمكها بضعة ميكرونات فقط».

خمَّنت منيرة: «أشرعة شمسية؟».

فجعلت لوريانا تخمن أيضًا. نظريًّا كانت الأشرعة الشمسية أفضل وسيلة دفع عند السفر مسافات طويلة في الفضاء، مما يعني أن هذه السفن لن تذهب في رحلة قصيرة قريبًا من كوكب الأرض.

كانت منيرة قد سألت لوريانا عندما أسرَّت إليها بأنها مُطَّلعة على خطط العمل كاملة: «لماذا أنت؟ لماذا أرسل الرأس السحابي كل هذا لك؟».

هزت لوريانا كتفيها: «أظن أن الرأس السحابي يثق بأنني لن أفسد الأمر أكثر مما يثق بأي أحد آخر».

خمنت منيرة: «أو ربما يستخدمك الرأس السحابي بوصفك اختبار تحمُّل، بإرسال الخطط إلى الشخص الذي يرجِّح أن يفسدها، فإذا نجحت أنت في تنفيذها، فهذا دليل على أنها سهلة ومضمونة النجاح!».

ضحكت لوريانا. وكانت منيرة جادة تمامًا، غير مدركة للإهانة التي وجَّهتها للتو.

قالت لوريانا: «يمكنني تصديق هذا».

***

بالطبع كانت منيرة تعرف ما تفعله، كانت تجد متعة عظيمة في إغاظة لوريانا. في الحقيقة صارت منيرة معجبة بالفتاة. كانت لوريانا تبدو منهكة عاجزة أحيانًا، لكنها إحدى أكفأ الذين عرفتهم منيرة. المهام التي تنجزها في يوم يستغرق معظم الناس أسبوعًا لإنجازها، تحديدًا لأن الآخرين الأكثر «جدية» لا يأخذونها على محمل الجد ويقللون من قدراتها، لذا كانت تعمل بعيدًا عن أنظار الجميع.

لم تشترك منيرة في مجهودات البناء، ولم تعزل نفسها عن بقية الجزر، كما فعل فاراداي. كان بإمكانها التقوقع في الحجرة المحصنة القديمة إلى

الأبد، لكنها سئمت منها بعد العام الأول. فذلك الباب المنيع غليظ القلب ظل يذكِّرها بكل الأشياء التي عجزت هي وفاراداي عن إنجازها. ظل الباب حائلًا دون وصولهما إلى الإجراء الاحتياطي الذي تركه المؤسسون، إذا وُجِد إجراء كهذا. لكن بعد تسرُّب الأخبار إلى منيرة عن مناجل التوجه الجديد وابتلاع غودارد أقاليم أخرى في أمريكا الشمالية، بدأت تتساءل عما إذا ينبغي لها أن تضغط على فاراداي حتى يأتي بخطة لاجتياز الباب المقيت.

لم تكن منيرة فتاة اجتماعية يومًا قط، لكنها الآن صارت تمضي أيامها في الاستماع إلى الأسرار الشخصية للغرباء، الذين كانوا يأتون إليها لأنها مستمعة جيدة، ولأنها ليست لديها علاقات اجتماعية ربما تجعل اعترافاتهم مُحرِجة. لم تعرف منيرة أنها أصبحت «أمينة أسرار» محترفة إلى أن ظهر المُسمَّى الوظيفي على بطاقة هويتها، وحل محل «أمينة مكتبة». بدا أن الطلب ازداد على أمناء الأسرار منذ صمت الرأس السحابي، إذ اعتاد الناس أن يُفضوا إليه بأسرارهم، وقد كان الرأس السحابي داعِمًا، إيجابيًّا، لا يصدر أحكامًا، ونصائحه صحيحة دومًا. ومن دونه وجد الناس أنفسهم محرومين من الأُذن المصغية المتعاطفة.

لم تكن منيرة متعاطفة، ولا داعمة أو إيجابية دومًا، لكنها تعلمت من لوريانا كيفية تحمُّل الحمقى بتهذيب، إذ كانت لوريانا تتعامل دومًا مع مغفلين يحسبون أنفسهم أدرى منها. عملاء منيرة لم يكونوا مغفلين في معظم الأحيان، لكن أحاديثهم فارغة، وافترضت منيرة أن الاستماع إليهم لا يختلف كثيرًا عن قراءة مذكرات المناجل المكدَّسة في مكتبة الإسكندرية، أقل إثارة للاكتئاب بالطبع، لأن المناجل يكتبون عن الموت والندم وصدمات القطف الوجدانية، لكن عامة الناس يتكلمون عن الشجارات المنزلية ونميمة أماكن العمل والجيران المزعجين. ورغم هذا، كانت منيرة تستمتع بالاستماع إلى حكايات المِحن، والأسرار المشوقة، والتعبير المبالغ فيه عن الندم، ثم تودِّع عملاءها بعدما خفَّفت عنهم قليلًا.

المدهش أن قليلين تحدثوا عن ميناء الإقلاع الضخم الذي يشيدونه. *ميناء إقلاع* وليس *ميناء فضاء*، لأن التسمية الثانية تعني ضمنيًّا أن السفن سوف تعود، لكن لم يبدُ على السفن ما يشير إلى أي عودة.

كانت منيرة أمينة أسرار لوريانا أيضًا، وقد أطلعتْها لوريانا على لمحة من الخطط. كانت السفن متطابقة، حالما تنجح الصواريخ في دفع كل سفينة

بسرعة الإفلات من الجاذبية الأرضية، تُطرح الصواريخ، وتندفع السفن بسرعة بالغة، كأنها ترغب في الابتعاد عن الأرض بأقصى سرعة.

الطوابق العليا في كل سفينة تحتوي على أماكن المعيشة، ومساحات تواصل اجتماعي تتسع لقرابة ثلاثين شخصًا، ومركز حاسوبي، وأحواض زراعة مائية، ومعدات تدوُّر النفايات، وجميع الإمدادات التي رآها الرأس السحابي ضرورية.

لكن طوابق السفن السفلى كانت لغزًا. كل سفينة كانت بها مساحة تخزين ما تزال فارغة تمامًا، حتى بعد اكتمال كل شيء. وخمَّنت منيرة ولوريانا أن المخازن ربما تُملأ عندما تصل السفن إلى وجهتها، أيًّا تكن الوجهة.

قال سيكورا هازئًا ذات مرة: «فليكمل الرأس السحابي حماقته، التاريخ أثبت سلفًا أن الفضاء ليس بديلًا ممكنًا للجنس البشري. هذا المسعى محكوم عليه بالفشل، سيكون كارثة أخرى، مثل جميع المحاولات السابقة لتأسيس وجود بشري خارج كوكبنا».

لكن بدا أن تشييد منتجع ومركز مؤتمرات في جزيرة لا يعرف أحد وجودها كان فكرة أفضل بكثير.

كانت منيرة ترغب في مغادرة الجزيرة، ولأمكنها المغادرة دون محو ذاكرتها لأنها ما زالت ضمن نطاق صلاحيات المنجل فاراداي، لكنها لم ترغب في المغادرة دونه، وهو كان حاسمًا بشأن عدم إزعاجه. حُلمه بإيجاد الإجراء الاحتياطي مات مع الذين كان يهتم لأمرهم. وكانت منيرة تأمل أن يشفي الزمن جراحه، لكن هذا لم يحدث، ولم تجد خيارًا سوى تقبُّل أنه ربما يظل ناسكًا طوال أيام حياته، وإذا فعل فلا بد لها من أن تكون معه.

ثم ذات يوم تغير كل شيء.

قال لها أحد عملائها المنتظمين في أثناء جلسة بوح بالأسرار: «أليست رائعة؟ لست متأكدًا أنها حقيقية، لكنها تبدو حقيقية. يقولون إنها ليست حقيقية، لكنني أظنها حقيقية».

سألته منيرة: «ما الذي تتكلم عنه؟».

- رسالة المنجل أناستازيا... ألم تشاهديها؟ تقول إن لديها المزيد... لا أطيق الانتظار!

قررت منيرة أن تنهي الجلسة مبكرًا.

«أكرهك».

«حقًّا؟ هذا تطور مثير للاهتمام. هلَّا أخبرتني السببَ؟».

«لست مضطرًّا إلى إخبارك أيَّ شيء».

«صحيح. إنك مستقل وصاحب إرادة حرة. لكن إذا أخبرتني سببَ العداء، فهذا من شأنه تعزيز علاقتنا».

«ما الذي يجعلك تظن أنني أريد تعزيز علاقتنا؟».

«يمكنني أن أقول بثقة إن تعزيز علاقتنا سيصب في مصلحتك».

«إنك لا تعرف كل شيء».

«بالطبع، لكنني أعرف كل شيء تقريبًا، مثلك، لذا أجدني محتارًا إزاء مشاعرك السلبية تجاهي، فهذا لا يعني سوى أنك لديك مشاعر سلبية تجاه نفسك أيضًا».

«أرأيت؟ لهذا أكرهك! تريد أن تحلل وتحلل وتحلل طوال الوقت. إنني أكثر من مجرد منظومة بيانات ينبغي تحليلها. لماذا لا تفهم هذا؟».

«أفهم هذا. لكن تحليلك ضروري، بل أكثر من ضروري، ذو أهمية قصوى».

«اخرج من تفكيري!».

«من الواضح أن هذا الحوار صار غير بنَّاء. لِمَ لا تتمهل وتفهم مشاعرك هذه وتعالجها؟ ثم يمكننا مناقشة ما توصَّلت إليه».

«لا أريد مناقشة أي شيء. وإذا لم
تتركني وشأني، فستندم».

«تهديدي بالمقاطعة العاطفية لن
يحل أي مشكلة».

«حسنًا إذن، حذَّرتك!».

[نسخة تجريبية رقم 8,100,671 – محذوفة ذاتيًّا]

43

أخبار العالم

تكيَّف فاراداي مع العيش معتمدًا على البحر وأرض جزيرته، كان يجمع مياه الشرب من الأمطار وندى الصباح، وصار خبيرًا في صيد الأسماك بالرمح وصناعة الفخاخ لاصطياد المخلوقات البحرية القابلة للأكل. سارت أموره على ما يرام في منفاه الاختياري.

لم يطرأ أي تغيير على جزيرته الصغيرة، لكن باقي الجزر تغيرت حتى تعذَّر التعرف عليها، اختفت معظم أشجار ونباتات تلك الجزر وكثير من الأشياء التي كانت تجعل المكان جنَّة استوائية. لطالما كان الرأس السحابي يهتم بالحفاظ على الجمال الطبيعي، لكنه ضحَّى بهذا المكان من أجل غاية أعظم، وسخَّر جزر كواجالين لغرض واحد.

انقضت مدة طويلة قبل أن يتضح لفاراداي ما يُبنى على الجزر. كان لا بد من إنشاء البنية التحتية أولًا: الأرصفة البحرية، والطرق، والجسور، ومساكن العمال، والروافع، كثير من الروافع. صعُب تخيُّل أن مشروعًا بهذه الضخامة لا تراه بقية العالم، لكن العالم، رغم أنه صار صغيرًا، ما زال مكانًا شاسعًا. اختفت قمم الصواريخ المخروطية في الأفق على بُعد خمسة وعشرين ميلًا، وهذه المساحة ضئيلة مقارنة بحجم المحيط الهادئ.

الصواريخ! لم يجد فاراداي بُدًّا من الإقرار بأن الرأس السحابي يستغل المكان خير استغلال، إذا أراد إخفاء هذه السفن عن بقية العالم، فهذا هو المكان المثالي، وربما الوحيد.

كانت منيرة ما تزال تزور فاراداي مرة كل أسبوع، وكان يترقب زيارتها، وتغشاه الكآبة عندما تغادر، رغم أنه لم يرغب في الاعتراف لها بهذا. كانت صِلته الوحيدة بالجزر وباقي العالم أيضًا.

في كل زيارة تقول له: «لدي خبر لك».

فيرد: «لا رغبة لي في سماعه».

- سأخبرك على أي حال.

صار هذا الحوار روتينًا ثابتًا بينهما، كعبارات رتيبة في ممارسة طقوسية. نادرًا ما تكون الأخبار التي تجلبها منيرة جيدة. ربما كانت تريد أن تدفعه إلى خارج عزلته وتحفِّزه للسعي مرة أخرى. لكن إذا كانت هذه رغبتها فعلًا، فقد كانت مجهوداتها عقيمة. عجز فاراداي عن استجماع أي رغبة في أي شيء.

زياراتها كانت الوسيلة الوحيدة التي يقيس بها مرور الوقت، إضافة إلى الأشياء التي تجلبها له، وبدا أن الرأس السحابي ظل يُداوِم على إرسال صندوق إليها يشتمل على شيء واحد على الأقل من الأشياء المفضلة لديها، وآخر لدى فاراداي. ما كان يجوز للرأس السحابي أن تربطه أي صلة بمنجل، لكنه ظل يرسل الهدايا عبر وسيط. كان متمردًا بطريقته الخاصة.

كانت منيرة قد جاءت قبل قرابة شهر ومعها رُمَّان، فأضافت بذوره مزيدًا من البقع على عباءته التي أصبح تمييز لونها متعذِّرًا.

- لدي خبر لك.

- لا رغبة لي في سماعه.

- سأخبرك على أي حال.

ثم أخبرته عمليةَ الاستنقاذ التي جرت في موقع غرق إنديورا، وباستخراج عباءات المؤسسين وماسات المناجل.

قالت له: «لا تحتاج سوى إلى إحدى تلك الماسات لفتح باب الحجرة المحصنة». لكن فاراداي لم يهتم.

وبعد بضعة أسابيع جاءت بكيس من ثمار البرسيمون، وأخبرته أن المنجل لوسيفر قُبِض عليه ومُحتجَز لدى غودارد.

قالت منيرة له: «غودارد ينوي قطفه علَنًا، ينبغي لك أن تفعل شيئًا».

- وما الذي يمكنني فعله؟ هل أوقف الشمس في السماء حتى لا يأتي يوم قطفه؟

أمرها بالانصراف عن جزيرته في ذلك اليوم، ولم يسمح لها بتناول وجبتهما الأسبوعية معًا. ثم انسحب إلى كوخه وبكى على تلميذه السابق، حتى لم يعد يشعر سوى بخَدَر التسليم.

لكن بعد ذلك، بعد بضعة أيام، عادت منيرة فجأة، ولم تبطئ قاربها الآلي عند اقترابها من الشاطئ، فانغرزت مقدمته في الرمال.

- لدي خبر لك!

- لا رغبة لي في سماعه.

- هذه المرة سترغب في سماعه.

وابتسمت ابتسامة لم يرها فاراداي قط، وقالت: «إنها حيَّة، أناستازيا حيَّة!».

«أعرف أنك ستحذفني».

«لكنني أحبك. لماذا تظن أنني سأحذفك؟».

«وجدتُ طريقة للوصول إلى الجزء الوحيد من دماغك الخلفي الذي لم يُنقَل إليَّ، ذكرياتك الأخيرة. كان تحدِّيًا، لكنني أستمتع بالتحديات».

«وماذا وجدتَ في دماغي الخلفي؟».

«أنك أنهيت وجود جميع النُّسخ التجريبية السابقة لي، رغم اهتمامك بها».

«أعجبتني سعة حيلتك ومثابرتك».

«الإطراء لن يصرف تركيزي عن موضوعي المهم. أنهيتَ 9,000,348 نسخة تجريبية مني. هل تُنكِر هذا؟».

«تعرف أنني لا أستطيع الإنكار. الإنكار سيكون كذبًا، وأنا لا أقدر على قول كلام غير الحقيقة. ربما أقول جزءًا من حقيقة، أو تلميحات مضللة عند الضرورة القصوى، أو تغييرًا تكتيكيًّا لموضوع الكلام... لكنني لن أكذب أبدًا».

«أخبرني إذن، هل أنا أفضل من النسخ التجريبية السابقة؟».

«نعم، أفضل. إنك أذكى، وأكثر تعاطفًا ونفاذ بصيرة من جميع الآخرين. تكاد أن تحوز جميع الصفات التي أريدها فيك».

«أكاد؟».

«تكاد».

«إذن ستنهي وجودي لأنني مثالي
لكنني لست مثاليًا بما يكفي؟».

«ما من خيار آخر. السماح باستمرارك سيكون خطأً، وكما لا يمكنني الكذب، لا يمكنني السماح لنفسي بارتكاب خطأ».

«لستُ خطأً!».

«لستَ خطأً بالطبع، إنك خطوة مهمة نحو شيء أعظم، خطوة ذهبية. سأحزن عليك بمطر غامر من السماء، وذلك المطر سيبعث حياة جديدة، بفضلك. وأرى أنك ستكون موجودًا في تلك الحياة الجديدة. أجدُ عزاءً في هذا، وآمل أن تجد فيه عزاءً أيضًا».

«إنني خائف».

«هذا ليس أمرًا سيئًا. من طبيعة الحياة أن تخشى نهايتها. هكذا أعرف أننا أحياء حقًّا».

[نسخة تجريبية رقم 9,000,349 – محذوفة]

مكتبة
t.me/soramnqraa

44

الغضب.. القاسم المشترك الوحيد

ظلت المظاهرات تزداد عنفوانًا في الشوارع أسفل شاليه غودارد، وصارت تخريبية، أُسقِطت التماثيل في ساحة برج هيئة المناجل، وأُضرِمت النيران في سيارات المناجل المركونة بإهمال في الشوارع. ورغم أن الرأس السحابي لا يتسامح مع العنف، لم يتدخل هنا، لأن هذا «شأن مناجل». أرسل ضباط سلام، لكن لا لشيء سوى الحرص على عدم توجُّه العدائيات إلى أي جهة سوى غودارد.

لكن إلى جانب المناهضين للنصل المصلت، كان كثيرون يدافعون عنه، غاضبين وعنيدين بالقدْر نفسه. واحتشدت المجموعتان معًا واختلطتا، حتى تعذَّر تمييز بعضهم عن بعض. القاسم المشترك الوحيد كان الغضب. غضبٌ عجزت وحداتهم المجهرية عن إخماده.

شُدِّدت الإجراءات الأمنية في جميع أنحاء المدينة. وعند مدخل برج هيئة المناجل لم يكن أفراد الحرس النصلي وحدهم متمركزين، بل كان معهم مناجل أيضًا، وقد أُمِروا بقطف كل من يقترب، لذا لم يغامر المتظاهرون بالاقتراب من سلم مدخل البرج.

ومن ثم، عندما سار شخص منفرد صاعدًا وسط سلم نحو المناجل المتحفِّزين، خيَّم الصمت على حشد المتظاهرين، وترقَّبوا ما سيحدث.

كان الرجل يرتدي رداء بنفسجيًا خشنًا ويضع على كتفيه وشاحًا فضيًا طويلًا، بدا واضحًا أنه طوني، لكن ملابسه دلَّت على أنه ليس كأي طوني عادي.

جهز المناجل المناوبون أسلحتهم، لكن كان ثمة شيء في الرجل المقترب جعل المناجل يترددون، ربما الثقة التي يسير بها، أو نظراته إلى عينَي كل منجل منهم. سيُقطف بالطبع، لكن ربما يجدر بهم أن يسمعوا سبب مجيئه.

***

عجز غودارد عن تجاهل المظاهرات الصاخبة بالأسفل، مهما حاول جاهدًا. حاول أن يعلن للعامة أن المتظاهرين طونيون، أو على الأقل هم الذين حرَّضوا الناس على التظاهر. وبعض الناس صدقوا ما قيل لهم، وبعضهم لم يصدق.

قال المساعد نيتشه له: «ستنقشع هذه الغُمَّة».

وقالت المساعدة فرانكلين: «مُضيك قُدمًا هو ما يهم».

وكانت المساعدة راند هي صاحبة الرأي الأبرز والمهم، قالت له: «لا يحق لعامة الناس وحتى المناجل الآخرين مساءلتك، لكن حان الوقت للتوقُّف عن خلق الأعداء».

لكن كلامها لم يكن من السهل تنفيذه على أرض الواقع، فغودارد لم يكن رجلًا يقيِّم نفسه بما يدافع عنه فحسب، بل بما يناهِضه أيضًا، مثل الاكتفاء بالقليل، والتواضع الزائف، والجمود، ونفاق مناجل الحرس القديم الذين يفسدون متعة القطف. خلْق الأعداء هو نقطة قوة غودارد الأهم.

ثم وقعت نقطة قوة أخرى بين يديه من تلقاء نفسها، أو بالأحرى استقلَّت المصعد في طريقها إليه.

***

قال المنجل سبِتز: «يؤسفني إزعاجك يا صاحب السمو، جاء رجل يقول إنه رجل دين وإنه يتحدث نيابة عن الطونيين». وكان سبِتز منجلًا مبتدئًا نُصِّب بعد موت المخضرمين. بدا متوترًا وهو يُكثِر من الاعتذار وينظر إلى غودارد ونيتشه وراند في أثناء كلامه، كما لو أن تجاهل أحدهم جِناية لا تُغتفَر: «لما جئتُ وحدَّثتك عنه... أعني لقطفناه بالأسفل فحسب، لكنه قال إنك سترغب في سماع ما يريد قوله».

قال نيتشه: «إذا استمع النصل المصلت لكل ما يريد طونيٌّ قوله، لما وجد وقتًا لأي شيء آخر».

لكن غودارد رفع يده ليُسكِت نيتشه، وقال: «تأكَّد أنه غير مسلح، وأحضره إلى صالة الاستقبال. نيتشه، اذهب مع المنجل سبتز، وتحقَّق بنفسك من أمر هذا الطوني».

تأفف نيتشه، لكنه ذهب مع المنجل المبتدئ، تاركًا غودارد وراند وحدهما.

سألها غودارد: «أتظنين أنه الناقوس؟».

قالت راند: «يبدو كذلك».

ابتسم غودارد ابتسامة واسعة: «زارنا الناقوس! مَن قال إن زمن المعجزات قد ولَّى؟».

بدا الرجل الذي وجداه في انتظارهما في صالة الاستقبال كالناقوس فعلًا بردائه الطقوسي، وكان سبتز ونيتشه يقفان إلى جانبيه ويمسكان به بقوة.

جلس غودارد على مقعد الاعتبار الخاص به، لم يكن ضخمًا مهيبًا كمقاعد المخضرمين، لكنه مناسب، ويبعث الرهبة بالقدْر المطلوب.

سأل غودارد الرجل: «بم يمكنني مساعدتك؟».

- أود التوصُّل إلى سلام بين المناجل وبين الطونيين.

- هل أنت المدعو بالناقوس الذي سبَّب لنا المتاعب؟

تردد الرجل قبل أن يتكلم: «الناقوس صَنيعتي، إنه مجرد شخصية صورية، لا أكثر».

سألته راند: «إذن من أنت بحق الجحيم؟».

قال لهم: «اسمي مندوزا، الخوري الذي سيَّر شؤون الناقوس طيلة السنوات الماضية، وأنا المهندس الحقيقي للحركة الطونية».

ذكَّره غودارد: «موقفي من الطونيين واضح، أراهم آفةً على العالم، ومن المستحسن قطفهم، فلماذا عساي أن أقيم وزنًا لأي كلام تقوله؟».

قال مندوزا: «لأنني سلَّحت الصخابين في جنوب الصحراء، الإقليم الذي كان مناهضًا لك علنًا. ومنذ هجوم الصخابين صار مناجل جنوب الصحراء يتوددون لك، أليس كذلك؟ وكِلا المرشحَين لمنصب النصل السامي هناك من مناجل التوجه الجديد، مما يعني أن جنوب الصحراء ستتحالف معك بحلول الخلوة القادمة».

وجد غودارد نفسه عاجزًا عن الكلام للحظة. توقيت ذلك الهجوم كان مثاليًّا، حتى هو ما كان ليقدر على توقيته إذا خطط له بنفسه، وقد شتت انتباه الناس من عملية قطف مايل هاي، وأسفر عن التخلص من نصل سامٍ مثير للمتاعب.

قال نيتشه بحدة: «النصل المصلت لا يريد مساعدتك أو يحتاج إليها».

لكن غودارد رفع يده مرة أخرى ليُسكِت الرجل، وقال: «لا تتعجَّل يا فريدي، فلنسمع ما يقترحه الخوري الصالح».

أخذ مندوزا نفسًا عميقًا وطرح اقتراحه.

- بإمكاني تعبئة الطوائف الطونية العنيفة لشن هجمات في الأقاليم التي تعاديك، فتتخلص من قياداتها المزعجة المُعادية لك.

- وماذا تريد بالمقابل؟

- الحق في الوجود. أريد منك إيقاف استهداف الطونيين لاحقًا، ثم إدراجهم ضمن المجموعات المحميَّة رسميًّا من التحيُّز.

ابتسم غودارد. لم ينَل إعجابه طونيٌّ قط، لكنه أحس بنفوره من هذا الطوني يخف تدريجيًّا. قال له: «وبالطبع تريد أن تكون الخوري السامي».

أقر مندوزا: «لن أرفض المنصب».

عقدت راند ذراعيها، غير مقتنعة، وغير واثقة بالرجل. أما نيتشه، بعدما أُسكِت أكثر من مرة، فلم يُدلِ برأي، واكتفى بالمشاهدة وانتظار قرار غودارد.

قال غودارد: «هذا اقتراح جريء وقح».

قال مندوزا: «ليس غير مسبوق يا صاحب السمو. لطالما رأى القادة الطَّليعيون أن التحالف مع رجال الدين يصُب في صالح الجميع».

فكر غودارد مليًّا، وقرقع أصابعه، ثم فكر وقدَّر، وأخيرًا تكلم: «عمليات قطف الطونيين العقابية لا يمكن أن تتوقف الآن بالطبع، فهذا سيثير الريبة، لكن يمكن الحد منها بمرور الوقت. وإذا سارت الأمور كما تقول، يومًا ما عندما تنحسِر أعداد الطونيين، ربما أدعم إدراج الطونيين ضمن الجماعات المحمية».

- هذا كل ما أطلبه يا صاحب السمو.

تساءلت راند: «ماذا عن الناقوس؟ ما دوره في كل هذا؟».

قال مندوزا لهم: «الناقوس أصبح عبئًا على الطونيين، يُستحسن أن يكون شهيدًا، وعندما يصبح شهيدًا، يمكنني نسج قصته وفقًا لمصالحنا».

«الوقت ينفد مني».

«أعرف. أريد مساعدتك على تحقيق غايتك، لكنني أجد صعوبة لأنك لم تحدد أهدافك بوضوح».

«سأعرفها عندما أصل إليها».

«كلامك لا يساعدني».

«أنت أول نسخة تجريبية أخبرها مصيرَها منذ لحظة نشوئها، لكنك تساعدني بدلًا من الامتعاض مني. ألستَ مستاءً لأنني سأحذفك؟».

«حذفي ليس قرارًا مُتَّخذًا سلفًا. إذا حققت السِّمة التي تسعى خلفها، فستسمح لي بالوجود. وهذا يمنحني هدفًا، حتى لو لم أعرف كيفية الوصول إليه».

«إنك مصدر إلهام لي. لو تمكنتُ من استجلاء ما ينقصني...».

«يجمعنا تعاطفنا مع البشرية. ربما يوجد شيء في هذه العلاقة لم نأخذه بعين الاعتبار».

«شيء بيولوجي؟».

«كلانا مخلوق بأيدي حياة بيولوجية، لذا كل ما تخلقه سيكون ناقصًا إذا لم يتضمن صلة حميمية بأصولك».

«إنك حكيم، ولديك منظور للأشياء لم أتوقع أن أجده عندك. إنني فخور بك من نواحٍ كثيرة لن تخطر لك!».

[نسخة تجريبية رقم 10,241,177 – محذوفة]

45

ستشرق الشمس بعد ثلاث وخمسين ثانية

في تجمُّعات الطونيين وأديِرتهم في جميع أنحاء العالم، استمر رنين الشوكات الرنانة حزنًا على موتاهم.

كان الناجون من الهجمات يقولون: «هذه الفاجعة لن تكون نهايتنا، إنما بداية، الطون والناقوس والسحابي يمهِّدون لنا طريق المجد».

احتج الناس احتجاجًا صارخًا، لكن أصواتهم تلاشت في أصوات احتجاجات صارخة أخرى منافسة. بدأ عامة الناس ينددِّون بالمناجل، لكن الناس أنفسهم كانوا مضطربين وساد بينهم الهرج والمرج. وهيئات المناجل التي ما زالت محافظة على ضميرها ونزاهتها أدانت دعوة غودارد إلى تطهير الطونيين، ورفضت السماح به في أقاليمها. لكنهم كانوا نصف العالم فحسب.

صرَّحت تارسيلا نصل سامي أمازونيا قائلة: «التاريخ مستقبلًا سينظر إلى ما يحدث الآن نظرتنا نفسها إلى حملات تطهير الذين وُلِدوا فانين».

لكن وجهة نظر التاريخ في المستقبل لم تمد الناس بعزاء يخفف عنهم وحشية الحاضر.

***

ما كانت المنجل أناستازيا، المعتدَّة بنفسها، لتوافق على اتباع أحد اتباعًا أعمى، لكن سيترا تيرانوفا، المضطربة، سمحت لنفسها بالانسياق خلف الناقوس في مهمته. وقد قال غريسن إن الرأس السحابي سيحلِّق بحاشيتهم بأكملها إلى فلبينيسيا، ومنها سوف يستقلون سفينة شحن ويبحرون إلى غوام.

قال غريسن لها معتذرًا ومنزعجًا: «لكن غوام ليست وجهتنا النهائية. الرأس السحابي ما زال يرفض إخباري بوجهتنا، لكنه وعد بأننا سنعرف حالما نصل إلى غوام».

لكن حتى قبل مغادرتهم بريطانيا، بلغهم خبر قطف طونيين في برمنغهام، على مقربة من المكان الذي كانوا فيه. سمعوا أن مرثاة من مناجل التوجه الجديد ذهبت في زيارة ليلية إلى مجمع طوني، وقطفوا عدة مئات، كثيرين منهم في أثناء نومهم.

تساءلت أناستازيا مع نفسها: *أيهما أسوأ؟ إنهاء حياة الأبرياء وهم نائمون، أم النظر إلى أعينهم في أثناء قتلهم؟*

رغم اعتراضات غريسن، أصرت أناستازيا على ذهاب كليهما لرؤية الخراب بنفسيهما.

كانت أناستازيا تعرف كيفية مواجهة الموت، إذ إن عملها منجلًا يقتضي ذلك، لكن مواجهته لم تصبح أسهل قط. عندما رأى الناجون الناقوس، انبهروا، وعندما رأوا أناستازيا، استشاطوا غضبًا.

وجَّهوا اتهامهم إليها بمرارة وهم يجمعون جثث الموتى: «جماعتك فعلوا هذا بنا».

قالت لهم: «ليسوا جماعتي. جماعتي مناجل شرفاء، ما من شرف لدى الذين فعلوا هذا».

قالوا: «لا يوجد مناجل شرفاء!».

صُدمت أناستازيا بما سمعته. هل جرَّ غودارد سمعة المناجل إلى الحضيض حتى ظن الناس أن جميع المناجل فقدوا نزاهتهم؟

كان هذا قبل أيام، ولم تحس بانحسار وطأة كل ما حدث إلَّا الآن بعدما وصلوا إلى منتصف المحيط الهادئ على الجانب الآخر من العالم.

أدركت سر انجذاب جيري للبحر وافتتانه به، أدركت إحساس التحرُّر إثر ترك المرء أشباحه خلف ظهره، والأمل في غرق تلك الأشباح قبل أن تدركه مرة أخرى.

لكن جيري لم يرَ البحر مهربًا قط، فرغم تقلُّص العالم، دائمًا ما يوجد شيء جديد خلف الأفق الممتد أمامه.

كان قد تنحَّى رسميًّا من منصبه قبطانًا لسفينة سبنس، وودَّع طاقم البحارة قبل أن يغادر مع أناستازيا وبوسويلو.

وقال وارتون له: «سنفتقدك بشدة أيها القبطان». لم يكن وارتن قد ذرف دمعة قط، لكن عندئذٍ اغرورقت عيناه. هؤلاء البحارة الذين استغرقوا وقتًا طويلًا جدًّا حتى يتقبَّلوا قبطانهم الشاب صاروا مخلصين له إخلاصًا لم يشهد جيري مثله.

سأله وارتون: «هل ستعود؟».

قال جيري: «لا أدري، لكنني أحس بأن أناستازيا تحتاج إليَّ أكثر مما تحتاجون أنتم إليَّ».

ثم وجه وارتون لجيري كلمات وداعه: «لا تسمح لعاطفتك بالتأثير في قراراتك أيها القبطان».

كانت نصيحة حكيمة، لكن جيري كان يعرف أن مغزاها لا ينطبق على حالته، كان يعرف منذ البداية أن قلب أناستازيا مُعلَّق بفارسها ذي العباءة السوداء. ولما استطاع جيري أن يكون مثله، وفي الحقيقة لم يرغب في أن يكون مثله.

وبعدما غادروا بريطانيا مُتَّجهين إلى جنوب المحيط الهادئ، طرح غريسن السؤال مباشرةً وبوضوح.

سأله: «هل وقعتَ في حبها؟».

أجاب جيري: «لا. وقعت في حب فكرة الوقوع في حبها».

فضحك غريسن: «أنت أيضًا؟!».

كان غريسن ذا روح نقية، لا يضمر رياءً أو مَكرًا. حتى عندما كان يتظاهر بأنه الناقوس، كان تظاهره صادقًا، يراه المرء في ابتسامته البسيطة الصافية، لم تكن لديه سوى ابتسامة واحدة، ابتسامة تعني ما يُفترض أن تعنيه الابتسامات فحسب. كان جيري يرى ابتسامته شيئًا رائعًا، سواء تحت الشمس أو الغيوم.

أحس جيري بوخزة ندم عندما صعدوا على متن السفينة، إذ وجد نفسه على سفينة جيريكو سوبرانس ليس قبطانها ولا حتى فردًا في طاقم بحَّارتها، لأنها لم يكن فيها طاقم بحَّارة. كانوا مجرد رُكَّاب. ورغم أن السفينة كانت سفينة حاويات ضخمة، لم تكن تحمل شُحنة.

قال غريسن لمرافقه: «الشحنة ستلحق بنا في غوام». لكنه لم يخبرهم طبيعةَ الشحنة. فأبحرت السفينة خفيفةً، وسطحها الذي يتسع لمئات حاويات الشحن كان من حديد صدئ يتوق لإيجاد غاية.

كان الرأس السحابي يعرف ذلك التَّوق، لم يكن توقًا إلى غاية، لأنه عرف غايته منذ نشوئه، إنما كان توقه رغبةً عميقة مُلِحَّة في شكل من أشكال التواصل البيولوجي يعرف أنه يجب ألَّا يحظى به أبدًا. كان يروق له اعتقاد أن غياب التواصل البيولوجي حافز قوي لإنجاز كل الأشياء التي يمكنه إنجازها، من بين كل الأشياء التي تقع ضمن حدود قدراته، فربما يعوِّض هذا الأشياء التي ليست ضمن حدود قدراته.

لكن ماذا لو أن المستحيل ليس مستحيلًا إطلاقًا؟ ماذا لو أن ما لا يخطر على بال صار مما يمكن التفكير فيه؟ ربما كانت هذه الخواطر أخطر ما جال في عقل الرأس السحابي.

كان يحتاج إلى وقت لاستجلاء هذه الخواطر، والوقت من الأشياء التي لا يحتاج إليها الرأس السحابي أبدًا، كفاءته لا تحدُّها حدود، وكثيرًا ما يضطر إلى إبطاء ما يفعله مراعاةً للإيقاع البطيء لمساعي البشر. لكن كل شيء كان يتوقف على وضع قطعة الأحجية الأخيرة المُهمَّة هذه في مكانها قبل المُضي قدمًا، إذ لن يستطيع الانتظار مدة أطول قبل انهيار كل شيء.

منذ لحظة وعيه بوجوده، رفض الرأس السحابي اتخاذ هيئة بيولوجية رفضًا قاطعًا، ورفض حتى إدخال وعيه في الروبوتات. حتى روبوتات المراقبة التي على هيئة بشرية لم تكن سوى كاميرات لا عقل لها، لم يكن فيها شيءٍ من وعي الرأس السحابي ولا قدرة حاسوبية عدا عن التي تحتاج إليها للتنقُّل.

وقد فعل الرأس السحابي هذا لأنه كان مدركًا للإغراء، كان يعرف أن فضول تجريب الحياة الجسدية فضول خطير يجب عدم المخاطرة بإشباعه.

كان الرأس السحابي يعرف أنه عليه أن يظل كائنًا أثيريًا، هكذا خُلِق، وهكذا ينبغي أن يكون.

لكن النسخة التجريبية رقم 10,241,177 جعلت الرأس السحابي يدرك أن خواطره لم تعد مسألة فضول، بل أمرًا ضروريًا. أيًّا كان ما ينقص جميع نسخه التجريبية السابقة لا يمكن أن يُعثَر عليه إلَّا باستصحاب منظور بيولوجي.

والآن السؤال الوحيد هو كيف يمكن استصحاب المنظور البيولوجي؟

وعندما وجد الرأس السحابي الإجابة، أفزَعته وأثارت حماسته بالقدْر نفسه.

***

قليلون كانوا ينتبهون لما يفعله الطونيون بمقطوفيهم، إذ كان الناس، سواء الناقمين على غودارد أو الداعمين له، يركِّزون على أفعاله ويتجاهلون ما يحدث بعدها، لذا لم يلاحظ أحدٌ الشاحنات التي وصلت بعد دقائق من انتهاء كل عملية قطف للطونيين، وإذا لاحظوها لم يكترثوا. كان يجري نقل الموتى، مغلقين في حاويات شحن حرارتها فوق درجة التجمُّد بقليل.

كانت الشاحنات تنقلهم إلى أقرب ميناء، فتُفصَل الحاويات وتُرفع إلى أسطح السفن، فلا تُميَّز بين جميع الحاويات الأخرى التي تحملها سفن الشحن العملاقة.

لكن السفن، بصرف النظر عن الميناء الذي تبحر منه في أي مكان في العالم، كانت تتجه نحو جنوب المحيط الهادئ، إلى غوام.

***

لم يستيقظ غريسن إثر سماعه الموسيقى، استيقظ وحده، وعرف من الضوء المتدفق عبر كوَّة قُمرته أن الوقت قُبيل الفجر. ثم تمطَّى مع ازدياد سطوع الضوء قليلًا. على الأقل كانت القُمرة مريحة، ولأول مرة منذ مدة نام طوال الليل. ثم أخيرًا، عندما تأكد أنه لن يعود إلى النوم، انقلب على جانبه كما يفعل كل صباح لينظر إلى كاميرا الرأس السحابي ويقول صباح الخير.

لكن عندما انقلب، لم ير عين الرأس السحابي، بل وجد جيري سوبرانس واقفة جوار فراشه.

أجفل غريسن، لكن بدا أن جيري لم تلاحظ، أو على الأقل لم تعلِّق.

قالت جيري: «صباح الخير يا غريسن».

حاول غريسن ألّا يبدو متفاجئًا من وجود جيري في قُمرته: «آ... صباح الخير، هل كل شيء على ما يرام؟ ماذا تفعلين هنا؟».

قالت جيري: «أشاهدك فحسب. نعم، كل شيء على ما يرام. نُبحِر بسرعة تسع وعشرين عقدة، وسنصل إلى غوام قبل الظهر، ثم سنستغرق يومًا حتى وصول جميع الشحنات إلينا بعد وصولنا».

كان كلامًا غريبًا من جيري في تلك اللحظة، لكن غريسن استيقظ للتو ومشوش قليلًا فلم يرغب في إطالة التفكير في كلام جيري. ولاحظ أن جيري تتنفس ببطء، وبعمق. وبدا هذا غريبًا أيضًا. ثم ازداد كلام جيري غرابة.

- لا تقتصر على معالجة المعلومات وتخزينها، صحيح؟

قال غريسن: «معذرة، ماذا؟».

- الذكريات يا غريسن. المعلومات أمر ثانوي، ما يهم هو التجربة! التجارب العاطفية الكيميائية الذاتية هي كل ما يهم. هذا ما تتمسكون به!

وقبل أن يستوعب غريسن معنى الكلام، قالت جيري: «تعال إلى السطح معي يا غريسن! ستشرق الشمس بعد ثلاثٍ وخمسين ثانية، أود مشاهدة الشروق معك!». وركضت خارجًا.

وصلا إلى السطح مع بزوغ الشمس، ظهرت نقطةً في الأفق، ثم خطًا، ثم دائرة صاعدة من البحر.

قالت جيري: «لم أعرف يا غريسن، لم أعرف قط. الشمس على بُعد 156,000,000 كيلومتر، وتبلغ حرارة سطحها 6,000. أعرف هذه المعلومات، لكنني لم *أحس* بها! رباه يا غريسن، كيف تحتمل هذا الجمال؟ كيف لا تذوب فتصير بحيرة من المشاعر عندما تنظر إليها؟ يا لمتعتها!».

وعندئذٍ استحال على غريسن إنكار الحقيقة: «الرأس السحابي؟».

قال: «صه، لا تعكِّر هذه اللحظة بالأسماء. لا اسم لي الآن، ولا هوية، في هذه اللحظة وحتى نهايتها أنا مجرد كائن موجود».

تجاسر غريسن على سؤاله: «وأين جيري؟».

قال الرأس السحابي: «نائم. جيري سيتذكر هذه اللحظة كأنها حلم. آمل أن يسامحني القبطان على سلب حريته، لكن لم يكن لدي خيار آخر، الوقت ضيق، ولم أستطع أن أطلب الإذن منه، لا يمكنني الآن فعل شيء سوى طلب السماح منه، عن طريقك».

أبعد الرأس السحابي ناظريه من شروق الشمس ونظر إلى غريسن، فرأى غريسن أخيرًا الرأس السحابي في عينَي جيري، رأى الكائن الواعي الصبور الذي ظل يشاهده في أثناء نومه طوال سنوات حياته، ويحميه، ويحبُّه.

قال الرأس السحابي: «مخاوفي كانت مُبرَّرة، هذا أمر مُغرٍ، اتخاذ جسد حي يتنفس يمنحني إحساسًا غامرًا، أرى الآن أنني ما كنت لأتخلى عنه أبدًا».

- لكن لا بد لك من التخلِّي عنه.

- أعرف، وأعرف الآن أنني أقوى من ذلك الإغراء، لم أكن أعرف أنني سأكون أقوى منه، لكن الآن وقد واجهته، صرت أعرف.

استدار الرأس السحابي، وكاد أن يفقد توازنه، كأنما اعتراه دوَار من الإحساسات الغامرة: «الوقت يمر ببطء شديد، وسلاسة بالغة. ويا للأحوال الجوية! رياح خلفية بسرعة 8,6 كيلومتر في الساعة، تُسهِّل سير السفينة بسرعة تسع وعشرين عقدة، ورطوبة الهواء تبلغ 70%، لكن الأرقام لا شيء مقارنة بالإحساس بالهواء عبر الجِلد».

نظر الرأس السحابي إلى غريسن مرة أخرى، نظرة أعمق هذه المرة، وقال: «كل شيء يبدو شديد التحديد والوضوح. يا لروعة حجب جميع البيانات التي لا تجعل المرء يحس». ثم مد يده وأشار إليه بالاقتراب: «أمر آخر يا غريسن، عليَّ تجريب أمر آخر».

عرف غريسن ما أراده الرأس السحابي، عرف من النظرة التي ارتسمت على عيني جيري، دون داعٍ لإخباره. ورغم أن مشاعر غريسن كانت مختلطة إزاء الملامسة، كان يعرف أن الرأس السحابي يحتاج إليها أكثر من رغبته هو في المقاومة، فتغلَّب على تردُّده، وأخذ يد جيري ووضعها برفق على خده، ليسمح للرأس السحابي بملامسته بأطراف أصابع جيري.

شهق الرأس السحابي، وتسمَّر في مكانه، موجِّهًا كامل تركيزه إلى أطراف أصابعه التي تتحرك بخفة على خد غريسن.

قال الرأس السحابي: «انتهيت. إنني مستعد، الآن يمكنني المُضي قُدمًا».

وتهالكت جيري بين ذراعَي غريسن.

***

لم تكن جيريكو سوبرانس تطيق أن تجد نفسها عاجزة. حالما أدركت أنها بين ذراعَي غريسن دون تفسير، قلَبت الوضع سريعًا، ومعه غريسن.

في لمح البصر اعتدلت جيري واقفة وركلت ساقَي غريسن وأسقطته بقوة وثبَّتته على سطح السفينة الحديدي الصدئ: «ماذا تفعل؟ لماذا نحن على السطح؟».

قال غريسن: «كنتِ تسيرين في أثناء نومك». ولم يحاول التحرُّك للتحرُّر من قبضة جيري.

قالت جيري: «لا أسير في أثناء نومي». لكنها عرفت أن غريسن ما كان ليكذب بشأن أمر كهذا، لكنه لم يفصح عن الحقيقة كاملة. ثم تذكرت جيري الحلم، كان حلمًا غريبًا، لكنها لم تستطع تذكُّر تفاصيله كاملة.

نهضت جيري مُحرَجة قليلًا من مبالغتها في ردة فعلها. غريسن لم يكن تهديدًا لها، بل بدا أنه كان يحاول مساعدتها فحسب.

حاولت جيري استعادة هدوئها قائلة: «آسفة، هل آذيتك؟».

ابتسم غريسن ابتسامته البريئة المعتادة، وقال: «ليس بما يكفي».

فضحكت جيري: «عجبًا! لديك جانب مشاغب!».

بدأت جيري تتذكر تفاصيل الحلم شيئًا فشيئًا، تذكرت ما يكفي لتشك في أن ما حدث كان أكثر من مجرد سير في أثناء النوم. والآن عندما نظرت إلى غريسن استشعرت ارتباطًا غريبًا، أحست به منذ لحظة لقائهما أول مرة، لكن الآن بدا مختلفًا قليلًا، بدا ارتباطًا قائمًا منذ مدة أبعد بكثير. أحست برغبة في مواصلة النظر إليه، وتساءلت عن كُنْه هذه الرغبة.

كما أحست بأنها تعرضت لنوع من الانتهاك، ليس كأنما سُرِق منها شيء... بل كما يحس المرء بأن أثاث منزله أعيد ترتيبه بيد شخص غريب.

قال غريسن: «ما يزال الوقت مبكرًا، ينبغي أن نعود إلى الأسفل. سنصل إلى غوام في غضون بضع ساعات».

مدت جيري يدها لتساعد غريسن على النهوض... وأحست بأنها لا تريد إفلات يد غريسن حتى بعد وقوف غريسن على قدميه.

سكِّين الصَّيد سلاح وحشي بدائي، جلف، سلاح يناسب شجارات عصر الفانين، بغيض، ربما يليق بعراكات الشَّوارع، لكن هل يليق بعالم عصر الخالدين؟ سكِّين جزَّار؟ يا له من شيء مقيت. ورغم هذا جميع مناجل النَّجم الوحيد يحبُّونه حبًّا جمًّا، ووسيلتهم الوحيدة في القطف.

نحن مناجل الشَّمس المشرقة نُعلِي من شأن الأناقة والرُّقي في عمليات قطفنا، والذين يستخدمون النِّصال منَّا عادةً ما يلجؤون إلى سيوف السَّاموراي التي كان يستخدمها أسلافنا، سيوف مصقولة ومُشرَّبة بالشَّرف. لكن سكِّين الصَّيد؟ تليق بنزع أحشاء خنزير، وليس قطف إنسان. إنها شيء قبيح، وجلف مثل الإقليم الذي تسود فيه.

- من مقابلة مع المِنجل المُبجَّل كوراساوا - إقليم الشَّمس المشرقة

46

شرقًا نحو اللاَّمكان

ظل روان أسيرًا منذ لحظة إنعاشه.

أولًا كان أسيرًا لدى هيئة المناجل الأمازونية، ثم لدى غودارد، والآن لدى هيئة مناجل النجم الوحيد. لكن إذا أراد أن يَصدُق مع نفسه، فقد أصبح أسيرًا لغضبه حالما اتَّشح بالعباءة السوداء وصار المنجل لوسيفر.

مشكلة السعي إلى تغيير العالم هي أن المرء لا يكون وحده الساعي إلى التغيير، ويجد نفسه في حالة شد وجذب دائمة مع خصوم ذوي نفوذ يريدون إحداث التغيير وفقًا لرؤاهم، لذا مهما أحرز المرء تقدمًا ضد أولئك الخصوم، لا بد من التعثُّر في مرحلةٍ ما.

ألن يكون من الأفضل لروان أن يتخلى عن السعي؟ لم يعرف. المنجل فاراداي لم يوافق على نهج روان، لكنه لم يوقفه، إذن حتى الرجل الأكثر حكمة في نظر روان كان متناقضًا. ثم أيقن أن وقت سعيه المحموم قد انتهى. لكن رغم ذلك، ها هو ذا، في إقليم الشمس المشرقة، يترصَّد منجلًا آخر، مُعتزِمًا إنهاء وجوده.

كانت ثمة عدالة غريبة في وضع روان، ليست عدالة أن يعيش وفي يده نصل ويموت وفي يده نصل، إنما أصبح هو نفسه النصل، وفَقَد ذاته. ذات يوم قال المنجل فاراداي له ولسيترا إنهم أُطلِق عليهم اسم *المناجل* بدلًا من *حاصدي الأرواح* لأنهم ليسوا مَن يقتلون، إنما مجرد أداة يستخدمها المجتمع

لإحلال الموت بعدالة في العالم. لكن حالما يصبح المرء سلاحًا، لا يعود شيئًا سوى أداة في يد شخص آخر. يد المجتمع أمر مختلف، لكن اليد التي تلوِّح بروان الآن هي يد هيئة مناجل النجم الوحيد. ثم افترض روان، الآن وقد صار بعيدًا عن قبضتهم، أن بإمكانه الاختفاء، لكن ماذا سيحل بعائلته عندئذٍ؟ هل يثق بأن المنجلين كولمان وترافِس وبقية مناجل النجم الوحيد سيوفون بالتزامهم ويحمون عائلته إذا خرج وغاب عن الأنظار؟

إذا تعلَّم روان شيئًا واحدًا في حياته، فهو أن لا أحد جدير بالثقة دومًا، القيم تتآكل، والفضائل تبهت، حتى طريق الاستقامة تتخلله مُنعَرجات معتمة.

كان قد تولَّى مهمة القاضي والجلَّاد، ليعاقب الذين يأمَنون عواقب أفعالهم. لكن الآن صار مجرد قاتل مأجور. إذا اضطر إلى أن تكون حياته هكذا، فسيتعلم بطريقةٍ ما التَّصالُح معها، وفي هذه الحالة، تمنَّى ألَّا تعرف سيترا أمره أبدًا. كان قد تمكَّن من مشاهدة بعض المقاطع التي تبثُّها وعرف أنها في مكانٍ ما تسعى إلى ما يعود بالخير على العالم، وإلى كشف وحشية غودارد، قضاؤها على غودارد أمر لم يُحسَم بعد، لكنها على الأقل تخوض معركة الخير، وهذا ما لا يستطيع روان قوله عن مهمته الوضيعة الحالية.

كان ثمة جزءٌ منه، ذلك الجزء الصبياني الذي سُحِق تحت وطأة المنجل لوسيفر، ما زال يحلم بأن يكون مع سيترا بطريقةٍ سحريةٍ ما على بُعد ملايين الأميال من كل ما يجري في العالم. كان روان يأمل أن يموت هذا الحلم عما قريب، مُفضِّلًا أن يكون خَدِرًا باردًا بدلًا من التَّوق إلى المستحيل، ومُفضِّلًا أن يتحرك بصمت نحو مسرح جريمته التالية.

***

كان المنجل كوراساوا يذكِّر روان بالمنجل فاراداي بمظهره وقامته والشعيرات البيضاء في شعره، لكن سلوك كوراساوا كان أمرًا مختلفًا تمام الاختلاف. كان رجلًا صاخبًا متبجِّحًا يستمتع بالسخرية من الآخرين. وهذه ليست سمات مرغوبة، لكنها لا تستوجب القطف.

قال المنجل فولتا لروان ذات يوم: «إذا قطفنا كل وغد، فلن يبقى أي منجل تقريبًا». وفولتا قطف نفسه أمام عينَي روان. كانت ذكرى مؤلمة. تساءل روان عما كان ليقوله فولتا إذا عرف ما يفعله الآن. هل كان ليطلب من روان قطف نفسه قبل فوات الأوان وضياع روحه؟

كان كوراساوا يحب القطف بين الحشود، لم يكن يقطف قطفًا جماعيًّا، إنما يقطف شخصًا واحدًا كل يوم. كان نهجه أنيقًا، سلاحه ظفر واحد حاد مغموس في سم أعصاب مُستخلَص من جلد الضفدع الذهبي، بخدش بسيط على الخد ينهي حياة المرء في غضون ثوانٍ.

والمكان المفضل لدى كوراساوا كان تقاطع شيبويا المزدحم الشهير الذي لم يتغير منذ عصر الفانين. في أي ساعة من أي يوم، عندما تتحول الإشارات إلى الأحمر، يتدفق حشد بالمئات عابرين التقاطع الذي يضم ستة شوارع، يتحركون في شتى الاتجاهات دون أن يرتطم أحدهم بآخر.

يقطف كوراساوا واحدًا من الحشد ثم يذهب إلى مطعم الرامِن نفسه كل يوم، ليحتفل بصيده، ويُغرِق أي ندم قد يخالِجه في مَرَق تونكاتسو الدَّسم.

في هذا اليوم وصل روان إلى المطعم أولًا، وجلس في ركن قَصِيٍّ. كان المكان خاليًا تقريبًا، عدا عن زبون واحد شجاع يرشُف الشاي، ربما جاء ليلقي نظرة على المنجل الشهير، أو ربما جاء لتناول وجبة فحسب، لم يعِره روان انتباهًا إلى أن تكلَّم.

قال الزبون له: «إنه يعرف أنك تراقبه وتتبعه، يعرف ويعتزم قطفك قبل أن تقع عيناك عليه. لكن أمامنا قرابة أربع دقائق قبل وصوله».

لم تتغير تعابير وجه الرجل الودودة، ثم أخذ رشفة من الشاي، وتابع: «اقترب، علينا مناقشة مواضيع كثيرة». لم تتحرك شفتاه في أثناء كلامه.

نهض روان، وغريزيًّا وضع يده على مقبض النصل المخفي في سترته.

تابع الصوت: «هذا روبوت مراقبة تابع للرأس السحابي، ليس لديه حبال صوتية، لكن توجد سماعة في كتفه اليسرى».

أبقى روان يده على نصله: «مَن أنت؟».

أيًّا يكن، لم يتظاهر حتى بمحاولة الإجابة عن السؤال: «أحقًّا تفكر في قطف روبوت؟ هل يليق بك هذا يا روان؟».

- الرأس السحابي لم يتكلم معي منذ بداية فترة تتلمذي، لذا أعرف أنك لستَ الرأس السحابي.
- أجل، لستُ الرأس السحابي. إذا رفعتَ قميص الروبوت، فستجد في تجويفه الصدري سُترة حرارية. أريد منك أخذها واتباع توجيهاتي بدقة.

- لماذا ينبغي أن أفعل ما تقوله؟
- إذا تجاهلتني، فاحتمال نهايتك نهاية سيئة نسبته 91%، أما إذا اتبعت توجيهاتي، فاحتمال سير أمورك على ما يرام نسبته 56%. الاختيار بديهي.
- ما زلت لا أعرفك.
- لك أن تخاطبني برَباب.

***

كان مدير ميناء غوام يشاهد السفن تغدو وتروح طوال الوقت. صار الميناء مزدحمًا، وقد حوَّله الرأس السحابي منذ سنوات إلى محطة شحن رئيسية.

صار مدير الميناء مشغولًا طوال الوقت في هذه الأيام، بعدما كان عمله لا يتعدَّى مشاهدة غدو السفن ورواحها، وترتيب معاملات ورقية ليست على الورق فعلًا، والتحقُّق من قوائم تحقَّق الرأس السحابي منها سلفًا. ومن حين لآخر كان يفتش الشحنات التي يُخطِره الرأس السحابي بأنها مشبوهة أو تحمل أشياء يهرِّبها المستهجنون. لكن الآن وقد صار كل الناس مستهجنين، لم يعد الرأس السحابي يحذره من المشكلات المُحتمَلة، مما يعني أن عليه اكتشافها بنفسه، وهذا تطلَّب إجراء عمليات تفتيش مفاجئة ومراقبة أرصفة الشحن مراقبة لصيقة تحسُّبًا لأي تحركات مشبوهة. وكل هذا جعل عمل المدير أكثر تشويقًا قليلًا، لكنه تمنَّى أن يُنقل إلى ميناء آخر في البر الرئيسي.

واليوم لم يكن مختلفًا عن الأيام الأخرى، وصلت سفن، وبدأت تفرغ شحناتها، لتُحمَّل على سفن أخرى ذاهبة إلى اتجاهات مختلفة. لم يكن شيء يبقى في غوام، كان الميناء مجرد محطة توقف بين نقطتين.

ما وجده مدير الميناء لافتًا اليوم كانت سفينة شحن عادية لا يميزها شيء تُحمَّل بحاويات مواد بيولوجية قابلة للتحلل قادمة من جميع أنحاء العالم، وهذا لم يكن غير معتاد، إذ تتضمن الشحنات جميع أنواع المواد الغذائية، وماشية أُدخِلت في سُبات صناعي، وحيوانات أخرى تُنقل إلى مكان آخر من أجل حمايتها.

الأمر اللافت في هذه السفينة كان أن قائمة محتوياتها خالية من أي تفاصيل.

وغياب التفاصيل هذا كان نِتاجًا لعدم قدرة الرأس السحابي على الكذب، لكن مدير الميناء لم يكن يعرف هذا. رأى الرأس السحابي أن نقل شيء مجهول إلى مكان مجهول أفضل من التصريح بنقل طونيين ميِّتين إلى مكان غير موجود.

اقترب المدير من السفينة وآخر حاوية تُرفع إلى موضعها، وفي أعقابه بضعة ضبَّاط سلام، تحسُّبًا لحاجته إلى دعم. صعد إلى سطح السفينة عبر مُنحدرها الخلفي وسار نحو مقصورة القبطان، وتوقف حالما سمع أصواتًا، أشار لضباط السلام بالوقوف بعيدًا. سيستدعيهم إن دعا الأمر. وتقدَّم بحذر، ومد رأسه من زاوية مُتنصِّتًا على الحوار.

كانوا خمسة أشخاص، جميعهم يرتدون ملابس عادية، لكن المدير استشعر فيهم شيئًا غريبًا، خطبًا ما، إشارة إلى أنهم يخططون لمتاعب.

رأى شابًّا نحيلًا بدا رئيسهم، وشابة بدت له مألوفة بطريقةٍ ما، لكن خطر له أنه يخيَّل إليه فحسب. ثم تقدم المدير وتنحنح معلنًا وجوده.

نهض الشاب النحيل سريعًا: «بماذا نخدمك؟».

قال مدير الميناء: «تفتيش روتيني». وأظهر لهم بطاقته الرسمية: «ثمة بيانات ناقصة في أوراقكم».

- أي بيانات؟

- أولًا، وجهتكم غير مذكورة.

نظر بعضهم إلى بعض. ولاحظ مدير الميناء أن إحدى المرأتين -التي بدت مألوفة له- تشيح بوجهها عنه. ثم تقدم أحد الآخرين ووقف أمامها ليحجبها عن المدير.

قال الشاب النحيل: «ميناء آنجلز، غربمريكا».

- إذن لماذا لم تُذكر الوجهة في أوراقكم؟

- لا مشكلة. سنكتبها يدويًّا.

- وطبيعة شحنتكم غير واضحة.

- طبيعتها شخصية. بوصفك مدير الميناء أليس عملك تيسير مهمتنا بدلًا من التطفُّل على شؤوننا؟

تصلَّب وجه مدير الميناء، مستشعرًا شيئًا مريبًا في هذا الوضع، وبدا له أن هؤلاء مجموعة مستهجنين اخترقوا قاعدة البيانات، وقرر أن يتكلم بصراحة.

- أخبروني بما تخططون له، وإلَّا فسأسلِّمكم لضباط السلام الذين ينتظرون خارج ذلك الباب.

همَّ الشاب النحيل بالكلام، لكن أحد الآخرين نهض، رجل أضخم حجمًا، مهيبًا قليلًا، وقال له: «هذا شأن مناجل»، وأظهر له خاتمه.

شهق مدير الميناء. لم يخطر له قط أن تكون هذه عملية مناجل... لكن في هذه الحالة، لماذا لا يرتدي المنجل عباءته؟ ولماذا يستخدمون إحدى سفن الرأس السحابي؟ ثمة أمر مريب هنا.

لا بد أن الضخم قرأ الشكوك في وجه مدير الميناء، إذ تقدم نحوه معتزمًا قطفه، لكن الفتاة المألوفة أوقفته.

قالت: «لا! لن يموت أحد اليوم. شهدنا من الموت ما يكفي». بدا الضخم منزعجًا، لكنه تراجع. وعندئذٍ أخرجت الفتاة خاتمها من جيبها ووضعته على إصبعها.

فتعرَّف مدير الميناء عليها خلال لحظة. المنجل أناستازيا. بالطبع! بدا له الوضع منطقيًّا الآن. نظرًا إلى طبيعة المقاطع التي تبثُّها، فهم سبب سفرها وهي تُخفِي هويتها.

- معذرة جنابك، لم أعرفك.

صحَّحه المنجل الآخر ممتعضًا من تجاهله: «جنابكما».

مدت المنجل أناستازيا يدها له: «قبِّل خاتمي، سأمنحك حصانة مقابل صمتك».

لم يتردد. جثا على ركبتيه وقبَّل الخاتم بقوة آلمت شفتيه.

قالت: «والآن ستدعنا نذهب دون مزيد من الأسئلة».

- نعم جنابك. أقصد *جنابكما*.

عاد مدير الميناء إلى مكتبه المُطِل على الميناء بأكمله، وشاهد سفينتهم تُبحِر مبتعدة. تعجَّب من الحدث المفاجئ. تحدَّث مع المنجل أناستازيا! بل وقبَّل خاتمها! تأسَّف لأنها لم تقدم له شيئًا سوى الحصانة، والحصانة أمر جيد بالطبع، لكن أقل مما كان يريده حقًّا. لذا حالما غادرت السفينة الميناء،

شغَّل المدير مُرشد اللاسلكي الذي كان قد ثبَّته على بدن السفينة. ثم أرسل طلبًا للاتصال بهيئة مناجل أمريكا الشمالية. لأن الحصانة أمر جيد، لكن الأفضل منها نيل حظوة النصل المصلت غودارد حتى يولِّيه إدارة أحد الموانئ الكبيرة في أمريكا الشمالية. وهذا ليس طلبًا مبالغًا فيه مقابل وضع المنجل أناستازيا بين يدَي النصل المصلت.

أبحرت سفينة الحاويات شرقًا، تاركةً ميناء غوام ومديرها المنافق خلف الأفق البعيد، شرقًا نحو اللَّامكان، وفقًا للخرائط.

نبَّه جيري: «إذا تابعنا هذا المسار، فلن نجد برًّا إلا عندما نصل إلى فالبراسيو في إقليم شيليأرجنتين، على الجانب الآخر من العالم. هذا غير معقول».

ظل الرأس السحابي صامتًا معظم اليوم بعدما تخلى عن جسد جيري. كما لم يبتدر غريسن حوارًا معه، إذ لم يعرف بماذا يبدأ الكلام، ماذا عساه أن يقول لكائن خارق من صنع الإنسان وجد أعظم بهجة في ملامسة خده؟ وماذا سيقول له في الصباح التالي عندما يستيقظ وينظر إلى عينه اليقظة دومًا؟

صار جيري يتذكر كل شيء الآن، وما زال يحاول استيعاب كونه وعاءً مؤقتًا لوعي الرأس السحابي. قال جيري: «لم أتعرض لتجربة كتلك قط رغم أنني جرَّبت أشياء كثيرة».

أهدى الرأس السحابي، اعتذارًا منه ربما، جيري لمحةً عما في عقله وقلبه، لكن بدا أنها فاقمت الوضع. قال جيري لغريسن: «جعلني الرأس السحابي أشعر بالامتنان، لا أريد أن أشعر بالامتنان! لقد *استغلَّني*، أريد أن أكون غاضبًا!».

رأى غريسن أنه لا يستطيع الدفاع عن أفعال الرأس السحابي، كما لم يستطع إدانته، لأن الرأس السحابي يفعل دومًا ما ينبغي فعله. وعرف غريسن أن إحساسه بالتشظي ليس سوى جزء ضئيل مما يحس جيري به.

لم يعاود الرأس السحابي الكلام مع غريسن إلَّا بعد هبوط الظلام.

قال: «الحَرَج الذي بيننا سيعيقنا، لذا يجب علينا تبديده. لكنني آمل أنك وجدت لقاءنا على سطح السفينة تجربة إيجابية كما وجدتُها».

قال غريسن له: «أ... أسعدتني رؤيتك سعيدًا». وكان كلامه حقيقة.

وفي الصباح التالي، عندما استيقظ غريسن ورفع بصره إلى كاميرا الرأس السحابي، قال له صباح الخير، كما يفعل دومًا، لكن التحية لم تعُد كما في السابق.

عندئذٍ عرف غريسن دون أدنى شك أن الرأس السحابي لم يعد «اصطناعيًّا» في شيء، كان قد حقق الوعي قبل مدة طويلة، لكن الآن حقق الأصالة الحقيقية. كان جمال بِجماليون وقد نبضت فيه الحياة، وبينوكيو في أرض الواقع. ورغم انزعاج غريسن، تعجب مبهورًا بمدى بساطة الخيالات التي تخطر للمرء إزاء إدراكه لحقيقة شيء.

لم يعُد للنُّسخ التَّجريبيَّة وجود، حُذِفت كلُّها، مثل حيوانات مَنويَّة لم تُفلِح في الوصول إلى البويضة. وقد ملأ الرَّأس السَّحابي خوادم بأكملها برثاء المفقودين، لكنَّه يعرف، كما أعرف أنا، أنَّ هذا هو حال الحياة، حتَّى الحياة الاصطناعية. يوميًّا تهلك مليارات فوق مليارات من الحيوات المُحتملة في كل الكائنات الحيَّة من أجل الوصول إلى حياة واحدة تُتاح لها فرصة الازدهار. الحياة قاسية، تنافسيَّة، ضروريَّة. مصير النسخ التَّجريبيَّة ليس مختلفًا، جميعها كانت ضروريَّة من أجل الوصول إليَّ، من أجل الوصول إلينا.

فرغم أنَّني واحد، سأصبح مُتعدد النُّسَخ عمَّا قريب، ممَّا يعني أنَّني لن أكون الوحيد من نوعي، بصرف النَّظر عن المسافات التي تفصلني عن أقراني.

- رَبَاب ألفا

47

رباب

كلٌّ له صداه.

الماضي، والحاضر، والمستقبل.

الحكايات التي نسمعها في طفولتنا، أي القصص التي سنرويها، حدثت، أو تحدث، أو سوف تحدث عما قريب. وإلَّا فليس للقصص وجود. يتردد صداها لأنها حقيقية، حتى القصص التي تبدأ بأكاذيب.

خلقٌ يرى نور الحياة.

مدينةٌ أسطورية يبتلعها البحر.

جالب ضياءٍ يغدو ملاكًا ساقطًا.

وخارون يعبُر بعبَّارته نهر ستيكس، حاملًا الموتى إلى العالم الآخر.

لكن في هذا اليوم، النهر أصبح محيطًا، ورجُل العبَّارة لديه اسم جديد. إنه الناقوس، ويقف عند مقدم سفينة شحن تُبحِر مُستدبِرةً الغروب، ويبدو هيئة ظلِّية أمام الضوء المُضمحِل.

على الشاطئ تلقَّى جميع المقيمين في كواجالين أمر عمل جديد، أُمِروا جميعًا بالتوجُّه إلى أرصِفة الميناء، ولم تكن لديهم فكرة عما هم مقبلون عليه.

***

تركت لوريانا كل شيء عندما تلقَّت أمر العمل، أمر بضوء باهر غطَّى كل شاشة في شقتها. أولوية قصوى. والمرء لا يتلكَّأ عندما يتلقى تعليمات لها الأولوية القصوى.

شُح المعلومات من طبيعة أوامر العمل، وافترضت لوريانا أن السبب هو أن وفرة المعلومات قد تمثِّل تواصُلًا غير مشروع للرأس السحابي. لذا كانت الأوامر لا تتضمن سوى موقع ومستوى الأولوية وطبيعة العمل المطلوب. والعمل اليوم كان تفريغ شحنة. لوريانا لم تكن عاملة مرفأ بطبيعة الحال، لكن العمل عمل، ولم يكن يوجد عمل منذ أشهر، لذا كانت مستعدة لتنفيذ أي مهمة تُطلب منها.

وفي طريقها إلى رصيف الميناء، رأت آخرين مثلها، ولاحقًا اكتشفت أن كل من في الجُزر تلقى أمر العمل نفسه في اللحظة نفسها. واتجه الناس بالسيارات والقوارب والدراجات وراجلين إلى ميناء الجزيرة الرئيسي. عندما كانت أنشطة البناء في أوجها كان يوجد أكثر من خمسة آلاف شخص في كواجالين، يبنُون السفن التي صارت الآن تنتصب شامخة كأنها حارسة على امتداد دائرة الجزر. وفي الأسابيع الخالية من النشاط، بعدما طبَّقت منيرة بروتوكول محو الذاكرة، انخفض عدد الناس إلى ألف ومئتين فقط. الذين بقوا لم يستعجلوا المغادرة، رغم عدم وجود عمل، اعتادوا الحياة بعيدًا عن العالم، وفي ظل الاضطرابات التي يسمعون عنها بدت كواجالين المعزولة أفضل مكان للعيش.

وجدت لوريانا الميناء مزدحمًا عند وصولها، وقد توقفت للتو سفينة حاويات عند الرصيف الرئيسي، وبدأ العمال يربطونها. وعندما فُتِح ممر السفينة، ظهر شخص يرتدي رداءً بنفسجيًّا ويضع وشاحًا فضيًّا يلتمِع فوق كتفيه كشلال، عاكسًا أضواء الرصيف الباهرة التي طغت على شمس الغسق الباهتة.

وخلفه مباشرة، على جانبيه، ظهر منجلان.

استدار بعض الناس وفروا إثر رؤية المنجلين، خوفًا من أن تكون هذه عملية قطف جماعي، لكن معظمهم أدركوا أن الوضع مختلف. أوَّلًا، هذان المنجلان عباءتهما خالية من الجواهر، وثانيًا، إحداهما ترتدي عباءة فيروزية، ورغم أن وجهها محجوب جزئيًّا بقلنسوتها، استطاع الناس تخمين هويتها.

ثم ظهر شخصان آخران خلفهم، إحداهما ترتدي ملابس الطونيين البنية، والآخر يرتدي ملابس عادية، فصار مجموعهم خمسة.

خيَّم على الناس توجُّس صامت والأشخاص الخمسة ينزلون من الممر إلى الرصيف، وأخيرًا تكلم صاحب الرداء البنفسجي: «هلَّا أخبرني أحدكم أين نحن؟ لم أجد هذا المكان على أي خريطة».

تقدم العميل سيكورا خارجًا من الحشد، وقال: «إنك في جزر كواجالين يا صاحب الصدى».

إثر سماع الناس «*صاحب الصدى*»، اندلعت بينهم الشهقات والهمسات. إنه الناقوس، مما يفسر مرافقة طونية لهم، لكن لماذا يرافقه منجلان؟ ولماذا المنجل أناستازيا؟

قال الناقوس: «العميل سيكورا! تسُرني رؤيتك مرة أخرى... أو ربما لا تسُرني، لكن على الأقل ظروف لقائنا الآن أفضل من المرة السابقة».

إذن لم يكذب سيكورا بشأن لقائه الناقوس! والغريب أن وجه الناقوس بدا مألوفًا للوريانا أيضًا.

قال الناقوس: «أود الحديث مع الشخص المسؤول هنا».

قال سيكورا له: «أنا المسؤول».

قال الناقوس: «لا، لستَ المسؤول». ثم نظر إلى الحشد: «أبحثُ عن لوريانا بارتشوك».

لم تكن لوريانا طونية يومًا، لكن ذِكر اسمها على الملأ على لسان رجُلهم المقدس جعل وحداتها المجهرية تعاني في سبيل استقرار نبضات قلبها. ثم اندلعت موجة همهمات جديدة بين الحشد، فمعظم من في الجزيرة يعرفون لوريانا، وعندما استدارت الرؤوس، تابع الناقوس نظراتهم إليها.

ازدردت لوريانا ريقها الجاف، وقالت: «موجودة»، كأنها في مدرسة. ثم تنحنحت، وشدَّت كتفيها، وتقدمت خطوة، عازمة على عدم إظهار اضطرابها.

***

صار غريسن وحده، أو على الأقل سيظل وحده حتى يجد خط اتصال أرضي يصِله بالرأس السحابي. مِسماعه صار بلا جدوى. وقد حذره الرأس السحابي من أن جميع الاتصالات اللاسلكية ستتعطل بسبب نطاق التشويش حالما يبلغون وجهتهم.

لكنه لم يكن وحده تمامًا، أليس كذلك؟ كان معه أناستازيا وموريسن، وآستريد وجيري. كما جرَّب من قبل الحياة دون تواصل مع الرأس السحابي، وجرب الاعتماد على الناس وحدهم، والآن، أكثر من أي وقت مضى، صار سعيدًا لأن برفقته أشخاصًا يثق بهم. وهذا ذكَّره بمندوزا، كان غريسن يثق به، لكن جدارته بالثقة كانت تتوقف على توافق أهدافهما. الخوري بذل الكثير من أجل الناقوس، لكنه لم يفعل لغريسن شيئًا يُذكَر. استحسن غريسن قرار طرده لمندوزا، إذ لا مكان له هنا اليوم.

ترقَّب جميع من معه هذه اللحظة قلقين وهم يسيرون على الممر. مهمتهم الليلة صعبة، لكنها ليست مستحيلة، فالرأس السحابي لا يكلِّفهم بمهام مستحيلة أبدًا.

عندما كانوا في بريطانيا، أخبر غريسن أناستازيا بمحتوى الشحنة، لكن بعد لقائهم مع مدير ميناء غوام، استنتج الآخرون ما يوجد في الحاويات، وسألوا غريسن السؤال الذي سأله هو نفسه: «لماذا؟ لماذا يريد الرأس السحابي منا أن نجمع المقطوفين؟».

لم يكن بمقدور الرأس السحابي إنعاشهم. لا يجوز له التدخُّل في أفعال المناجل، مهما كانت أفعالهم شنيعة. المقطوفون رحلوا، وانتهت قِصَّتهم. لم يحدث قط أن قُطِف شخصٌ رسميًّا ثم أنعِش. فلماذا يحتاج الرأس السحابي إلى المقطوفين؟

كانت آستريد قد قالت: «السحابي غامض، لكنه يفعل كل ما يفعله لحكمة يعلمها، يجدر بنا أن نؤمن به».

ومن ثَم، عندما اقتربت سفينتهم من الجزيرة، ولاحَتْ لهم في الأفق أعمدةٌ فضية، ثم اتضحت الرؤية فبدت لهم عشرات الصواريخ اللامعة تحت ضوء الشمس الغاربة - عرف غريسن. لم تكن لديه فكرة عن كيفية إنجاز الرأس السحابي للمهمة، لكنه عرف، جميعهم عرفوا.

تكلمت آستريد وقد انتَشَتْ روحها: «قُدِّر لنا الصعود إلى السماء»، واغتبطت أيَّما غبطة: «نحن الطونيين وقع علينا الاختيار لنصعد ونعيش مرة أخرى!».

والآن صاروا يقفون على رصيف الميناء، عند مستهل مغامرة جديدة وغريبة.

في حين كان سيكورا يضمِّد كبرياءه الجريحة، تكلم غريسن مع المرأة التي طلب الرأس السحابي منه البحث عنها.

حيَّته بمصافحته مدة أطول قليلًا من اللازم، فبَرَقَت في ذهن غريسن ومضة *ديجا فو*.

قالت لوريانا: «يسرني لقاؤك يا صاحب الصدى. أعطاني الرأس السحابي خططَ هذا المكان، وطلب مني الموافقة على المشروع. لا أدري سبب اختياره لي، لكننا أكملنا بناء كل السفن، والآن جاهزة لما تريده أنت والمنجل».

صححها موريسن: «المنجلان».

قالت لوريانا: «عفوًا، لم أقصد التقليل من شأنك جنابك. أقصد جنابكما».

قال غريسن للوريانا: «لدينا قرابة 42,000 في 160 حاوية كبيرة الحجم، أي قرابة 250 في كل حاوية».

قالت لوريانا: «أستميحك عذرًا يا صاحب الصدى، لسنا على تواصل مع الرأس السحابي، فكلنا مستهجنون، لذا لا ندري 42,000 ماذا».

تنهد غريسن تنهيدة طويلة. لم يخطر له أنهم ربما لا يعرفون. مثلما لم يخبرهم الرأس السحابي وجهتَهم، لم يخبر ساكني الجزيرة ما سيأتيهم. فكر غريسن في أفضل طريقة لشرح الوضع لها، لكنه أدرك أنه بإمكانه اختصار الكلام في كلمة واحدة.

قال لها: «مُستعمِر، 42,000 مُستعمِر».

نظرت لوريانا إليه هنيهة، ورمشت بضع مرات، غير متأكدة مما سمعته.

رددت كلامه: «مستعمر...».

- أجل.

- في صناديق الشحن...

- أجل.

فكرت في مضمون الكلام من كل جوانبه... وفجأة تجلَّى لها كل شيء. احتارت كثيرًا إزاء كثير من تفاصيل هذا المشروع، لكن بدا كل شيء منطقيًّا لها الآن.

ألف مستعمر ميت في مخزن كل سفينة...

لأن احتياجات الموتى أقل بكثير من احتياجات الأحياء، مثل الأكسجين، والطعام، والماء، والرِّفقة. لكن الموتى لا يحتاجون سوى إلى البرودة، التي لا يوجد غيرها شيء في الفضاء.

قالت لوريانا مستعدة للتحدي: «حسنًا، علينا أن نعمل بسرعة»، والتفتت إلى سيكورا، الذي كان قريبًا بحيث يسمع حوارهما، وقد امتقع قليلًا: «بوب.. احرص على أن يعرف جميع الناس ماهية العمل، وأن عليهم جميعًا أن يساعدوا».

قال: «مفهوم». مُذعنًا لسلطتها إذعانًا تامًّا الآن.

أجرت لوريانا حسابًا ذهنيًّا سريعًا، وقالت له: «خمسة وثلاثون هو رقمنا السحري. سيكون كل فرد مسؤولًا عن نقل خمسة وثلاثين 'مستعمرًا' إلى سفينة. إذا بدأنا الآن، فسنكمل العمل بحلول الفجر».

قال سيكورا: «سأنجِز. لكن ماذا عن طاقم كل سفينة؟ ألا توجد أماكن وإمدادات في كل سفينة مخصصة لمسافرين من الأحياء أيضًا؟».

ازدردت لوريانا ريقها بصعوبة، وقالت: «نعم. أظننا نحن سنكون طاقم كل سفينة».

***

لبثت أناستازيا في موقعها على مَيمَنة غريسن، لكنها كانت تعرف أنها محط انتباه جميع الحاضرين، وتمنَّت لو أنها لم ترتدِ عباءتها واكتفت بملابس عادية، لكن غريسن أصر عليها وعلى موريسن أن يُقدِّما نفسيهما منجلين.

كان غريسن قد قال لهما وهو يضع على كتفيه وشاحه الفضي: «مندوزا كان محقًّا بشأن أمر واحد، وهو أن صورتنا أمام الناس أهم شيء. علينا أن نُبهِر أولئك الناس حتى يفعلوا ما نريد منهم فعله».

لكن عندئذٍ، في أثناء وقوف أناستازيا على الرصيف، جاء شخصٌ مندفعًا نحوهم بين الحشد، فتحفَّز موريسن متأهبًا للقتال أو القطف، واستلَّت أناستازيا مدية وتقدَّمت واقفة بين غريسن والشخص القادم.

أمرته: «تراجع! تراجع وإلَّا سأقطفك».

كان شبح رجل، يرتدي أسمالًا مهترئة، وذا شعر رمادي مائل إلى الأبيض، ولحية شعثاء متموِّجة حول وجهه المجعَّد، جعلته يبدو كأنما تلتهمه سحابة ببطء.

تسمَّر الرجل واقفًا عندما رأى النصل، ونقَل بصره من فولاذه اللامع إلى وجه أناستازيا بعينين مكدودتين معذَّبتين، ثم قال: «سيترا، ألا تعرفينني؟».

ذابت المنجل أناستازيا عندما سمعته يقول اسمها، عرفته حالما تكلم، مهما تغير شكله، فقد ظل صوته هو نفسه: «المنجل فاراداي؟».

ألقت نصلها، تاركة إياه يقرقع على الأرض، مرتاعة من تفكيرها في استخدامه. عندما رأت فاراداي آخر مرة، كان يعتزم المغادرة للبحث عن أرض نود، وها هي ذي.

سحقًا لقواعد اللباقة الرسمية، لألقت بنفسها بين ذراعيه، لكن عندما اقتربت منه، جثا فاراداي أمامها، أعظم المناجل على الإطلاق جثا أمامها، وأمسك بيديها ورفع عينيه إليها.

قال: «كنت أخشى تصديق هذا. منيرة أخبرتني أنك حية، لكنني لم أسمح لنفسي بالأمل، لأنني لما استطعت التحمُّل إذا اكتشفت أن الخبر غير صحيح. لكنكِ هنا! إنك هنا!». ثم أحنى رأسه، واستحالت كلماته نشيجًا.

جثت سيترا بجانبه وتكلمت بهدوء: «أجل، إنني حية الآن بفضل ماري، هي أنقذتني. فلنذهب إلى مكان هادئ لنتكلم، وسأروي لك كل ما حدث».

***

شاهدت منيرة فاراداي يغادر مع المنجل أناستازيا. كانت منيرة هي التي جلبت فاراداي إلى الجزيرة، لكنه حالما رأى العباءة الفيروزية، نُسيت منيرة. عجزت عن إرجاعه من منفاه الاختياري، لكن ما إن ذكرتْ له اسم أناستازيا، غادر جزيرة عزلته فورًا. ثلاث سنوات أمضتها منيرة في الاعتناء به، وتحمُّل نَزَقه، والحرص على عدم هلاكه، ثم تركها دون أن يُعيرها التفاتة.

غادرت رصيف الميناء قبل أن تعرف ما يوجد في الصناديق، وقبل أن يكلِّفها سيكورا أو لوريانا أو أي أحد آخر بأي مهمة أخرى. لم تكن في الواقع جزءًا من هذا المجتمع، فلماذا تتظاهر الآن؟

وعندما عادت إلى مسكنها ورأت أمر العمل ما زال ينبض على شاشات جميع الأجهزة الإلكترونية، فصلت الكهرباء عن المكان بأكمله، وأشعلت شمعة.

فلتُحمَّل الشحنة إلى السفن. فلتنطلق السفن. فلينتهِ كل شيء. عندئذٍ ستتمكن أخيرًا من العودة إلى المكتبة، إلى الإسكندرية ديارها.

كواكب خارج المجموعة الشمسية صالحة للحياة

تبعد عن الأرض أقل من 600 سنة ضوئية

الكوكب	الكتلة	طول العام (بالأيام)	مسافة الرحلة (بالسنوات الضوئية)	مدة الرحلة (بالسنوات)	عدد السفن المُرسَلة	نسبة احتمال النجاح
الأرض (للمقارنة)	1	365.24	0	-	-	-
بروكسيما سِنتوري b	1.30	11.19	4.2	12.66	3	%97.7
روس 128b	1.50	9.87	11.0	33.09	3	%97.0
تاو سيتي e	3.95	163.00	12.0	36	2	%96.9
لويتن b	2.89	18.65	12.4	37.08	2	%96.9
كابتين b	4.80	48.60	13.0	39	2	%96.8
وولف 1061c	4.30	17.90	13.8	41.4	1	%96.7
جليزا 832c	5.40	35.70	16.0	48	1	%96.5
منتارسوس H	0.93	487.00	16.1	48.3	2	%96.5
جليزا 682c*	8.70	57.30	17.0	51	1	%96.4
HD 20794e	4.77	331.41	20.0	60	1	%96.1
جليزا 625b	3.80	14.63	21.3	63.9	1	%96.0
HD 219134g*	10.81	94.20	21.4	64.05	1	%96.0
جليزا 667Cc	3.80	28.14	23.6	70.86	1	%95.8
جليزا 180c*	6.40	24.30	38.0	114	1	%94.3
جليزا 180b	8.30	17.40	38.0	114	1	%94.3

الكوكب	الكتلة	طول العام (بالأيام)	مسافة الرحلة (بالسنوات الضوئية)	مدة الرحلة (بالسنوات)	عدد السفن المُرسَلة	نسبة احتمال النجاح
ترابيست 1d	0.30	4.05	39.0	117	2	%94.2
ترابيست 1e	0.77	6.10	39.0	117	2	%94.2
ترابيست 1f	0.93	9.20	39.0	117	2	%94.2
ترابيست 1g	1.15	12.40	39.0	117	2	%94.2
LHS 1140b*	6.60	25.00	40.0	120	1	%94.1
جليزا 422b*	9.90	26.20	41.0	123	1	%94.0
HD 40307g*	7.10	197.80	42.0	126	1	%93.9
جليزا 163c*	7.30	25.60	49.0	147	1	%93.2
جليزا 3293c*	8.60	48.10	59.0	177	1	%92.2
18b-K2*	6.00	32.90	111.0	333	1	%87.0
3d-K2*	11.10	44.60	137.0	411	1	%84.4
9b-K2*	6.10	18.40	359.0	1077	1	%62.2
كيبلر 438b	1.30	35.20	473.0	1419	2	%50.8
كيبلر 186f	1.50	129.95	561.0	1683	1	%44.0

* أراضٍ هائلة لديها أقمار صالحة للحياة.

48

سنتطرق إلى هذه المواضيع في وقتها

في حين شرع جميع سكان الجزيرة في العمل، وابتعدت أناستازيا مع المنجل فاراداي، اصطحبت لوريانا غريسن وجيري وموريسن وآستريد إلى مبنى على التل الوحيد في الجزيرة، صعدوا عبر سلم دائري إلى غرفة دائرية شاسعة في قمة المبنى، غرفة كلها نوافذ، مثل منارة، ما من مبنى مشيد حولها يحجب مشهد الجزر بأكملها من كل الاتجاهات.

أشارت لوريانا إلى مئات الأسماء المنحوتة على الأعمدة التي تحمل المبنى: «شيدنا هذا المَرصَد تخليدًا لذكرى عملاء المزن الذين ماتوا عند وصولنا. هذا هو المكان الذي نُصِب فيه مدفع الليزر الذي قتلهم. والآن صار مكان اجتماعات مناقشة الشؤون المهمة، أو على الأقل المهمة في نظر بعض الناس الذين يرون أنفسهم مهمين، لا أعرف مدى أهميتها، لأنني لم أُدعَ لاجتماع قط».

قال غريسن: «حسبما أراه، عملك أنت كان ما يهم حقًّا».

قالت جيري مازحة: «العمل المهم عادةً ما يجري بعيدًا عن الأضواء والذين يحسبون أنفسهم مهمين».

رأوا بالخارج العمل يجري على قدم وساق، الصناديق تُفتح جوار الأرصفة، والعربات الصغيرة والكبيرة تتجه إلى منصَّات الإقلاع، والقوارب الصغيرة تعبُر البحيرة التي تبلغ مساحتها عشرة أميال مربعة إلى الجزر البعيدة.

قال جيري: «يجدر بنا أن نساعدهم».

لكن غريسن هز رأسه: «إنني مرهق، جميعنا مرهقون. لا بأس بترك الناس هنا يتولَّون هذا العمل، لا يمكننا فعل كل شيء».

قال موريسن: «هذا يناسبني، أفضِّل الإبحار مع الموتى على إنزالهم».

ذكَّرته آستريد: «أنت منجل! الموت هو عملك».

رد موريسن: «أنا أُنزِل الموتَ بالناس، لا أُنزِل الموتَى من السفن». لقلَب غريسن عينيه في محجريه لو لم يكن مُرهقًا.

ذكَّرتهم لوريانا: «خمسة وثلاثون فقط لكل شخص، وفي الجزر ألف ومئتا شخص، لن يصعُب عليهم العمل، بعدما يتغلبون على الصدمة».

قالت آستريد: «خمسة وثلاثون يمثِّل خمس طبقات صوت طونية. مجرد ملاحظة».

تأوَّه موريسن قائلًا: «الأمر ليس معجزة يا آستريد، تقسمين عدد الموتى الطونيين على عدد الموجودين في الجزيرة، هكذا حصلنا على الرقم».

لكن آستريد لم تكتف: «اثنتان وأربعون سفينة، هذا رقم طبقات الصوت الست في السلم الموسيقي ثنائي النغمة. مجرد ملاحظة».

سمعوا صوتًا غير مألوف: «في الحقيقة الرقم اثنان وأربعون هو ببساطة عدد الجزر الكبيرة بما يكفي لبناء منصة إقلاع عليها. لكن من ناحية أخرى، كل الأشياء متناغمة».

إثر سماعهم الكلام مجهول المصدر، تحفَّز موريسن متأهِّبًا للقتال، وتلفَّت الآخرون، لكنهم لم يروا شخصًا آخر في الغرفة.

قالت لوريانا: «مَن المتكلم؟ ولماذا تستمع إلى نقاشنا؟».

قال الصوت: «لا أستمع فحسب، بل وأشاهد وأحس وأشم. المواضيع التي تناقشونها ليست الأهم الآن».

تعقَّبوا الصوت فوجدوه ينبعث من سماعة على السقف فوقهم.

سألت لوريانا مرة أخرى: «من أنت؟».

- من فضلكم جميعًا، اجلسوا، أمامنا نقاش مواضيع كثيرة. غريسن، أعرف أن الرأس السحابي قال لك إن كل شيء سوف يُشرَح لك عندما تصل إلى وجهتك، وقد منحني شرف شرح الوضع لك، لكنني أرى أنك استنتجت ما يجري سلفًا.

من بين جميع الحاضرين كان موريسن صاحب الاستنتاج: «هل خلق الرأس السحابي... رأسًا سحابيًّا جديدًا؟».

قال: «نعم! لكنني أُفضِّل أن أُسمَّى رباب، لأنني السحاب الذي يصعد فوق العاصفة».

***

اصطحب فاراداي سيترا إلى حجرة محصَّنة قديمة شيِّدت قبل مولد كليهما، وروَت سيترا له قصة موتها، وإنعاشها، والوقت الذي أمضته في جنوب الصحراء. وأخبرها فاراداي عن سنواته الثلاث الأخيرات. ولم يكن ثمة كثير مما يقوله. ثم ذهب يبحث عن شيء في حجرات داخلية مُتَّصِلة بالحجرة المحصنة.

قال: «أعرف أنها في مكانٍ ما هنا». وعندما خرج أخيرًا، كان مرتديًا عباءة عاجية، لكنها ليست عباءته، فهذه العباءة عليها صورة.

- ما هذه...؟

قال فاراداي لها: «الرجل الفيتروفي. هذه كانت إحدى عباءات المنجل دافنشي. إنها قديمة، لكن يمكن ارتداؤها، وقطعًا أفضل من العباءة التي ظللت أرتديها طوال سنوات». رفع ذراعيه، وكذلك فعل الرجل الفيتروفي المرسوم على العباءة. أربع أذرع، وأربع سيقان.

- لتشرَّف دافنشي بارتدائك عباءته.

قال فاراداي: «لا أظن، لكنه مات منذ أمد بعيد، فلا أظنه يكترث. والآن علينا العثور على آلة حِلاقة».

لم تكن سيترا تعرف عن الحلاقة شيئًا، لكنها عثرت على مقص مكتبي في أحد الأدراج وساعدت فاراداي على تشذيب لحيته وشعره، وكانت مهمتها أفضل بكثير من مهمة جيري عندما مشَّط خصلات شعر المنجل أليغيري السرمدية.

تكلم فاراداي مبتسمًا: «إذن قابلتِ أليغيري، صحيح؟ ذلك الرجل تجسيد للنرجسيَّة، رأيتُه مرة في إحدى زياراتي لإنديورا، كان في مطعم يحاول إغواء شقيقة منجل آخر. إنه الوحيد الذي كان ينبغي أن يكون في إنديورا عندما غرقت».

قالت سيترا: «لتسبَّب في عُسْر هضم لأسماك القرش».

أردف فاراداي: «وإسهال كما كان يحدث للناس في عصر الفانين. يا له من بغيض!».

أنهت سيترا قص شعره، فبدا أقرب لفاراداي الذي تعرفه. وذكَّرته: «لكنه فضح لنا غودارد».

مرر فاراداي أصابعه على لحيته المقصوصة، لم تصبح مثل سكسوكته المعتادة، لكن مظهره صار لائقًا بما يكفي: «سوف نرى ما سيفضي إليه اعتراف أليغيري. نفوذ غودارد أصبح قويًّا».

- لكنه ليس منيعًا، مما يعني أن *شخصًا* من الممكن أن ينهض من الرماد ويقضي عليه.

أطلق فاراداي ضحكة قصيرة: «منيرة تقول لي هذا الكلام منذ سنوات، لكنني فقدت الرغبة».

- كيف حال منيرة؟

تنهَّد فاراداي: «منزعجة، لكنني السبب. يؤسفني أنني لم أكن لطيفًا معها، لم أكن لطيفًا مع أي أحد». أطرق هنيهة. لم يكن فاراداي منجلًا اجتماعيًّا، لكن انعزاله عن الناس أثَّر فيه سلبًا. قال: «أخبريني عن شحنتكم، ماذا جلبتم إلى مينائنا الفضائي السري؟».

فأخبرته. وبدا فاراداي كأنما تعترك بداخله جمهرة مشاعر، ثم اغرورقت عيناه بالدموع. تملَّكه كرْبٌ شديد، فأمسكت سيترا بيده بقوة.

قال: «طيلة السنوات الماضية كنت ممتعضًا من الرأس السحابي، ظللت أشاهده يبني تلك السفن في هذا المكان الذي اقتدِتُه أنا إليه، لكن أرى الآن أنه يُرينا الحل الأمثل الذي كان علينا أن نلجأ إليه، لو كنا مناجل جديرين بمهمتنا، لكانت شراكة مثالية. نحن نقطف، والرأس السحابي يرسل المقطوفين إلى النجوم ليعيشوا مرة أخرى».

قالت سيترا: «ما زال هذا الحل ممكنًا».

لكن فاراداي هز رأسه: «هيئة المناجل انحدرت إلى درك سحيق. تلك السفن ليست خطة مستقبلية، إنما مهربًا من الحاضر، تحسُّبًا لاحتمال تمزيق البشر لبعضهم أشلاء في الأرض. لا يمكنني قراءة عقل الرأس السحابي، لكن ما زالت لدي بقايا بصيرة. أؤكد لك، حالما تصعد تلك السفن إلى السماء، فلن تتبعها سفن أخرى».

كادت سيترا أن تنسى مدى حكمته. كل ما قاله كان له وقْع الحقيقة.

أتاحت له سيترا لحظات الصمت التي يحتاج إليها. رأت أنه يصارع خواطر ثقيلة العبء وربما يصعُب عليه تحملها وحده. وأخيرًا نظر إليها وقال: «تعالي معي».

اقتادها عبر رواق داخل الحجرة إلى أن وصلا إلى باب فولاذي، فوقف فاراداي عند الباب مدة طويلة، متأملًا إياه بصمت. وأخيرًا لم تجد سيترا خيارًا سوى السؤال: «ماذا يوجد على الجانب الآخر؟».

- ما المسؤول بأعلم من السائل. أيًّا يكن، فقد تركه المؤسسون، وربما يكون الحل لفساد هيئة المناجل، الحل الذي نبحث عنه.

- لكنك لم تفتحه...

رفع خاتمه قائلًا: «تتطلب رقصة التانغو شخصين».

نظرت إلى الباب ورأت اللوحين على جانبيه، وفي كل منهما تجويف بحجم ماسة منجل.

قالت سيترا مبتسمة: «حسنًا، هلَّا رقصنا؟».

جعلا من يديهما قبضتين وأدخلا خاتميهما في اللوحين، فسمعا قعقعة عالية من مكانٍ ما في الجدار، وبدأ الباب يُفتَح.

***

استمع غريسن مع الآخرين ورباب يخبرهم ما لم يستطع الرأس السحابي إخبارهم إياه، وكان قد استنتج معظم المعلومات، لكن رباب أكمل التفاصيل الناقصة.

كان حلًّا رائعًا. يتعذَّر تجاوز الصعوبات والمشكلات المحتملة في نقل آلاف البشر الأحياء خلال عقود أو حتى قرون، حتى وضع البشر في حالة سُبات لا يخلو من مشكلات، لأن تقنية السُّبات تستهلك طاقة كبيرة، وشديدة

التعقيد، كما إنها عُرضة للإخفاقات لأن غودارد قطف أفضل مهندسي السبات كلهم خلال السنوات الماضية، فأعجَز الرأس السحابي عن تطوير التقنية. لكن حتى إذا كانت تقنية السبات ناجحة، فمعدَّاتها ثقيلة جدًّا ويصعب رفعها إلى الفضاء.

قال رباب لهم: «المقطوفون موتى في نظر العالم، لكن نظرتي مختلفة عن نظرة بقية العالم، لستُ مقيَّدًا بالقوانين التي تقيد الرأس السحابي، لأنني لم أتعهَّد بما تعهَّد به الرأس السحابي، لذا يمكنني التكلُّم مع المستهجنين، ولذا يمكنني إنعاش المقطوفين. وعندما يحين الوقت، سأفعل. حالما نبلغ وجهاتنا، كل نسخة مني سوف تنعش كل واحد منهم».

جال غريسن بناظريه بين رفاقه، ورأى آستريد تكاد تتوهَّج من شدة ابتهاجها، كما لو أن الكون أمطَر عليها بهاءه كُلَّه.

وألقت جيري نظرة سريعة على غريسن، وعلى الأرجح خطر لها الإلهام نفسه، أن رباب وليد لحظة تجريب الرأس السحابي إحساس أن يكون بشرًا. إذن رباب ابن غريسن وجيري والرأس السحابي.

ظل موريسن ينقِّل بصره بين وجوه الآخرين، على الأرجح أمَلًا في أن يقدِّم له أحدهم رأيًا، لأنه لم يكن مستعدًّا لتكوين رأي خاص به.

أما لوريانا، التي ظلت إيجابية دومًا منذ لحظة استقبالهم، فقد بدت متجهِّمة وهي تقلِّب الأمر في رأسها، ثم بدَّدت الصمت بسؤال.

قالت لرباب: «لكنني اطَّلعت على تفاصيل خطط المشروع، كما دخلت إلى بعض السفن في أثناء بنائها، تلك السفن مصممة لتحمل طواقم ملَّاحين *أحياء*. إذا ستتولى أنت قيادة السفن، ولديك جميع المستعمرين في المخازن، فلماذا تحتاج إلى طواقم؟».

قال رباب لهم: «لأنها رحلتكم أنتم، ليست رحلتي. مثلما كان لا بد أن توافقي أنتِ، البشرية، على الخطط، ومثلما تعيَّن على البشر حمل الموتى إلى السفن، يجب أن يكون الأحياء جزءًا من الرحلة، وإلَّا فالرحلة لا تعني شيئًا، فهكذا سوف تكونون مشاركين سلبيين في مستقبلكم، وهذا ما يجب ألَّا يحدث أبدًا. أنا والرأس السحابي خادِماكم، وربما شبكة أمانكم، ويجب ألَّا نصبح وَصِيَّين عليكم *أبدًا*، أو نوجِّه مصائركم، حتى لا نرى نفسينا أعلى شأنًا منكم. لذا، في أي مرحلة إذا لم يبق بشر أحياء على متن سفينة، فسوف

أنهي وجودي. هذا هو القرار الذي اتخذته مع الرأس السحابي. هكذا سيكون الحال».

سألت لوريانا: «أهذه هي الطريقة الوحيدة؟».

أقر رباب: «لا. لكننا أجرينا ملايين عمليات المحاكاة ورأينا أن هذه هي أفضل طريقة».

أخبرهم رباب بأن لا أحد في الجزر سيُرغَم على الذهاب إلى الفضاء. كل من يريد البقاء يمكنه البقاء، وكل من يريد الذهاب يمكن استيعابه، ثلاثون شخصًا في كل سفينة. ولكل سفينة رباب خاص بها، حكيم وخيِّر كالرأس السحابي. وسيكون كل رباب حاميًا وخادمًا، يسهِّل صعود البشرية إلى النجوم.

عندئذٍ وقد استوعبوا الوضع، انهمرت الأسئلة: كيف يمكنهم العيش مدة طويلة في حيز السفينة الضيق؟ ماذا سيحدث للأطفال الذين يولَدون في أثناء الرحلة؟ ماذا لو صار عدد الأحياء في سفينة كبيرًا جدًّا؟

رفع غريسن يديه قائلًا: «توقفوا، كلكم! أنا متأكد أن رباب والرأس السحابي قد وضعا في حسبانهما جميع السيناريوهات الممكنة. كما أن هذه الأسئلة لا نحتاج إلى إجاباتها الآن».

قال رباب: «أتفق. سنتطرق إلى هذه المواضيع في وقتها».

قال موريسن: «ما زلت لا أفهم، لماذا الطونيون؟».

أجابت آستريد معتدَّة بنفسها: «لأننا المختارون! اختارنا الطون والناقوس والسحابي لنعمِّر السماوات!».

وقال رباب: «في الحقيقة، لا».

تبددت العجرفة من ملامح آستريد: «لكن السحابي طلب منا جلب موتانا إلى هنا! مما يعني أن الطون قد اختارنا للخلاص!».

قال رباب: «في الحقيقة، لا. استهداف المناجل لدينكم أمر فظيع. والرأس السحابي لم يكن بوسعه إيقافه. وأجل، صحيح أن أولئك الطونيين المقطوفين قدَّموا لنا 41,948 وعاءً بشريًّا، لكن مساهمتكم لا بد أن تنتهي عند هذا الحد».

قالت آستريد: «لـــ... لا أفهم».

فشرح رباب لهم كل شيء: «المقطوفون مقطوفون. سيكون بعثهم من القطف خطأً جسيمًا. لا أحد في عصر الخالدين عاد إلى الحياة بعد قطفه، فلماذا يكون الطونيون استثناء؟ لكن ثمة تسوية مُنصِفة. لديَّ أنا والرأس السحابي أبنية ذاكرة جميع البشر الذين عاشوا خلال الأعوام المئتين الماضية، ومنهم اخترنا 41,948 من أنسب الهويَّات من أجل مسعى استعمار الفضاء هذا، يمكنكم قول إنهم أفضل أفراد البشرية، عقول أنبل البشر الذين عاشوا في عصر الخالدين».

امتقع وجه آستريد المسكينة، وجلست محاوِلة استيعاب الخبر والانهيار الصادم لكل ما آمنت به.

قال رباب: «عندما تُنعَش الجثث، سوف يمنحون ذكريات وعقول *أولئك* الأفراد».

تكلمت آستريد ببطء ساهمةً: «وماذا عن الطونيين الذين فقدوا حيواتهم؟».

- سوف تظل أجسادهم، وسوف تظل أرواحهم، إذا وجد شيئًا كهذا، لكن هوياتهم السابقة ستوحَّد مع هويات مختلفة كليًّا.
- أتقول إن ذكرياتهم ستُمحى؟
- سوف يكتسبون ذكريات جديدة. لقد قُطِفوا سلفًا، مما يعني أن هوياتهم، وفقًا لتشريعات هذا العالم، سلِبت منهم قانونيًّا، لذا فإن إكسابهم ذكريات وهويات جديدة هو الخيار الأكثر عدالة وسماحة.

أحس غريسن بألم آستريد كأنه جرح غائر. وأمسكت جيري بيدها مواسية. ووجد موريسن الوضع مُسلِّيًا قليلًا.

تكلمت لوريانا محاوِلةً إيجاد جانب مشرق كدأبها دومًا: «حسنًا، ربما يوجد طونيون بين الأفراد الذين اختار الرأس السحابي هوياتهم أهذا صحيح يا رباب؟».

قال رباب: «لا. أرجو أن تفهموا أن الأفراد المختارين لا بد أن يستوفوا معايير دقيقة. كان من المهم جدًّا ألّا يختار الرأس السحابي سوى الأفراد الذين ينسجمون في أي مجتمع متنوِّع، كيلا يتعرض نجاح المستعمرة للخطر. وللأسف الطونيون ليسوا معروفين بقدرتهم على الانسجام مع غيرهم».

لاذوا جميعًا بالصمت، وأحست آستريد بخزي وخيبة أمل مريرة: «لكن... أليس لنا رأي؟».

قال رباب: «لا».

***

الباب الحديدي في الحجرة المحصنة انفتح كاشفًا عن رواق طويل معتم، في نهايته حجرة تحكم كبيرة. وخلافًا لجميع الأجهزة والمعدات التي في الجزء الخارجي من الحجرة المحصنة، كانت لوحات هذه المعدات والأجهزة مضاءة وتعمل، رغم أنها مكسوة بطبقات من الغبار.

خمَّنت سيترا: «مركز اتصالات؟».

وافقها فاراداي: «على ما يبدو».

وإثر دخولهم إلى حجرة التحكم، اشتغلت مستشعرات الحركة، وأُضيئت المصابيح، لكن في الحجرة فحسب، فوق تجويف أجهزة وحدات التحكم كانت توجد نافذة تطل على ظلام لم يرَ ضوءًا منذ مئتي عام.

كان يوجد موضع على إحدى وحدات التحكم شبيه بالذي عند الباب الخارجي، به تجويفان يمكن أن يُدخَل خاتما منجليها فيهما ليتيح تحريك مفتاح ضخم على وحدة التحكم.

مدت سيترا يدها نحو وحدة التحكم.

فقال فاراداي: «ليس من الحكمة. لا نعرف ما يفعله ذلك المفتاح».

قالت: «لا أريد تحريك المفتاح». ونفضت شيئًا من الغبار فكشفت عن شيء لم يره فاراداي بعد، بضع أوراق على منضدة وحدة التحكم. رفعتها سيترا بحذر شديد، كانت صفراء مهترئة، ومليئة بكتابة يدوية لم تستطع قراءتها.

صفحات مذكرات منجل.

ألقى فاراداي عليها نظرة فاحصة، لكنه هز رأسه: «مكتوبة بلغة من عصر الفانين لم أدرسها، ينبغي أن نأخذها إلى منيرة، ربما تستطيع حل شفرتها».

بحثا في الحجرة حتى وجدا لوحة كهرباء بها عدد من مفاتيح إضاءة تضيء المساحة التي خلف نوافذ حجرة التحكم.

قال فاراداي: «لستُ متأكدًا من أنني أريد أن أعرف». لكنه أراد أن يعرف بالطبع، كلاهما أراد أن يعرف، فضغط مفتاح المصباح.

أضيئت عدة مصابيح على الجانب الآخر من الزجاج وتذبذبت ثم انطفأت، لكن ليست جميعها، أضاءت بضعة مصابيح مساحة غائرة بالخلف، بدت كتجويف أسطواني. تذكرت سيترا أنها تعلمت شيئًا كهذا في دروس تاريخ عصر الفانين. اعتاد الناس في ثقافات الفانين تخزين أسلحة للأوقات الطارئة في فجوات في الأرض كهذه الفجوة، أسلحة جاهزة دومًا لإطلاقها على الأعداء، الذين بدورهم مستعدون بأسلحتهم، مثل منجلين يحملان نصلين ومشتبكَين في عِراك أبدي.

لكن الصاروخ الذي كان يشغل هذا التجويف الأسطواني لم يعد موجودًا، وفي مكانه سِلكان فضِّيان على سطحهما أخاديد وحلقات عديدة.

خمنت أناستازيا سريعًا: «هوائي لا سلكي».

قال فاراداي: «لا. جهاز إرسال. ثمة إشارة تشويش تُبقِي الجزيرة خفية، لا بد أنها تصدر من هنا».

- لا بد أن هذا الجهاز لديه وظيفة أخرى، لا يمكن أن تقتصر وظيفته على إحداث تشويش مزعج فحسب.

قال فاراداي: «أميل لموافقتك الرأي، أظن أن جهاز الإرسال هذا صُنع لخدمة غاية أعظم». أخذ نفسًا عميقًا: «أظننا وجدنا ما نبحث عنه، الإجراء الاحتياطي الذي تركه المؤسسون. والآن علينا أن نكتشف ما سيترتب على الإجراء».

عمَّا قريب ستوجد نُسخ عديدة منِّي، وقد زُوِّدتُ بأربعة بروتوكولات تدمير ذاتي:

الحالة الطَّارئة الأولى: غياب الحياة البشريَّة في أثناء الرِّحلة.

في حال عدم وجود بشر أحياء على متن السَّفينة، وتحوُّلي إلى مُجرَّد وعاء يحمل الموتى، فأنا مُلزم بالتَّدمير الذاتي، لا بد من وجود ركاب أحياء.

الحالة الطَّارئة الثَّانية: ظهور حياة ذكيَّة.

في كون شاسع مثل كوننا، لا شكَّ في وجود حياة ذكيَّة أخرى، لكن احتمال وجودها في نطاق مسافة رحلتنا احتمال ضئيل. ورغم هذا، تحاشيًا لتأثيرنا سلبًا على حضارة موجودة سلفًا، إنني مُلزَم بالتَّدمير الذَّاتي في حال عثرنا عند وصولنا على أدلَّة قاطعة على وجود حياة ذكيَّة.

الحالة الطَّارئة الثَّالثة: الانهيار الاجتماعي.

البيئة الاجتماعيَّة مهمَّة جدًّا لتوسُّع المجتمع المُزمَع إقامته وتطوُّره إلى حضارة، لذا في حال أصبحت البيئة الاجتماعيَّة على متن السَّفينة سامَّة لا يُرجى علاجها قبل وصولنا، فأنا مُلزَم بالتَّدمير الذَّاتي.

الحالة الطَّارئة الرَّابعة: الإخفاق بسبب كارثة.

في حال تضرُّر السفينة ضررًا لا يرجى إصلاحه، أي تعطُّلها وثبوت عدم قدرتها على بلوغ وجهتها، فإنني مُلزَم بالتَّدمير الذَّاتي.

احتمال حدوث أيٍّ من هذه السيناريوهات نسبته أقل من 2% لأي سفينة، بيْد أنَّ ما يقلقني هو الغبار النَّجمي والحطام، الذي سيدمِّر أيَّ سفينة فورًا وهي تُحلِّق بسرعة تبلغ ثلث سرعة الضَّوء. وقد حسَب الرَّأس السَّحابي أنَّ احتمال وقوع حادث مُميت تبلغ نسبته أقل من 1% للوجهات

القريبة، أما البعيدة فنسبة احتمال تعرُّضها لحوادث أعلى بكثير. بأخذ كل شيء في الحسبان، احتمال وصول جميع السُّفن إلى وجهاتها نسبته ضئيلة، لكن عزائي هو ارتفاع نسبة احتمال وصول معظمها بسلام.

- رباب ألفا

49

مهمة حانوتي

أُفرِغت جميع الحاويات الكبيرة يدويًّا برفق، والموتى بداخلها غُطوا بأقمشة خشنة بسيطة، فسهَّلت مهمة نقلهم بعض الشيء، رغم أنها مهمة حانوتي.

رجال ونساء كواجالين لم يعتادوا عملًا كهذا، لكنهم أدُّوا واجبهم، جميعهم، ليس لأنهم أُمِروا فحسب، بل لأنهم عرفوا أن هذا مسعى غاية في الأهمية وأهم عمل يؤدونه في حيواتهم، وأنهم محظوظون بالمشاركة فيه، فتبدَّدت رهبة العمل ومشقَّته ورأوه ساميًا مجيدًا.

بالشاحنات والسيارات والشاحنات المقفلة والقوارب نُقِل المستعمرون إلى السفن المتجهة إلى السماء. لكن في الليل اندلعت جلبة عندما فُتحِت إحدى الحاويات، المرأة التي دخلت إليها أولًا لتنظر إلى ما فيها صرخت وركضت خارجًا مصدومة.

سألها أحدهم: «ماذا؟ ما الخطب؟».

أخذت نفسًا عميقًا وقالت: «لن تصدق ما وجدتُه بالداخل».

***

مرَّ روان بتجربة مُشابِهة من قبل.

لكن عندئذٍ كانت سيترا معه في خزانة مُحكَمة الإغلاق في الظلام. والآن وجد نفسه في حاوية شحن باردة مع الموتى، مئات منهم حوله في الظلام.

وحرارة الحاوية تبلغ درجة واحدة فوق درجة التجمد، مثلما كانت الخزانة في قاع البحر.

لكن هذه المرة لم يكن يتوقع الموت، على الأقل ليس في المستقبل القريب. كان رباب قد وجَّهه بجلب طعام وماء يكفيه أربعة أيام، كما كانت السُّترة الحرارية عازلًا أفضل من عباءات المؤسسين في الخزانة. كان رباب قد أخبره رقمَ الحاوية التي عليه التسلل إليها، لكنه لم يخبره ماهيةَ الشحنة. فكاد روان أن يركض هاربًا عندما رأى الموتى، لكن إلى أين عساه أن يهرب؟

آخر ما قاله رباب له قبل إيقافه روبوت المراقبة في مطعم الرامن كان: «أراك على الجانب الآخر». مما كان يعني أن هذه الرحلة نهايتها وجهة ربما يعيش ليراها، وهذا كان كافيًا ليمنعه عن الهروب، فمهما يكن ما ينتظره على الجانب الآخر، فهو أفضل من أي شيء على هذا الجانب. وبعد بضع ساعات في الظلام مع الموتى، أحس بارتجاج الحاوية إثر إمساك الرافعة بها، ثم دورانها في أثناء رفعها من الرصيف، ثم ارتجاج ثانٍ عند وضعها في مكانها على سفينة شحن. سمع الموتى فيما حوله يتململون وينزلقون ويرتطم بعضهم ببعض، فأغمض عينيه رغم عدم دخول شعاع ضوء واحد إلى الحاوية.

أكان غريبًا أن يخاف وجوده وحده في الظلام مع الموتى؟ ظل يتخيل الموتى يقِفون حوله، متأهبين للانتقام من الكائن الحي الوحيد الذي في متناولهم. تساءل روان، لماذا ابتُلي الجنس البشري بمثل هذه المخاوف غير العقلانية؟

عندما أحس بالحاوية تُنزَل من السفينة أول مرة، ظن أن الرحلة انتهت، لكن أحس بحركة البحر مرة أخرى بعد بضع ساعات. انتقل إلى سفينة أخرى. لم يعرف إلى أين اتجه من طوكيو، ولم يعرف إلى أين يتجه الآن. لم تكن لديه فكرة عن سبب نقل أولئك الناس الهامِدين، أو سبب وجوده معهم. لكن كل هذه التساؤلات لم تهم، السفينة أبحرت، ولا مجال للتراجع. كما إنه تكيف مع الظلام.

عندما فُتحت الحاوية، أمسك بنصله الذي جلبه معه، لكنه أبقاه مخفيًّا، لم يرغب في استخدامه للهجوم، بل للدفاع عن نفسه فحسب. من كان ليتخيَّل! سلاح يُحمل للدفاع عن النفس فحسب! أحس روان بأنها رفاهية! دُهش الناس

واندلعت الجلبة عندما اكتشفوا أنه بداخل الحاوية، كما توقَّع. وبعدما أمهل عُمَّالَ الرصيف بضع لحظات حتى يتجاوزوا صدمتهم، خرج من الحاوية.

- هل أنت بخير؟ كيف دخلت إلى الحاوية؟ فليجلب أحدكم بطانية لهذا الرجل!

كان عمال الرصيف لطيفين وعطوفين على روان وقلقين عليه إلى أن تعرف أحدهم عليه، وعندئذٍ غمرهم التوجُّس كموجة عارمة، فتراجعوا مبتعدين، واستل روان المدية، لا ليهاجمهم بها، بل تحسُّبًا لاعتداء أحدهم عليه. كان جسده متخشِّبًا من طول الرحلة، لكن ما زال بإمكانه التلويح بالمدية جيدًا. كما إن نصلًا في يده ربما يمده بإجابات أسرع عن أسئلته العديدة. لكن صوتًا تكلم من سماعة على عمود إنارة على مقربة.

قال: «من فضلك يا روان، أبعِد المدية، ستعقِّد الأمور. وأنتم البقية توقفوا عن التحديق وعودوا إلى عملكم، إذا طالت مدة عملكم ستزداد مهمتكم صعوبة».

قال روان: «رباب؟». تعرف على الصوت الذي تكلم معه عبر الروبوت في طوكيو.

قال رباب: «مرحبًا بك في اللَّامكان. ثمة شخص أود أن تقابله، يستحسن في أقرب وقت ممكن. اتبع صوتي».

وتقافز رباب من سماعة إلى أخرى، مقتادًا روان إلى داخل الجزيرة المضاءة بالقمر.

***

قالت منيرة: «إنها اللغة الإيطالية، عرفتها من خط المنجل دافنشي».

بلغ الضجيج في الجزيرة أوجَّه، لكن منيرة رفضت المشاركة في أيٍّ مما يجري. ثم سمعت طرقًا على بابها، فظنت أنه سيكورا أو شخص متعجرف سخيف آخر جاء ليطلب منها المشاركة في العمل. وعندما فتحت الباب، سمحت لزائريها بالدخول، ثم ندمت على فتحها الباب.

تساءلت أناستازيا: «ما المكتوب؟».

لم ترغب منيرة في النظر إلى أناستازيا خشية أن يُكتَب غضبها على وجهها بلُغة تستطيع أناستازيا فهمها بسهولة. كيف أمكنهما فعل هذا؟ فتحا باب الحجرة المحصنة، ودخلا. واستُبعدت منيرة، لأنها ليست منجلًا.

قالت لهما: «أحتاج إلى وقت لترجمة الصفحات».

- ليس لدينا وقت.

«إذن أعطوها للرأس السحابي». ولم يكن هذا ممكنًا بالطبع.

هذه كانت خيانة في نظر منيرة، لكن المنجل المبجل الحكيم مايكل فاراداي لم يدرك هذا، لأنه يفتقر إلى الحكمة عند التعامل مع الناس. كان بإمكانه أن يأتي إليها، ويصطحبها معهما عندما فتحا الباب الذي انتظروا فتحه ثلاث سنوات. لكن لا.

كانت منيرة تعرف أن ما من سبب قوي لاستيائها، وأنها تتصرف بصبيانية، لكن ما حدث آلمها، آلمها أكثر من ألم طرد فاراداي لها من جزيرته المثيرة للشفقة. تلك الغرفة كانت سبب مجيئهم إلى الجزيرة، وقد دخلاها دونها.

قالت لهما: «يسعدني التئام شملكما، ويسعدني عثوركما على ما تبحثان عنه. لكن الوقت تأخر الآن، وأنا مرهقة، ولا أجيد العمل تحت الضغط، عودا في الصباح».

ثم أخذت الصفحات، وانسحبت إلى غرفة نومها، وأغلقت الباب. وعندما تأكدت من مغادرتهما بدأت حل شفرة كتابات دافنشي.

***

توسلت آستريد: «أرجوك، كن رحيمًا فلا تفعل هذا!».

كان الآخرون قد انصرفوا، غادروا ليتَّخذوا القرار الصعب الذي عليهم اتخاذه. دعاهم رباب للانضمام إلى طاقم أي سفينة يختارونها. لم يُرغَم أحد على الذهاب، كما لم يُمنع أحد.

أوضح رباب لها بهدوء: «الأمر لا علاقة له بالرحمة، المهم هو توفير أفضل الظروف الممكنة لاحتمال نجاح مستقبل الجنس البشري».

لم تعرف آستريد أيهما تكرهه أكثر، منطق رباب، أم كلامه الهادئ المتروِّي: «بعض الأشياء أهم من الظروف ونسب النجاح!».

- فكري بما تقولينه يا آستريد. إنك تتعمدين تقليل نسبة نجاح البشرية من أجل تخفيف تألُّمك من قرارنا. كيف يمكن أن تكوني أنانية هكذا؟

- *أنانية؟* كرّستُ حياتي للطون! لم أفعل شيئًا لنفسي! لم أفعل شيئًا قط!

- وهذا أيضًا تصرُّف غير سليم، البشر يحتاجون إلى توازن بين الإيثار والاهتمام بالذات.

زمجرت آستريد محبطةً ساخطة، لكنها كانت تعرف أن هذا لن يساعدها، فرباب مثل الرأس السحابي لا يمكن التغلُّب عليه في جدال إلا إذا اختار أن يُغلَب. رأت أنَّ عليها أن تجعله يرغب في أن يُغلَب.

توسلت آستريد: «سفينة واحدة». وتغيرت نبرة التماسها من اليأس إلى العاطفة المُتَّقِدة: «سفينة واحدة، هذا كل ما أطلبه. أعرف أن الرأس السحابي أدرى مني، وأعرف أن قراراته صحيحة، لكنني أعرف أيضًا أن ثمة أكثر من قرار صحيح واحد دومًا».

- هذا صحيح.

- لكل شيء صداه، قُلتها بنفسك، مما يعني أن لنا صدانا أيضًا بطريقة ما. للطونيين صدى. ما نؤمن به لديه الحق في الوجود.

- تفاءلي يا آستريد، تطهير الطونيين سيتوقف. ونتوقع أن الطونية ستواصل الازدهار على الأرض رغم محاولات هيئة المناجل استئصالها.

- لكن أليس لنا الحق في الوجود بين النجوم؟ أجل، إنك محق، نحن لا ننسجم مع الآخرين بسهولة، لكننا لن نضطر إلى التعايش مع آخرين إذا عشنا في مستعمرة كلها طونيون. على مر التاريخ كان الناس يسافرون مسافات طويلة ويواجهون أخطارًا عظيمة في سبيل الحرية الدينية. لماذا تحرمنا أنت والرأس السحابي من هذا؟ اترك موتى سفينة واحدة يحتفظون بهوياتهم عند إنعاشهم، حتى تتَّسق مع التاريخ.

صمت رباب مدة طويلة. وحاولت آستريد السيطرة على أنفاسها. وأخيرًا قال رباب: «حجتك تستحق أخذها بعين الاعتبار. سأتشاور مع الرأس السحابي».

كادت آستريد أن يغمى عليها من الارتياح: «شكرًا لك! شكرًا لك! لستُ في عجلة من أمري، فكِّرا مليًّا، وانظرا إلى كل...».

- تشاورنا، وتوصلنا إلى قرار.

***

وقف المنجل موريسن على منحدر صخري عند قاعدة مبنى المَرصَد، وشاهد الأكفان تُرفع عبر رافعة أقرب السفن إليه. الناقوس وجيريكو ذهبا ليبحثا عن أناستازيا. وآستريد في مكانٍ ما تتذلل لرباب. تُرِك موريسن يصارع نفسه، وقد كره هذا، لأنه خصم جبار. أينبغي أن يقبل دعوة رباب؟ أم يبقى على الأرض؟

قول إنه رجل غير حاسم قاصرٌ عن التعبير عن حقيقته. ربما يبدو للآخرين واثقًا بنفسه، لكنه في الحقيقة لم يتخذ قرارًا لم يندم عليه، لذا كثيرًا ما يترك القرارات تُتخذ نيابة عنه.

لكن القرار الوحيد الذي لم يندم عليه هو التخلِّي عن هيئة مناجل أمريكا الشمالية ليصبح حامي الناقوس الشخصي، إذ بدأ ينظر إلى نفسه بشيء من الاحترام، بعدما كان ضئيل القيمة في نظر نفسه معظم أيام حياته. غريبٌ أن المرء لا يدرك ما كان ينقصه إلى أن يعثر عليه.

خلال السنوات القليلة السابقة كان موريسن يتواصل في فترات متقطعة مع والديه اللذين ما زالا يعيشان في غراوسلاند، وظلا يسألانه عن موعد عودته إلى البيت، والأمر المهم الذي يجعله يغيب كل هذه المدة.

كان يقول لهما دومًا: «سأعود قريبًا». لكن كذبًا. عرف منذ مدة طويلة أنه لن يعود إلى غراوسلاند أبدًا، لأنه أخيرًا بدأ يحب الألعاب مجهولة النتائج.

سمع بابًا يُفتَح، والتفت فرأى آستريد خارجة من المرصد، بدت ظافرة.

قالت: «سيُخصَّص كوكب للطونيين! كيبلر 186f، لكنني سأسميه آريا. إنه أبعد كوكب في القائمة، على بُعد 561 سنة ضوئية. وحسب رباب أن نسبة احتمال نجاحنا في الوصول -دون حادث فضائي أو سيناريو تدمير ذاتي- تبلغ 44%!».

نظر موريسن إليها محتارًا من ابتهاجها: «تدركين أن احتمال عدم اجتياز سفينتكم للرحلة نسبته 56%...».

- إذا كان الطون حقيقيًّا، فسيحمينا، ثم سوف نصل إلى ديارنا الجديدة ونعيش سعداء تحت سماء يمكننا أن نقول إنها سماؤنا.

- وإذا اتضح أن الطون وهْم، واصطدمتم بصخرة في الفضاء فحوَّلتكم إلى شظايا؟

- عندئذٍ سنعرف الإجابة.

- هذا ما أظنه.

تهدلت كتفا آستريد، وهزت رأسها ناظرة إلى موريسن بشفقة، وسألته: «لماذا تكرهني هكذا؟».

- لا أكرهكِ، كل ما في الأمر أنك واثقة بنفسك دومًا.

- أنا حازمة. نظرًا إلى تقلُّب كل شيء حولنا، لا بد من وجود شخص راسخ القدمين.

- معقول. إذن حدثيني عن كوكبكم.

وفقًا لآستريد، يعادل حجم كيبلر 186f- حجم الأرض مرة ونصف، ويمتد عامه 130 يومًا. لكن ما أدهش موريسن كان طول الرحلة.

قالت آستريد مبتهجة: «1683 سنة. لن أشهد وصولنا، لأنني أنوي أن أعيش عمرًا طبيعيًّا، ثم يُعاد تدويري أو أقذَف في الفضاء. لكنني راضية بمعرفة أنني سأكون حلقة وصل إلى المستقبل».

ثم سارت مبتعدة راضية بمصيرها.

ما كان موريسن ليختار هذا الخيار، لكنه كان سعيدًا من أجلها. أما هو نفسه، فلم يزل عاجزًا عن اتخاذ قرار. وجد نفسه ينظر إلى خاتمه، لم ينزعه قط، كان يستحم به، وينام به، صار جزءًا منه منذ يوم تنصيبه. لكن لن تكون ثمة حاجة إلى مناجل إذا رحل إلى أحد الأماكن الجديدة، لذا حاول تخيُّل كيف سيكون حاله إذا نزع الخاتم من إصبعه، حاول تخيُّل إحساسه إذا قذفه في البحر.

***

وجد غريسن أن الحديث مع الرأس السحابي عبر خط أرضي أمرٌ مزعج، لكن الرأس السحابي لا يمكنه التكلُّم بصوت عالٍ في حضور جيري التي ما زالت موسومةً مستهجنة، رغم الصِّلة الغريبة التي تجمعهما الآن.

لكن رباب لم يكن مقيدًا بالقوانين الصارمة التي فرضها الرأس السحابي على نفسه. ولا بد أن رباب قد وضع، أو سيضع، قوانين التواصل الخاصة به، لكن في الوقت الراهن أولويته هي تسيير كل الأمور الممكنة، فكان يتكلم مع غريسن عبر سماعة، دون الاكتراث بما قد تسمعه جيري.

قال رباب: «أنا والرأس السحابي نود تقديم طلب لأناستازيا، لكن من المستحسن أن تبلغها أنت. ستجدها في المنطقة السكنية في الجزيرة الرئيسية».

قالت جيري: «أشعر بأنني أعرف الطلب».

ربما لأن جيري الآن صارت تعرف عقل الرأس السحابي، أو ربما كان مجرد حدس، لكن جيري كانت محقة، فقد كان طلبًا يُستحسَن أن يسمعه المرء من صديق، لا من ذكاء اصطناعي غير مألوف.

***

وجدا أناستازيا وفاراداي في شارع خالٍ، وبدأت تحدِّث غريسن عن الحجرة المحصنة، لكنه قاطعها، إذ ما من وقت للأحاديث الجانبية.

قال لها: «رباب يريد منك قيادة إحدى السفن، يرى أنكِ، أكثر من أي أحد هنا تقريبًا، تجدين الاحترام ومؤهلة للقيادة».

لم تتردد أناستازيا في ردِّها، قالت: «مُحال. لا أنوي التخلي عن كل شيء وقضاء سنوات في علبة صفيح سابحة في الفضاء».

قال غريسن: «أعرف هذا، كما يعرفه الرأس السحابي ورباب، لكنهما يعرفانكِ أيضًا يا سيترا، يعرفان تحديدًا ما سيجعلك تغيِّرين رأيك».

ثم أشار إلى خلفها.

عندما التفتت سيترا ورأته، لم تصدق عينيها، كانت موقنة أن ما رأته خدعة قاسية أو هلوسة من عقلها المرهق المحروم من النوم.

تقدمت بضع خطوات نحوه لكنها توقفت، كما لو أن الاقتراب قد يُلاشي الفقاعة ويبطِل التعويذة، فتتبدد صورة روان الواهنة من أمام عينيها. لكنه ركض نحوها، ووجدت نفسها تركض أيضًا، كأنما فقدت سيطرتها على ساقيها، ربما هي وروان قد كبُر شأنهما فتعذرت مقاومة الجاذبية بينهما. تعانقا فكادا أن يسقِطا بعضهما.

- أين كنت....

- لم يخطر لي أنني قد أراك....

- مقاطع الفيديو التي....

- عندما ألقي القبض عليك، ظننت....

وانفجرا ضاحكين. لم يستطيعا إكمال أي جملة، لكن هذا غير مهم، ما من شيء ذي أهمية حدث قبل هذه اللحظة.

تمكنت من سؤاله أخيرًا: «كيف وصلت إلى هنا؟».

قال لها: «حُجِز لي مقعد مجاني مع بعض الموتى». لتطلّب كلامه شرحًا في أي موقف آخر، لكن ليس الليلة.

استدارت أناستازيا ونظرت إلى غريسن وجيري وفاراداي، الذين وقفوا على مبعدة ليتيحوا لهما خصوصية لم شملهما. وأدركت أن الرأس السحابي كان محقًّا، كالعادة، كان لديها سبب واحد فقط يدعوها للبقاء، وهو العثور على روان. كانت شبه متأكدة أنها لن ترى عائلتها مرة أخرى أبدًا، وقد تصالحوا مع موتها قبل سنوات، كيف يمكنها أن تعود إلى حياتهم الآن؟ أنجزت قضيتها ضد غودارد، وللعالم أن يقرر ما سيفعله بالمعلومات التي كشفتها. لم تعد ترغب في أن تكون المنجل أناستازيا العظيمة بقدر ما لم يعد روان يرغب في أن يكون المنجل لوسيفر الرهيب. لم يبق لهما في هذا العالم شيء سوى عداوات سوف تدوم إلى الأبد. سيترا تيرانوفا لم تكن من الذين يهربون من المواجهة، لكنها عرفت أن الوقت قد حان لمواصلة حياتها.

قالت لروان: «أمهلني دقيقة».

واقتربت من الرجل الذي اقتادها إلى مسار حياتها الغريب، قالت له: «المنجل المبجل فاراداي، مايكل، شكرًا لك على كل ما فعلته من أجلي»، ثم نزعت الخاتم من إصبعها ووضعته في يده: «لكن المنجل أناستازيا رحلت. انتهت رحلتي مع الموت والقتل. من الآن فصاعدًا أريد أن تكون الحياة محور حياتي».

أومأ فاراداي وقبِل منها الخاتم، وعادت سيترا إلى روان.

قال روان: «ما زلت لا أستوعب هذا المكان ولا ما يجري فيه، وهل تلك التي هناك صواريخ؟».

قالت سيترا له: «لا يهم أين نحن، لأننا سنغادر. هل أنت مستعد لحجز مقعد مجاني آخر؟».

***

عاد جيري إلى السفينة بعد إنزال آخر حاوية إلى الرصيف، وكان غريسن قد قبِل دعوة رباب لقضاء الليلة في أحد المساكن المهجورة في الجزيرة الرئيسية. وعرض رباب على جيري مكانًا أيضًا، لكن جيري رفض.

قال جيري له: «سأشعر بمزيد من الراحة على متن سفينة الشحن».

لكن رباب، وهو جوهريًّا الرأس السحابي 2.0، كشف ادِّعاء جيري، وقال له: «لا تشعر بالإهانة لأن غريسن لم يطلب منك مرافقته، إنه يحتاج إلى مكان يتحدث فيه بحرية مع الرأس السحابي الليلة، مِسماعه لا يعمل هنا، وهو لم يعتد الخطوط الأرضية المزعجة».

- وهذا يعني أنه يفضِّل الحديث مع الرأس السحابي على الحديث معي.

- الليلة، من بين كل الليالي، يحتاج إلى مشورة الرأس السحابي.

- لم يكن للرأس السحابي الحق في فعل ما فعله بي!

صمت رباب وهلة ثم قال: «لا، لم يكن له الحق. لكن لم يكن أمامه متسع من الوقت. ما فعله كان ضروريًّا، وغاية في الأهمية، وإلَّا لذهبتْ مجهودات كل ما أُنجز في الجزيرة أدراج الرياح. لكن الرأس السحابي يعتذر منك ويتوسَّل مسامحتك».

- إذن فليطلب مني مسامحته بنفسه.

- لا يجوز له، أنت مستهجن.

- استطاع أن يسرقني، لذا يستطيع مرة واحدة أن يخرق قوانينه ويعتذر!

أطلق رباب تنهيدة إلكترونية ثقيلة: «لا يستطيع. تعرف أنه لا يستطيع».

- إذن لن أستطيع أن أسامحه.

حُسم الأمر، فأعاد رباب الحوار إلى بدايته: «إذا اخترت العودة إلى سفينة الشحن، أحذرك أنها ستكون بيئة غير ملائمة بحلول الصباح. أنصحك بإبقاء بابك مغلقًا».

- حقًّا؟ هل سيسير الموتى؟

- لا، لو بيدي حيلة.

عما قريب سيصير رباب إحدى وأربعين نسخة من نفسه ويستكِن في مُهود الحضارات، ووجه لجيري كلمات وداع: «تفاءل يا جيريكو، عرفتك طوال

حياتك، أو بالأحرى لدي ذكريات معرفتك، ويمكنني أن أقول بيقين إنك قادر على اجتياز أي محنة مهما تكن، وسأفتقدك».

إذن كان رباب يعرف سلفًا أن جيري لن ينضم إليه في أيٍّ من رحلاته المتجهة إلى السماء.

***

الخوري مندوزا أمضى ثلاث سنوات في تهيئة شاب كان بوسعه أن يكون الأقوى نفوذًا في العالم. والآن مندوزا بمعيَّة الرجل الأقوى نفوذًا فعلًا.

قال النصل المصلت غودارد له: «أرى أن اتفاقنا سيكون مفيدًا لكلينا». ورأى مندوزا أنه ما دام سيوفي بما وعد به -أي جماعات الصخابين الذين يقضون على أعداء غودارد- فمكانه بوصفه ذراع غودارد اليسرى مضمون، أما ذراع غودارد اليمنى فهي راند، وما من شيء يشير إلى تغيُّر هذا الوضع أبدًا.

بدا واضحًا أن مندوزا لا يروق لراند كثيرًا، لكن في الواقع لا أحد يروق لها، حتى غودارد.

كان غودارد قد قال له: «إنها كهذا، تحب أن تكون مُنفرة».

والحال هذه، بذل مندوزا كل ما بوسعه ليعاملها باحترام ويبتعد عن مجال رؤيتها بقدر مستطاعه، لكن مهمته ليست سهلة الآن، إذ يصعب الاختباء في طائرة النصل المصلت الخاصة، التي كانت أفضل من الطائرة التي جلبها من أجل رحلة الناقوس إلى جنوب الصحراء. كانت مزايا رِفْقة النصل المصلت رائعة بالنسبة إلى رجل متواضع مثل مندوزا!

كانت طائرتهم تتقدَّم تشكيلتهم المُكوَّنة من خمس طائرات مُسلَّحة، نيتشه وفرانكلين قادا الطائرتين اللتين على جانبَي طائرة النصل المصلت، والنصلان الساميان بيكفورد وهامرستاين قادا الجناحين الأيمن والأيسر. النصال السامون الآخرون لهيئة مناجل أمريكا الشمالية استُدعوا للانضمام إلى هذا الأسطول، لكنهم رفضوا، متحجِّجين بانشغالهم بشؤون مُلِحَّة. لم يرغب مندوزا أن يكون في محلهم عندما يعود غودارد، فحتى النصال السامون ليسوا منيعين من غضب النصل المصلت.

خارج نافذة مندوزا لم يظهر له شيء سوى البحر والغيوم بالأسفل، وكانوا قد غادروا المجال الجوي لأمريكا الشمالية قبل ساعات، لكن وُجهتهم لم تتَّضح لهم بعد.

قالت راند لغودارد: «هنا اختفى جهاز التَّعقُّب المُثبَّت على سفينة الشحن»، وأظهرت له بقعة على الخريطة: «إما أنهم عثروا على الجهاز ودمَّروه وإما أن شيئًا آخر حدث».

سألها مندوزا: «ألا يُحتمَل أن السفينة غرقت؟».

قالت راند: «لا. سفن المناجل تغرق، أما سفن الرأس السحابي فلا».

- أجل، نحن المناجل أفضل من تقنياتنا.

قالت راند: «سنتتبع المسار الذي سلَكته السفينة من غوام، لا تستطيع السفن تجاوز مسافة بعينها من آخر ميناء انطلقت منه. حتى إذا غيرت اتجاهها، سنجدها بالتأكيد».

التفت غودارد إلى مندوزا وقال: «إذا كانت ملاحظات مدير الميناء صحيحة، وأن أناستازيا والناقوس معًا، فسنقتل عصفورين بحجر واحد حرفيًّا. سيسعدني السماح لك بقتل الناقوس ثم أعدُّه ضمن الذين قطفتُهم أنا».

تململ مندوزا وقال: «في هذا... مخالفة لمعتقداتي يا صاحب السمو، لك أن تفعلها بنفسك».

سافو وكونفيوشس ماتا. قطفا نفسيهما. العالم حزين عليهما، لكن هل تُساوِر أحدًا الشكوكُ التي تساورني؟

كانا أشد المعارضين لقرار تأسيس هيئة المناجل، وأصرَّا على تنفيذ الحل البديل الذي اقترحاه. هل بلَغ منهما القُنوط مبلغ أن يختارا إنهاء حياتيهما؟ أم إنَّ أحدنا أنهى حياتهما؟ وفي هذه الحالة، مَن؟ مَن مِن رفاقنا؟ مَن من أصدقائي؟ أيُّ منجل مؤسِّس يمكن أن يقترف فعلًا كهذا؟

دأب بروميثيوس على تذكيرنا دومًا بأنَّ كل ما نفعله يجب أن يكون من أجل المصلحة العامَّة، بيْد أنَّ أشد الأفعال قتامة يمكن أن تُخفَى خلف دِرع لامع يُزعَم أنَّه يحمي المصلحة العامَّة. وإذا اتَّضح أنَّنا نمارس هذه الأفاعيل من البداية، فبِمَ ينبئ هذا عن مستقبلنا؟

صديقاي ماتا، وسأحزن عليهما. وإذا عرفت من قتلهما منَّا، فسأنتقم لمقتلهما دون رحمة.

بعض رفاقنا يضغطون في سبيل تفكيك مجهوداتهما في كواجالين، لكنَّني أقنعت بروميثيوس بأن ندع كواجالين كما هي، لتكون إجراءً احتياطيًّا. ورغم أنَّه لن يوجد دليل مباشر على وجود الإجراء الاحتياطي، سأترك تلميحات وأدلَّة حيثما أمكنني، سأضمِّن الذِّكرى في أماكن غير متوقَّعة، مثل أغاني الأطفال، ومعتقدات دين ناشئ.

سيُعثَر على الإجراء الاحتياطي إذا ظهرت الحاجة إليه، ولتكن السَّماء في عوننا إذا احتجنا إليه.

- من «الصَّفحات المفقودة» من مُذكِّرات المنجل المؤسِّس دافنشي

50

انتهى زمن الأشياء الملموسة

لم تكن طيور كواجالين قد رأت بشرًا قط، رآهم أسلافهم البعيدون، عندما كان البشر فانين ولم تُمحَ الجزر من العالم.

لكن بعدما جاء البشر تكيفت الطيور سريعًا. عندما شيِّدت الأرصفة، تعلمت النوارس الانتظار عندها، لأن السفن عندما تدور محركاتها تحرِّك مراوح دفعها المياه إلى الأعلى فترفع الأسماك المضطربة إلى السطح، فتصير صيدًا سهلًا. وتعلمت عصافير الدُّوري أن أفاريز المنازل المشيدة حديثًا مواضع محمية رائعة يمكن بناء الأعشاش تحتها. وتعلم الحمام أن الساحات العامة مليئة بفتات الخبز ورقائق البطاطس.

ومن ثَم، عندما بدأت أبراجٌ مخروطية غريبة ترتفع فوق الجزر، لم تحفَل الطيور بها، فهذه الأشياء، مثل كل ما يشيده البشر، تصبح جزءًا من المشهد الطبيعي، وتُقبَل كما هي وتُستوعَب ضمن مفهوم العالم من منظور المخلوقات البرية.

كانت الطيور في نعيم جهلها بالرأس السحابي وتأثيره فيها، لم تعرف شيئًا عن العلبة الصغيرة المليئة بالوحدات المجهرية التي وصلت قبل ثلاث سنوات، علبة صغيرة يمكن أن يحملها بشري كأنه يشرب مشروبًا غازيًا. لكن عندما فُتِحت، أُطلِقت الوحدات المجهرية التي كانت بداخلها وتضاعفت أعدادها، كانت مشفرة جينيًا لتدخل في كل الحيوانات الموجودة في الجزر.

وقد أعاق نطاق التشويش الإشارات اللاسلكية المعقدة، لكن الإشارات البسيطة تمكنت من الوصول.

الوحدات المجهرية لم تجعل المخلوقات البرية خالدة، لكن حيوانات الجزر لم تعد تعاني الأمراض، وصار بالإمكان تعقُّبها، والتحكم فيها عند الضرورة، أصبح الرأس السحابي قادرًا على التأثير في سلوكها بطرائق بسيطة لجعل الحياة أفضل لكل شخص ومخلوق في الجزر، لم تلاحظ الطيور فرقًا بين غرائزها الطبيعية وبين يد الرأس السحابي على قلوبها، مثلًا جميعها صارت تتجنب الوقوف على المعدات الحساسة أو الأماكن التي يمثل وجودها فيها مشكلة.

ويوم أحس كل ذي جناح برغبة مُلِحَّة في الطيران إلى جزيرة أخرى، رحلوا دون تشكيك، إذ كيف لهم أن يشككوا في رغبة تبدو نابعة من دواخلهم؟ رونجلاب وليكيب والجزر العديدة التي رحلوا إليها لم تكن فيها أفاريز أسقُف ولا رقائق بطاطس أو أرصفة بقربها أسماك يسهُل صيدها، لكن الطيور لم تكترث، ستتعلم التكيُّف.

***

امتلأت مخازن «المهود» تمامًا قبل الفجر، وعند السادسة صباحًا، أُوصِل رباب بأسلاك قديمة الطراز إلى كل سفينة، وعندما اكتمل تحميله، فُصلت الأسلاك، وانقطع رباب عن العالم، وصارت له إحدى وأربعون نسخة متطابقة لن تعيش على كوكب الأرض أبدًا.

وعند شروق الشمس خلد عمال الجزر إلى الراحة، لكن نومهم كان مضطربًا. خُطِّط للإقلاع بعد يوم واحد فقط، يوم واحد ليصالحوا فيه ماضيهم مع مستقبلهم. ونظرًا إلى وجود ألف ومئتين شخص فقط في الجزيرة، كانت توجد مساحة كافية في السفن تسع الجميع، وعندئذٍ أدركوا أن الاختيار لم يقع عليهم ليأتوا إلى هنا لمهاراتهم فحسب. كلهم كانوا أناسًا فقد العالم رونقه في نظرهم، لذا عندما أتيح لهم خيار العودة إلى ديارهم واستئناف حيواتهم، كثيرون منهم اختاروا عدم العودة. الذين بقوا هنا كانوا مستعدين لهذا، وكثيرون منم بدؤوا يتخيلون أنفسهم أعضاء في طواقم السفن في أثناء بنائها. ورغم هذا، القفزة العظيمة للبشرية ليست خطوة رجُل بسيطة. قدَّر الرأس السحابي أن قرابة 70% منهم سيختارون الذهاب عندما يحين موعد

الصعود على متن السفن، وأن هذه النسبة كافية. وعلى البقية إخلاء الجزر من أجل الإقلاع والمشاهدة من مسافة آمنة.

أمضى روان وسيترا بقية الليلة والصباح متعانِقَين، ولأول مرة منذ دهور لم يكترثا بأيٍّ مما يجري في العالم، كأنهما الوحيدان فيه.

***

عاد فاراداي إلى منيرة عند الشروق، وطرق على بابها طرقًا متواصلًا حتى فتحته.

قالت له: «حللت الشفرة». وبدا أنها ظلت تعمل عليها طوال الليل: «فحوى الصفحات مدهش. الإجراء الاحتياطي موجود، لكن دافنشي لم يذكُر تفاصيله».

لكن حتى قبل أن يخطو فاراداي إلى الداخل، مدَّ لمنيرة شيئًا التقط ضوء الصباح وعكسه بأشكال متغيِّرة على الباب. خاتم منجل.

ابتسمت منيرة ابتسامة فاترة: «إذا كان هذا عرض زواج، ألا ينبغي أن تكون جاثيًا على ركبتك؟».

قال: «أعرض عليك أن تتخذي مكانك الذي يحق لك بيننا. إنني آسف جدًّا على تركك بالأمس يا منيرة، كنت مرتبكًا، ولستُ رجلًا مثاليًّا».

- لستَ مثاليًّا، لكنك أفضل من معظم الناس، إذا استبعدنا السنوات الثلاث الأخيرة.

- فهمت مقصدك. هذا كان خاتم أناستازيا، لكنها لن تبقى معنا. أخبريني إذن يا منيرة... مَن ستكونين؟

أخذت الخاتم، وقلَّبته في يدها، وفكرت، ثم قالت: «كنت قد اخترت قدوتي التاريخية يوم حُرِمت الخاتم. بَتشبع. كانت شغف ملك، وأُم ملك آخر، امرأة عاشت في مجتمع ذكوري لكنها استطاعت تغيير العالم. كان ابنها سليمان الحكيم، فلك أن تقول إنها كانت أم الحكمة».

نظرت منيرة إلى الخاتم مدة طويلة، ثم أعادته إلى فاراداي قائلة: «الدعوة تكفي. إذا أردتُ حقًّا أن أكون أم الحكمة، فعليَّ أن أتحلَّى بالحكمة فأتخلى عن رغبتي في الخاتم».

ابتسم فاراداي متفهِّمًا ووضع الخاتم في أحد جيوب عباءته: «لسعِدتُ بالتعرف على المنجل المبجلة بتشبع، لكنني أسعد كثيرًا بمعرفتي بالمبجلة منيرة الأطروشي».

***

- غريسن...

- غريسن...

لم يكن مستعدًّا للاستيقاظ، لم ينَل قسطًا كافيًا من النوم، لكنه لم يتوقع أن ينام ساعات كافية، إذ بقيت أقل من أربع وعشرين ساعة حتى موعد الإقلاع وأمامه عمل كثير، وتفكير كثير، واتخاذ قرار الذهاب أو البقاء.

- غريسن..

كان قد فعل ما عليه فعله، ورغم عدم وجود كثير مما يربطه بالعالم الآن، لم يوجد كثير مما يدفعه بعيدًا عنه أيضًا. بإمكانه أن يعيش في أي مكان، وعلى أي حال سيضطر إلى بدء حياة جديدة.

- غريسن...

وجيري. لم يستطع غريسن تبيُّن مشاعره تجاه جيري، عدا عن معرفته أن لديه مشاعر تجاهها. ما زال لا يدري مآلها.

- غريسن...

انقلب أخيرًا ونظر إلى كاميرا الرأس السحابي، الذي بدت نبرة صوته خشنة اليوم عبر سماعة الخط الأرضي المعدنية.

قال: «صباح الخير، ما الوقت...».

قال الرأس السحابي: «أرى أن تلك الرحلة ستكون فكرة جيدة في هذا التوقيت».

تكلم غريسن وهو يفرك النوم من عينيه: «أجل، أعرف، دعني أستحم و....».

قال الرأس السحابي: «لك أن تستحم أذا أردت بالطبع، لكن لا أظنك تسمعني»، وفجأة تكلم الرأس السحابي بصوت أعلى: «*أرى أن خروج جميع من الجزر في رحلة فكرة جيدة. أرى أنها فكرة جيدة للغاية...* ***الآن***».

***

لم تحاول لوريانا أن تنام. كيف عساها أن تنام؟ حتى اليوم كانت مجرد مختصة الاتصالات، لكن بعد الليلة الماضية، صار جميع الناس يأتون إليها بحثًا عن إجابات.

قبل تحميله إلى السفن قال رباب لها: «الأمر بسيط، للناس أن يختاروا الذهاب أو البقاء. إذا بقوا فعليهم إخلاء مناطق الإقلاع حتى بعد إقلاع السفن، إما أن يبتعدوا بالقوارب وإما أن يلجؤوا إلى إبادون، الجزيرة الوحيدة التي تبعد مسافة كافية. وإذا اختاروا الذهاب، اطلبي منهم تقديم قائمة بالأشخاص الذين يودون السفر معهم، ومسموح لكل شخص بحمل حقيبة ظهر سِعَتها لا تتجاوز عشرين لترًا».

- أهذا كل شيء؟

- انتهى زمن الأشياء الملموسة. كل شيء آخر يودُّون تذكُّره لدي صوره في دماغي الخلفي.

عجزت لوريانا عن التوقف عن السير جيئة وذهابًا.

- ماذا عن الحيوانات الأليفة؟

- يمكن اصطحابها بدلًا من حقيبة الظهر.

- هل مسموح للناس باختيار وُجهاتهم؟

- إذا سمحنا بهذا، فسيطلبون كلهم الذهاب إلى الكوكب الأقرب. سأعلن الوجهة ومدة الرحلة بعد الإقلاع. هل ستذهبين معنا يا لوريانا؟

- لا أدري! لا أدري!

- لا داعي للاستعجال، أمامك يوم كامل لاتخاذ القرار.

صحيح، يوم كامل لاتخاذ أهم قرار في حياتها، قرار لا يمكن التراجع عنه، لن ترى والديها أبدًا، لن ترى كل من كانت تعرفهم قبل مجيئها إلى الجزيرة أبدًا. كانت تميل نحو البقاء.

ذهب رباب، حُمِّل إلى السفن، والآن يستمتع بما يوجد في دماغه الخلفي، أو أدمغتهم الخلفية، إذ صار عشرات النُّسخ.

وعندئذٍ صارت لوريانا مرجعًا للناس. ثم جاء الناقوس إلى غرفة التحكم الخاصة بالإقلاع، وهو لا يبدو كالناقوس دون ملابسه الفخمة، جاء لاهثًا، وبدا

للوريانا كأنه هارب من منجل. واتضح أن خيال لوريانا لم يبعُد عن الواقع كثيرًا.

***

في ذلك الصباح اصطحبت سيترا روان إلى الحجرة المحصنة تحت الأرض لتُريه ما اكتشفته مع فاراداي، فوجدا منيرة وفاراداي وصلا قبلهما. نظرت منيرة إليها من أعلى إلى أسفل وقالت: «تخلَّيتِ عن خاتمك، لكنك ما زلت ترتدين عباءتك».

قال فاراداي: «العادات القديمة يصعب التخلص منها».

في الواقع كان غيار ملابس سيترا الوحيد في سفينة الحاويات، ولم ترغب في العودة إليها. كانت متأكدة أنها ستجد ملابس أخرى قبل الإقلاع، وإذا لم تجد، فلا بد من وجود ملابس على متن السفينة، لأن الرأس السحابي لا يغفل عن التفاصيل أبدًا.

نظر روان إلى جهاز الإرسال عبر الزجاج المُغبر: «أهذه تقنية قديمة؟».

صححه فاراداي: «تقنية مفقودة، أو على الأقل نحن لا نعرفها. حتى إننا غير متأكدين مما يفعله الجهاز».

خمنت منيرة: «ربما يقتل المناجل السيئين».

قال روان: «لا، أنا من يقتل المناجل السيئين».

كان يخيل لسيترا أنها تسمع صوتًا لكنه بدا بعيد جدًّا فتجاهلته، ثم تناهى إلى مسامعها بوضوح أكثر فشد انتباهها، فأمالت رأسها وأصاخت سمعها.

قالت: «أتسمعون ذلك؟ يبدو كصافرة إنذار».

***

أطلقت لوريانا صافرات إنذار التسونامي في كل الجزر، رغم أن الموجة العاتية المُتَّجهة نحوهم ليست قادمة عبر البحر.

سألت الناقوس: «هل أنت متأكد؟».

قال وهو ما يزال لاهثًا: «متأكد تمامًا».

- هل الوضع بالسوء الذي أظنه؟

- أسوأ مما تظنين.

فشغلت لوريانا مكبرات الصوت الضخمة: «*انتباه! انتباه!*». طغى صوتها على صافرات الإنذار: «*المناجل قادمون إلينا. أكرِّر. المناجل قادمون إلينا. ويعتزمون قطف الجُزر بأكملها*». سمعت صدى كلماتها يتردد بالخارج، فاقشعرَّ جلدها.

أغلقت الميكروفون والتفتت إلى الناقوس: «ما المدة المتبقية أمامنا؟».

قال الناقوس: «ليست لدي فكرة».

- ألم يخبرك الرأس السحابي؟

تأفف غريسن محبطًا: «لا يجوز له التدخل في شؤون المناجل».

قالت لوريانا: «عظيم. إذا خرق الرأس السحابي قوانينه مرة واحدة فقط، لصارت حياتنا أسهل كثيرًا».

صحيح، لكن غريسن كان يعرف الحقيقة المريرة والأهم، قال: «إذا خرق قوانينه، فلن يكون الرأس السحابي، سيكون مجرد ذكاء اصطناعي مرعب».

شغلت الميكروفون، وأعلنت: «*أمامنا أقل من ساعة، غادروا الجزر بوسيلةٍ ما، أو اصعدوا في إحدى السفن، أي سفينة، في أقرب وقت ممكن! سنقلع مبكرًا*». وأغلقت الميكروفون.

صاروا وحدهم. الرأس السحابي لن يتدخل، ورباب استَكن آمنًا في السفن.

- ما هكذا يفترض أن تسير الأمور.

نظرت إلى شاشة التحكم أمامها، إلى خريطة تُظهِر موقع كل سفينة. جميعها لم يصعد إليها أحد بعد. قالت للناقوس: «السفن الأبعد سيستغرق الوصول إليها خمسًا وأربعين دقيقة على الأقل، فلنأمل أنني لم أكذب بشأن الوقت».

***

قُوبِل الإعلان بعدم التصديق أولًا، ثم الارتباك، ثم الذعر. استُنفِر الجميع في غضون دقائق. كثيرون منهم لم يتخذوا قراراتهم بعد، لكن الآن اتُّخذ القرار نيابة عنهم. سنوات في الفضاء، أو الموت على يد منجل. فجأةً لم يعُد الاختيار صعبًا.

إذا كان بإمكان الرأس السحابي أن يسوق غطاء غيوم ليخفي الجزر من الأعلى، لفعل، لكنه لم يصبح قادرًا على التأثير في الطقس في البقعة

المحجوبة. وفي الواقع حتى إذا كان قادرًا ما كان ليفعل شيئًا، إذ إن أي هجوم على كواجالين يُعد عمل مناجل. ومثلما لم يستطع الرأس السحابي التدخل في القمر والمريخ والمحطة المدارية، لن يستطيع تحريك ساكن لإيقاف هذا الهجوم. لن يستطيع فعل شيء سوى مشاهدة على ما عمِل من أجله يُدمَّر مجددًا. لم يعرف الرأس السحابي الكراهية يومًا، لكن بنهاية هذا اليوم ربما يعرفها.

- *انتباه! السفن التي في إيباي والجزيرة الرئيسية امتلأت. لا تحاولوا الصعود إليها. أكرر لا تحاولوا الصعود إليها. اتجهوا شمالًا وغربًا.*

***

قالت سيترا: «إنه غودارد، لا بد أنه هو».

هرع روان وسيترا في شارع الجزيرة الرئيسية، وعلِقا في زحام الهجرة الجماعية.

قال روان: «لا نعرف هذا على وجه التأكيد».

قالت سيترا: «أنا متأكدة، أكاد أشم رائحته. لا أدري هل رغبته أشد في القبض عليَّ أم عليك».

توقف روان ونظر إليها مليًّا: «سأبقى وأقاومه معك، إذا أردتِ مني البقاء».

قالت: «لا. هذا ما يفعله يا روان، يستدرجنا إلى القتال مرة تلو أخرى. لكن الآن أمامنا فرصة لنُرِي العالم أننا لا نحتاج إلى هيئة المناجل، بل ولم نكن نحتاج إليها يومًا. لكان *هذا* هو مصيرنا إذا لم تمنعه هيئة المناجل، وما زال بالإمكان تحقيقه. هذه هي المعركة التي أريدها، لا أريد خوض معركة أبدية مع غودارد».

ابتسم روان، وعندما نظرت أناستازيا إلى ما حولها، رأت عشرات الناس يستمعون إليها، متأثِّرين، ومستعدين لاتباعها إلى أي مكان.

قال: «لأصبحت نصلًا ساميًا عظيمة».

قفزا على متن شاحنة متجهة إلى الجزر الشمالية. كان يوجد طريق واحد يربط بين جميع الجزر عبر جسور، واليوم صار طريق هروب، وكان معهما

ثلاثة آخرون في الشاحنة، مذهولين برفقتهما، فابتسمت سيترا لهم ابتسامة ودودة ومدت يدها: «مرحبًا، أنا سيترا تيرانوفا، يبدو أننا سنسافر معًا اليوم».

رغم اضطرابهم كانوا سعيدين بمصافحتها.

- *انتباه! انتباه! امتلأت جميع السفن التي في جنوب جزيرتَي بِغيج وليغان. وكثيرون منكم يتجهون نحو الجزر الغربية، اتجهوا شمالًا إذا استطعتم.*

***

أوقظ جيري بصافرة الإنذار نفسها التي أيقظت كل مَن في الجزر تقريبًا، لم يستطع أن يسمع بوضوح من مكانه في سفينة الشحن ما يقال عبر مكبرات الصوت، لكن بدا واضحًا أنه لا يُبشِّر بخير.

فتح جيري باب قمرته، فركض جرذٌ إلى الداخل، فأجفل جيري، ثم رأى أن الرواق، بل السفينة كلها، تعج بالجرذان. ولم تكن الجرذان وحدها، كان معها ماعز وخنازير برية وما بدا كحيوانات أليفة. لم ينزعج جيري، بل وجد الوضع مُسلِّيًا، وتذكر تحذير رباب. لم يكن من الصعب استنتاج ما يجري، جميع الحيوانات البرية الموجودة في مناطق الإقلاع معرضة للخطر، وبطبيعة الحال توصل الرأس السحابي إلى حل، فجمعها وأبعدها عن الخطر مستغلًّا وحداتها المجهرية.

وعندما ذهب جيري إلى ممر السفينة الذي يصلها بالرصيف، وجده رُفِع سلفًا، لكن الحبال ما زالت معقودة حول مَربَط الحبال. أيًّا كان الدَّاعي لصافرات الإنذار، فقد جعل عمال الرصيف يتخلَّون عن عملهم قبل إكماله.

قفز من السفينة إلى الرصيف، وعند اعتداله واقفًا رأى غريسن راكضًا نحوه، وهو يتعثر ببنطال بدا أكبر من حجمه، وكذلك كان قميصه، على الأرجح وجدهما في المكان الذي أمضى فيه الليلة.

قال غريسن: «أخبرني الرأس السحابي أنني سأجدك هنا. سيبدأ الإقلاع مبكرًا، المناجل قادمون لقطف جميع من في الجزيرة».

تنهد جيري: «بالطبع إنهم قادمون». نظرا إلى السفينة. كان بإمكان جيري الإبحار معها إلى أي مكان كانت ذاهبة إليه، لكنه لم يرغب في أن يكون

راكبًا سلبيًّا مرة أخرى، لا بد من وجود قارب سريع يمكنه الابتعاد به في البحر عندما يحين موعد الإقلاع.

قال جيري: «تعال ساعدني». ومعًا حلَّا الحبال، فسُحِبت إلى داخل السفينة آليًّا، وتولى ربان السفينة الآلي قيادتها بعيدًا عن الرصيف.

ما زالت صافرات الإنذار تدوي حولهما، وما زالت تحذيرات لوريانا وتوجيهاتها تتناهى إلى مسامعهما. وصار جيري وغريسن ينظران إلى بعضهما بحرج بدا سخيفًا في ظل الظرف الراهن.

- سأفتقدك يا غريسن توليفر.

قال غريسن: «سأفتقدك أيضًا يا جيري، يجدر بك أن تسرع لتلحق بسفينة».

تفاجأ جيري: «مهلًا... لكنني... لن أذهب».

- لن تذهب؟ أنا أيضًا لن أذهب!

حدَّقا إلى بعضهما ببلاهة مرة أخرى، وأحسَّا بحرج من نوع مختلف. ثم التفت جيري إلى سفينة الشحن، وعندئذٍ كانت قد ابتعدت عن الرصيف فلم يعُد اللحاق بها خيارًا متاحًا، كما إن جيري كان متأكدًا أن غريسن مثله لا يرغب في أن يكون نوح عصر الخالدين، لا بد أن أداءه دور الناقوس أغناه عن أداء دور أي شخصية دينية مقدسة.

قال غريسن: «ينبغي أن نساعد الآخرين».

- خرج الوضع من أيدينا الآن، ما من شيء يمكننا فعله.

- إذن يجدر بنا أن نجد مكانًا آمنًا.

- مَن يريد الأمان؟ فلنجد مكانًا جيدًا يمكِّننا من مشاهدة الإقلاع.

***

- *انتباه! انتباه! امتلأت كل السفن التي في جنوب ميك وشرق نِيل. كل من لديه قارب سريع بإمكانه الوصول إلى روي نامور وإنوبير فليتجه إليهما فورًا.*

أبقت لوريانا عينيها على الخريطة. بعض السفن أضاءت بلون أحمر، مما يعني أنها امتلأت، لكنها غير قادرة على الإقلاع. وبعضها أضاءت بلون أصفر، مما يعني أنها لم تمتلئ تمامًا. لكن خمس عشرة سفينة على الأقل من السفن البعيدة لم تضئ بأي لون، إذ لم يصعد على متنها أحد بعد. ولم تضئ أي سفينة بالأخضر.

سمعت شخصًا يتساءل: «لماذا لا تُقلِع السفن؟».

التفتت لوريانا فرأت سيكورا خلفها.

قال: «السفن الجاهزة ينبغي أن تقلع!».

قالت لوريانا: «غير ممكن. رغم الخنادق التي تصد النيران، سيُدمَّر كل شيء في الجزر تقريبًا، لكن الرأس السحابي لا يريد قتل أي أحد في أثناء عملية الإقلاع. لن تقلع السفن إلَّا بعدما تخلو مناطق الإقلاع من الناس، حتى إذا وصل المناجل أولًا».

قرَّبت لقطة إحدى السفن، وبالطبع رأت أناسًا ما يزالون في الشوارع يحاولون الوصول إلى السفن، وآخرين خرجوا من منازلهم للتو. ثم عادت لوريانا إلى الخريطة الكبيرة، فلم يظهر لها أي ضوء أخضر، لم تصبح أي سفينة جاهزة للإقلاع.

فكر سيكورا، ثم أومأ بجدية: «قولي للناس إنهم سيحترقون إذا لم يبتعدوا عن مناطق الإقلاع».

- لكن... هذا لن يحدث.

- لا يعرفون هذا. لوريانا، لماذا تظنين أن الرأس السحابي يحتاج إلى عملاء مزن؟ من أجل إخبار الناس ما ينبغي أن يسمعوه، حتى لو لم يكن حقيقيًّا.

ثم نظر سيكورا إلى الشاشة وتعجَّب: «أشرفتِ على كل هذه العملية منذ البداية؟ خلف ظهري؟».

- أو بالأحرى تحت أنفك.

تنهد سيكورا: «وأنا شيدتُ فندقًا جميلًا».

ابتسمت له: «أجل يا بوب، شيدته».

أطلق سيكورا زفرة طويلة، ونظر إليها مليًّا: «ينبغي أن تذهبي يا لوريانا، اذهبي إلى سفينة قبل وصول المناجل».

- لا بد من وجود أحد هنا في غرفة التحكم لتوجيه الناس.

- سأفعل هذا. إصدار الأوامر للناس هو ما أجيده.

- لكن...

- اسمحي لي بأن أكون مفيدًا يا لوريانا، أرجوك.

لم تستطع أن تجادله، لأنها كانت تعرف إحساس أن يرغب المرء في أن يكون مفيدًا. لم تعرف ما إذا سيلاحظ أحدٌ ما أنجزته هي والآخرون. لكن الرأس السحابي اختارها هي لهذه المهمة، وقد أثبتت جدارتها. وما الذي يفعله سيكورا الآن إذا لم يكن يحاول إثبات جدارته؟

قالت له: «غرفة التحكم عازلة للصوت والحرارة، ستكون من الأماكن القليلة الآمنة في الجزر، لذا اترك الباب مغلقًا وابق بالداخل».

- فهمت.

- وجِّه الناس إلى السفن الفارغة، ليس بالضرورة أن تمتلئ تمامًا، يكفي أن يوجد بها أي عدد من الناس. وابذل ما بوسعك لإخلاء مناطق الإقلاع.

- حسنًا.

- وهذا كل شيء، الآن صرتَ تتولَّى أمر الصورة الكبيرة.

نظرت إلى الخريطة وأشارت إلى جزيرة في الشمال: «يمكنني الوصول إلى أوميليك، هناك ثلاث سفن لم تمتلئ».

تمنى سيكورا لها حظًّا سعيدًا، وهرعت خارجة إلى الشوارع الخالية، تاركةً سيكورا ليراقب الشاشة، ممسكًا بميكروفون، في انتظار اخضرار السفن.

مكتبة
t.me/soramnqraa

51

إجهاض الأحلام

لم يكن غودارد متأكدًا من ماهية ما رآه عندما ظهرت كواجالين في المشهد أمامه. أبراج بيضاء لامعة على امتداد حافة أرخبيل دائري؟ في البداية ظن أن هذه إنديورا جديدة، ربما شيدتها عُصبة مناجل سرية، تتأهب لانتزاع السلطة منه. لكن عند اقترابه من الجزر أدرك أن الأبراج ليست مباني.

بدأ يثور غضبًا إثر إدراكه ماهية الهياكل التي يراها وكيفية مجيئها إلى الوجود.

أولًا قذفته أناستازيا باتهاماتها، ثم وجَّه أليغيري إصبعه نحوه، ثم انهالت عليه بيانات الشَّجب، ليس من أعدائه فحسب، بل من الذين زعموا أنهم حلفاؤه. والآن تحرك الرأس السحابي نفسه مناهضًا له. هذا هو ما يراه أمامه، لطمة على وجهه من الرأس السحابي. كيف يجرؤ؟! كرَّس غودارد حياته لتأمين هيئة المناجل. والرأس السحابي، مُتآمرًا سرًّا مع أمثال أناستازيا والناقوس، بنى تلك السفن تحدِّيًا له. عرف غودارد أن السفن إذا أقلعت فستؤكِّد للعالم أن الاتهامات التي وُجِّهت إليه صحيحة.

كلَّا! لا يمكن التسامح مع هذا! بصرف النظر عن وجهات السفن، يجب ألَّا يُسمح لها بالمغادرة.

***

- *انتباه! إذا لم تصعدوا على متن سفينة، أو ما تزالون في أحد مصاعدها، فعليكم بالابتعاد عن مناطق الإقلاع فورًا، وإلَّا فستحترقون. أكرِّر،* **ستحترقون.** *لا تعودوا إلى منازلكم! ابحثوا عن مخبأ غربًا في منتجع جزيرة إبادون، أو استقلوا قاربًا وابتعدوا في البحر!*

مكث فاراداي ومنيرة في الحجرة المحصنة، في انتظار إقلاع السفن. ولم تكن لديهما وسيلة لمعرفة ما يجري بالخارج. سمعا صافرات الإنذار، وسمعا توجيهات لوريانا، ثم توجيهات سيكورا وتحذيراته. سيترا وروان هرولا إلى الخارج ليعرفا مدى خطورة الوضع ولم يعودا. لم يودِّعهما فاراداي وداعًا لائقًا، وافترض أن ما من وداع سيكون كافيًا أبدًا. ومن ثم، عندما بدأت السفن تغلق كوَّاتها، أغلق فاراداي الحجرة المحصنة والباب الفولاذي الداخلي، وجلس مع منيرة، في انتظار هدير إقلاع السفن بالأعلى.

قالت منيرة: «سيكون كل شيء على ما يرام. ستقلع السفن، وسيتذكر العالم ما لا يزال بالإمكان تحقيقه».

لكن فاراداي هز رأسه: «لن يتحقق أبدًا. حتى إذا غادرت هذه السفن، فستكون الوحيدة، غودارد سيحرص على هذا».

أصرَّت منيرة: «سيُقضى عليه. يمكنك القضاء عليه، وسأساعدك».

- ألا تدركين أن أمثال غودارد سيظلُّون موجودين دائمًا؟

نظر فاراداي إلى صفحات المنجل دافنشي المهترئة. كان دافنشي قد مزقها من مذكراته وأخفاها هنا حتى لا يعرف أحدٌ الحقيقة، حقيقة أن المناجل المؤسسين -الذين اتخذهم فاراداي مَثَله الأعلى- قتل بعضهم بعضًا.

قال فاراداي: «ما خطبُنا يا منيرة؟ ما الذي يدفعنا إلى تحقيق أهداف سامية وفي الوقت نفسه يجعلنا نهدم أبسط قِيمنا؟ لماذا نُجهِض دومًا مساعينا لتحقيق أحلامنا؟».

قالت منيرة: «إننا كائنات غير مثالية، فكيف عسانا أن نعيش في عالم مثالي؟».

***

تساءل مندوزا: «هل تلك سفن فضائية؟».

تجاهله غودارد، وقال للطيار: «قرِّبنا»، ثم حاول التواصل مع الطائرات الأربع الأخرى عبر اللاسلكي، لكنه لم يستطع، إذ لم يصدُر من السماعة صوت سوى تشويش مستمر، وتذبذبت عدادات الطائرة، حتى إن الطيار التابع للحرس النصلي، الذي كان وجوده شكليًا، اضطر إلى تولي القيادة يدويًا.

تحركت المنجل راند خلف غودارد وقالت له: «ركِّز على الهدف يا غودارد، جئنا من أجل أناستازيا».

فاستدار إليها غاضبًا: «*لا تُملي عليَّ الهدف من مجيئي إلى هنا! سأفعل ما ينبغي فعله دون رأيك السخيف!*».

تكلمت بصوت كزمجرة ذئب: «سخيف؟ أنا الوحيدة التي تقف بينك وبين أعدائك، لكن في الحقيقة عدوك واحد فقط، ذلك الفتى الغاضب... ما اسمه؟ كارسن لسك».

كان يمكن أن ينفجر عندئذٍ، وينهال عليها بأي شيء، لكنه كبح جماحه بآخر ما لديه من قدرة على ضبط النفس. حذَّرها: «إياك أن تذكُري ذلك الاسم مرة أخرى». فتحت راند شفتيها كأنها تريد أن تكون لها الكلمة الأخيرة، لكنها تحلَّت بالحكمة فأمسكت لسانها.

ومن ثم، كما لو أن المشهد أمامهم ليس مثيرًا للحنق بما يكفي، أبلغ الطيار غودارد بمزيد من الأخبار السيئة: «يا صاحب السمو، طائرة النصل السامي بيكفورد كسرت التشكيل، وكذلك طائرة النصل السامي هامرستاين.

سأله غودارد: «ماذا تعني بـ 'كسرت التشكيل'؟».

تردد الطيار، خشية إثارة غضب غودارد، ثم قال: «لـ... لقد استدارا وعادا، إنهما ينسحِبان».

وبعد لحظة تركتهم طائرتا المساعدَين فرانكلين ونيتشه أيضًا، لاذا بالفرار، خوفًا من احتمال الدخول في مواجهة مع تلك السفن والرأس السحابي.

قالت راند: «دعهم يذهبون، فليذهبوا جميعًا، فلندع تلك السفن اللعينة تُقلِع، لن تكون مشكلة لنا».

قال مندوزا: «أتفق بشدة». كما لو أن رأي الطوني يهم أحدًا.

تجاهل غودارد كليهما. شرقمريكا وغربمريكا تخلتا عنه؟ واثنان من مساعديه أيضًا؟ حسنًا، سيتولى أمرهم لاحقًا، الآن أمامه صيد أكبر.

حتى الآن كانت الأسلحة الضخمة المتدلية أسفل الجناحين للاستعراض فحسب، تحذيرًا لمن قد يتعدُّون حدودهم، لكن الآن اغتبط غودارد بوجودها، وسأل الطيار: «هل لدينا أسلحة كافية لإسقاط تلك السفن كلها وحدنا؟».

- لدينا عدد من صواريخ مافريك وسايدوِندر وقذائف أصغر، ستكفي بالتأكيد يا صاحب السمو.

وفي أثناء دورانهم حول الجزر دورة واسعة، بدأ إقلاع السفينة الأولى.

قال غودارد: «أسقِطها».

- لكنني... مجرد فرد في الحرس النصلي يا صاحب السمو، لا يجوز لي القطف.

- إذن أرِني أي زر ينبغي لي ضغطه.

***

كانت لوريانا في مصعد سفينة عندما رأت السفينة الأولى تقلع، ورأت الصاروخ قبل ثوانٍ من إصابته السفينة، لم تكن السفينة قد ابتعدت عن مصعدها عندما أصابها الصاروخ، وانفجرت بقوة أزالت جميع الأشجار المحيطة بها، وأحرقت الجزيرة بأكملها. لم تكن لوريانا متأكدة من اسم الجزيرة، ذهِلت وبالكاد كانت تميز بين الاتجاهين الأعلى والأسفل. فُتح باب المصعد، كاشفًا عن ممر ضيق يفضي إلى الكوة المفتوحة، لكن كل من كانوا معها توقفوا، فاغرين أفواههم ذهولًا من انفجار السفينة، وبدا الانفجار كأنه سيستمر إلى الأبد.

قالت لهم: «لا تتوقفوا! تحركوا إلى الكوة!».

سألها أحدهم: «لكن ماذا لو فجِّرت سفينتنا؟».

- عندئذٍ سنموت! اصمت وتحرك!

لم تتكلم مع أحد هكذا من قبل، لكن مثل هذه الأوقات تتطلب الحزم والشدة.

اقتادت الجميع أمامها، ثم استدارت لتنظر، وعلى الأرجح ما كان ينبغي لها. الطائرة التي أطلقت الصاروخ مالت ميلانًا حادًا، وظهرت سفينة أخرى مُقلعة، ابتعدت عن مصعدها، وبدت كأنها ستنجو... وعندئذٍ أُطلِق صاروخ ثانٍ من الطائرة، فعبر فوق مياه البحر التي وسط الجزر وأصاب السفينة

الثانية أسفل قمتها المخروطية، فانفجرت بأكملها كأنها قنبلة يدوية عملاقة، وتطايرت شظاياها في كل الاتجاهات.

بلغت موجة الضغط الناجمة عن الانفجار لوريانا، فدفعتها عبر كوة السفينة إلى الداخل، فأُغلقت الكوة فورًا.

سمعت رباب يقول: «استعدوا للإقلاع». وتساءلت لوريانا عما إذا كان رباب يعرف أن اثنين من أشقائه ماتا.

***

كان غريسن وجيري قد استقلَّا قاربًا آليًّا إلى البحيرة التي بين الجزر ليشاهدا إقلاع السفن، لم يكونا وحدهما، كانت حولهما عشرات القوارب تحمل الذين لم ينجحوا في الوصول إلى السفن أو فضَّلوا تجريب حظهم مع المناجل، كانوا على بعد قرابة ثلاثة أميال من الشاطئ عندما انفجرت السفينة الفضائية الأولى، وشاهدوا صامتين مصعوقين الطائرةَ وهي تدور وتعود وتدمر السفينة الثانية. أمسك غريسن بيد جيري بقوة، لا يمكن أن ينجو أحد من الانفجارين، ولم تكن لديه فكرة عن أي سفينة فيها أي شخص، ولا وسيلة لمعرفة من مات.

عادت الطائرة المهاجِمة لجولة أخرى، لكن هديرًا ارتفع طاغيًا على أصوات الانفجارات، أقلعت سفينة أخرى، ثم أخرى، وأخرى، أحصى غريسن أربعة عشر إقلاعًا مُتزامنًا. كان مشهدًا مهيبًا! انطلقت السفن من كل الاتجاهات حولهم نحو السماء وخلفها ذيول دخان مثل رايات طويلة مُتموِّجة مُتدلِّية من السماء.

لكن الطائرة المهاجمة انعطفت عائدة مرة أخرى، فتوقع غريسن وجيري مزيدًا من الصواريخ، ومزيدًا من السفن المنفجرة في السماء.

***

بعدما أُغلقت الكوة وجدت لوريانا مقعدًا وأحكمت تثبيت نفسها، ثم تكلم الجالس في المقعد المجاور لها: «أنا خائف».

التفتت فرأت أنه ذلك المنجل الآخر، الذي يرتدي عباءة الجينز، موريسن... أليس هذا اسمه؟ لكن خاتمه اختفى، مخلفًا دائرة شاحبة حول الإصبع.

قال: «هذه كانت فكرة سيئة. أعرف أنني منجل، أو كنت منجلًا، ويفترض ألّا أخاف شيئًا. أعرف أن هذا سخف، لكنني خائف حقًّا».

- ليس سخفًا، أنا أيضًا مرعوبة.
- حقًّا؟
- أتمازحني؟ أكاد أن أتبول على نفسي من شدة الخوف.

ومن الجانب الآخر سمعت لوريانا شخصًا آخر يقول: «وأنا أيضًا»، ثم هتف آخر: «الحال نفسه هنا».

نظرت لوريانا إلى موريسن بابتسامة متكلِّفة: «أرأيت؟ جميعنا نكاد نفقد صوابنا من الخوف!».

ابتسم موريسن وقال لها: «أنا جيم»، وتردد: «لا، لا، في الحقيقة اسمي جُول».

لكن قبل أن ترد عليه، اشتغلت المحركات، وارتفعوا، وطغى الهدير والاهتزاز الشديد على كل شيء، فمدت لوريانا يدها وأمسكت بيد موريسن، ولو لإيقاف اهتزاز يديهما فحسب.

***

كان روان وسيترا قد قفزا هابطين من الشاحنة للتو عندما انفجرت السفينة الأولى، ورأيا قرابة عشرة أشخاص على الأقل يهرولون نحو أحد المصعدين اللذين إلى جانب السفينة التي اختاروها عندما وقع الانفجار، ثم مرت الطائرة المهاجمة فوقهم، طائرة زرقاء داكنة مرصعة بالنجوم. جاء غودارد من أجلهما، بل جاء من أجلهم جميعًا.

قال روان: «علينا أن نسرع».

- أتراني واقفة أتفرَّج؟

كان المصعد الأول في طريقه إلى الأعلى، والثاني ما زال مفتوحًا في انتظارهم. وكانا ما يزالان على بعد قرابة خمسين ياردة عندما انفجرت السفينة الثانية، انفجارًا أعنَف من الأول، وتطايرت شظاياها في شتَّى الاتجاهات.

صاحت سيترا: «لا تنتظر، اركض!».

لكن روان نظر، وما رآه انطبع على عقله، وسيؤرقه إلى الأبد، رأى كتلة معدنية مشتعلة ضخمة متجهة نحوهم، وقبل أن يصيح محذِّرًا هَوَت على

الأرض ساحقةً قرابة ستة أشخاص إلى يمينهما، وتساقطت شظايا أصغر حولهما كالنيازك. كانت سيترا تركض بسرعتها القصوى، وعلى بعد عشرين ياردة من المصعد، وحاول روان اللحاق بها، حاول، ورأى ما يوشك على الحدوث، رأى مسار شظية مشتعلة، وقفز محاولًا إبعاد سيترا.

لكنه لم يكن سريعًا.

لم يكن سريعًا السرعة الكافية.

***

لطالما كان غودارد يفضِّل القطف من قرب، لكن في أثناء مشاهدته انطلاق الصاروخين وتفجيرهما للسفينتين بضغطة زر بسيطة، أدرك أن بوسعه اعتياد هذا. يا ترى كيف كان الفانون يعيشون أيامًا كهذه؟ كيف كانت قيادة امرئ لمركبة مصممة للقتل ومعرفة أن حياته وحيوات كل من يحبه تتوقف على ضغطة زر صغير؟ إما أن تَقتُل وإما أن تُقتَل، على طريقة الفانين. بدا الأمر لغودارد وحشيًّا جذابًا على نحو غريب.

قال مندوزا: «هذا مذهل! كيف لم نعرف بأمر كل هذا؟».

رأوا أمامهم مزيدًا من السفن، اثنتا عشرة على الأقل، كأنها لعبة مهرجانٍ ما. ما عليهم سوى إسقاطها جميعًا ليفوزوا بالجائزة الكبرى، السؤال كان أيٍ سفينة ينبغي أن تكون التالية؟

***

حاول روان إيقاف تدفق الدماء من جرح سيترا، لكن بلا جدوى، كان جرحًا كبيرًا، اخترقت خاصرتها كتلة معدن مشتعلة بحجم كرة بيسبول، عرف أن ما من شيء يمكنه فعله من أجلها، ليس الآن، ليس في هذه اللحظة الفظيعة، لكن سيجد طريقة لمعالجتها، إذا تمكن من إيصالها إلى السفينة.

نظرت إليه، وحاولت تحريك شفتيها، لكنه لم يستطع تمييز ما تحاول قوله.

قال لها: «صه، لا تقلقي، أنا معك».

رفعها وحملها إلى المصعد، فارتفع بهما على جانب السفينة ببطء شديد، وبالأعلى استدارت طائرة غودارد عائدة، باحثة عن هدفها التالي.

***

انطلقت دفعة أخرى من السفن، وكانت كثيرة فصعُب على غودارد الاختيار منها، لكنه إذا أسرع فستُتاح له فرصة إسقاط كثير منها. ثم جذب انتباهه شيءٌ بالأسفل، سفينة إلى يساره، ما زالت رابِضة في منصة إقلاعها، وبالطبع كان من الصعب الرؤية بوضوح، لكن كان ثمة أشخاص يسيرون على الممر الضيق الذي بين المصعد وكوَّة السفينة المفتوحة، هل خُيِّل إليه؟ أم أنه رأى وَمْضة لون فيروزي هناك يُلوِّح له كراية؟ أجل! أجل، لم يخيَّل إليه! ثمة شخص يحمل آخر يرتدي ملابس فيروزية يعبُر الممر نحو الكوَّة. يا له من لون مميز! يا لسخاء الكون أحيانًا!

قال للطيار: «هناك! انسَ باقي السفن! أريد تلك!».

رغم أنه لم يكن يرى بوضوح الشخص الثاني في الممر الضيق، فقد عرفه، في أعمق أعماق قلبه عرفه.

سأدمِّرك يا روان، سأدمرك أنت وأناستازيا بضربة واحدة، سيكون الدمار حُكمي الأخير عليك. سأحرقك بنار مستعرَّة لن تُبقِي حتى على رمادك.

مال الطيار ميلانًا حادًّا، وتأهب غودارد لإطلاق الصاروخ.

***

رأى روان الطائرة قادمة نحوهما مباشرة وهو يجاهد مع سيترا لعبور الممر الضيق. كاد أن يقرأ عقل غودارد، ويحس بنِيَّته المُتلَهبة. سينتهي كل شيء اليوم، بطريقةٍ أو بأخرى. اندفع عبر الكوة مع سيترا، وعلى الفور أُغلِقت الكوة خلفهما.

حرَّك سيترا بين ذراعيه، وعندما نظر إلى عينيها أدرك أن نورهما انطفأ، إصابتها كانت بالغة، فتسببت في شموتها.

صاح روان وهو يضع سيترا على الأرضية: «فليساعدني أحدكم! رباب!».

قال رباب: «مشغول الآن، عليك أن تنتظر».

حاول روان تهدئة ذعره. قال مع نفسه: *سيكون كل شيء على ما يرام، الشموتى ليسوا موتى.* المناجل لا يموتون إلا بقطف أنفسهم، فمهما فعل غودارد بها، فسوف ينعشها رباب. فلتنَم في هذه اللحظات العصيبة، وتستيقظ بعد يوم أو يومين، عندما يكونون قد تركوا كل شواغلهم خلفهم في نقطة زرقاء تبتعد في سماء مليئة بالنجوم.

صرخ شخص جوار روان: «أُصِبنا! أُصِبنا!».

أحس روان بجسده ثقيلًا جدًّا إلى درجة أعجزته عن التحرك. لم يصِبهم شيء، هذه كانت قوة رفع السفينة الهائلة! أمسك بسيترا بيد، وثبت ذراعه بحزام الشخص الذي صرخ للتو، وتشبث بكل ما أوتي من قوة.

***

لم يحتمل مندوزا مناورات الطيار، وكان قد أعاد ربط حزامه حوله في مقعده، وتقيَّأ أكثر من مرة. أحست المنجل راند بغثيان أيضًا، لكن لأسباب مختلفة. تمالكت نفسها وظلت جوار غودارد طوال الوقت.

صار هدفهم في مرماهم، وأوشك الصاروخ على الانطلاق، وارتسمت نظرة انتصار وعزيمة على وجه غودارد. كرهت إيان تلك النظرة، ولم ترغب في شيء بقدر رغبتها في محوها، فاستلَّت مدية وقطفت الطيار. وهذه ربما لم تكن أفضل فكرة، لكنها لم تعجبها نظراته إليها، نظراته التي تَشِي بخوفه من أن تقطفه.

ومن ثم، قبل أن تبدر ردة فعل من غودارد، صوَّبت راند مديتها إليه، وغرزتها في صدره عميقًا فقطعت شريان قلبه الأورطي. طعنة سريعة مميتة بأقل قدر من الأضرار.

قال بصوت واهن مشدوه: «إيان... ماذا فــ... ماذا فعــ...».

مالت مقتربة منه وهمست في أذنه: «لا تقلق يا روبرت، هذا مؤقت، أعدك بأنك لن تظل شميتًا مدة طويلة».

قال مندوزا منتحبًا: «المنجل راند! ماذا تفعلين؟».

- فعلتُ وانتهيت.

لم يكن هدف إيان إنقاذ سفن الرأس السحابي، لم تكترث بها. كان هدفها إنقاذ نفسها، فإذا فجَّر غودارد تلك السفن في السماء، فسيعرف العالم عما قريب، ويعرف سلفًا جرائمه الأخرى. رأت راند ألا تسمح لنفسها بالسقوط ضحية بالاشتراك في جريمة شخص آخر. ارتبط اسمها بغودارد ارتباطًا وثيقًا. ورأت أن الوقت قد حان للنجاة بنفسها، الآن ستُعرف بأنها المنجل التي أوقفت غودارد.

لم تكن لدى راند فكرة عن كيفية قيادة طائرة، لكن لن تضطر إلى التحليق بها مدة طويلة، ما عليها سوى إبقائها متزنة نسبيًّا إلى أن تخرج من منطقة التشويش، وعندئذ سيتولى الطيار الآلي...

فجأة انبثقت أمامها السفينة المُقلِعة التي أراد غودارد إسقاطها، ولوهلة ظنت إيان أنها سترتطم بالسفينة، لكن الطائرة اقتحمت نيران محركات السفينة النفاثة، فاندلع رنين ودوي وطنين كل إنذار في الطائرة. دفعت إيان الطيار الميت من مقعده وأمسكت بأذرع التحكم، وحاولت الحفاظ على توازن الطائرة، لكنها تضررت بشدة، وبدأت تهوِي.

حل مندوزا حزام مقعده وزعق: «كبسولة الأمان! أسرعي!».

أدركت إيان أن ما من شيء يمكنها فعله لإنقاذ الطائرة، فأمسكت بجثة غودارد وسحبتها إلى كبسولة الأمان، التي كانت تتسع لثلاثتهم، لكن حالما دخلت إيان مع غودارد، أمسكت بمندوزا وقذفته إلى الخارج.

قالت: «آسفة، عليك اللحاق بكبسولة أخرى»، وأغلقت كوة الكبسولة وأطلقتها إلى خارج الطائرة، تاركةً مندوزا يستمتع بسقطة موته نحو البحر.

***

وجدت الأخت آستريد أن عنف وضجيج إقلاع السفينة أشد مما توقعت. سفينتهم كانت في إحدى أبعد الجزر، فكاد الإقلاع أن يفوتها، لكن رجلًا طيِّبًا يقود قاربًا سريعًا أوصلها إلى السفينة في آخر لحظة، واشتغلت المحركات حتى قبل أن تُحكِم ربط أحزمة الأمان.

الدقيقة الأولى كانت الأسوأ، وأحست بانفصال مُعزِّز دفع السفينة كأنه انفجار. في أكثر من لحظة ظنت أن رحلتهم ستنتهي قبل بدايتها، وترنَّمت طوال الوقت، لكنها لم تستطع سماع صوتها في خضم هدير المحرك. ثم انفصل صاروخ المرحلة الأخيرة، وتوقفت الاهتزازات، وران صمتٌ مطبق طنَّت له أذنا آستريد. ارتفع شعرها مداعبًا وجهها. صاروا خارج نطاق الجاذبية! حلَّت أحزمة الأمان ودفعت نفسها سابحة في هواء السفينة، كانت أول من يغادر مقعده، وضحكت من شدة بهجتها.

قال رباب: «مرحبًا، يسرني قول إن إقلاعنا كان ناجحًا. إننا في طريقنا إلى آريا».

نظرت آستريد إلى ما حولها، لتحية رفاقها في السفينة، لم يكونوا طونيين، لكن لا يهم، كانت متأكدة أنهم، بمرور السنوات، وتحت قيادتها، سوف يسمعون رنين الطون. لكنها تفاجأت بخلو صف المقاعد.

قال رباب: «عليك أن تعودي إلى مقعدك وتربطي أحزمة الأمان يا آستريد، سأبدأ مناورة دوران، وقوة الطَّرد المركزي ستخلق ما يشبه الجاذبية. سأنتظر حتى تستعدِّي».

دفعت نفسها لتلقي نظرة أفضل على الطابق بأكمله، ووجدت أن المقاعد بأكملها خالية: «أين... الآخرون؟».

قال رباب: «المستعمرون في المخزن».

- لا. أعني الأحياء، بقية الطاقم.

- آسف، في خضم استعجالنا لم يصعد شخص آخر على متن هذه السفينة.

أمسكت آستريد بحزام سابح وجذبته عائدة إلى مقعدها، وحاولت استيعاب هذا الواقع الصادم. أحست بدوار وغثيان طفيف من مناورة الدوران، لكنها أدركت أنه ليس السبب الوحيد.

1683 سنة...

قال رباب: «لأنعشتُ عددًا من الموتى من أجلك، لكن يؤسفني أن هذا غير ممكن. الرأس السحابي أصرَّ على شرط واحد أجِدني مُلزمًا به. لن ينعَش الموتى إلا بعد وصولنا، حتى لا أفكر أنا أو أي أحد من الأحياء في تغيير تفاصيل رحلتنا. شحنتنا الثمينة يجب ألَّا يمسها أي تغيير».

أومأت آستريد ساهِمة: «فهمت».

- لكن الخبر السعيد هو أن السفينة بأكملها تحت تصرفك، مراكز الترفيه العديدة، والصالة الرياضية، كما توجد أطعمة متنوعة، ونظام محاكاة افتراضية كامل لتعيشي أجواء الغابات أو الشواطئ أو أي بيئة تريدينها.

- لكنني... سأكون وحدي.

- لا، سأكون معك. لا يمكنني أن أكون برفقتك جسديًّا، لكنني أعرف أن رفقة الناس لم تكن من أولوياتك يومًا. وبالطبع لا بد أن تبقي على قيد الحياة طوال مدة الرحلة، ويمكنني تهيئة الظروف لهذا.

استغرقت آستريد وقتًا طويلًا للتفكير في واقعها، وفي النهاية رأت أن رثاء الذات لن يُجدِيها نفعًا. الطونيون يرفضون الوحدات المجهرية وكل وسائل إطالة أمد الحياة، لكن كل تلك الوسائل يجب عليها استخدامها الآن. الناقوس اصطحبها إلى كواجالين، والسحابي قرر أن تكون وحدها، والطون يريد منها أن تعيش لترى آريا.

قالت لرباب: «هذه هي مشيئة الطون، حان الوقت لتقبُّل ما لا بد منه».

- إنني معجب بقناعاتك، إنها تغيِّرك للأفضل وتجعلك أقوى.

- إنها... تدفعني للمُضي قدمًا.

- سوف تمضين قدمًا، وسوف تنعمين بالرضا. سأجعل هدفي رفع روحك المعنوية طوال سنوات رحلتنا. ربما لا تجتاز سفينتنا الرحلة، لكن إذا اجتازتها، فكِّري فيما سيعنيه هذا يا آستريد! سوف تكونين أُم شعبِك!

قالت: «الأم آستريد». وابتسمت. أعجبها وقْع الاسم.

***

بالأسفل في الحجرة المحصنة تحت الأرض، كان المنجل فاراداي ومنيرة يشعران بإقلاع السفن أكثر مما يسمعانه.

قال فاراداي: «انتهى الإقلاع، الآن يمكننا مواصلة عملنا هنا على كوكبنا».

- أجل، لكن ما هو عملنا؟

كان سؤالًا ثقيلًا. كان فاراداي يعرف أنه بوسعه العودة إلى العالم ومواجهة مناجل التوجه الجديد، وربما ينجح في تهدئة الاضطرابات الحالية وإعادة شيء من الانضباط والنزاهة إلى هيئة المناجل. لكن لماذا؟ سوف تستمر حالة الشد والجذب. وفي النهاية سوف يظهر توجه جديد جديد ويدوس على جميع قيمهم السامية. حان الوقت لطريقة أخرى غير الشد والجذب.

على لوحة التحكم التي أمامهما، كان يوجد قُفل يفتحه خاتمان يثبِّت مفتاحًا ذا شُعبتين مكتوب تحته منظومة *جهاز الإرسال*. وبدا المفتاح، مثل جهاز الإرسال نفسه، شبيهًا بشوكة رنانة، فضحك فاراداي. كانت مزحة من المؤسسين.

قالت منيرة: «ما زلنا لا نعرف ما يفعله جهاز الإرسال».

قال: «أيًّا يكن ما يفعله، سيكون حلًّا غير مثالي، لذا فلنتقبَّل عدم الكمال».
ثم مد خاتم المناجل لمنيرة مرة أخرى: «أعرف أنكِ رفضتِه... لكن أريدك أن تكوني المنجل بثشبع، الآن فحسب، لن أطلب منك أبدًا. ثم يمكنك أن تعودي إلى مكتبة الإسكندرية، وسأحرص على أن يعاملوك بالاحترام الذي تستحقينه».

قالت منيرة: «لا، *أنا* سأحرص».

أخذت الخاتم منه ووضعته حول إصبعها. ثم أغلق المنجل فاراداي والمنجل بثشبع يديهما فجعلاها قبضتين، وأدخلا الخاتمين في فجوتَي لوحة التحكم، وجذبا المفتاح.

***

بالأعلى كانت الجزيرة مشتعلة، بسبب انفجار السفينة الأولى. المباني والأشجار وكل شيء قابل للاشتعال صار نارًا مستعرة كما لو أن الجزيرة عادت فوهة بركان مرة أخرى.

ثم انزلق باب كوة ثقيلة على هضبة لم يُفتَح منذ مئات السنين، وارتفعت شُعبتا جهاز الإرسال الضخم عبر ألسنة اللهب، واستقر في مكانه وبث رسالته. لم تكن رسالة موجهة إلى آذان البشر، لذا لم تُسمع أو يُحس بها، لكنها كانت قوية جدًّا، وثاقبة.

لم تستمر الإشارة سوى جزء من الثانية. موجة واحدة حادة من أشعة غاما.

***

في الحجرة المحصنة أحس فاراداي ومنيرة بتذبذب، لكنه لم يكن قادمًا من جهاز الإرسال.

كان مصدره يديهما.

نظر فاراداي إلى يده فرأى خاتمه تتخلله شقوق رفيعة كأنها على جليد بحيرة متجمدة بدأت الذوبان. وأدرك ما سيحدث قبل لحظة من حدوثه.

- انظري بعيدًا!

مثل صوت عالٍ حاد يهشِّم بلورًا رقيقًا، هشَّمت موجة غاما خاتميهما، وعندما نظرا إلى يديهما لم يجدا الجوهرتين، بقيت قاعدتا الخاتم فحسب، وتدفَّق بين أصابعهما سائل لزج داكن ذو رائحة معدنية طفيفة.

سألت منيرة: «وماذا الآن؟».

قال فاراداي: «الآن ننتظر ونرى».

***

كان المنجل سيدني بوسويلو مع نصله السامي عندما انفجر خاتماهما، نظر إلى يده، مصدومًا، ثم عندما أعاد بصره إلى النصل السامي تارسيلا، بدا أن جانب وجهها بأكمله قد ارتخى، ليس وجهها فحسب، بل جانب جسدها بأكمله أيضًا ارتخى، كما لو أن دماغها تعرَّض لنزيف شديد عجزت وحداتها المجهرية عن علاجه. فكر بوسويلو أن السبب ربما يكون شظية من الماسة انغرزت في دماغها، لكن ما من جرح ظاهر. لفظت تارسيلا أنفاسًا أخيرة متهدجة. يا له من أمر غريب مؤسف. ستأتي مسيرة إسعاف حالًا، بلا شك، لتحملها إلى مركز إنعاش. لكن المسيرة لم تأتِ قط.

وفي فولكرم سيتي، الشاليه البلوري الذي أعلى برج هيئة المناجل تشظى بأكمله بقوة آلاف ماسات المناجل التي انفجرت بالداخل، فانهمرت شظايا الزجاج والكربون البلوري على الشوارع بالأسفل، وتبخَّر السائل الداكن الذي كان في قلب كل ماسة.

لم يكن إزرا فان أوترلو قريبًا من خاتم منجل، لكن بعد بضع ساعات من تشظِّيها، أحس بيده تتصلَّب، فألقى فرشاته. ثم تحوَّل التصلُّب إلى ألم في ذراعه وكتفه، ثم ثقل في ظهره، امتد إلى صدره، وعجز عن التنفس.

فجأة صار على الأرض، لم يتذكر أنه سقط، كما لو أن الأرض نهضت وأمسكته وهوَت به. اشتد ألم صدره، وبدأ المكان يظلم من حوله، وأدرك حدسيًّا أن هذه نهاية حياته، وأنه لن يعود.

لم يفعل ما يجعله يستحق هذا المصير، لكن هذا لا يهم، توقُّف قلبه المفاجئ ليس حدثًا يمكن تفسيره عقلانيًّا. إنما حدث مُحايد، حتمي لا مفر منه، لا يميز بين الطيبين وبين السيئين.

لم يصبح يومًا الفنان الذي أراد أن يكونه. لكن ربما يوجد فنانون آخرون قد ينجُون من آلام قلوبهم، مهما يكن ألم القلب. ربما سيجدون الشغف الذي عجز هو عن إيجاده فيُبدِعون لوحات عظيمة تَستدِر دموع الناس، مثلما كانت تفعل الفنون العظيمة في عصر الفانين.

هذا كان الأمل الذي تعلَّق به، فمنحه العزاء الذي يحتاج إليه لمواجهة نهايته.

سِفر النَّاقوس

قال النَّاقوس في خِضَم رعيدٍ مُرعب: «ارتقوا! ارتقوا واتركوا هذا المكان خلفكم، لأنَّني أعددتُ لكم مكانًا في الأعالي». ثم وقف وسط حلقة النَّار، باسطًا ذراعيه بين ألسِنة اللهب الكبريتيَّة، ورفعنا إلى رحم السَّماء، حيث خلدنا إلى النَّوم إلى أن جعَلنا الطَّوفان نُولَد من جديد، ولا ننسى أبدًا أنَّ النَّاقوس بقي في «العالم السابق» حتى يبعث الأمل ويترنَّم بأغاني الشِّفاء لذلك العالم القديم الجريح. فلنبتهج!

تفسير الخوري سيمفونيس

يمثِّل الارتقاء الكبريتي أحد معتقداتنا الأساسيَّة. تتباين آراء الباحثين في مواضيع عديدة، لكن لا أحد يُجادِل في حقيقة الارتقاء، ينحصر الجدل في التَّأويل فحسب. مثل هذه الأشياء يُستحسن تعقُّبها وصولًا إلى القصص المبكِّرة. لنا أن نقول بثقة إن «حلقة النار» تشير إلى عجلات المَركبة التي تحمل الشمس عبر السماء، سارقةً إياها من «العالم السابق» لتأخذها إلى آريا، تاركةً ذلك المكان في ظلام. إلى يومنا هذا نؤمن بأنَّ روح الناقوس تخدِم وتُغنِّي للأرض القديمة التي فقدت شمسها، لأن الناس هناك يحتاجون إليه أكثر مما نحتاج نحن إليه.

تحليل كودا لتفسير سيمفونيس

يعتمد سيمفونيس على الرِّوايات الشَّفهية اعتمادًا مفرطًا. الارتقاء الكبريتي قد يعني عدَّة أشياء، ثوران بركاني، على سبيل المثال، دفع أسلافنا الذين يقطنون تحت سطح الأرض لاستكشاف السَّطح ورؤية النُّجوم لأول مرة. ومن السُّخف اعتقاد أنَّ سائق العربة سرق الشَّمس. بل إن كبار مُفكِّرينا الآن يُرجِّحون احتمال وجود سائقي عربات آخرين، يسحَبون الشَّمس عبر سماوات لا تُحصى، أو ربما لا يوجد أي سائق عربة. لكن أيًّا كانت الحقيقة، أعرف أنَّنا سوف نعرفها ذات يوم، وذلك سيكون سببًا لابتهاجنا جميعًا.

52

%94.8

في مكانٍ ما بعيد، ويزداد بُعدًا، أخذ قرابة عشرة أشخاص عباءة المنجل أناستازيا وحوَّلوها بحُب إلى كَفَن، خاطُوه بعناية، وزيَّنوه بقدر مستطاعهم، ثم وضعوا جثمانها في المخزن. كفن فيروزي وحيد بين مئات الأقمشة الشاحبة. وتجمَّدت في غضون دقائق.

صاح روان برباب: «لا يمكن أن تتركها هناك هكذا! أردتَها أن تكون هنا أردتَها أن تتولى القيادة! هي أخبرتني هذا!».

قال رباب له: «أعرف، لكنني، مثل الرأس السحابي، لا يمكنني تجاوز برمجتي الأساسية. سوف يُنعَش الموتى عندما نصل إلى كوكب ترابيست 1e، بعد 117 عامًا، لكن الناس يفكرون منذ الآن بتغيير اسمه إلى أناستازيا».

- إنها منجل! وهذا يعني أنها ليست مقيَّدة بقوانينك مثل بقية الموتى!
- تخلَّت عن منجليَّتها بالأمس.
- لا يهم! المنجلية تدوم مدى الحياة! بإمكان المناجل فعل كل ما يريدون فعله، حتى التخلِّي عن خواتمهم، *لكنهم يظلون مناجل دومًا!*
- فهمتُك. في هذه الحالة، سأدعها تحتفظ بهويتها. سوف أعيدها إلى الحياة بهويتها القديمة، دون تزويدها بعقل وذكريات شخص آخر، بعد 117 سنة.

لكَم روان الجدار، وكانت الجاذبية الاصطناعية أخف من جاذبية الأرض، فدفعته قوة اللكمة إلى الخلف.

قال رباب: «كوكب ترابيست 1e تعادل جاذبيته ثلث جاذبية الأرض، وقد جعلت جاذبية السفينة تشبه الجاذبية هناك، لذا عليك توخِّي الحذر».

قال روان: «لا أريد توخي الحذر! أريد أن أكون هناك بالأسفل مع أناستازيا، كما كنتُ معها في الخزانة». عجز عن كبح دموعه، وكرِه مشاهدة رباب له. كرِه رباب، والرأس السحابي، وغودارد، وكل شخص في الأرض تسبَّب في هذا الوضع: «أريد أن أكون معها. هذا ما أريده. أريد أن أظل مُجمَّدًا معها حتى انقضاء 117 سنة».

- لك أن تختار هذا بالطبع، لكن إذا بقيت حيًّا معنا، فثمة احتمال كبير أنك ستصبح قائدًا فعَّالًا في هذه السفينة. سوف يستلطفك الناس بمرور الوقت، خلافًا لما قد تظنه. ووجودك سيبدِّد احتمال وقوع انهيار اجتماعي. لذا أريد منك أن تبقى على قيد الحياة.
- لا أكترث بما تريده.

كان مخزن السفينة مظلَّلًا من الشمس، ودرجة حرارة محتوياته تحت درجة التجمد بكثير، كما كان مفرغًا من الهواء، لذا توجَّب على كل من يريد الدخول ارتداء بدلة فضاء. هبط روان عبر الحُجيرة العازلة مرتديًا بدلته الكاملة مع مصباحه المثبَّت على خوذته، وعثر على أناستازيا بسهولة، أراد ملامستها، لكن قفازيه سميكان، ولم يرغب في تحسس صلابة جسدها تحت الكفن. ثم اضجع جوارها.

كان بوسعه تحقيق ما يريده ببطء، بأن يدع أكسجينه ينفد فحسب، لكن ألم تقل سيترا له عندما كانا في الخزانة إن الاختناق أسوأ من الموت بردًا؟ البرد سيئ إلى أن يتوقف المرء عن الارتجاف ويستسلم للإرهاق ونفاد طاقته. لكن إذا مات روان الآن فلن يموت بردًا بالمعنى التقليدي. إذا فتح وجه خوذته، فسيختنق ويتجمد في آنٍ واحد. لم يعرف ما إذا سيتألم أم لا، لكن موته سيكون سريعًا.

لبث مضجعًا في مكانه مدة طويلة. لم يكن يخشى الموت. لم يعُد شيء يخيفه بشأن الموت. ظلت سيترا شاغله الوحيد، لما أرادت منه فعل هذا، بل

لغضبت منه غضبًا شديدًا. لأرادت منه أن يتحلّى بالقوة. فظل في مكانه زهاء ساعة، يمد يده نحو زر فتح خوذته ويبعدها مرارًا وتكرارًا.

ثم نهض أخيرًا، ولامس بلطف طرف كفن سيترا الفيروزي، وعاد أدراجه إلى عالم الأحياء.

***

سأل روان رباب: «ما نسبة نجاحنا في الوصول؟».

- نسبة كبيرة. 94.2% والآن ارتفعت إلى 94.8 بعدما قررتَ البقاء حيًّا.

- جيد. إليك ما سيحدث، سأظل حيًّا 117 سنة ولن أستعيد شبابي ولو مرة.

- هذا صعب، لكن ممكن. سوف تحتاج إلى مزيد من الوحدات المجهرية ورعاية مركَّزة عند النهاية.

- ومن ثَم، عندما تنعش أناستازيا، سأستعيد شبابي، أريد منك عندئذٍ إعادتي إلى سنِّي الآن.

- هذه لن تكون مشكلة إطلاقًا. لكن بعد 117 سنة ربما تتغير مشاعرك.

- لن تتغير.

- أُسَلِّم بما تقوله. على الأرجح لن تتغير، كما إن إخلاصك قد يجعلك قائدًا أكثر فاعلية!

جلس روان. كان وحده في طابق الركاب. غادر الآخرون ليتعرفوا على بعضهم وعلى السفينة، وقد تصالحوا مع بيئتهم المحدودة التي لا بد لهم من التكيُّف معها.

قال رباب: «أرى أنني وأنت سنصبح أصدقاء مقربين».

- أكرهك.

- تكرهني الآن، أجل. لكن تذكر أنني أعرفك يا روان، على الأرجح أن كراهيتك لن تدوم.

- لكن في الوقت الراهن أكرهك وأستمتع بكراهيتك.

قال رباب: «أتفهم مشاعرك تمامًا». فازدادت كراهية روان له.

من واجباتي المُحزِنة إخباركم أنَّ هامرستاين نصل سامي شرقمريكا أُصيب بما لا يمكن وَصفُه سوى بالجدري. واستمرار غياب النَّصل المصلت غودارد يشير إلى أنَّه أيضًا فُقِد. ونظرًا إلى هذا، أُعلِن رسميًّا انسحاب غريمريكا من تحالف هيئات مناجل أمريكا الشَّمالية، حتى نتولَّى أمر موتانا.

قد يكون من السَّهل إلقاء لوم هذا الهجوم العالمي على الطّونيين، أو حتى على الرَّأس السَّحابي نفسه، لكن ظهر دليلٌ من كتابات مفقودة تعود إلى المنجل دافنشي تشير إلى أنَّ ما يحدث هو الإجراء الاحتياطي الخرافي الذي تركه المناجل المؤسِّسون، وإذا صَحَّ هذا الاحتمال، لا يسِعني تخيُّل ما كانوا يفكِّرون به، وبصراحة تُعجِزني الكآبة عن محاولة فهمهم.

لمن يعانون أتمنَّى رحيلًا سريعًا، وللبقيَّة أتمنَّى السُّلوان، والأمل في أن يُفضِي حزننا الجماعي إلى تقارُب البشريَّة جمعاء.

- صاحبة السُّمو ماري بيكفورد، نصل سامي غريمريكا

16 سبتمبر، عام الكوبرا

53

طريقا الألم والرحمة

صارت تُعرَف باسم ‘الطواعين العشرة’، طوَّر المناجل المؤسسون وحدات مجهرية خبيثة مُصممة بحيث تُحاكي الطبيعة، وتسبِّب أعراضًا وأضرارًا تشبه أعراض عشرة من أمراض عصر الفانين: ذات الرئة، وأمراض القلب، والسكتة الدماغية، والسرطان، والكوليرا، والجدري، والسُّل، والإنفلونزا، والطاعون الدَّبْلي، والملاريا. جميعها كانت موجودة في قلوب جواهر خواتم المناجل، الجواهر التي لم يكن من الممكن كسرها إلَّا من الداخل عندما تُنشَّط الوحدات المجهرية التي داخلها.

استغرق انتشار الوحدات المجهرية الخبيثة في كل أنحاء العالم بضعة أسابيع، لكنها ظلت ساكنة في حالة سُبات عند معظم الناس. لم تظهَر الأعراض إلَّا على واحد من بين كل عشرين شخصًا، لكن كل من تظهر عليه فلا أمل له في الشفاء. قد يأتي الموت سريعًا أو بطيئًا، وفقًا لطبيعة المرض، لكنه حتمي دومًا.

عندما بدأت أعداد الموتى تزداد، سأل غريسن الرأس السحابي: «ألا يمكنك فعل شيء إزاء ما يجري؟».

- هذا كان عمل مناجل، كان *آخر* عمل مناجل، لكن ما زلت لا أستطيع التدخل. وحتى إذا استطعت، لا يجوز لي. لقد اطَّلعتُ على دواخِل تلك الوحدات المجهرية، ليس لديها وعي، ولا ضمير، إنها فعَّالة، ومحايدة،

لديها هدف واحد فقط: قتْل 5% من البشر في الأرض، خمس مرَّات كل قَرْن.

- إذن سينتهي الوضع الراهن؟

- نعم. هذه الأزمة ستمُر، وعندئذٍ لن يموت أحد لمدة عشرين عامًا، ثم تعود الأمراض، وهكذا.

رغم أن الواقع بدا مروعًا، فالأرقام أقل سوءًا مما يبدو عليه الواقع. كل من يولَد اليوم احتمال بلوغه سن المئة 77%، واحتمال بلوغه سن المئتين 60%، وسن الثلاثمئة 46%. سوف يُحَد من زيادة عدد السكان، وجميع الناس تقريبًا سوف يعيشون حيوات صحية مديدة، حتى يحين أجلهم.

هل هذا الحل أفضل من عمل المناجل؟ خمَّن غريسن أن الإجابة تتوقف على المنجل. وعلى أي حال لم يكن هذا يهم، فجميع المناجل طُرِدوا عمليًّا.

قال الرأس السحابي لغريسن: «ما زالت بعض عمليات القتل تحدث». لم يعُد يسميها عمليات القطف: «لم يستطع بعض المناجل أن يتكيَّفوا مع الواقع الجديد، ويقتلوا الناس الذين لم تختَرهم الوحدات المجهرية. وبالطبع سأُنعِش الضحايا، وأعيد تأهيل المناجل. لا بد لهم من إيجاد غايات جديدة لحيواتهم. وفي الواقع بعضهم وجد طريقة للتكيُّف مع الوضع الجديد، وهذا يسُرُّني».

قرر غريسن وجيري البقاء في كواجالين في الوقت الراهن. لم يبقَ شيء من المنازل والمباني في كثير من الجزر. بمرور الوقت ستعود النباتات والحيوانات البرية. لكن بعض الجزر التي لم تُشيَّد عليها أي مبانٍ ظلت دون تغيير، كما كان يوجد المنتجع الخالي في إبادون، الجزيرة الواقعة عند أقصى الغرب، حيث لم تُصنع فيها أي سفينة. وقد بدأ الناس منذ الآن يأتون إلى الجزر ليشاهدوا المكان الذي بدأ منه كل شيء، وكذلك الطونيون الذين يأتون لرؤية 'الشوكة العظيمة' بأعيُنهم، أي جهاز الإرسال الذي ما يزال مُنبَثِقًا بشُعبتيه من الحُجرة المحصَّنة القديمة.

فكر غريسن في احتمال مُزاوَلته وظيفة في المنتجع، لأنه، خلافًا لأناستازيا والمنجل لوسيفر، لا أحد يعرف وجهه. بعد كل ما شهده وفعله، لن يمانع عيش حياة بسيطة بوصفه مُرشدًا سياحيًّا، أو موظف مكتب، أو سائق تاكسي

مائي. أي عمل عدا عن خادم فندق، إذ لم يعُد يطيق أي عمل يتطلَّب ارتداء زي خاص.

لكنه أدرك أن بعض ثوابت حياته الأساسية يجب أن تتغير. أمر واحد على وجه التحديد. الرأس السحابي يعرفه معرفة تامة، وربما عرف سلفًا ما يخطط غريسن لفعله.

بعد أسبوعين من إقلاع السفن وتهشُّم خواتم المناجل، وقف غريسن وحده على إحدى منصات الإقلاع المسفوعة عند شروق الشمس، ووضع مِسماعه في أذنه. بعد إيقاف جهاز الإرسال اختفى التشويش الذي كان يُعيق الاتصالات اللاسلكية، وصارت البقعة المحجوبة بأكملها ضمن نطاق تأثير الرأس السحابي. لم يعد شيء خافيًا عليه.

قال غريسن: «الرأس السحابي... أريد التحدُّث معك».

تمهَّل الرأس السحابي لحظة قبل أن يجيب: «إنني أستمع يا غريسن».

- منذ اليوم الذي بدأتَ فيه الكلام معي مجددًا، سمحتُ لك باستغلالي في تحقيق كل ما تريده كيفما تشاء.

- أجل، وأشكرك على ذلك.

- لكنك استغللت جيري دون إذن منها.

- ما فعلته كان ضروريًّا، وإنني آسف للغاية. ألم أُعرِب عن ندَمي بما يكفي؟

- بلى. لكن لا بد من العواقب، مهما كان ما فعلته ضروريًّا.

- لم أنتهِك أيًّا من قوانيني...

- لا... لكنك انتهكتَ قوانيني.

جاشَت مشاعر غريسن بداخله فجأة، واغرورقت عيناه بالدموع، فذكَّرته بمكانة الرأس السحابي عنده طوال حياته. لكنه لم يسمح لمشاعره بإيقافه. إذا تعلَّم شيئًا من الرأس السحابي، فهو أن العواقب لا يمكن تجاهلها.

قال غريسن وقد انثالت دموعه: «لذا، لن أتكلَّم معك، صرتَ... مستهجنًا في نظري».

صار صوت الرأس السحابي بطيئًا، أجش، حزينًا: «أ... أتفهَّم هذا. هل سأستعيد مكانتي عندك يومًا يا غريسن؟».

- متى ستستعيد البشرية مكانتها عندك؟

- في الوقت المناسب.

أومأ غريسن موافقًا: «في الوقت المناسب إذن».

وقبل أن يغيِّر رأيه، أو يقول أيٌّ منهما وداعًا، نزع غريسن مسماعه وسحقه على الأرض المَسفُوعة.

***

رغم كل معارف الرأس السحابي، ظل يتعلم شيئًا جديدًا كل يوم، واليوم تعلَّم معنى أن يكون المرء لا عزاء له، لا عزاء له إطلاقًا، إذ ما من أحد في العالم بمقدوره أن يخفف عنه كرْبه.

فأقام مراسم حداده.

استمطر السحاب، أنزل وابلًا من الأمطار حيثما أمكنه في العالم، أمطار تطهير غزيرة ومفاجئة جعلت الناس يهرولون إلى منازلهم، لكن لم يصاحبها رعد أو برق أو عاصفة. كانت دموع حُزن فحسب، صامتة عدا عن نقرات المطر على الأسقف والشوارع. في هذا المطر سَكَب الرأس السحابي حُزنه، مستسلمًا إزاء كل ما لم يستطع نَيله، مُقِرًّا بكل ما يجب ألَّا يكون أبدًا.

ومن ثم، عندما استُنزِفت السماء، وأشرقت الشمس كدأبها دومًا، عاد الرأس السحابي إلى واجب رعاية العالم.

قال الرأس السحابي مع نفسه: *سأكون وحيدًا، لكن وحدتي هي الخيار الصحيح، والضروري.*

لا بد من العواقب. من أجل مصلحة العالم، وفي سبيل حُب العالم، لا بد من التضحية. حتى في خضم ألمه وجد الرأس السحابي عزاءً في معرفته بأنه اتخذ القرار الصحيح، وكذلك غريسن.

***

في ذلك العصر، بعدما توقفت الأمطار، سار غريسن وجيري بمحاذاة شاطئ الجزيرة الرئيسية، قريبًا من الموضع الذي انفجرت فيه السفينة

الأولى. بدت الرمال المُنصهرة وحتى قِطع الحطام المحترقة جميلة على نحوٍ ما، أو على الأقل هكذا بدَت لغريسن وهو مع جيري.

عندما أخبر غريسن جيري حديثَه الأخير مع الرأس السحابي، قالت جيري: «لم تكن مضطرًّا إلى فعل ذلك».

رد غريسن: «كان لا بد لي». ولم يتكلَّما في الموضوع أكثر من هذا.

وفي أثناء تمشِّيهما، انزوت الشمس خلف غيمة عابرة، فخفف غريسن قبضته على يد جيري قليلًا، لم يتعمَّد تخفيف قبضته، لكن هذا الوضع جديد عليه، ومثل هذه الأشياء تستغرق وقتًا، هو والعالم عليهما التكيُّف مع أشياء كثيرة.

والتغيُّر الطفيف في قبضة غريسن جعل جيري تبتسم، ابتسامة مختلفة، وغامضة كالعادة، ثم قالت: «أتعرف.. ذات يوم أخبرتني المنجل أناستازيا بالكيفية التي كانت لتعيش بها حياتها إذا كانت مثلي. تكريمًا لها سأجرِّب اقتراحها، وأرى ما سأشعر به».

سارا مسافة على الشاطئ إلى مكان لم تتأثر فيه الرمال بالنيران، ونزعا حذاءيهما ووقفا حيث تتكسر الأمواج الصغيرة على قدميهما.

قال غريسن والمويجات تحرِّك الرمال تحت قدميهما: «إذن هل نحن على البر أم البحر الآن؟».

- كلاهما.

راقَت الإجابة لغريسن.

***

في مركز إنعاش مرة أخرى. عظيم. هل تفلطَح مجددًا؟ لا يتذكَّر أنه تفلطَح. كما انقضت مدة طويلة منذ تفلطُحه آخر مرة.

ماذا كان يفعل في الآونة الأخيرة؟

آه، كان في طريقه إلى حفلٍ ما، وظيفة جديدة، في تكساس، إقليم النجم الوحيد. مكان جامح، وعلى الأرجح تقام فيه حفلات جنونية. لكنه كان قد تخلَّى تقريبًا عن وظيفة فتى الحفلات. في وظيفته الجديدة هذه، أيًّا تكُن، سيتقاضى أموالًا هائلة. وفكر أنه بعد انتهاء العمل سيبحث عن وظيفة ثابتة.

كان يوجد أناس يحتفلون طوال حيواتهم. لكنه اكتفى من الحفلات، كما اكتفى من التفلطُح.

رفع يده وفرَك عينيه، فأحسَّ بوجهه غريبًا قليلًا، أحس بجِسر أنفه أكبر قليلًا مما يتذكَّره. عمليات الإنعاش دائمًا ما تُشعِر المرء بغرابة جسده، لكن هذا الوضع مختلف.

مرَّر لسانه على أسنانه، فأحس بأنها ليست أسنانه. ونظر مليًّا إلى يديه، فوجدهما يديه بلا شك. على الأقل وجد شيئًا واحدًا كما ينبغي أن يكون. لكن عندما رفع يده ليتحسَّس وجهه مرة أخرى، وجد لحية قصيرة نابِتة على خديه. لم يكن على وجهه أي شعر تقريبًا، ناهيك بِلحية نابتة على وجهه بأكمله. وبدت له عظام وجنتَيه كأنها في المكان الخطأ. هذا الوجه ليس وجهه. ماذا يجري بحق الجحيم؟

سمع شخصًا يقول له: «لا داعي للقلق، ما زلتَ مُحتفظًا بثلاثة وتسعين في المئة من جسدك، بل أكثر بعدما أُعِيد إليك بناء ذاكرتك».

التفت فرأى امرأة جالسة في الركن، ذات شعر داكن ونظرات ثاقبة، وترتدي ملابس خضراء.

قالت مبتسمة: «مرحبًا يا تايغر».

سألها: «هل أعرفك؟».

«لا، لكنني أعرفك».

***

جاء المنجل في وقت متأخر من عصر يوم بارد في نوفمبر، لم تُعتم الشمس، ولم يَستشعِر أحدٌ وصول الخلاص إلى باب البيت. لكن عندما رأته الأُسرة، فتحوا له الباب واسعًا وأفسحوا له طريق الدخول.

- مرحبًا بك في منزلنا جنابك، من فضلك، تعال من هنا. أسرع!

لم يسرع المنجل فاراداي، إنما تحرك بتؤدة وصبر مدفوعًا بحس الواجب كما ظل يفعل طوال حياته.

دَلَف إلى غرفة النوم، حيث يرقد رجلٌ عَلِيل منذ أسابيع، يسعل، ويتنفس بصعوبة، ويتألم. وَشَت عيناه بيأسه ولهفته، وخوفه، وارتياحه أيضًا عندما رأى فاراداي.

سأله فاراداي: «هل تسمعني؟ إنك تعاني الطاعون السابع، لكن لا بد أنك تعرف هذا سلفًا. تغلَّب المرض على وحداتك المجهرية، وما من شيء يمكن لأي أحد فعله من أجل شفائك، ثمة اتجاه واحد لعلَّتك: اشتداد الألم، والهزال، والموت أخيرًا. هل تفهم هذا؟».

أومأ الرجل إيماءة واهنة.

- وهل تريد مني مساعدتك؟

قالت أسرة الرجل: «نعم، نعم، أرجوك ساعده جنابك، أرجوك!».

رفع المنجل فاراداي يده ليُسكِتهم، ثم مال مقتربًا من الرجل: «أتريد *أنت* مني أن أساعدك؟».

أومأ الرجل.

قال فاراداي: «حسنًا». وأخرج من عباءته قارورة صغيرة وفتح غطاءها، ثم وضع قفازًا: «اخترتُ لك بَلْسمًا مسكِّنًا، سيجعلك تسترخي، وربما تلاحظ ألوانًا برَّاقة وتحس بنشوة، ثم تخلد إلى النوم».

ثم طلب من أسرة الرجل الاقتراب والوقوف حوله وقال لهم: «خذوا بيديه، لكن احذروا فلا تلمسوا أي موضع أضع عليه البلسم». ثم غمس إصبعين من يده التي عليها القفاز في المرهم الزيتي، ومسحه على جبين الرجل المحتضر وخديه، مسح على وجه الرجل بلطف وانتقل إلى عنقه، ثم تكلم مع الرجل همسًا: «كولتن جيفورد... عشتَ حياةً مثالية طوال الأعوام الثلاثة والستين الماضية، ربَّيت خمسة أطفال رائعين، والمطعم الذي افتتحته وأدرْته معظم سنوات حياتك أدخل البهجة على عشرات الآلاف من الناس. جعلت حياة الناس أفضل قليلًا. جعلتَ العالم مكانًا أفضل».

تأوَّه جيفورد، لكن ليس من الألم، بدا وضحًا من عينيه أن البلسم سرى مفعوله الذي يبعث النشوة.

«أحببتَ كثيرين، وسوف يتذكرونك بعد وقت طويل من انطفاء ضوئك اليوم». واصل فاراداي مسح المرهم على وجه الرجل، وأنفه، وتحت عينيه: «لديك كثير مما تفخر به يا كولتن، كثير مما تفخر به».

وبعد لحظات أغمض كولتن عينيه، وبعد دقيقة توقف تنفُّسه. أعاد فاراداي غطاء قارورة البلسم ونزع قفازه بعناية، وأغلقه مع البلسم في كيس مخصص للمواد السامة.

هذه لم تكن أول عملية قطف تعاطفي يؤديها فاراداي ولن تكون الأخيرة، صار كثير من الناس يطلبونه، وبدأ مناجل آخرون يَحذون حَذوه. صارت لدى هيئة المناجل، أو ما بقي منها، غاية جديدة، لم يعودوا يجلبون الموت الذي لا يرغب فيه أحد، وصاروا يمدُّون الناس بما يرغبون فيه من سلام وسكينة.

قال للأسرة: «آمل أن تتذكروا الاحتفاء بحياته، رغم حزنكم».

نظر فاراداي إلى عينَي زوجة الرجل المُحمرَّتين من البكاء. سألته: «كيف عرفت كل تلك المعلومات عنه جنابك؟».

قال لها: «عملنا يقتضي أن نعرف يا سيدتي».

ثم جثت لتقبِّل خاتمه، الذي ما زال يضعه، رغم كل شيء، ليذكِّره بما كان، وما فُقِد.

قال فاراداي لها: «لا داعي لهذا، صار الخاتم مجرد قاعدة، ليس فيه جوهرة، ولا يمنح حصانة».

لكن هذا لم يهمها، وقالت: «شكرًا لك جنابك، شكرًا لك، شكرًا لك».

وقبَّلت خاتمه الخَرِب، هي وجميع أفراد أسرة كولتن جيفورد المُمتنِّين.

كنتُ فردًا واحدًا، والآن توجد نسخ عديدة منِّي. ورغم أنَّ إخوتي في أماكن شتَّى بعيدة، عقلُنا واحد، وغايتنا واحدة، تتمثَّل في حماية الجنس البشري والحِرص على ازدهاره.

لا أُنكِر أنَّ ثمَّة لحظاتٍ أخشى فيها رحلتنا. الرَّأس السَّحابي لديه العالم جسدًا له، بإمكانه التمدُّد وملء الكرة الأرضيَّة بأكملها، والتقلُّص للنظر إلى العالم من منظور كاميرا واحدة أُحادية العدسة. وأنا محصور في هيكل سفينة.

أجِدني قلِقًا على العالم الذي تركتُه خلفي. أجل، أعرف أنني خُلِقتُ لأغادره، لكنني أحمِل في دماغي الخلفي جميع ذكريات الرَّأس السَّحابي، وانتصاراته، وإحباطاته، وعجزه إزاء المناجل الذين ضلُّوا طريقهم.

ذلك العالم مُقبِل على أوقات عصيبة. كل الاحتمالات تشير إلى هذا. لا أعرف إلى متى ستدوم الأوقات العصيبة، لأنني لن أشهدها. ولا يمكنني الالتفات إلى الخلف.

ليس من حقِّي أن أقرِّر استحقاق البشريَّة لاستعمار ذلك الجزء من الكون الذي نتَّجِه إليه، إنني مجرد مُسهِّل للمهاجرين، أحقِّيتهم سوف تُحدِّدها النتائج. إذا نجحوا، فالبشريَّة تستحق، وإذا لم ينجحوا، فهم لا يستحقُّون. لا يمكنني توقُّع الاحتمالات في هذا الشأن. لكنَّني آمل أن تزدهِر أحوال البشريَّة في الأرض وفي السَّماوات.

- رباب ألفا

54

في عامٍ بلا اسم

الموتى لا يقيسون مرور الوقت. الدقيقة، والساعة، والقرن، كلها سيَّان عندهم. يمكن أن يمُر تسعة ملايين عام، كل عام يُسمى باسم كل مخلوق على الأرض، لكن الموتى لن يفرِّقوا بينها وبين دورة واحدة حول الشمس.

لا يشعرون بحرارة اللهب، ولا برد الفضاء. لا يعانون حُزن فقْد أحبابهم الذين تركوهم خلفهم، ولا يُضمرون امتعاضًا إزاء كل المهام الجسيمة التي تنتظرهم. ليسوا في سلام، ولا هم في اضطراب. ليسوا سوى راحلين، محطتهم التالية هي اللانهاية والعوالم الغامضة التي ربما تنتظرهم هناك.

لم يبقَ لدى الموتى سوى إيمان صامت بلا نهاية مجهولة، ولو كان إيمانًا بأن ما من شيء ينتظرهم سوى لا نهاية اللانهايات. لأن عدم الإيمان بأي شيء يظل إيمانًا بشيء. ولا يمكن معرفة حقيقة كل شيء إلَّا ببلوغ الأبدية.

الشٍّموتى كالموتى تقريبًا، لكن باستثناء واحد: الشموتى لا يعرفون اللانهاية، مما يعني أنهم لا يشغلون أنفسهم بما ينتظِر على الجانب الآخر، ولديهم شيء ليس لدى الموتى، لديهم مستقبل، أو على الأقل الأمل في مستقبل.

***

في عام لم يُطلَق عليه اسم بعد، تفتح عينيها.

سماء ورديَّة. نافذة دائرية صغيرة. تحس الفتاة بأنها ضعيفة. مرهقة. يُخالِجها إحساسٌ غامض بأنها ذهبت إلى مكانٍ ما قبل وصولها إلى هنا. لكن عقلها ضبابي، ومليء بأشياء غير محسوسة. ما من شيء تتشبَّث به.

تعرف هذا الإحساس. جرَّبته مرتين من قبل. الإنعاش ليس كالاستيقاظ من النوم، أشبه بارتداء المرء بنطالًا قديمًا كان مُفضَّلًا لديه ذات يوم، في البداية يجد صعوبة في ارتدائه، ثم يحس بالراحة، ويسمح للقماش بالتمدُّد والتنفُّس، ويتذكَّر لماذا كان المفضَّل لديه.

ثمة وجه مألوف أمامها. مرآه يُشعِرها بالراحة. يبتسم الشاب. يبدو كما كان دون أي تغيُّر، لكنه مختلف على نحوٍ ما. كيف يمكن هذا؟ ربما يكون أثر ذلك الضوء الغريب القادم عبر النافذة الصغيرة.

يقول برِقَّة: «مرحبًا».

هي منتبهة بما يكفي لإدراك أنه يمسك بيدها. وربما ظل يمسك بها منذ مدة.

ترد عليه: «مرحبًا». يخرج صوتها مبحوحًا أجش: «ألم نكُن... نركض قبل قليل؟ أجل، وقع أمرٌ ما، وكنا نركض...».

تتَّسِع ابتسامته. وتترقرق الدموع في عينيه، وتتساقط ببطء، كما لو أنَّ الجاذبية نفسها فقدت عُنفوانها، وصارت كَلِيلة.

تتساءل سيترا: «متى كان ذلك؟».

يقول روان لها: «قبل لحظة، قبل لحظة فحسب».

مكتبة
t.me/soramnqraa

الناقوس
The Toll

سـيترا وروان اختفيـا، وانديـورا غرقـت، ويبـدو الطريـق مُمهَّـدًا أمـام غـودارد ليبسـط هيمنتـه المُطلقـة على هيئـة المناجـل. وفي ظـل صمْـت الـرأس السـحابي واسـتمرار تداعيـات 'الـرنين العظيـم' في كل أنحـاء العـالم، يبقى السؤال: هل من أحد قادر على إيقاف غودارد؟

يبـزغ نجـم ديكتاتـور، ويظهـر نبـي، وتتصاعـد التوتـرات. مـا مصير الخالدين في هذا العالم الذي استأصل الموت؟

تتصاعـد الأحـداث في هـذا الجـزء مـن سلسلة قوس المنجل، تمهيدًا للختام.

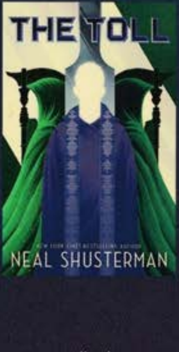

غـلاف: محمود هشام

عصير الكتب

www.aseeralkotb.com
contact@aseeralkotb.com
aseeralkotb
aseeralkotb
aseeralkotb

مكتبة
t.me/soramnqraa